سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ

تصنيف

الإمام شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ

المتوفى

٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

السِّيرة النّبويّة

(١)

حقّقه، وضبط نصّه، وعلّق عليه

الدكتور بشار عوّاد معروف

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

يوم أن عقدنا العزم على إصدار كتاب «سير أعلام النبلاء» وكلفنا الاخوة المحققين بالعمل فيه تحت إشراف ومتابعة الأستاذ الشيخ شعيب الأرنؤوط، لم يكن الأمر مجرد صدفة، وإنما كان توجهاً حقيقياً لدى المؤسسة لتقديم كتب التراث محققة تحقيقاً علمياً بمنهج لا يمكن فيه زيادة لمستزيد، فلقد كان أن تقدمنا إلى جانب تحقيق «السير» بتحقيق مجموعة من كتب التراث الهامة والتي كان لها الصدى الواسع بين أهل العلم، فكان كتاب «تهذيب الكمال» بأجزائه الخمس والثلاثين. وكان كتاب «صحيح ابن حبان» بأجزائه الثماني عشر وكان «شرح مشكل الآثار» بأجزائه الستة عشر... وهكذا...

لقد كان اتجاه المؤسسة واضحاً في نشر كتب التراث ضمن منهج واضح المعالم من أولويات أسسه:

١ ــ البحث عن مخطوطات الكتاب.. أو أجزاء منها وإحضارها أينما وجدت.

٢ ــ نسخ المخطوط (الأفضل) وترقيمه وتفصيله بشكل سليم.

٣ ــ مقارنة المخطوط المعتمد مع جميع النسخ الأخرى وضبط الفروق وتسجيلها.

٤ ــ التعليق، وذكر المصادر سواء للتراجم أو الأحاديث مهما كان عددها. لدرجة قد يعجز عنها كثير من المحققين وذلك لما يتطلبه البحث من متابعة في المراجع التي تحتاج إلى مكتبة ضخمة، وإلى وقت ليس بالقليل. وإلى صبر لا ينفذ.

٥ ـ تحمل مسؤولية النقل والكتابة أو التعليق وما يحمله هذا من أمانة في النقل والضبط فُقدت لدى الكثيرين من المحققين أو أصحاب دور النشر.

كل هذا جعل ما أنتجته المؤسسة مميزاً.

ونحن إذ نفخر بهذا، لا يسعنا إلا المضي فيما ندبنا إليه أنفسنا مهما كانت العقبات ومهما كانت التكاليف، يدعمنا في هذا اخوة مخلصين يقدمون لنا النصح والتوجيه والاشراف ويذللون لنا بعض العقبات التي قد تعترض. ولهم من المؤسسة الشكر والثناء.

ولما كان كتاب «السير» قد بدأ بسير الصحابة تاركاً سيرة الرسول ومغازيه، وسير الخلفاء الراشدين لتنقل من «تاريخ الإسلام» وأملنا إصدار التاريخ منذ زمن بعيد، ولما طال الانتظار رأينا من الواجب إتماماً وإكمالاً للعمل تحقيق الأجزاء الأولى من «تاريخ الإسلام» وضمها إلى «سير أعلام النبلاء» كما طلب وأشار المؤلف في أول مخطوطة السير فنكون بهذا قد التزمنا بما رغب به المؤلف وما نصح به.

وقد يلقى هذا الترحيب من كثير من طلبة العلم، وقد يعترض عليه بعضهم، ولكل وجهة نظر إنما نحن بشر اجتهدنا، والله المستعان.

بقي أن نرجو العاملين في خدمة التراث والساعين لإحيائه أن يعرفوا أن توفيق الله ورضاه عز وجل هدف نسعى إليه، ونأمل ممن يهدف إلى هذا أن يكتب إلينا فيما كان من نقص لدينا ويمكن معالجته أن لا يبخل علينا بما يساعدنا على إكمال المسيرة، وتحقيق ما لم ينشر ونحن بدورنا سنكون جد ممتنين لكل من يرى في هذه المؤسسة أو المشرفين عليها الخير أن يقدم لهم ما يساعدهم على السير في هذه الرسالة، والله من وراء القصد.

رضوان دعبول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نَحْمَدُهُ ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرورِ أنفُسِنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن أسوتنا وإمامنا وقدوتنا وشفيعنا محمداً عبدُهُ ورسولُه، بعثه الله بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كُلِّه ولو كره المشركون، فبلَّغَ الرسالةَ، وأتم به اللهُ النِّعمةَ فرضي لنا الإسلام ديناً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أما بعد،

فالحمد لله الذي وفقنا إلى إنجاز تحقيق «السيرة النبوية» و«سير الخلفاء الراشدين»، لإمام المؤرخين شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، لإتمام كتابه العظيم النافع المشتهر بالآفاق «سير أعلام النبلاء».

وكان الذهبي رحمه الله قد جعل كتابه «سير أعلام النبلاء» في أربعة عشر مجلداً، أفرد المجلدين الأول والثاني منها للسيرة النبوية الشريفة وسير الخلفاء الراشدين، لكنه لم يكتبهما، وإنما أحال على كتابه الوسيع «تاريخ الإسلام» ليؤخذا منه ويُضمّا إلى «السير»، فقد جاء في طرة المجلد الثالث من نسخة أحمد الثالث الأولى تعليق بخطه كُتب على الجهة اليسرى نصه: «في المجلد الأول والثاني سير النبي ﷺ والخلفاء الأربعة تكتب من تاريخ الإسلام».

وقد حَدّد الذهبي نطاق «السيرة النبوية» ومكوناتها في إشارة بخطه في حاشية الورقة (٩٨) من المجلد الثاني من تاريخ الإسلام ـ وهو المجلد الذي يبدأ بالترجمة النبوية ـ وعند بداية الفصل الخاص بمعجزاته ﷺ، بقوله: «من شاء من الإخوان أن يفرد الترجمة النبوية، فليكتب إذا وصل إلى هنا جميع ما تقدم من كتابنا في السفر الأول بلا بُد، فليفعل، فإن ذلك حسن، ثم يكتب بعد ذلك (فصل في معجزاته) إلى آخر الترجمة النبوية»[١].

ويتبين من النص السابق أنَّ «السيرة النبوية» التي أرادها الذهبي تشمَلُ جميع المجلد الأول ـ وهو المجلد الخاص بالمغازي ـ ثم جميع الترجمة النبوية وهي المئة والسبعون ورقة من المجلد الثاني بخطه. أما ترتيبها فتحدده الملاحظة التي دَوّنها المؤلف بخطه في حاشية الورقة (٩٨) من المجلد الثاني المشار إليها قبل قليل، وهذا يعني أن «السيرة النبوية» تبدأ من أول الترجمة النبوية (وهي أول المجلد الثاني)، فإذا ما وصلنا إلى الورقة (٩٨) وهي آخر الهجرة إلى المدينة، عُدنا إلى المجلد الأول الخاص بالمغازي ـ وفيه العشر سنين التي لبث فيها بالمدينة إلى حين وفاته ﷺ ـ فدوناه بأجمعه، ثم أتممنا «السيرة» بالأوراق المتبقية

(١) انظر الصورة المرفقة في آخر هذه المقدمة.

من المجلد الثاني والتي تبدأ بمعجزاته ﷺ وإلى نهاية الترجمة النبوية (الأوراق ٩٨-١٧٠)، وكذلك فعلنا في نشرتنا هذه.

أما سير الخلفاء الراشدين فلم يُعد صياغتها. ونَشْرُها كما جاءت في «تاريخ الإسلام» فيه إشكال من عدة أوجه، أولها: أن التراجم التي ساقها المؤلف لكل واحد من الخلفاء تراجم قصيرة لا تتناسب ومنزلتهم في تاريخ الأمة، بل إن ما ذكره من تراجم لبعض الصحابة في «السير» كان أوسع حجماً وأغزر مادة، وثانيها: أن «تاريخ الإسلام» مرتب على السنوات، وقد خلط فيه المؤلف الحوادث والوفيات، فلا نجد وحدة موضوعية لو أردنا أن نقدم «سير الخلفاء» كما جاءت فيه، وثالثها: أن في «تاريخ الإسلام» لهذه المدة تراجم وسيعة قد كتب لها المؤلف في «سير أعلام النبلاء» تراجم رائقة، مثل ترجمة أبي عُبيدة عامر بن الجراح، وطلحة، والزبير، وسلمان، وأُبي بن كعب، وأبي ذر، ونحوهم ممن توفي في هذه المدة.

وكان لابد لنا، نتيجة لما بينا، من الوقوف على طريقةٍ نحققُ فيها رغبةَ المؤلف، ونحاول أن نستلهم تصوره وفِكْرَهُ لو أراد هو أن يقوم بمثل هذا العمل.

وأول ما يتعين علينا إدراكه هو أن المؤلف قد كتب سيراً مستقلة لكل واحد من الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، لكنها لم تصل إلينا، وهي: «توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق»، و«نعم السمر في سيرة عمر»، و«التبيان على مناقب عثمان»، و«فتح المطالب في مناقب علي بن أبي طالب».

وإذْ لم تَصل إلينا هذه السير المفردة كان علينا النظر في صَنِيعه عند تدوينه لسير الخلفاء والملوك حينما ترجم لهم في «سير أعلام النبلاء»،

وأفاد من المادة الوفيرة التي جمعها في «تاريخ الإسلام»، فوجدناه يبدأ كلَّ ترجمةٍ عادة بذكر اسمه ونسبه ومناقبه وفضائله ووفاته. ثم يعقب ذلك بذكر أبرز الحوادث في المدة التي حكم فيها.

ومن هذا المنطلق كان لابد لنا من إعادة النظر في ترتيب المادة التاريخية المذكورة في «تاريخ الإسلام» عن الخلفاء الراشدين وتشذيبها لنقدم «سيرة» لكل واحد منهم، حاولنا أن تكون قريبة من ذهنية المؤلف ومنهجه الذي انتهجه في «السير»، فقدمنا الترجمة التي كتبها لكل واحدٍ منهم في سنة وفاته، ثم أتبعناها بالحوادث الكائنة في خلافته، وحذفنا التراجم التي ساقها في هذه المدة وممن ترجم لهم في «سير أعلام النبلاء» دفعاً للتكرار، مع الإلتزام بسياقة المؤلف وعبارته.

وقد عنيتُ عناية بالغة بضبط النص وتقييده ومقابلته على أصح النسخ الخطية، فضلاً عن الإشارة إلى مناجمه ومقابلة مادته بالأصول التي نقل منها، والتعليق عليه بأوجز عبارة وأخصر طريقه، وتخريج أحاديثه على أمهات كتب السُّنة على وفق صنيعه في الكتاب من غير إسراف، لئلا يتضخم الكتاب فوق ضخامته، فالغاية من التحقيق تقديم نص صحيح متقن مضبوط، والتعليق عليه بما يخدم تلك الغاية إن شاء الله تعالى.

وصف النسخ الخطية المعتمدة:

لقد يَسّر الله لي ـ بحمده ومَنِّه ـ عشرات المجلدات من نسخ «تاريخ الإسلام»، صورتها لخزانة كتبي في رحلاتي المتعددة إلى أنحاءٍ شتى من العالم، ومنها قرابة نصف الكتاب بخط مؤلفه الذهبي، وقد وصفتُ بعضها في صدر كتابي «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» الذي

صدر في القاهرة منذ عشرين عاماً، وبعضها مما صورته واقتنيته بعد ذلك، فتوافرت لي نتيجة لذلك خبرة جيدة بنُسَخ الكتاب وطبيعتها، أفدتُ منها في اختيار النسخ التي اعتمدتها في تحقيق السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين، وها هي ذي:

١ - مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم (٣٠٠٥).

وهو المجلد الثاني من نسخة المؤلف التي بخطه، والتي كانت موقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، ثم استولى عليها الأتراك عند استيلائهم على البلاد المصرية فأودعوها خزانة جامع أيا صوفيا بإستانبول (الملحقة اليوم بالمكتبة السليمانية). وقد جاء في طرة النسخة: «المجلد الثاني[١] من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام وأوله الترجمة النبوية جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي ابن الذهبي». وعلى طرة النسخة أيضاً سماع لصلاح الدين الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ) على المؤلف وقد كتب بخطه المتقن: «قرأت هذه المجلدة، وهي الجزء الثاني من تاريخ الإسلام على كاتبه ومؤلفه شيخنا الإمام الحافظ العلامة قدوة المؤرخين حجة المحدثين شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ أدام الله الإمتاع بفوائده ـ في ثمانية عشر ميعاداً آخرها تاسع عشر ربيع الأول سنة (٧٣٥هـ) وسمعها كاملة فتاي طيدمر بن عبدالله الرومي ومن أول الترجمة النبوية إلى آخر ترجمة عيينة بن حصن. وسمع بعض ذلك في مياعيد مفرقة جماعة ذكرتهم في البلاغات على الهامش[٢] وأجازنا

---

(١) كتب فوق هذه الكلمة بخط يشبه خط الذهبي، وليس خطه، كلمة «الأول» وهو وهم من هذا الكاتب.

(٢) انظر بعض هذه البلاغات في الأوراق: ١٥، ٣٠، ٤٩، ٦٠، ٧٤، ٨٦، ٩٨، ١٣٠، ١٣٩ . . . إلخ.

رواية ذلك عنه أجمع. وكتب خليل بن أيبك بن عبدالله الشافعي الصفدي حامداً ومصلياً».

وعلى الطرة أيضاً نص وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وهو: «الحمد لله حق حمده. وقف وحَبَّس وسَبَّل المقر الأشرف العالي الجمالي محمود استدار العالية الملكي الظاهري ـ أعز الله تعالى أنصاره ـ جميع هذا المجلد وما قبله وما بعده من المجلدات من تاريخ الإسلام للذهبي بخطه، وعدة ذلك أحد وعشرون مجلداً، وقفاً شرعياً على طلبة العلم الشريف ينتفعون به على الوجه الشرعي. وجعل مقر ذلك بالخزانة السعيدة المرصدة لذلك بمدرسته التي أنشأها بخط الموازنيين بالقاهرة(١) المحروسة، وشرط الواقف المشار إليه أن لا يخرج ذلك ولا شي منه من المدرسة المذكورة برهن ولا بغيره. وجعل النظر في ذلك لنفسه أيام حياته ثم من بعده لمن يؤول إليه النظر على المدرسة المذكورة على ما شرح في وقفها. وجعل لنفسه أن يزيد في شرط ذلك وينقص ما يراه دون غيره من النُّظّار، جعل ذلك لنفسه في وقف المدرسة المذكورة، فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم، بتاريخ الخامس والعشرين من شعبان المكرم سنة سبع وتسعين وسبع مئة»، ثم شهادة اثنين بذلك.

وفي أعلى الطرة خطوط جماعة من العلماء ممن نسخوا تاريخ الإسلام عن هذه النسخة أو اختصروه أو طالعوه واستفادوا منه وهي:

«فرغه نسخاً وقراءة عبدالرحمن بن محمد ابن البعلي داعياً لجامعه».

---

(١) في صورة الوقفية الموجودة على المجلدات الأخرى يضيف عبارة «بالشارع الأعظم».

و«طالعه وانتقاه وما قبله إبراهيم بن يونس البعلبكي الشافعي».

و«أنهاه تعليقاً البدر البشتكي».

و«طالعه يوسف الكرماني».

و«فَرَّغ تراجمه ترتيباً محمد ابن السخاوي، خُتم له بخير».

يبدأ هذا المجلد، كما مر، بالترجمة النبوية التي تستغرق (١٧٠) ورقة منه وينتهي بنهاية سنة (٣٠هـ) ويقع في (٢٤١) ورقة.

وقد عولنا عليه في جميع مدته نظراً لنفاسته ودقته بسبب كونه بخط المؤلف.

٢- المجلد الأول من نسخة بدر الدين البشتكي:

يُعد بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الأصل البشتكي الظاهري المتوفى سنة (٨٣٠هـ) أفضل من تصدى لتاريخ الإسلام بالنَّسْخ، إذ نسخ عن نسخة المؤلف التي بخطه نسختين كل واحدة منهما في واحد وعشرين مجلداً ضخماً، فكان يتابع الذهبي في تقسيمه للمجلدات، فنسخ كل مجلد بمجلد.

وقد اعترف العلماء، ومنهم الحافظان ابن حجر والسخاوي، بصحة نقله وضبطه، قال السخاوي في وفيات سنة (٨٣٠هـ) من «وجيز الكلام»: «العلامة أحد أئمة الأدب ونادرة الوقت في سرعة الكتابة مع الصحة»[١].

وكانت إحدى هاتين النسختين محفوظة في المدرسة الباسطية بالخرنفش من القاهرة، كما هو ثابت في طرة نسخة فيض الله، وكما

(١) وجيز الكلام ٢/الترجمة ١١٣٦ بتحقيقنا، وانظر إنباء الغمر لابن حجر ٨/ ١٣٢، وبدائع الزهور لابن إياس ٢/ ١١٣.

نص عليه السخاوي في «الإعلان»[1] ، ثم نُقل بعضها إلى دار الكتب المصرية حيث ما زالت هناك، وصارت هذه النسخة أصلاً يُنتسخ منه، كما هو ظاهر في نص بعض نُسَّاخ مجلدات «تاريخ الإسلام» المحفوظة في المكتبة الأحمدية بحلب، وأوقاف بغداد، والمكتبة الوطنية في باريس، ومكتبة البودليان بأكسفورد، وغيرها.

والمجلد الأول الذي اعتمدتُه هو من نسخة أخرى، غير النسخة التي كانت محفوظة بالمدرسة الباسطية، وهو اليوم في مكتبة فيض الله بإستانبول رقم (١٤٨٠)، والظاهر أن الأتراك جلبوه إليها من القاهرة بعد استيلائهم عليها ونقل كثير من الأوقاف إلى خزائن الكتب في إستانبول.

ويتضمن هذا المجلد المغازي، أو تاريخ الرسول ﷺ في المدينة (١-١١هـ)، ويتكون من (١٧٨) ورقة، لكل ورقة وجهان، مسطرة الوجه (٢٣) سطراً، في كل سطر قرابة (١٥) كلمة، نُسخ عن المجلد الأول من نسخه المؤلف، قال البشتكي في آخره: «آخر المجلد الأول من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، تأليف الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي، **ومن خطه نقلته**. وأنهاه تعليقاً الفقير إلى عفو الله وغفرانه ولطفه محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكي، لطف الله به بمَنِّه وكرمه، والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، اللَّهُمَّ صَلِّ على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، والطُفْ بمن كُتِبَ من أجله في نفسه وولده وأعنه وانفع به يارب العالمين، وحسبي الله ونعم الوكيل».

ويمتاز خط البشتكي بالدقة، وتظهر عليه آثار السرعة، وهو في غاية

(١) الإعلان بالتوبيخ ٥٩٨ بتحقيق روزنتال، وترجمة أستاذنا العلامة الدكتور صالح أحمد العلي.

الجودة لمن يتعود قراءته، أما نقله فمتقن جداً إذ تُعد نسخته أفضل نسخة بعد نسخة المؤلف.

وقد كُتب عنوان المجلد في طرة الكتاب: «الجزء الأول من تاريخ الإسلام للذهبي»، ثم كتب أحدهم إلى جنبه: «بخط البدر البشتكي»، ثم كتب تحته أحد الجُهلاء: «تأليف الإمام العالم الكامل الحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الحصري (كذا) المتوفى سنة ست وأربعين وسبع مئة (كذا) رحمه الله».

وكتب أحد الفُضلاء الفُهماء تعليقاً في أعلى الورقة الداخلية التي تسبق الورقة الأولى ما نصه: «هذا المجلد بخط البدر البشتكي، وفي المدرسة الباسطية نسخة أخرى مخرومة، فلما وجدتُ هذا المجلد في الشام ظننت أنه من نسخة الباسطية، فصحبته معي إلى القاهرة لأضعه في خزانة المدرسة المذكورة... والأجزاء التي فيها، فوجدت في تلك الأجزاء المجلد الأول (فتبين أن) هذا المجلد ليس من نسخة الباسطية بل من نسخة أخرى».

ونظراً لنفاسة هذا المجلد فقد اتخذته أصلاً، واستعنت عند الضرورة بالنسخ الأخرى التي تناولت المدة التي تناولها، ومنها المجلد الأول من النسخة المحفوظة في مكتبة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود الخاصة، بالرياض، إذ يتضمن هذا المجلد ما تضمنه المجلد الأول وقسماً من المجلد الثاني إذ ينتهي بخبر وفاة خديجة رضي الله عنها (الورقة ٦٤من مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥). ومنها النسخة المحفوظة بمكتبة السلطان أحمد الثالث بطوبقابوسراي ذات الرقم ٢٩١٧/١٨، وغيرها من النسخ.

٣- مما تقدم يتبين لنا أن جميع المغازي قد وقعت لنا بخط البدر

البشتكي عن نسخة المؤلف، وأن جميع الترجمة النبوية قد وقعت لنا بخط المؤلف، وأن خلافة الصديق والفاروق والشطر الأكبر من خلافة عثمان قد وقعت لنا بخط المؤلف أيضاً. وبقيت عندنا المدة (٣١-٤٠هـ) حيث استعنا بمجموعة من النسخ، لكن ليس فيها نسخة متقنة تصلح أن نتخذها أصلاً، منها:

أ- مجلد من نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم ٤٢ تاريخ.

ب- المجلد المحفوظ في مكتبة السلطان أحمد الثالث برقم ٢٩١٧/٢٨.

ج- نسخة المدرسة المرجانية المحفوظة بخزانة الأوقاف ببغداد.

د- طبعة السيد حسام الدين القدسي ـ رحمه الله تعالى ـ.

تنبيه:

كان صديقنا الأستاذ حسام الدين القدسي ـ يرحمه الله تعالى ـ من أوائل الذين تنبهوا إلى أهمية كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي، فنشر ستة أجزاء منه تضمنت الترجمة النبوية وإلى آخر الطبقة السادسة عشرة (١٦٠هـ)، ولم يكن يعرف يومئذٍ أنه ابتدأ بالمجلد الثاني من الكتاب، فظن أن هذا هو المجلد الأول، فألصق به مقدمة المؤلف. ثم تنبه إلى هذا الأمر بأخرة واطلع على نسخة المؤلف التي بخطه، كما وقف على المجلد الأول من النسخة المحفوظة في مكتبة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، وحصل على مصورة منها. فأعاد طباعة الترجمة النبوية، وبدأ بطباعة الجزء الخاص بالمغازي، لكنه وقع في غلطة كبرى حينما نشر في بعض المواضع مختصراً للكتاب ظناً منه أنه الأصل.

وفي أثناء ذلك أخرج قسم التحقيق بدار الكتب المصرية قسماً من المجلد الأول من «تاريخ الإسلام» كُتِبَ عليه أنه من تحقيق محمد

عبدالهادي شعيرة، وهو مليء بالتصحيف والتحريف، وقد نقدته نقداً مطولاً بلغ (١٨٠) صفحة في عددين من مجلة معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية، وفي عددين من مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، فتوقفوا عن إتمامه.

ثم قام السيد محمد محمود حمدان بنشر القسم الخاص بالمغازي معتمداً نسخاً متأخرة.

وفي السُّنيات الأخيرة قام صديقنا الدكتور عمر عبدالسلام تدمري بالتصدي لنشر «تاريخ الإسلام»، فأعاد نشر المغازي والترجمة النبوية والخلفاء الراشدين معتمداً نشرتي محمد محمود حمدان وحسام الدين القدسي على الرغم من ادعائه الاعتماد على مخطوطات ذكرها في مقدمة نشرته، وهولم يطلع عليها في واقع الأمر، ولا أدل على ذلك من أنه تابع نشرة ابن حمدان بأخطائها وبعض السقط الذي فيها، ووصف مجلد أيا صوفيا (٣٠٠٥) في صدر المجلد الخاص بالمغازي، باعتباره مجلداً خاصاً بالمغازي، وليس فيه كلمة واحدة من المغازي (!!)، بل الأعجب منه أنه قال في الصفحة (٣٢٦) من طبعته للقسم الخاص بالخلفاء الراشدين: «إلى هنا ينتهي الأصل الذي بخط المؤلف، **ولعله مسودة، لوقوع أخطاء فيه نبهنا إليها في مواضعها**» !! وهذا من أعجب ما قرأت وسمعت، فأي أصل هذا الذي يتكلم عليه، وأين المبيضة التي بُيّضت منه؟ أيصح أن يقال هذا بحق أفضل مجلد من مجلدات «تاريخ الإسلام» وهوالمجلد الثاني الذي أعاد الذهبي تبييضه سنة (٧٢٧هـ) والذي أجزم أن الأخ التدمري ما كحل عينيه برؤيته. فضلاً عن أنه وضع مقدمة الذهبي في المجلد الخاص بالمغازي، ثم وضع هذه المقدمة نفسها في مقدمة المجلد الخاص بالترجمة النبوية، وإنما فعل ذلك لأن حسام الدين القدسي رحمه الله أبقى المقدمة التي كتبها الذهبي في صدر

المجلد الأول ملصقة بالترجمة النبوية وهي المجلد الثاني من نسخة الذهبي، فأي متابعة بعد هذه المتابعة؟!

إننا لا نريد انتقاص جهود الآخرين، لكن التحقيق العلمي الدقيق أمانة علمية ثقيلة ينبغي أن تُبْذَل فيه الجهود اللازمة وتُوفر مستلزماتُهُ على أحسن مَوْفِرٍ، ومنها دعامتان رئيستان، الأولى: النسخ الخطية الأصيلة، والثانية: الخبير بموضوع الكتاب، وأسلوب مؤلفه، ومعرفة مناجمه بحيث يسهل عليه تجلية نصه، وفهمه على الوجه الذي قصد إليه مؤلفُه.

وها نحن أولاء قد بذلنا الجهد، واستنفدنا الوسع، ووظَّفنا خبرتنا في الذهبي وكتابه للوصول إلى نص مضبوط مُجَلَّى تعم فوائده وترتجى عوائده، حتى ظهر بهذه الهيئة العلمية الرائقة، والصفة البارعة الفائقة التي امتازت بها ـ بحمد الله ومَنِّه ـ كتبنا المحققة عموماً، وكتاب «سير أعلام النبلاء» خصوصاً، فهو واحد من مجموعة الموسوعات الكبرى التي ستبقى «مؤسسة الرسالة» تفخر بها في قابل أيامها.

اللَّهُمَّ تقبل منَّا عملنا في هذا الكتاب، وهب لنا من أمرنا رَشَدا، ووفقنا لمزيد من العلم النافع المؤدي إن شاء الله تعالى إلى مزيد من العمل الصالح الذي نلقى به ربَّنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

أفقر العباد

بشار بن عواد، الدكتور

المجلد الثاني من تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام

جمع كاتبه محمد بن احمد بن عثمان الذهبي

راموز طرة المجلد الثاني من (تاريخ الإسلام) المحفوظ بخزانة كتب أيا صوفيا برقم (٣٠٠٥) بخط الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نسب سيد البشر

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ابو القاسم سيد المرسلين وخاتم النبيين هو
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم
واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن الياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان وعدنان من ولد اسمعيل بن ابرهيم صلى الله عليهما
وعلى نبينا وسلم باجماع الناس لكن اختلفوا فيما بين عدنان وبين
اسمعيل من الاباء فقيل بينهما تسعة اباء وقيل سبعة وقيل غير ذلك
عن جماعة لكن اختلفوا في اسمائهم وقيل بينهما خمسة عشر ابا وقيل
بينهما اربعون ابا وهو بعيد وقد ورد عن طائفة من العرب ذلك
واما عروة بن الزبير فقال ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان
الا تخرصا وعن ابن عباس قال بين معد بن عدنان وبين اسمعيل ثلاثون ابا
قاله هشام بن الكلبي النسابة عن ابيه عن ابي صالح عن ابن عباس ولكن
هشام وابوه متروكان وجاء بهذا الاسناد ان النبي صلى الله عليه وسلم

[illegible]

الورقة الأولى من المجلد الثاني من نسخة أيا صوفيا (٣٠٠٥) بخط الذهبي،
وهي أول الترجمة النبوية

هذه داري قال اذهب فهيئ لنا مقيلا فذهب فهيأ لهما مقيلا ثم جاء فقال
يا نبي الله قد هيأت لكما مقيلا قوموا على بركة الله فقاما فلما جاء نبي الله صلى
الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت
بحق ولقد علمت يهود أني سيدهم وأعلمهم وذكر الحديث أخرجه البخاري
وقد تقدم من سيرته صلى الله عليه وسلم ومغازيه
في العشر سنين التي لبث فيها بالمدينة ما فيه مقنع إن شاء الله تعالى

فصل في معجزاته سوى ما مضى في غضون المغازي

قال ... كان من اسمعيل عن يعقوب ... عن
عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال خرجت أنا وأبي نطلب
العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا
أبو اليسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غلام له فذكر
الحديث ثم قال فيه أتينا جابر بن عبد الله في مسجده فقال سرنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته واتبعته بإداوة
من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به وإذا
شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله إلى إحداهما فأخذ
بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى
فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه

راموز الورقة (٩٨) من المجلد الثاني من نسخة المؤلف التي بخطه، ويظهر في حاشيتها تحديده لنطاق (السيرة النبوية)، ثم بلاغ بسماع الصفدي على المؤلف

وقال أبو بردة دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة فأقسمت بالله لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين الثوبين متفق عليه

وقال الزهري حدثني علي بن الحسين أنهم حين قدموا المدينة مقتل الحسين لقيه المسور بن مخرمة فقال له هل لك إلي من حاجة تأمرني بها فقلت لا فقال هل أنت معطي سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه وايم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أحد حتى تبلغ نفسي اتفقا عليه

وقال عيسى بن طهمان أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثني ثابت بعد عن أنس أنهما نعلا النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري

وقال سعيد بن عروبة عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عشرة امرأة ودخل منهن بثلاث عشرة وجمع بين إحدى عشرة وتوفي عن تسع فأما اللتان لم يدخل بهن فأفسدتا النساء فطلقهما وذلك أن النساء قلن لإحداهما إذا دنا منك فتمنعي فتمنعت فطلقها وأما الأخرى فلما مات ابنه إبراهيم قالت لو كان نبيا ما مات ابنه فطلقها وخمس منهن من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة بنت زمعة وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرية بنت الحارث الخزاعية وزينب بنت جحش الأسدية وصفية بنت حيي الأخطبية فتوفي صلى الله عليه عن هؤلاء رضي الله عنهن

آخر الترجمة النبوية

راموز الورقة (١٧٠) من المجلد الثاني من نسخة المؤلف، وهي آخر الترجمة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة الصديق

رضي الله عنه وأرضاه

قال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي
وأبو بكر بالسنح فقال عمر والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي
رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر الصديق فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله
وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله
الموتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس
عمر فقال أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال إنك ميت وإنهم ميتون وقال وما
محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم
على أعقابكم الآية فنشج الناس يبكون واجتمعت الأنصار إلى سعد
بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا منا أمير ومنكم أمير
فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر
فكان عمر يقول والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد
أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم فأبلغ فقال في كلامه نحن
الأمراء وأنتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر لا والله لا نفعل أبدا منا
أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء قريش أوسط

راموز الورقة (١٧١) من المجلد الثاني من نسخة المؤلف التي تبدأ بخلافة الصديق رضي الله عنه

الجزء الأول من تاريخ الإسلام للذهبي بخط البدر البشتكي

تأليف الامام العلامة الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المصري
المتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة رحمه الله

طرة المجلد الأول من النسخة التي كتبها العلامة بدر الدين البشتكي

(فيض الله ١٤٨٠)



راموز الورقة التي تلي طرة المجلد الأول من النسخة التي كتبها العلامة بدر الدين البشتكي، ويظهر في أعلاها النص على جلب هذا المجلد من الشام إلى مصر

بسم ا… …ـمن الرحيم

الحمد لله الباقي بعد فنا خلقه ا… … تبارك عليه القيوم الذي ملكوت كل شي بيده، حمدًا
كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي … …وجهه وعظيم سلطانه، واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله رحمة للعالمين، وخاتما للنبيين وحرزا
للاميين واماما للمتقين … … اليك وافصح تنزيلك، وأوضح سبيلك، وافسر
تبيان وابهر برهان اللهم ا… …له وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون
وصلى عليه وعلى آله الطيبين … …ته المجاهدين وازواجه امهات المومنين

اما بعد فهذا كتاب نافع … … ونعوذ بالله من علم لا ينفع ومن دعا لا يسمع
جمعته وتعبت عليه واستخرجته من عدة تصانيف يعرف به الانسان مهم ما مضى من
التاريخ من اول تاريخ الاسلام الى عصرنا هذا من وفيات الكبار من الخلفا والقرا والزهاد
والفقها والمحدثين والعلما والسلاطين والوزرا والنحاة والشعرا ومعرفة طبقاتهم واوقاتهم
وشيوخهم وبعض اخبارهم باخصر عبارة والخص لفظ وما تم من الفتوحات المشهورة
والملاحم المذكورة والعجايب المسطورة من غير تطويل ولا اكثار ولا استيعاب
ولكن اذكر المشهورين ومن يشبههم واترك المجهولين ومن يشبههم واشير الى الوقايع
الكبار اذ لو استوعبت التراجم والوقايع لبلغ الكتاب مايه مجلدة بل اكثر لان فيه مايه
نفس يمكنني ان اذكر احوالهم في خمسين مجلدا، وقد طالعت على هذا التاليف من
الكتب مصنفات كثيرة ومادته من دلايل النبوة للبيهقي، سيرة النبي صلى الله عليه
لابن اسحق ومغازيه لابن عايذ الكاتب والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي
وتاريخ ابي عبد الله البخاري وبعض تاريخ ابي بكر احمد بن ابي خيثمة وبعض تاريخ يعقوب
الفسوي وتاريخ محمد بن المثنى العنزي وهو صغير وتاريخ ابي حفص الفلاس وتاريخ
ابي بكر بن ابي شيبة وتاريخ الواقدي وتاريخ الهيثم بن عدي وتاريخ خليفة بن خياط
والطبقات له وتاريخ ابي زرعة الدمشقي والفتوح لسيف بن عمر وكتاب النسب
للزبير بن بكار والمسند للامام احمد وتاريخ المفضل بن غسان الغلابي

راموز الورقة الأولى من المجلد الأول الذي كتبه العلامة بدر الدين البشتكي

نقلا من خط المؤلف الذهبي

راموز الورقة الأخيرة من المجلد الأول الذي كتبه العلامة بدر الدين البشتكي، وهو آخر المغازي، وفيه نصه على نقله من خط المؤلف الذهبي

للإمام احمد وتاريخ المفضل بن غسان الغلابي والجرح والتعديل عن يحيى بن
والجرح والتعديل لعبد الرحمن بن ابي حاتم ومن علم ... فهو في الكتب الستة
او بعضها لاني طالعت مسودة تهذيب الكمال لشيخنا الحافظ ابي الحجاج يوسف المزي
ثم طالعت المبيضة كلها فمن على اسمه ... فحديثه في الكتب الستة ومن عليه
... فهو في السنن الاربعة ومن عليه خ فهو في البخاري ومن عليه م ففي مسلم
ومن عليه د ففي سنن ابي داود ومن عليه ت ففي جامع الترمذي ومن عليه
س ففي سنن النسائي ومن عليه ق ففي سنن ابن ماجه وان كان الرجل
في الكتب الافراد كتاب فعليه سوى ... مثلا او سوى ... وقد طالعت عليه ايضا
من التواريخ التي اختصرتها تاريخ ابي عبد الله الحاكم وتاريخ ابي سعيد بن يونس
وتاريخ ابي بكر الخطيب وتاريخ دمشق لابي القاسم الحافظ وتاريخ ابي سعد السمعاني
والانساب له وتاريخ القاضي شمس الدين بن خلكان وتاريخ العلامة شهاب الدين
ابي شامه وتاريخ الشيخ قطب الدين بن اليونيني وتاريخه ذيل على تاريخ مراة
الزمان للواعظ شمس الدين يوسف بن الجوزي وهما على الحوادث والسنين وطالعت
ايضا الكثير من تاريخ الطبري وتاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن الفرضي وصلته لابن
بشكوال والتكملة للابار والكامل لابن عدي وكتبا كثيرة واجزاء عديدة وكثيرا
من مراة الزمان ولم يعتن القدماء بضبط الوفيات كما ينبغي بل اتكلوا على حفظهم
فذهبت وفيات خلق من الاعيان من الصحابة ومن تبعهم الى قريب زمان ابي
عبد الله الشافعي رحمه الله فكتبنا اسماءهم على الطبقات تقريبا ثم اعتنى المتاخرون
بضبط وفيات العلماء وغيرهم حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة الى معرفتنا
لهم فلهذا حفظت وفيات خلق من المجهولين وجهلت وفيات ائمة من المعروفين
وايضا فان عدة بلدان لم يقع الينا تواريخها اما لكونها لم يورخ علماؤها احد من
الحفاظ او جمع لها تاريخ ولم يقع الينا وانا ارغب الى الله تعالى وابتهل اليه ان ينفع
بهذا الكتاب وان يجعله لجامعه وسامعه ومطالعه وللمسلمين امين
... في صحيحه من حديث الزهري عن عروة
عن عايشه رضي الله عنها ان المسلمين بالمدينه سمعوا بخروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانوا يغدون الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الشمس فانقلبوا
يوما فاوفى يهودي على اطم فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه

راموز الورقة الأولى من المجلد الأول من نسخة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

قلت والله لقد امنت بي اذ كذبني الناس وآوتني اذ رفضني الناس وصدقتني اذ
كذبني الناس ورزقت منها الولد وحرمتموه مني قالت فغدا وراح علي بها شهر
... هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت ما غرت على امراة ما غرت
على خديجة مما كنت اسمع من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وما تزوجني
الا بعد موتها بثلاث سنين ولقد امره ربه ان يبشرها ببيت في الجنة من قصب
لا صخب فيه ولا نصب متفق عليه ... الزهري توفيت خديجة قبل ان تفرض
الصلاة ... ابن فضيل عن عمارة عن ابي زرعة سمع ابا هريرة يقول اتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذه خديجة اتتك معها اناء فيه ادام وطعام
او شراب فاذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في
الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب متفق عليه ...
سمعت عليا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
خير نسائها خديجة بنت خويلد وخير نسائها مريم بنت عمران اخرجه مسلم ...

تم الجزء الاول من تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ...
الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي والله المحمود على ...
ويتلوه الجزء الثاني المبدوء بقصة الاسرى وذلك في صبح
يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الاول عام
الف وماتين وثلاثة عشر ... الله تعالى ...
والمرجو ممن اطلع على هفوة صغيرة او كبيرة
ان يصلحها لان الاصل الذي نقلته منه
كثير التحريف والله اسال ان
يهدينا الاصابة الصواب
وان يوفقنا الصالح الاعمال
...
على محمد وآله
وصحبه
وسلم

راموز الورقة الأخيرة من المجلد الأول من نسخة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

دخلت سنة احدى وثلثين ١١١

قال ابو عبد الله الحاكم اجمع مشايخنا على ان نيسابور فتحت
صلحا وكان فتحها في سنة احدى وثلثين بروايتي باسناد قال مصعب
ابن الزبير ان فتحها ان صاحب نيسابور كتب الى سعيد بن العاص
والي الكوفة والى عبد الله بن عامر والي البصرة يدعوهما الى خراسان
ويخبرهما ان مرو قد قتل اهلها يزدجرد فندب سعيد بن العاص
الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير لها فاتى ابن عامر عثمان فقال
ما يحمل لي ان سبقت بك قال لك خراجك وخراج اهل بيتك الى اليوم
العلية فاخذه على قومس واسرع ان نزل على نيسابور فقاتل
اهلها سبعة اشهر بعد فتحها فاستعمل عثمان عليها الاحنف وكان
ابن خاله عثمان وقال تعقل النبي في شيء هو صغير ومشى
قال خليفة احرم عبد الله بن عامر من نيسابور واستخلف قيس بن
الهيثم وعزم على خراسان وقيل ان ذلك في السنة الماضية وفيها
غزوة الاساود غزا عبد الله بن سعد بن ابي سرح من مصر في البحر
وسار فيه الى ناحية مصيصة وفيها توفي الحكم بن ابي العاص
ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي ابو مروان وكان له
من الولد عشرون ذكرا وثمان بنات اسلم يوم الفتح وقدم المدينة
وكان فيما قيل يفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرده وسيره
واوسله الى بطن وج فلم يزل طريدا الى ان ولي عثمان فادخله
المدينة ووصل رحمه واعطاه مائة الف درهم لانه كان عم عثمان
ابن عفان وقيل انما نفاه رسول الله الى الطائف لانه كان يحكيه
في مشيه

راموز الورقة (١١١) من المجلد الثاني من (تاريخ الإسلام) المحفوظ في مكتبة السلطان أحمد الثالث بإستانبول برقم A ٢٩١٧/١ وهي أول الطبقة الرابعة من الكتاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذكْرُ نَسَبِ سَيِّدِ البَشَر

محمدٌ رسول الله ﷺ أبو القاسم سيّد المُرْسَلين وخاتم النَّبيّين

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطَّلب، واسم عبدالمطَّلب شَيبة، بن هاشم واسمه عَمْرو، بن عبد مَنَاف واسمه المغيرة، بن قُصَيّ واسمه زيد[١]، بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة، واسمه عامر، بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم ـ صلّى الله عليهما وعلى نبيّنا وسلّم ـ بإجماع النّاس.

لكن اختلفوا فيما بين عدنان وبين إسماعيل من الآباء، فقيل: بينهما تسعة آباء، وقيل: سبعة، وقيل مثل ذلك عن جماعة. لكن اختلفوا في أسماء بعض الآباء، وقيل: بينهما خمسة عشر أباً، وقيل: بينهما أربعون أباً وهو بعيد، وقد ورد عن طائفةٍ من العرب ذلك.

وأما عُرْوة بن الزُّبَير، فقال: ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلاّ تَخَرُّصاً.

وعن ابن عبّاس قال: بين مَعَدّ بن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أباً، قاله هشام ابن الكلبيّ النَّسَّابةُ، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، ولكنْ هشام وأبوه متروكان.

---

(١) قال المؤلف في حاشية نسخته بخطه: قال الشافعي: قصي: يزيد.

وجاء بهذا الإسناد أنَّ النّبيَّ ﷺ كان إذا انتهى إلى عدنان أمسك ويقول: «كذب النسَّابون» قال الله تعالى: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الفرقان].

وقال أبو الأسود يتيم عُرْوَة: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة، وكان من أعلم قريش بأنسابها وأشعارها يقول: ما وجدنا أحداً يعلم ما وراء مَعَدّ بن عدنان في شِعْرِ شاعرٍ ولا عِلْمِ عالمٍ.

قال هشام ابن الكلبيّ: سمعت من يقول: إنّ مَعَدّاً كان على عهد عيسى ابن مريم عليه السلام.

وقال أبو عمر بن عبدالبَرّ(١) : كان قوم من السَّلَف منهم عبدالله بن مسعود، ومحمد بن كعب القُرَظيّ، وعَمْرو بن ميمون الأَوْدِي إذا تلوا: ﴿ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴿٩﴾ ﴾ [إبراهيم] قالوا: كذب النَّسّابون. قال أبو عمر: ومعنىهذا عندنا على غير ما ذهبوا إليه، وإنّما المعنى فيها والله أعلم: تكذيب مَن ادَّعَى إحصاءَ بني آدم. وامّا أنسابُ العرب فإنَّ أهل العلم بأيَّامها وأنسابها قد وَعُوا وحَفِظُوا جماهيرها وأُمَّهات قبائلها، واختلفوا في بعض فروع ذلك.

والذي عليه أئمّة هذا الشّأن أنّه: عدنان بن أُدَد بن مقوّم بن ناحور ابن تَيرَح بن يَعرُب بن يَشْجُب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ابن آزر، واسمه تارَح، ابن ناحور بن ساروح بن رَاعُو بن فالخ بن عَيْبر ابن شالَخَ بن أرْفَخشذ بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن مَتُّوشَلَخ ابن خَنُوخ، وهو إدريس عليه السلام، بن يَرَد بن مهليل بن قَيْنن بن يانِش بن شِيث بن آدم أبي البَشَر عليه السلام. قال: وهذا الذي اعتمده محمد بن إسحاق في السيرة(٢) ، وقد اختلف أصحاب ابن إسحاق عليه في بعض الأسماء.

---

(١) الإنباه على قبائل الرواة ٤٩-٥٠.

(٢) السيرة لابن هشام: ١/ ٢-٣ بتحقيق السقا والأبياري وشلبي.

قال ابن سعد[1] : الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل.

وروى سَلَمَة الأبرش، عن ابن إسحاق هذا النَّسَب إلى يَشْجُب سَواء، ثم خالفه فقال: يَشْجُب بن يانِش بن ساروغ بن كعب بن العوّام ابن قيذار بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم السلام.

وقال ابن إسحاق[2] : يذكرون أن عُمْر إسماعيل مئة وثلاثون سنة، وأنه دُفِن في الحِجْر مع أمه هاجر.

وقال عبدالملك بن هشام[3] : حدّثني خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسيّ، عن شَيْبان بن زُهَير، عن قَتَادة، قال: إبراهيم خليل الله هو ابن تارح بن ناحور بن أشرع بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن مَتُّوشَلَخ بن هنوخ بن يَرَد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش بن شِيث بن آدم.

وروى عبدالمنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن مُنَبِّه، أنّه وجد نسب إبراهيم عليه السلام في التَّوراة: إبراهيم بن تارح بن ناحور ابن شروغ بن أرغو بن فالَغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشَذ بن سام بن نوح بن لمك بن متشالخ بن خنوخ، وهو إدريس، بن يارَد بن مهلاييل ابن قَيْنان بن أَنُوش بن شِيث بن آدم.

وقال ابن سعد[4] : حدثنا هشام ابن الكلبيّ، قال: عَلَّمني أبي وأنا غلام نَسَبَ النَّبيِّ ﷺ: محمد، الطَّيِّب المبارك ولد عبدالله بن عبدالمطّلب، واسمه شَيْبَة الحمد، بن هاشم واسمه عَمْرو، بن عبد مَناف واسمه المُغِيرة، بن قُصَيّ واسمه زيد، بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب ابن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيمة بن

---

(١) الطبقات: ١/ ٥٨.
(٢) ابن هشام: ١/ ٥.
(٣) ابن هشام: ١/ ٣.
(٤) الطبقات ١/ ٥٥.

مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان.

قال أبي: وبين مَعَدّ وإسماعيل نيّف وثلاثون أباً، وكان لا يسمّيهم ولا يُنْفذهم.

قلت: وسائر هذه الأسماء أعجميّة، وبعضها لا يمكن ضبطه بالخطّ إلاّ تقريباً.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣﴾ [المعارج]: فصيلة النّبيّ ﷺ بنو عبدالمطّلب أعمامه وبنو أعمامه، وأمّا فخذه فبنو هاشم. قال: وبنو عبد مَناف بطنُه، وقريش عِمارته، وبنو كنانة قبيلته، ومُضَر شَعْبه.

قال الأوزاعيّ: حدّثني شدّاد أبو عمّار، قال: حدّثني واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنَانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من بني هاشم». رواه مسلم[1].

وأمُّه آمنة بنت وَهْب بن عبد مَناف بن زُهْرة بن كِلاب، فهي أقرب نَسَباً إلى كِلاب من زوجها عبدالله برجل.

---

(١) مسلم ٧ / ٥٨.

مولده المبارك ﷺ

أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق، قال: أخبرنا أحمد بن أبي الفتح، والفتح بن عبدالله، قالا: أخبرنا محمد بن عمر الفقيه، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد ابن النَّقُّور، قال: أخبرنا عليّ بن عمر الحربيّ، قال: حدثنا أحمد بن الحسن الصُّوفي، قال: حدثنا يحيى ابن مَعين، قال: حدثنا حجّاج بن محمد، قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبّاس: «أنّ النَّبيَّ ﷺ وُلِد عام[1] الفيل». صحيح.

وقال ابن إسحاق[2] : حدّثني المطّلب بن عبدالله بن قيس بن مَخْرَمَة، عن أبيه، عن جدّه قيس بن مَخْرَمَة بن عبدالمطّلب، قال: «وُلدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل. كُنَّا لِدَيْن» أخرجه الترمذي[3] ، وإسناده حسن.

وقال إبراهيم بن المنذر الحزاميّ: حدثنا سليمان النَّوْفليّ، عن أبيه، عن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم، قال: وُلد رسول الله ﷺ عامَ الفِيل، وكانت عُكَاظ بعد الفيل بخمس عشرة، وبُني البيتُ على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل. وتنبّأ رسولُ الله ﷺ على رأس أربعين سنة من الفيل.

وقال شباب العُصْفُريّ[4] : حدثنا يحيى بن محمد، قال: حدثنا عبدالعزيز بن عمران، قال: حدثني الزُّبَير بن موسى، عن أبي

(١) كتب المؤلف بخطه على الهامش أنها في نسخة أخرى «يوم».
(٢) ابن هشام ١/١٥٩.
(٣) الترمذي (٣٦٩٨)، وليس فيه «كنا لدين» وقال: حديث حسن غريب.
(٤) هو خليفة بن خياط صاحب التاريخ والطبقات.

الحُويرث، قال: سمعت قَباث بن أَشْيَم يقول: «أنا أسنُّ من رسول الله ﷺ وهو أكبر منّي، وَقَفَتْ بي أمّي على رَوْث الفيل مَحِيلاً[1] أعقله، ووُلِد رسول الله ﷺ عام الفيل»[2].

يحيى هو أبو زُكير، وشيخه متروك الحديث.

وقال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهابٍ قال: بعث الله محمداً ﷺ على رأس خمس عشرة سنة من بُنْيان الكعبة، وكان بين مَبْعثه وبين أصحاب الفيل سبعون سنة. كذا قال.

وقد قال إبراهيم بن المنذر وغيره: هذا وَهمٌ لا يشكّ فيه أحدٌ من علمائنا. إنّ رسول الله وُلِد عام الفيل وبُعث على رأس أربعين سنةٍ من الفيل.

وقال يعقوب القُمّي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبزَى، قال: كان بين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ عشر سنين. وهذا قول مُنْقَطِع.

وأضعف منه ما روى محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة، وهو ضعيف، قال: حدثنا عُقْبة بن مُكْرَم، قال: حدثنا المسيَّب بن شَريك، عن شُعَيْب ابن شُعَيْب، عن أبيه، عن جدّه، قال: حُمِل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحرَّم، ووُلد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خَلَتْ من رمضان سنة ثلاثٍ وعشرين من غزوة أصحاب الفيل. وهذا حديثٌ ساقط كما ترى.

وأوهى منه ما يُرْوَى عن الكلبيّ ـ وهو مُتَّهمٌ ساقط ـ عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس، قال: وُلد رسول الله ﷺ قبل الفيل بخمس عشرة سنة. قد تقدّم ما يبيّن كَذِبَ هذا القول عن ابن عباس بإسنادٍ صحيح.

قال خليفة بن خيّاط[3]: المُجْمَعُ عليه أنه وُلِد عام الفيل.

---

(١) أي: متغيراً.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص٥٢.
(٣) تاريخه ٥٣.

وقال الزُّبَير بن بكّار: حدثنا محمد بن حسن، عن عبدالسّلام بن عبدالله، عن معروف بن خَرَّبُوذ وغيره من أهل العلم، قالوا: وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل، وسُمِّيَتْ قريش «آل الله» وعَظُمَتْ في العرب. وُلد لاثنتي عشرة ليلة مَضَتْ من ربيعٍ الأول، وقيل: من رمضان يوم الإثنين حين طلع الفجر.

وقال أبو قَتَادة الأنصاريّ: سأل أعرابيٌّ رسولَ الله ﷺ فقال: ما تقول في صوم يوم الإثنين؟ قال: «ذاك يوم وُلدتُ فيه وفيه أُوحيَ إليَّ». أخرجه مسلم(١).

وقال عثمان بن عبدالرحمن الوَقَّاصي، عن الزُّهري، عن سعيد بن المسيّب وغيره، أنّ رسول الله ﷺ وُلد في ليلة الاثنين من ربيع الأول عند ابْهِرار النّهار.

وروى ابن إسحاق قال: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن ابن عَوْف، عن يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أسعد بن زُرَارة، قال: حدثني من شئت من رجال قومي، عن حسّان بن ثابت، قال: إنّي والله لَغُلامٌ يَفَعَة، إذ سمعت يهوديّاً وهو على أُطُمةٍ(٢) يثرب يصرخ: يا معشر يهود، فلما اجتمعوا إليه، قالوا: ويْلَك ما لك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي يُبْعَث به اللّيلة(٣).

وقال ابن لَهِيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حَنَش، عن ابن عبّاس، قال: وُلد نبيّكم ﷺ يوم الإثنين ونُبّىء يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، وقَدِمَ المدينةَ يوم الإثنين، وفتح مكةَ يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين، وتُوُفيّ يوم الإثنين. رواه أحمد في مُسْنَده(٤)، وأخرجه الفَسَوي في

---

(١) مسلم ٣/ ١٦٧ و ١٦٨.
(٢) أي: حصن.
(٣) ابن هشام ١/ ١٥٩.
(٤) أحمد ١/ ٢٧٧.

تاريخه[1].

وقال شيخنا أبو محمد الدِّمْياطي في «السيرة» من تأليفه، عن أبي جعفر محمد بن عليّ، قال: وُلِد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لعشرٍ ليالٍ خَلَوْن من ربيع الأول، وكان قُدُوم أصحاب الفيل قبل ذلك في النّصف من المحرَّم.

وقال أبو معشر نَجِيح: وُلد لاثنتي عشرة ليلة خَلَت من ربيع الأول.

قال الدِّمياطيّ: والصّحيح قول أبي جعفر، قال: ويقال: إنّه وُلد في العشرين من نَيْسان.

وقال أبو أحمد الحاكم: وُلد بعد الفيل بثلاثين يوماً. قاله بعضهم: قال: وقيل بعده بأربعين يوماً.

قلت: لا أُبعدُ أنَّ الغلط وقع من هنا على مَن قال ثلاثين عاماً أو أربعين عاماً، فكأنّه أراد أن يقول يوماً فقال عاماً.

وقال الوليد بن مسلم، عن شُعَيب بن أبي حمزة، عن عطاء الخُراسانيّ، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس أنّ عبدالمطّلب خَتَنَ النَّبيَّ ﷺ يوم سابعهِ، وصنع له مَأْدُبةً وسمّاه محمّداً.

وهذا أصحّ ممّا رواه ابن سعد[2]: أخبرنا يونس بن عطاء المكّي، قال: حدثنا الحَكَم بن أبان العَدَني، قال حدثنا عِكْرِمة، عن ابن عباس، عن أبيه العباس قال: وُلد النّبيُّ ﷺ مختوناً مسروراً، فأعجب ذلك عبدالمطلب وحَظِيَ عنده وقال: ليكونَنَّ لابني هذا شأنٌ.

تابعه سليمان بن سَلَمَة الخبائري، عن يونس، لكن أدخل فيه بين يونس والحَكَم: عثمان بن ربيعة الصُّدَائي.

---

(١) كتاب المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥١.
(٢) الطبقات ١/ ١٠٣.

قال شيخنا الدِّمْياطيّ: ويُرْوَى عن أبي بكرة، قال: خَتَن جبريلُ رسولَ الله ﷺ لما طَهَّرَ قلبه.

قلت: هذا مُنْكَر.

أسماءُ النَّبِيّ ﷺ وَكنْيَتُه

الزُّهري، عن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم، عن أبيه، قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «إنّ لي أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بيَ الكُفْرَ، وأنا الحاشر الذي يُحشر النّاس على قدمي، وأنا العاقب». قال الزُّهري: والعاقب: الذي ليس بعده نبيّ. مُتّفقٌ عليه[1]. وقال الزُّهري: وقد سمّاه الله رؤوفاً رحيماً.

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن جعفر بن أبي وَحْشِيّة، عن نافع بن جُبَيْر ابن مُطْعِم، عن أبيه، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، وأنا الماحي، والخاتم، والعاقب». وهذا إسناد قويّ حَسَن.

وجاء بلفظ آخر، قال: «أنا أحمد، ومحمد، والمُقَفّي، والحاشر، ونبيّ الرحمة، ونبيّ الملحمة».

وقال عبدالله بن صالح: حدثنا اللَّيْث، قال: حدثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن عُقْبة بن مسلم، عن نافع بن جُبَير بن مُطْعِم: أنّه دخل على عبدالملك بن مروان فقال له: أتُحصي أسماءَ رسولِ الله ﷺ التي كان جُبَيْر يَعُدُّها؟ قال: نعم، هي ستّة: محمد، وأحمد، وخاتم، وحاشر، وعاقب، وماحي.

فأمّا حاشر فبُعِثَ مع السّاعة نذيراً لكم، وأمّا عاقب فإنّه عقَّب الأنبياء، وأمّا ماحي فإنّ الله محا به سيّئات من اتّبَعه.

وقال عَمْرو بن مُرَّة، عن أبي عُبَيدة، عن أبي موسى الأشعريّ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: «أنا محمد،

---

(١) البخاري ٤/ ٢٢٥ و٦ /١٨٨، ومسلم ٧/ ٨٩ و٩٠.

وأحمد، والحاشر، والمقفّي، ونبيّ التوبة، والملْحَمَة[1] ». رواه مسلم[2] .

وقال وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن النّبيّ ﷺ مُرْسَلاً، قال: «أيُّها النّاس إنّما أنا رحمةٌ مُهْدَاة».

ورواه زياد بن يحيى الحَسَّاني، عن سُعَيْر بن الخِمس، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة موصولاً.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

وقال وكيع، عن إسماعيل الأزرق، عن ابن عمر، عن ابن الحَنَفيّة، قال: يسّ محمد ﷺ.

وعن بعضهم، قال: لرسولِ الله ﷺ في القرآنِ خمسة أسماء: محمد، وأحمد، وعبدالله، ويسّ، وطه.

وقيل: طه، لغةٌ لعَكٍّ، أي: يا رجل، فإذا قلت لعَكّيٍّ: يا رجل، لم يلتفتْ، وإذا قلت له: طه، التفتَ إليك. نقل هذا الكلبيُّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والكلبيّ متروك. فعلى هذا القول لا يكون طه من أسمائه.

وقد وصفه الله تعالى في كتابه فقال: رسولاً، ونبيّاً أُمّيّاً، وشاهداً، ومبشّراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، ورؤوفاً رحيماً، ومذكّراً، ومُدَّثِّراً، ومُزَّمِّلاً، وهادياً، إلى غير ذلك.

ومن أسمائه: الضَّحُوك، والقَتَّال. جاء في بعض الآثار عنه ﷺ أنّه قال: «أنا الضَّحوك أنا القتَّال».

وقال ابن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصّادق المصدوق،

---

(١) كتب المؤلف على حاشية نسخته «خ الرحمة» أي: هكذا وردت في نسخة أخرى.
(٢) مسلم ٧/ ٩٠.

وفي التَوْراة فيما بَلَغَنَا أنّه حِرْزٌ للأُمّيين، وأنّ اسمه المتوكّل.

ومن أسمائه: الأمين. وكانت قريش تدعوه به قبل نُبُوَّته. ومن أسمائه: الفاتح، وقُثَم.

وقال عليّ بن زيد بن جُدْعان: تَذَاكروا أحسنَ بيتٍ قالته العربُ، فقالوا: قول أبي طالب في النّبيِّ ﷺ:

وشقَّ له من اسمه لِيُجِلَّهُ فَذُو العرشِ محمودٌ وهذا محمد

وقال عاصم بن أبي النَّجُود، عن أبي وائل، عن عبدالله، قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ في بعض طرق المدينة، فقال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا نبيُّ الرحمة، ونبيُّ التوبة، والمقفِّي، وأنا الحاشر، ونبي المَلْحَمَة» قال: المقفِّي الذي ليس بعده نبيّ. رواه التِّرْمِذِيّ في «الشمائل»[(١)] وإسناده حَسَن، وقد رواه حمّاد بن سَلَمَة، عن عاصم، فقال: عن زِرّ، عن حُذَيْفَة نحوه.

ويُرْوَى بإسنادٍ واهٍ عن أبي الطُّفَيْل، قال: قال النّبيُّ ﷺ: لي عشرة أسماء، فذكر منها الفاتح، والخاتم.

قلت: وأكثر ما سُقْنا من أسمائه صفات له لا أسماء أعلام، وقد تواتر أنّ كُنْيَتَه أبو القاسم.

قال ابن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال أبو القاسم ﷺ: «تَسَمُّوا باسمي، ولا تَكْتَنُوا بكُنْيَتي». مُتَّفَقٌ عليه[(٢)].

وقال محمد بن عَجْلان، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجمعوا اسمي وكُنْيَتي، أنا أبو القاسم، الله يعطي وأنا أَقْسِم».

وقال ابن لَهِيعة، عن عُقَيْل، عن الزُّهري، عن أنس، قال: لما وُلد

---

(١) الشمائل للترمذي (٣٦٠).

(٢) البخاري ٨/ ٥٤، مسلم ٦/ ١٧١.

إبراهيم ابن النّبيِّ ﷺ من ماريّة كاد يقع في نَفْسه منه، حتى أتاه جبريل عليه السلام ـ فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم. ابن لَهِيعة ضعيف.

ذِكْر مَا وَرَدَ في قصَّةِ سَطِيح

وخمود النيران ليلة المولد وانشقاق الإيوان

قال ابن أبي الدُّنيا وغيره[1] : حدثنا عليّ بن حرب الطّائي، قال: أخبرنا أبو أيوب يعلى بن عمران البَجَلي، قال: حدثني مخزوم بن هانىء المخزومي، عن أبيه، وكان قد أتت عليه مئة وخمسون سنة، قال: لما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كِسْرَى، وسقطت منه أربع عشرة شُرْفَة، وغاضت بُحَيرة سَاوَة، وخمدت نارُ فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المُوبَذان[2] إبلاً صِعاباً تقود خيلاً عِراباً قد قطعت دِجْلة وانتشرت في بلادها، فلمّا أصبح كِسرى أفزعه ما رأى من شأن إيوانه فصبر عليه تَشَجُّعاً، ثم رأى أن لايستر ذلك عن وزرائه ومَرَازبته، فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم، فلما اجتمعوا عنده، قال: أتَدرون فيمَ بعثتُ إليكم؟ قالوا: لا إلاّ أن يخبرنا الملكُ، فبينا هُمْ على ذلك أُورد عليهم كتابٌ بخمود النّار، فازداد غَمّاً إلى غمّه، فقال المُوبَذان: وأنا قد رأيت ـ أصلح الله الملكَ ـ في هذه اللّيلة رؤيا، ثم قصّ عليه رؤياه فقال: أيّ شيءٍ يكون هذا يا موبَذان؟ قال: حَدَثٌ يكون في ناحية العرب، وكان أعلمهم في أنفسهم، فكتب كِسْرَى عند ذلك:

«من كِسْرَى ملك الملوك إلى النُّعمان بن المنذر، أما بعد، فَوَجِّه إليَّ برجلٍ عالمٍ بما أُريدُ أن أسأله عنه. فوجَّه إليه بعبد المسيح بن حيّان

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ١/١٢٦-١٣٠.

(٢) الموبذان: كاهن المجوسية في الدولة الساسانية.

ابن بُقَيْلَة الغسّاني، فلما قدِم، عليه قال له: هل لك علم بما أُريد أن أسألك عنه؟ قال: ليسألني الملكُ فإنْ كان عندي عِلم وإلاّ أخبرته بمن يَعلمه، فأخبره بما رأى، فقال: عِلْمُ ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارفَ الشام يقال له سَطِيح، قال: فائتِه فَسَله عمّا سألتُكَ وائتني بجوابِه، فركب حتى أتى على سَطِيح وقد أشفى على الموت، فسلّم عليه وحيّاه فلم يُحِرْ سَطِيح جواباً، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصَمٌّ أم يسمعُ غِطْرِيف اليمنْ ... أم فاد فازْلَمَّ[1] به شأوُ العَنَنْ
يا فاصِلَ الخُطّة أَعْيَتْ مَنْ ومَنْ ... أتاك شيخُ الحيِّ من آلِ سَنَنْ
وأُمُّهُ من آل ذئب بنِ حَجَنْ ... أزرقُ بَهْمُ النّاب صرّار الأُذُنْ
أَبْيَضُ فضفاضُ الرِّداءِ والبَدَنْ ... رسولُ قَيْلِ العُجْم يَسْرِي للوَسَنْ
يَجُوبُ في الأرضِ عَلَنْدَاةٌ شُجُنْ ... ترفعُني وجن[2] وتَهوِي بي وَجَنْ
لا يَرْهَبُ الرَّعْدَ ولا رَيْبَ الزَّمَنْ ... كأنَّما حُثْحِثَ من حِضْنَيْ ثَكَن[3]
حتى أتى عارِي الجآجي والقَطَنْ ... تَلُفُّهُ في الريح بَوْغَاءُ الدِّمَنْ[4]

فقال سطيح: عبد المسيح، جاء إلى سَطيح، وقد أوفى على الضَّرِيحْ، بعَثَكَ مِلكُ بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخُمود النّيران، ورُؤْيا الموُبَذان، رأى إبلاً صِعاباً، تقود خيلاً عِرَاباً، قد قطعت دِجلة، وانتشرت في بلادها، يا عبدَ المسيح إذا كثرت التّلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السَّماوَة، وخَمَدت نارُ فارس، فليس الشام لسَطِيح شاماً، يملك منهم ملوكٌ وملِكات، على عَدَدِ الشُّرُفَات، وكلّ ما هو آتٍ آت. ثم قضى سَطِيح مكانَه، وسار عبدُ المسيح إلى رَحْله، وهو يقول:

(١) أي: أسرع.
(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي الدلائل وابن كثير: وجناً، والوجن: الأرض الصلبة.

شَمِّرْ فإنّك ماضي الهمِّ شِمِّيرُ | لا يُفْـزِعَنَّـكَ تَفْـريـقٌ وتَغِييـرُ
إنْ يُمْس مُلكُ بني ساسانَ أفْرَطَهُمْ | فـإنَّ ذا الـدَّهْـرَ أطـوارٌ دَهـاريـرُ
فَـرُبَّمـا رُبَّمـا أَضْحَـوْا بمنـزلـةٍ | تَهَابُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أخو الصَّرْح بَهْرامٌ وإخوتُهُ | والهُـرْمُـزَان وسـابـورٌ وسـابـورُ
والنّاسُ أولادُ عَلاَّتٍ فمَن علِمُوا | أنْ قـد أقَـلَّ فمحقـورٌ ومهجـورُ
وهُمْ بنو الأمِّ إمَّا إنْ رَأَوْا نَشَباً | فَذَاكَ بالغيب محفوظٌ ومنصُورُ
والخيرُ والشَّرُّ مصفودان في قَرَنٍ | فـالخيـرُ مُتَّبَـعٌ والشَّـرُّ مَحْـذُورُ

فلما قدِم على كِسرى أخبره بقول سَطِيح، فقال كِسرَى: إلى متى يملك منّا أربعةَ عشر ملِكاً تكون أمورٌ، فملك منهم عشرةٌ أربع سنين، ومَلَك الباقون إلى آخر خلافة عثمان رضي الله عنه. هذا حديث مُنْكَرٌ غريب.

وبإسنادي إلى البكّائيّ، عن ابن إسحاق[1]، قال: كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التَّبابعة، فرأى رؤيا هالته وفَظع منها، فلم يَدَعْ كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجِّماً من أهل مملكته إلاّ جمعه إليه، فقال لهم: إنّي قد رأيت رؤيا هالتني فأخبروني بها وبتأويلها. قالوا: اقصُصها علينا نُخبرك بتأويلها. قال: إنّي إنْ أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها، إنّه لايعرف تأويلَها إلاّ من عرفها. فقيل له: إنْ كان الملِك يريد هذا فلْيبعث إلى سَطِيح وشِقٍّ فإنّه ليس أحدٌ أعلم منهما، فبعث إليهمافقدِم سَطِيح قبل شِقٍّ، فقال له: رأَيت حُمَمَةً خَرَجَتْ من ظُلُمَة، فوقعت بأرض تَهِمَة[2]، فأكلت منها كلّ ذاتِ جُمْجُمَة. قال: ما أخطأت منها شيئاً، فما تأويلها؟

فقال: أحلِفُ بما بين الحَرَّتين من حَنَش، ليهبطنّ أرضَكم الحَبَش،

---

(١) ابن هشام ١/ ١٥.
(٢) وهي الأرض المنخفضة المتصوبة نحو البحر، وبها سميت تِهامة.

فَلَيَمْلِكُنَّ ما بين أَبْيَنَ إلى جُرَش[1].

فقال الملك: وأبيكَ يا سَطِيح إنّ هذا لنا لَغَائظٌ مُوجِع، فمتى هو كائنٌ أفي زمانه أم بعده؟

قال: بل بعده بحين، أكثر من ستّين أو سبعين يمْضين من السّنين، قال: أفَيدومُ ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقْتَلُون ويُخرجون هاربين. قال: مَن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرمِ ذي يَزَن، يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحداً باليمن. قال: أفَيدومُ ذلك؟ قال: بل ينقطع بنبيّ زكيّ يأتيه الوحيُ من قِبَل العَليّ. قال: ومِمَّنْ هو؟ قال: من ولد فِهْر بن مالك بن النَّضْر، يكون المُلْك في قومه إلى آخر الدّهر. قال: وهل للدهر من آخِر؟ قال: نعم، يوم يُجمع فيه الأوّلون والآخِرون، يَسْعَدُ فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحَقٌّ ما تُخْبرني؟ قال: نعم والشَّفقِ والغَسَق، والفَلَق إذا اتَّسَق، إنّ ما أنبأتك به لَحَقٌّ.

ثم قَدِمَ عليه شِقٌّ، فقال له كقوله لسَطِيح، وكتمه ما قال سطيحٌ لينظر أيتَّفقان. قال: نعم رأيتَ حُمَمَةً خرجت من ظُلُمة، فوقعت بين روضةٍ وأكَمَة، فأكلت منها كلّ ذات نَسَمَة. فلما قال ذَلك عرف أنّهما قد اتّفقا، فوقع في نفسه، فجهَّزَ أهلَ بيته إلى العراق، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خُرَّزاذ، فأسكنهم الحِيرَة، فمن بقيّة ولدِ ربيعةَ بن نصر: النُّعمان بن المُنْذر، فهو في نَسَب اليمن: النُّعمان ابن المنذر بن النُّعمان بن المُنْذر بن عَمرو بن عَدِيّ بن ربيعة بن نصر.

---

(١) مدينتان في اليمن.

باب منه

عن ابن عباس، عن النّبيّ ﷺ، قال: «خرجت من لَدُن آدمَ من نكاحٍ غير سِفاح». هذا حديث ضعيف، فيه متروكان: الواقديّ، وأبو بكر بن أبي سَبْرة.

وورد مثله عن محمد بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن الحسين، عن عليّ، وهو منقطع إنْ صحّ عن جعفر بن محمد، ولكن معناه صحيح.

وقال خالد الحذَّاء، عن عبدالله بن شقيق، عن ابن أبي الجدعاء، قال: قلت: يا رسول الله، متى كنتَ نبيّاً؟ قال: «وآدمُ بين الروح والجسد».

وقال منصور بن سعد، وإبراهيم بن طَهمان واللَّفظ له: قال: حدثنا بُديل بن مَيْسَرة، عن عبدالله بن شقيق، عن مَيْسرة الفجر، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ متى كنتَ نبيّاً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».

وقال التِّرمِذيّ[1]: حدثنا الوليد بن شجاع، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة: سُئل النبيُّ ﷺ: متى وَجَبَتْ لكَ النُّبُوَّةُ؟ قال: «بين خلقِ آدم ونَفْخِ الروحِ فيه» قال الترمذي: حَسَن غريب.

قلت: لولا لِين في الوليد بن مسلم لَصَحَّحه التِّرمِذي.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[2]: حدثني ثور بن يزيد،

---

(١) الترمذي (٣٦٨٨).

(٢) ابن هشام ١/١٦٦.

عن خالد بن مَعْدان، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنّهم قالوا: يا رسول الله، أخْبِرنا عن نفسك قال: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشْرَى عيسى، ورأت أمّي حين حَمَلَتْ بي كأنّ نوراً خرج منها أضاءت له قصور بُصْرَى من أرض الشام».

وروينا بإسنادٍ حَسَن ـ إن شاء الله ـ عن العِرْباض بن سارية، أنّه سمع النّبيَّ ﷺ يقول: «إنّي عبدالله وخاتم النّبيّين، وإنَّ آدم لَمُنْجَدِلٌ في طِينته، وسأخبركم عن ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبِشارةُ عيسى لي، ورؤيا أمّي التي رأت». وإنَّ أمَّ رسولِ الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام.

ورواه اللَّيث، وابنُ وَهْب، عن معاوية بن صالح، سمع سعيد بن سُوَيد يحدّث عن عبدالأعلى بن هلال السُّلمي، عن العِرْباض، فَذَكَرَه.

ورواه أبو بكر بن أبي مريم الغسّاني، عن سعيد بن سُوَيْد، عن العِرْباض نفسه.

وقال فرج بن فَضالة: حدثنا لُقمان بن عامر، قال: سمعت أبا أُمامة، قال قلت: يا رسول الله، ما كان بَدْء أمْرِكَ؟ قال: «دعوةُ إبراهيم، وبُشْرَى عيسى، ورأت أمّي أنّه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام». رواه أحمد في «مسنده»(١) عن أبي النَّضْر، عن فرج.

قوله: «لَمُنْجَدِلٌ» أي مُلْقىً، وأمّا دعوة إبراهيم فقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة] وبشارة عيسى قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴿٦﴾﴾ [الصف].

وقال أبو ضَمْرة: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، أنّ النّبيَّ ﷺ، قال: «قسم اللهُ الأرضَ نصفين فجعلني في خَيْرِهما، ثم قسم النّصفَ

(١) أحمد ٤/١٢٧ و ١٢٨ و ٥/٢٦٢.

على ثلاثةٍ فكنت في خير ثُلُثٍ منها، ثم اختار العربَ من النّاس، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبدالمطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبدالمطلب» هذا حديث مُرْسَل.

وروى زَحْرُ بن حِصْن، عن جدّه حُمَيْد بن منهب، قال: سمعت جدّي خُرَيْم بن أوس بن حارثة يقول: هاجرتُ إلى رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَه من تَبُوك، فسمعتُ العّباس، يقول: يا رسول الله إنّي أريد أن أمتدحك. فقال: «قُلْ لا يَفْضُضِ الله فاكَ». فقال:

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي ... مُسْتَودَعٍ حيثُ يُخصفُ الوَرَقُ
ثم هبطت البلادَ لا بَشَرٌ ... أنْتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفينَ وقد ... أَلْجَمَ نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ
تُنْقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضى عالَمٌ بدا طَبَقُ
حتّى احتوى بيتُك المهيمنُ من ... خِنْدَفَ علياءَ تحتَها النُّطُقُ
وأنت لَمّا وُلِدْتَ أشرقتِ الأ ... رضُ وضاءتْ بنُورك الأُفُقُ
فنحنُ في ذلك الضّياء وفي النُّـ ... ـور وسُبُل الرّشادِ نخترق

الظِّلال: ظلال الجنة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ [المرسلات]. والمستودَع: هو الموضع الذي كان فيه آدم وحوّاء يَخْصِفان عليهما من الورق، أي: يَضُمَّان بعضَه إلى بعضٍ يتستّران به، ثم هبطتَ إلى الدنيا في صُلْب آدم، وأنت لا بَشَرٌ ولا مُضْغة.

وقوله: «تركب السَّفِين» يعني: في صُلْب نوح. وصالب لغة غريبة في الصُّلْب، ويجوز في الصُّلْب الفتحتان كَسُقْم وسَقَم.

والطَّبق: القَرْنُ، أي: كلّما مضى عالَمٌ وقَرنٌ جاء قَرْنٌ، ولأنّ القرنَ

يُطَبِّقُ الأرضَ بسُكناه بها. ومنه قوله عليه السلام في الاستسقاء: «اللّهُمّ اسقِنا غَيثاً مُغِيثاً طَبَقاً غَدَقاً»، أي: يُطْبِقُ الأرضَ. وأما قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ [الانشقاق] أي: حالاً بعد حال.

والنُّطُق: جمع نِطاق وهو ما يُشَدُّ به الوسط ومنه المِنْطَقة. أي: أنت أوسطُ قومِك نَسَباً. وجعله في علياء وجعلهم تحته نِطاقاً. وضاءت: لغة في أضاءت.

(وأرضعته ثويبية)

وأرضعته «ثُوَيْبَة» جارية أبي لَهَب عَمِّه، مع عمّه حمزة، ومع أبي سَلَمَة بن عبدالأسد المخزوميّ رضي الله عنهما.

قال شُعَيب، عن الزُّهري، عن عُروة: إنّ زينب بنت أبي سلمة وأمّها أخبرته، أنّ أمّ حبيبة أخبرتهما، قالت: «قلت: يا رسول الله، انْكِحْ أختي بنتَ أبي سُفْيان. قال: أوَ تحبّين ذلك؟ قلت: لستُ لك بمُخْلِيَةٍ وأَحَبُّ إليَّ مَن شَرَكَني في خير أختي. قال: إنَّ ذلك لا يحلُّ لي. فقلت: يا رسول الله إنّا لَنَتَحَدَّث أنَّك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سَلَمَة. فقال: والله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حَلَّتْ لي، إنّها ابنةُ أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سَلَمَة ثُوَيْبَة، فلا تَعْرِضُنَّ عليَّ بناتِكُنَّ ولا أَخَواتِكنّ». أخرجه البخاري[(١)].

وقال عُروة في سياق البُخاري: ثُوَيْبَة مولاة أبي لَهَب، أعتقها، فأرضعت النّبيَّ ﷺ، فلما مات أبو لَهَبٍ رآه بعضُ أهله في النَّومِ بشَرِّ حِيبةٍ، يعني: حالةٍ. فقال له: ماذا لَقيتَ؟ قال: لم أَلْقَ بعدكم رخاءً، غير أنّي أُسقيت في هذه منّي بعتاقتي ثُوَيْبَة. وأشار إلى النُّقْرة التي بين

(١) البخاري ٧/ ١٤-١٥، ومسلم ٤/ ١٦٥.

الإبهام والتي تليها.

(ثم أرضعته حليمة السعدية)

ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذُؤَيْب السَّعْدِيّة، وأخذته معها إلى أرضها، فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين، ثم ردّته إلى أمّه.

قال يحيى بن أبي زائدة: قال محمد بن إسحاق[1]، عن جَهْم بن أبي جَهْم، عن عبدالله بن جعفر، عن حليمة بنت الحارث أمّ رسول الله ﷺ السَّعْدِيّة، قالت: خرجتُ في نِسْوةٍ نلتمسُ الرُّضَعَاء بمكة على أتانٍ لي قَمْراء[2] قد أذمَّت[3] بالرَّكْب، وخرجنا في سنةٍ شهباءَ لم تُبْقِ شيئاً، ومعنا شارفٌ[4] لنا، والله إنْ تَبضُّ[5] علينا بقَطْرة، ومعي صبيّ لي لن ننام ليلَنا مع بكائه، فلما قدِمنا مكةَ لم يبق منّا امرأةٌ إلاّ عُرِض عليها رسولُ الله ﷺ فتأباه، وإنما كنّا نرجو كرامةَ رِضاعة من أبيه، وكان يتيماً، فلم يبق من صواحبي امرأةٌ إلاّ أخذت صبيّاً، غيري. فقلت لزوجي: لأرجعنّ إلى ذلك اليتيم فَلآخُذَنّه، فأتيته فأخذته، فقال زوجي: عسى الله أن يجعل فيه خيراً. قالت: فَوَالله ما هو إلاّ أن جعلته في حِجري فأقبل عليه ثديي بما شاء من اللَّبَنِ، فشرب وشرب أخوه حتى رويا، وقام زوجي إلى شارفنا من الليل، فإذا بها حافل، فحلب وشربنا حتى روينا، فبتنا شِباعاً رِوَاءً، وقد نام صبياننا، قال أبوه: والله يا حليمة ما أراك إلاّ قد أصبتِ نَسمةً مباركة، ثم خرجنا، فَوَالله لَخَرَجَتْ

---

(١) وانظر ابن هشام ١/ ١٦٢.

(٢) القُمرة بالضم: لون إلى الخضرة، أو بياض فيه كدرة.

(٣) أي: حبستهم، وجاءت بما تُذَمُّ عليه، أو تأخر الركبُ بسببها.

(٤) أي: ناقة مُسِنَّة.

(٥) أي: ما ترشَحُ بشيء.

أتاني أمام الرّكْب قد قطعتهنّ حتى ما يتعلّقُ بها أحد، فقدِمْنا منازلَنا من حاضر بني سعد بن بكر، فقدِمْنا على أجدب أرضِ الله، فَوَالذي نفسي بيده إنْ كانوا لَيَسْرَحُون أغنامهم ويسرح راعِي غَنَمي، فتروح غنمي بطاناً لُبَّناً حُفَّلاً، وتروح أغنامهم جِياعاً، فيقولون لرُعاتهم: وَيْلَكم ألا تسرحُون حيث يسرح راعي حليمة؟ فيسرَحون في الشِّعْب الذي يسرَح فيه راعينا، فتروح أغنامهم جياعاً ما بها من لبنٍ، وتروح غنمي لُبَّناً حُفَّلاً.

(شق الصدر)

فكان ﷺ يشبُّ في يومه شباب الصّبيِّ في الشهر، ويشبّ في الشهر شباب الصّبيّ في سنة، قالت: فقدِمْنا على أمّه فقلنا لها: رُدِّي علينا ابني فإنّا نخشى عليه وباءَ مكة، قالت: ونحن أَضَنُّ شيءٍ به ممّا رأينا من بركته، قالت: ارجعا به، فمكث عندنا شهرَيْن فبينا هو يلعب وأخوه خلف البيوت يرعيان بَهْماً لنا، إذ جاء أخوه يشتدّ، فقال: أدرِكا أخي قد جاءِه رجلان فشقّا بطنَه، فخرجنا نشتدّ، فأتيناه وهو قائم منتقع اللَّوْن، فاعتنقه أبوه وأنا، ثم قال: ما لك يا بُنَيَّ؟ قال: أتاني رجلان فأضْجعاني ثم شقّا بطني فَوَالله ما أدري ما صنعا، فرجعنا به. قالت: يقول أبوه: يا حليمة ما أرى هذا الغلام إلاّ قد أُصيب، فانطلقي فَلنَرُدَّه إلى أهله. فرجعنا به إليها، فقالت: ما رَدَّكما به؟ فقلت: كفلناه وأدَّينا الحقَّ، ثم تخوَّفنا عليه الأحداثَ. فقالت: والله ما ذاك بكما، فأخْبِراني خَبَرَكما، فما زالت بنا حتى أخبرناها. قالت: فتخوَّفْتما عليه؟ كلاّ والله إنّ لابني هذا شأناً إنّي حملتُ به فلم أحمل حَمْلاً قطّ كان أخفَّ منه ولا أعظم بركة، ثم رأيتُ نوراً كأنّه شهاب خرج منّي حين وضعته أضاءت لي أعناقُ الإبل ببُصْرى، ثم وضعته فما وقع كما يقعُ الصّبيان، وقع واضعاً

يديه بالأرض رافعاً رأسه إلى السماء، دعاه، والْحقا شأنكما. هذا حديث جيّد الإسناد(١) .

قال أبو عاصم النّبيل: أخبرني جعفر بن يحيى، قال: أخبرنا عمارة ابن ثَوْبان أنّ أبا الطُّفَيْل أخبره، قال: رأيت رسولَ الله ﷺ، وأقبلتْ إليه امرأةٌ حتى دَنَت منه، فبسط لها رداءه فقلت: مَن هذه؟ فقالوا: أمّه التي أرضعته. أخرجه أبو داود(٢) .

قال مسلم(٣) : حدثنا شَيْبان، قال: حدثنا حمّاد، قال: حدثنا ثابت، عن أَنَس: أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغِلْمان، فأخذه فصرعه فَشَقَّ قلبه، فاستخرج منه عَلَقَةً، فقال: هذا حظّ الشّيطانِ منك، ثم غسله في طَسْتٍ من ذَهَب بماء زمزم، ثمّ لأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغِلْمان يسعون إلى أمّه، يعني مُرْضِعته، فقالوا: إنّ محمداً قد قُتِل، فاستقبلوه مُنْتَقِع اللَّوْن.

قال أَنَس: قد كنت أرى أثر المِخْيَط في صدره.

وقال بَقيَّة، عن بحِير بن سعد، عن خالد بن مَعْدان، عن عبدالرحمن بن عَمرو السُّلَمي، عن عُتْبة بن عبد، فذكر نحواً من حديث أَنَس. وهو صحيح أيضاً، وزاد فيه: «فَرَحَّلَتْ ـ يعني ظِئْرَه(٤) ـ بعيراً، فحملتني على الرَّحْل، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمّي فقالت: أدَّيتُ أمانتي وذِمّتي، وحَدَّثَتْها بالذي لقِيتُ، فلم يَرُعْها ذلك، وقالت: إنّي رأيت خرج منّي نور أضاءت منه قصور الشام»(٥) .

---

(١) ابن هشام ١/ ١٦٥.
(٢) أبو داود (٥١٤٤).
(٣) مسلم ١/ ١٠١.
(٤) الظئر: أي: العاطفةُ على ولدِ غيرها المرضعة له.
(٥) ابن هشام ١/ ١٦٥.

وقال سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُتيتُ وأنا في أهلي، فانطُلِقَ بي إلى زمزم فَشُرِحَ صدري، ثم أُتيت بطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلئةٍ حِكمة وإيماناً فحُشِي بها صدري ـ قال أنس: ورسول الله ﷺ يُرينا أثره ـ فَعَرَج بي المَلَك إلى السّماء الدنيا». وذكر حديث المِعْراج.

وقد روى نحوه شَرِيك بن أبي نَمِر، عن أَنَس، عن أبي ذَرّ. وكذلك رواه الزُّهري، عن أَنَس، عن أبي ذَرّ أيضاً. وأما قَتَادة فرواه عن أَنَس، عن مالك بن صَعْصَعَة، نحوه.

وإنَّما ذكرتُ هذا ليُعْرَف أنّ جبريل شرح صدره مرَّتَين: في صِغَره ووقت الإسراء به.

(وفاة والده)

وتُوُفّي «عبدالله» أبوه، وللنَّبيِّ ﷺ ثمانيةٌ وعشرون شهراً. وقيل: أقلّ من ذلك. وقيل: وهو حَمْل تُوُفِّي بالمدينة غريباً، وكان قدِمَها ليمتار تمراً، وقيل: بل مرَّ بها مريضاً راجعاً من الشام، فروى محمد بن كعب القُرَظيّ وغيره: أنّ عبدالله بن عبدالمطلب خرج إلى الشام إلى غَزَّة في عِير تحمل تجارات، فلمّا قفلوا مَرُّوا بالمدينة وعبدالله مريض، فقال: أتخلَّف عند أخوالي بني عَدِيّ بن النّجّار، فأقام عندهم مريضاً مدّة شهر، فبلغ ذلك عبدَ المطَّلب، فبعث إليه الحارث وهو أكبر ولده؛ فوجده قد مات؛ ودُفن في دار النّابغة أحد بني النّجّار؛ والنّبيّ ﷺ يومئذٍ حَمْل، على الصّحيح(١). وعاش عبدالله خمساً وعشرين سنة، قال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سِنِّه ووفاته.

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٩٩.

وترك عبدالله من الميراث أمَّ أيمن وخمسة أجمال وغَنَماً، فورث ذلك النّبيُّ ﷺ.

(وفاة أُمه وكفالة جده وعمه)

وتُوُفِّيَت أمُّه «آمنة» بالأبْواء وهي راجعة به ـ ﷺ ـ إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عَدِيّ بن النّجّار، وهو يومئذٍ ابن ستّ سنين ومئة يوم. وقيل: ابن أربع سنين. فلمّا ماتت ودُفنت، حملته أمّ أَيْمن مولاتُه إلى مكة إلى جَدّه، فكان في كفالته إلى أن تُوُفّي جدُّه، وللنّبيّ ﷺ ثمان سنين، فأوصى به إلى عمّه أبي طالب.

قال عَمرو بن عَون: أخبرنا خالد بن عبدالله، عن داود بن أبي هند، عن عباس بن عبدالرحمن، عن كِنْدِير بن سعيد، عن أبيه، قال: حَجَجْتُ في الجاهليّة، فإذا رجل يطوف بالبيت ويرتجز يقول:

ربِّ رُدَّ إلـيَّ راكبـي محمـدا   يا ربّ رُدَّه واصْطَنِعْ عندي يَدا

قلت: مَنْ هذا؟ قال: عبدالمطلب، ذهبتْ إبِلٌ له فأرسل ابنَ ابنه في طلبها، ولم يرسلْه في حاجةٍ قطّ إلاّ جاء بها، وقد احتبسَ عليه، فما برحت حتى جاء محمد ﷺ وجاء بالإبل. فقال: يا بُنَيَّ لقد حزِنْت عليك حُزناً؛ لا تُفارِقْني أبداً[1].

وقال خارجة بن مُصْعَب، عن بَهْز بن حكيم بن معاوية بن حَيْدة، عن أبيه، عن جدّه، أنّ حَيْدَة بن معاوية اعتمر في الجاهليّة، فذكر نحواً من حديث كِنْدير عن أبيه.

وقال إبراهيم بن محمد الشافعيّ، عن أبيه، عن أبان بن الوليد، عن أبان بن تغْلِب، قال: حدثني جلهمة بن عُرْفُطة، قال: إنّي لَبِالقاع من

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ١١٢-١١٣.

نَمِرَة، إذ أقبلتْ عِيرٌ من أعلى نجد، فلما حاذت الكعبة إذا غلام قد رمى بنفسه عن عَجز بعير، فجاء حتى تعلّق بأستار الكعبة، ثم نادى يا ربّ البَنِيَّة أَجِرْني؛ وإذا شيخ وسيم قسيم عليه بهاء الملك ووقار الحكماء، فقال: ما شأنُكَ يا غلام، فأنا من آل الله وأُجيرُ مَنِ استجار به؟ قال: إنّ أبي مات وأنا صغير، وإنَّ هذا استَعْبَدني، وقد كنتُ أسمعُ أنّ لله بيتاً يمنعُ من الظّلم، فلما رأيته استجَرْتُ به. فقال له القُرَشيّ: قد أجَرْتُك يا غلام، قال: وحبس الله يد الجُنْدعي إلى عُنُقه. قال جلهمة: فَحدَّثْتُ بهذا الحديث عَمرو بنَ خارجة وكان قُعْدُدَ[١] الحيِّ، فقال: إنَّ لهذا الشيخ ابناً يعني أبا طالب. قال: فهويتُ رَحْلي نحو تِهامة، أكسعُ بها الجُدود، وأعلو بها الكَذَّان[٢]، حتى انتهيتُ إلى المسجد الحرام، وإذا قريشٌ عِزِين[٣]، قد ارتفعت لهم ضوضاء يستسقون، فقائل منهم يقول: اعتمدوا اللاّت والعُزَّى؛ وقائل يقول: اعتمدوا لِمَنَاةَ الثالثةَ الأخرى. وقال شيخ وسيم قسيم حَسَن الوجه جيّد الراي: أنَّى تُؤفَكُون وفيكم باقية إبراهيم عليه السلام وسلالة إسماعيل؟ قالوا له: كأنّك عَنَيْت أبا طالب. قال: إيهاً. فقاموا بأجمعهم، وقمتُ معهم فَدَقَقنا عليه بابَهُ، فخرج إلينا رجلٌ حَسَن الوجه مُصَفّر، عليه إزار قد اتَّشَحَ به، فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب أقحطَ الوادي، وأجدب العباد فَهَلُمَّ فاسْتَسْقِ؛ فقال: رُوَيْدكم زوالَ الشمس وهبوب الريح؛ فلما زاغت الشمس أو كادت، خرج أبو طالب معه غلام كأنّه شمسُ دَجْنٍ تجلَّت عنه سحابة قتماء، وحوله أُغَيْلِمَة؛ فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأصبعه الغلامُ، وبصبصت الأُغَيْلِمَة حوله وما في السماء قَزَعة، فأقبل السّحاب من هاهنا

(١) أي: قريب الآباء من الجد الأكبر.
(٢) الجدود: الرمال الرقيقة. والكذان: الحجارة الرخوة.
(٣) عزين: مجتمعين.

وهاهنا وأغدق واغدوْدَق وانفجر له الوادي، وأخصب النّادي والبادي؛ وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيضَ يُستسقى الغَمامُ بوجهه ربيعُ اليَتامى عِصْمةٌ للأرامل
يُطيف به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفضائل
وميزان عدل لا يخيس شعَيْرة ووزان صدْق وزنه غير عائل

وقال عبدالله بن شَبيب ـ وهو ضعيف ـ: حدثنا أحمد بن محمد الأزرقي، قال: حدثني سعيد بن سالم، قال: حدثنا ابن جُرَيج، قال: كنّا مع عطاء، فقال: سمعت ابنَ عبّاس يقول: سمعت أبي يقول: كان عبدالمطّلب أطولَ النّاس قامةً، وأحسنَهم وجهاً، ما رآه أحد قطّ إلاّ أحبّه، وكان له مَفْرَشٌ في الحِجر لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس عليه معه أحد، وكان النديُّ من قريش حرب بن أميّة فمَن دونه يجلسون حوله دون المَفْرَش؛ فجاء رسول الله ﷺ وهو غلام لم يبلغ فجلس على المَفرَش، فَجَبَذَه رجل فبكى؛ فقال عبد المطلب ـ وذلك بعد ما كُفَّ بَصَرهُ ـ: ما لإبني يبكي؟ قالوا له: إنّه أراد أن يجلس على المَفْرَش فمنعوه، فقال: دَعوا ابني يجلس عليه، فإنّه يُحسُّ من نفسه شَرَفاً، وأرجو أن يبلغ من الشَّرَف ما لم يبلغ عربيٌّ قبله ولا بعده. قال: ومات عبدالمطلب، والنّبيُّ ﷺ ابن ثمان سنين، وكان خلف جنازة عبدالمطلب يبكي حتى دُفن بالحَجُون[1] .

وقد رعى الغنم

فروى عَمرو بن يحيى بن سعيد، عن جدّه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبيٍّ إلاّ وقد رعى الغَنَم» قالوا: وأنتَ

(١) ابن هشام ١/١٦٩، وطبقات ابن سعد ١/١١٩.

يارسول الله؟ قال: «نعم، كنت أرعاها بالقراريط[1] لأهلِ مكة». رواه البخاري[2] .

وقال أبو سَلَمَة، عن جابر، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بمرّ الظَّهْران نَجْتني الكَبَاث، فقال: «عليكم بالأسود منه فإنّه أطيب» قلنا: وكنتَ ترعى الغنمَ يا رسول الله؟ قال: «نعم وهل من نبيٍّ إلاّ قد رعاها». مُتَّفَقٌ عليه[3] .

سفرُه مع عمِّه إن صحَّ

قال قُرَاد أبو نوح: حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه، قال: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه محمد ﷺ وأشياخ من قريش؛ فلما أشرفوا على الراهب نزلوا فخرج إليهم، وكان قبل ذلك لا يخرج إليهم، فجعل يتخلّلهُم وهم يَحُلُّون رِحالهم؛ حتى جاء فأخذ بيده ﷺ فقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربِّ العالمين، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين. فقال أشياخ قريش: وما عِلْمُك بهذا؟ قال: إنّكم حين أشرفتم من العَقَبة لم يبق شجر ولا حجر إلاّ خرَّ ساجداً، ولا يسجدون إلاّ لنبيّ، وإني لأعرِفُه بخاتم النُّبُوَّة، أسفل غرضوف كَتِفه مثل التُّفَّاحَة. ثم رجع فصنع لهم طعاماً؛ فلما أتاهم به كان ﷺ في رِعْيَةِ الإبل، قال: فأرسلوا إليه، فأقبل وعليه غَمامة تُظِلُّه، فلما دنا من القوم وجَدَهم قد سبقوه ـ يعني إلى فَيْء شجرةٍ ـ فلمّا

---

(١) كتب المؤلف على حاشية نسخته «خ على قراريط» أي: إنها كذلك في نسخة أخرى.

(٢) البخاري ٣/ ١١٥-١١٦.

(٣) البخاري ٧/ ١٠٥، ومسلم ٦/ ١٢٥. والكباث: ثمر الأراك.

جلس مال فَيْءُ الشجره عليه، فقال: انظروا فَيْء الشجرة مالَ عليه. قال: فبينا هو قائمٌ عليه يُناشِدُهم أنْ لا يذهبوا به إلى الروم، فإنّ الرومَ لو رأوْه عرفُوه بصفته فقتلوه؛ فالتفت فإذا بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم الراهب، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أنَّ هذا النّبيّ خارجٌ في هذا الشهر، فلم يبق طريقٌ إلاّ قد بُعِث إليه ناس، وإنّا أُخبرنا فبُعِثْنا إلى طريقك هذا، فقال لهم: هل خلَّفتم خلفَكم أحداً هو خير منكم؟ قالوا: لا. إنّما أخبرنا خبره بطريقك هذا؛ قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضِيَه، هل يستطيع أحدٌ من النّاس رَدَّه؟ قالوا: لا. قال: فتابَعُوه وأقاموا معه، قال: فأتاهم فقال: أنشدكُم بالله أيُّكم وَلِيُّه؟ قال أبو طالب: أنا؛ فلم يزل يناشده حتى ردَّه أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بِلالاً، وزوَّده الراهب من الكَعْك والزَّيت.

تفرّد به قُرَاد، واسمه عبد الرحمن بن غزوان، ثقة، احتجّ به البخاري والنَّسائي؛ ورواه الناس عن قُراد، وحسَّنه التِّرمِذِيّ[١]. وهو حديث مُنكَر جداً؛ وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف؛ وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإنّ أبا بكر لم يشتره إلاّ بعد المبعث، ولم يكن وُلِد بعد؛ وأيضاً، فإذا كان عليه غمامة تُظلُّه كيف يُتَصَوَّر أن يميل فَيْءُ الشجرة؟ لأن ظلّ الغمامة يعدم فَيْء الشجرة التي نزل تحتها، ولم نر النّبيَّ ﷺ ذَكَّرَ أبا طالب قطّ بقَوْل الرّاهب، ولا تَذَاكَرَتْهُ قريشٌ، ولا حَكَته أولئك الأشياخُ، مع تَوَفُّر هِمَمِهِم ودواعيهم على حكايةِ مثلِ ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أَيَّما اشتهار، ولَبَقي عنده ﷺ حسٌّ من النُّبُوَّة؛ ولَمَا أنكرَ مجيءَ الوحي إليه، أوّلاً بغار حِرَاء وأتى خديجةَ خائفاً على عقله، ولَمَا ذهب إلى شواهق الجبال ليرميَ نفسَه ﷺ. وأيضاً فلو أَثَّرَ هذا الخوفُ في أبي طالب وردّه،

(١) الترمذي (٣٦٩٩)

كيف كانت تطيبُ نفسُه أن يمكِّنه من السَّفر إلى الشام تاجراً لخديجة؟.

وفي الحديث ألفاظ مُنكَرة، تُشبه ألفاظ الطُّرُقيّة، مع أنّ ابن عائذ روى معناه في مغازيه دون قوله: «وبعث معه أبو بكر بلالاً» إلى آخره، فقال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرني أبو داود سليمان بن موسى، فذكره بمعناه.

وقال ابن إسحاق في «السيرة»[1]: إنّ أبا طالب خرج إلى الشام تاجراً في رَكبٍ، ومعه النّبيُّ ﷺ وهو غلام، فلما نزلوا بُصرَى، وبها بَحِيرا الرّاهب في صَومعته، وكان أعلمَ أهلِ النّصرانيّة؛ ولم يزل في تلك الصَّومعة قط راهب يصير إليه عِلمهم عن كتابٍ فيهم فيما يزعمون، يتوارثونه كابراً عن كابر؛ قال: فنزلوا قريباً من الصَّومَعة، فصنع بَحِيرا طعاماً، وذلك فيما يزعمُون عن شيءٍ رآه حين أقبلوا، وغمامة تُظِلُّهُ من بين القوم، فنزل بظلّ شجرة، فنزل بَحِيرا من صَومَعَته، وقد أمر بذلك الطّعام فصُنع، ثم أرسل إليهم فجاؤوه فقال رجل منهم: يا بَحِيرا ما كنتَ تصنع هذا، فما شأنك؟ قال: نعم، ولكنّكم ضَيف، وأحببت أن أُكْرِمَكم، فاجتمعوا، وتخلّف رسولُ الله ﷺ لصِغَره في رحالهم. فلما نظر بَحِيرا فيهم ولم يره، قال: يا معشر قريش لا يتخلَّفْ أحد عن طعامي هذا. قالوا: ما تخلّف أحدٌ إلاّ غُلام هو أحدث القوم سنّاً. قال: فلا تفعلوا، ادْعُوه. فقال رجل: واللاّتِ والعُزَّى إنّ هذا لَلُؤْمٌ بنا، يتخلّفُ ابنُ عبدالله بن عبدالمطلب عن الطّعام من بيننا، ثم قام واحتضنه، وأقبل به فلما رآه بَحِيرا جعل يلحظه لَحْظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صِفَتِه، حتى إذا شبعوا وتفرَّقوا قام بَحِيرا، فقال: يا غلام أسألك باللاّت والعُزَّى إلاّ أخبرتني

---

(١) ابن هشام ١/ ١٨٠.

عمّا أسالك عنه، فزعموا أنّه قال: لا تسألني باللّات والعُزَّى، فوَالله ما أبغضتُ بُغْضَهما شيئاً قطّ. فقال له: فبِالله إلاّ ما أخبرتني عمّا أسألك عنه، فجعل يسأله عن أشياء من حاله، فتوافِقُ ما عنده من الصِّفةِ. ثم نظر فيه أثرَ خاتم النُّبُوَّة، فأقبل على أبي طالب، فقال: ما هو منك؟ قال: ابني. قال: ما ينبغي أن يكونَ أبوهُ حيّاً. قال: فإنّه ابن أخي. قال: ارجع به واحذَر عليه اليهود، فَوَالله لَئِنْ رأوه وعرفوا منه ما عرفته لَيَبْغُنَّهُ شرّاً، فإنّه كائن لابنِ أخيكَ شأنٌ. فخرج به أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكةَ حين فرغ من تجارته. وذكر الحديث[(١)].

وقال معتمر بن سليمان: حدثني أبي، عن أبي مِجْلَز: أنّ أبا طالب سافر إلى الشام ومعه محمد، فنزل منزلاً، فأتاه راهب، فقال: فيكم رجل صالح، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال أبو طالب: ها أنذا وَلِيُّهُ. قال: احتفظ به ولا تذهب به إلى الشام، إنّ اليهود قومٌ حُسُدٌ، وإنّي أخشاهم عليه. فردَّه.

وقال ابن سعد[(٢)]: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبدالله بن جعفر وجماعة، عن داود بن الحُصَين، أنّ أبا طالب خرج تاجراً إلى الشام، ومعه محمد، فنزلوا ببَحِيرا... الحديثَ.

وروى يونس عن ابن شهاب حديثاً طويلاً فيه: فلمَّا ناهز الاحتلامَ، ارتحل به أبو طالب تاجراً، فنزل تَيْماء، فرآه حَبْر من يهود تَيماء، فقال لأبي طالب: ما هذا الغلام؟ قال: هو ابن أخي، قال: فَوَالله إنْ قدِمتَ به الشّامَ لا تصلُ به إلى أهلكَ أبداً، لَتَقْتُلَنَّهُ اليهودُ إنّه عدوُّهم. فرجع به أبو طالب من تَيماء إلى مكة.

---

(١) ابن هشام ١/ ١٨٠-١٨٣.

(٢) الطبقات ١/ ١٢٠-١٢١.

قال ابن إسحاق[1] : كان رسول الله ﷺ ـ فيما ذُكِر لي ـ يحدث عمّا كان الله تعالى يحفظه به في صِغَره، قال: «لقد رأيتُني في غِلمان من قريش ننقل حجارةً لبعضٍ ما يلعب الغِلمانُ به، كلُّنا قد تعرَّى وجعل إزاره على رقبته يحملُ عليه الحجارة، فإنّي لأُقبِل معهم كذلك وأُدبِرُ، إذ لكمني لاكمٌ ما أراها، لكمةً وجيعة، وقال: شُدَّ عليك إزارَكَ، فأخذته فَشَدَدْتُهُ، ثم جعلت أحمل الحجارةَ على رقبتي.

قال ابن إسحاق[2] : وهاجت حرب الفِجار ولرسول الله ﷺ عشرون سنة، سُمِّيَت بذلك لِمَا استحلَّت كِنانة وقيس عَيلان في الحرب من المحارم بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «كنت أُنَبِّلُ على أعمامي» أي أردّ عنهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رَمَوهم. وكان قائد قريش حرب بن أُميَّة.

---

(١) ابن هشام ١/ ١٨٣.

(٢) ابن هشام ١/ ١٨٤.

شأنُ خديجة

قال ابن إسحاق[1]: ثم إنّ خديجة بنت خُوَيلد بن أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ وهي أقرب منه ﷺ إلى قُصَيّ برجل، كانت امرأة تاجرةً ذات شَرَفٍ ومال، وكانت تستأجر الرجالَ في مالها، وكانت قريش تجاراً، فعرضت على النَّبيِّ ﷺ أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام، ومعه غلام اسمه مَيْسَرة، فخرج إلى الشام، فنزل تحت شجرة بقرب صَومعة، فأطل الرّاهب إلى مَيسرة فقال: مَنْ هذا؟ فقال: رجل من قريش، قال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلاّ نبيّ. ثم باع النّبيُّ ﷺ تجارته وتَعَوَّض ورجع، فكان مَيْسرة - فيما يزعمون - إذا اشتدّ الحرُّ يرى مَلَكَين يُظِلاَّنِه من الشمس وهو يسير.

روى قصّة خُرُوجه ﷺ إلى الشام تاجراً، المَحَامليُّ، عن عبدالله بن شَبيب، وهو واهٍ، قال: حدثنا أبو بكر بن شَيبة، قال: حدثني عمر بن أبي بكر العَدَوِي، قال: حدثني موسى بن شَيبة، قال: حدثتني عُمَيرة بنت عبدالله بن كعب بن مالك، عن أمّ سعد بنت سعد بن الربيع، عن نفيسة بنت مُنية أخت يَعلَى، قالت: لما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة. فذكر الحديث بطوله، وهو حديث مُنكَر. قال: فلما قدِم مكةَ باعت خديجةُ ما جاء به فأضْعَفَ أو قريباً. وحدّثها مَيْسَرة عن قول الراهب، وعن المَلَكَين، وكانت لبيبةً حازمة، فبعثت إليه تقول: يا ابن عمّي، إنّي قد رغبتُ فيك لقَرابتك وأمانتك وصِدقك وحُسْن خُلُقِك، ثم عرضتْ عليه نفسَها، فقال ذلك لأعمامه، فجاء معه حمزة عمُّه حتى

---

(١) ابن هشام ١/ ١٨٧.

دخل على خُوَيْلد فخطبها منه، وأصدقها النّبيُّ ﷺ عشرين بَكْرَة، فلم يتزوّج عليها حتى ماتت، وتزوّجها وعُمرُه خمسٌ وعشرون سنة.

وقال أحمد في «مُسندِه»[1]: حدثنا أبو كامل، قال: حدثنا حمّاد، عن عمّار بن أبي عمار، عن ابن عباس ـ فيما يَحْسب حمّاد ـ: أنّ رسول الله ﷺ ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوّجه، فصنعت هي طعاماً وشراباً، فدعت أباها وزُمَراً من قريش، فطعِموا وشربوا حتى ثَمِلوا، فقالت لأبيها: إنّ محمداً يخطبني فزوِّجني إيّاه، فزوَّجَها إيّاه، فخلَّقته[2] وألبسته حُلّةً كعادتهم، فلما صحا نَظَر، فإذا هو مخلَّق، فقال: ما شأني؟ فقالت: زَوَّجْتَني محمداً. فقال: وأنا أزوّج يتيمَ أبي طالب! لا لَعَمري، فقالت: أما تستحي؟ تريد أن تُسَفِّه نفسَك عند قريش بأنّك كنت سكران، فلم تزل به حتى رضيَ.

وقد روى طَرَفاً منه الأعمش، عن أبي خالد الوالبي، عن جابر بن سَمُرَة أو غيره.

وأولاده كلُّهم من خديجة سوى إبراهيم، وهم: القاسم، والطَّيِّب، والطاهر، وماتوا صِغاراً رُضَّعاً قبل المَبْعَث، ورُقَيّة، وزينب، وأمّ كُلْثُوم، وفاطمة ـ رضي الله عنهم ـ، فرُقَيَّة، وأمّ كُلْثُوم زُوِّجتا عثمانَ بن عفان، وزينب زوجة أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، وفاطمة زوجة عليّ ـ رضي الله عنهم أجمعين.

(بنيان الكعبة)

قال ابن إسحاق[3]: فلما بلغ ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت

---

(١) أحمد ١/ ٣١٢.

(٢) أي: طيَّبته.

(٣) ابن هشام ١/ ١٩٢-١٩٧.

قريش لبنيانِ الكعبة، وكانوا يهمُّون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمَها، وإنّما كانت رَضْماً فوق القامة، فأرادوا رفْعَها وتسقيفها. وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة فتحطمت، فأخذوا خشبها وأعدُّوه لتسقيفها، وكان بمكة نجّار قبطيٌّ، فتهيّأ لهم في أنفسهم بعض ما يُصلِحها، وكانت حَيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كانت يُطرح فيها ما يُهدَى لها كلّ يوم، فتُشرف على جدار الكعبة، فكانت ممّا يهابون، وذلك أنّه كان لا يدنو منها أحدٌ إلاّ احزَأَلَّت[1] وكشّت[2] وفتحت فاها، فكانوا يهابونها، فبينا هي يوماً تشرف على جدار الكعبة بعث الله إليها طائراً فاختطفها، فذهب بها، قال: فاستبشروا بذلك، ثم هابوا هدمَها. فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعوَل وهو يقول: اللَّهُمَّ لم تُرَع، اللَّهُمَّ لا نريد إلاّ خيراً. ثم هدم من ناحية الرُّكنَين، وهدموا حتى بلغوا أساسَ إبراهيم ـ عليه السلام ـ فإذا حجارة خُضْرٌ آخذٌ بعضُها ببعض. ثم بنوا، فلمّا بلغ البُنْيان موضع الرُّكْن، يعني الحجر الأسود، اختصموا فيمن يضعه، وحرصت كلّ قبيلة على ذلك حتى تحاربوا ومكثوا أربع ليالٍ. ثم إنّهم اجتمعوا في المسجد وتناصفوا فزعموا أنّ أبا أَمّية بن المُغِيرة، وكان أسنّ قريش، قال: اجعلوا بينكم فيما تختلفون أول من يدخل من باب المسجد، ففعلوا، فكان أوّل من دخل عليهم رسولُ الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضِينا به، فلمّا انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال: «هاتوا لي ثوباً» فأتوا به، فأخذ الركن بيده فوضعه في الثوب، ثم قال: «لتأخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوبِ، ثم ارفعوه جميعاً»، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضِعَه وضعه هو ﷺ بيده وبنى عليه.

وقال ابن وهب، عن يونس، عن الزُّهرِي، قال: لما بلغ رسول الله

---

(١) أي: رفعت ذنبها.
(٢) أي: صَوّتت.

ﷺ الحُلُم أجمرت امرأةٌ الكعبةَ فطارت شرارةٌ من مَجمرتها في ثياب الكعبة فاحترقت، فهدموها حتى إذا بَنَوها فبلغوا موضعَ الرُّكن اختصمت قريش في الركن أيُّ القبائل تضعه؟ قالوا: تعالوا نُحَكِّم أوَّل من يَطلُعُ علينا. فطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام عليه وِشَاحُ نَمِرة، فحكَّموه، فأمر بالركن فوُضِع في ثوب، ثم أخذ سَيِّدُ كلِّ قبيلة بناحيةٍ من الثوب، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن، فكان هو يضعه، ثم طفِق لا يزداد على السنّ إلاّ رِضاً حتى دعَوه الأمين، قبل أن ينزل عليه وحي، وطفقوا لا ينحرون جَزُوراً إلاّ التمسوه فيدعو لهم فيها.

ويُروَى عن عُروة ومجاهد وغيرهما: أنّ البيت بُني قبل المبعث بخمس عشرة سنة.

وقال داود بن عبدالرحمن العطار: حدثنا ابن خُثَيْم، عن أبي الطُّفَيل، قال: قلت له: يا خال، حدثني عن شأن الكعبة قبل أن تبنيها قريش. قال: كان برضم يابس ليس بمَدَرٍ تنزوه العَناق، وتوضع الكسوة على الجُدُر ثم تدلّى، ثم إنّ سفينةً للروم أقبلت، حتى إذا كانت بالشُّعَيْبَة انكسرت، فسمعت بها قريش فركبوا إليها وأخذوا خشبها، وروميٌّ يقال له بَلْقُوم[1] نجّارٌ باني، فلمّا قدِموا مكة، قالوا: لو بنينا بيتَ ربّنا ـ عزّ وجلّ ـ فاجتمعوا لذلك ونقلوا الحجارة من أجياد الضّواحي، فبينا رسول الله ﷺ ينقل إذ انكشفت نَمِرَتُهُ، فنودي: يا محمد عَورتَك، فذلك أوّل ما نودي، والله أعلم. فما رُؤيت له عورة بعد.

وقال أبو الأحوص، عن سِماك بن حرب: إنّ إبراهيم ﷺ بنى البيت ـ وذكر الحديث ـ إلى أن قال: فمرّ عليه الدّهر فانهدم، فَبَنَته العمالقة، فمرّ عليه الدهر فانهدم، فَبَنَته جُرهُم، فمرّ عليه الدَّهر فانهدم فَبَنَته

---

(١) كتب المؤلف على حاشية نسخته «باقوم» أي: إنها كذلك في نسخة أخرى.

قريش. وذكر في الحديث وضع النبيّ ﷺ الحجر الأسود مكانه.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[1]: حدثني عبدالله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، قالت: ما زلنا نسمع أنّ إسافًا ونائلة ـ رجل وامرأة من جُرهُم ـ زَنَيا في الكعبة فمُسِخا حَجَرَين.

وقال موسى بن عُقبة: إنما حملَ قريشاً على بناءِ الكعبة أنّ السَّيلَ كان يأتي من فوقها من فوق الرَّدْم الذي صنعوه فأخربه، فخافوا أن يدخلها الماء، وكان رجل يقال له مُلَيح سرق طِيب الكعبة، فأرادوا أن يشيّدوا بناءها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلاّ من شاءوا، فأعدّوا لذلك نفقةً وعمّالاً.

وقال زكريّا بن إسحاق: حدثنا عَمرو بن دينار أنّه سمع جابراً يقول: إنّ رسول الله ﷺ كان ينقل الحجارة للكعبة مع قريش وعليه إزار، فقال له عمّه العباس: يا ابن أخي لو حَلَلْتَ إزاركَ فجعلته على مَنكبك دون الحجارة، ففعل ذلك، فسقط مغشيّاً عليه، فما رُؤي بعد ذلك اليوم عُرياناً. مُتَّفقٌ عليه[2]. وأخرجاه أيضاً من حديث ابن جُرَيج[3].

وقال مَعمَر، عن عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الطُّفَيل، قال: لما بُني البيت كان الناس ينقلون الحجارة والنّبيّ ﷺ معهم، فأخذ الثوب فوضعه على عاتقه فنُودِي: «لا تكشف عورتك» فألقى الحجر ولبس ثَوبه. رواه أحمد في «مُسندِه»[4].

وقال عبدالرحمن بن عبدالله الدَّشتكيّ: حدثنا عمرو بن أبي قيس،

---

(١) ابن هشام ١/ ٨٢.
(٢) البخاري ١/ ١٠٢، ومسلم: ١/ ١٨٤.
(٣) البخاري ٢/ ١٧٩ و ٣/ ٣٨٠ و ٥/ ٥١، ومسلم ١/ ١٨٤.
(٤) أحمد ٣/ ٣١٠ و٣٣٣ و ٥/ ٤٥٥.

عن سِماك، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، عن أبيه، قال: كنت أنا وابن أخي ننقل الحجارة على رقابنا وأُزُرُنا تحت الحجارة، فإذا غَشِيَنا الناس اتَّزَرنَا فبينا هو أمامي خرّ على وجهه منبطحاً، فجئت أسعى وألقيت حجري، وهو ينظر إلى السماء، فقلت: ما شأنك؟ فقام وأخذ إزاره وقال: «نُهيتُ أن أمشي عُرياناً» فكنت أكتمها الناسَ مخافة أن يقولوا مجنون. رواه قيس بن الربيع بنحوه، عن سِمَاك.

وقال حمّاد بن سَلَمة، عن داود بن أبي هند، عن سِماك بن حرب، عن خالد بن عَرعَرَة، عن عليّ رضي الله عنه، قال: لما تشاجروا في الحَجَر أنْ يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فكان أوّل من دخل النبي ﷺ فقالوا: قد جاء الأمين.

مسلم الزّنجي، عن ابن أبي نَجِيح، عن أبيه، قال: جلس رجال من قريش فتذاكروا بُنيان الكعبة، فقالوا: كانت مَبْنيّة برضْمٍ يابس، وكان بابها بالأرض، ولم يكن لها سقف، وإنّما تُدَلَّى الكسوة على الجُدُر، وتربط من أعلى الجُدُر من بطنها، وكان في بطن الكعبة عن يمين الداخل جبٌّ يكون فيه ما يُهدَى للكعبة منذ زمن جُرهُم، وذلك أنّه عَدَا على ذلك الجُبّ قومٌ من جُرهُم فسرقوا ما به، فبعث الله تلك الحيّةَ فحرستِ الكعبةَ وما فيها خمس مئة سنة إلى أنْ بَنَتْهَا قريش، وكان قرنا الكبش معلَّقَين في بطنها مع معاليق من حلية. إلى أن قال: حتى بلغوا الأساسَ الذي رفع عليه إبراهيمُ وإسماعيل القواعدَ، فرأوا حجارة كأنّها الإبل الخلف لا يطيق الحجرَ منها ثلاثون رجلاً يحرّك الحجر منها، فترتجّ جوانبها، قد تشبَّك بعضُها ببعض، فأدخل الوليد بن المغيرة عتلةً بين إصبعين[1] حجرين فانفلقت منه فلقة، فأخذها رجل فنزَّت من يده

---

(١) هكذا بخط المؤلف، وفي سيرة ابن هشام (١/ ١٩٦)، والبداية لابن كثير (٢/ ٢٨٠): «عتلة بين حجرين».

حتى عادت في مكانها، وطارت من تحتها بَرَقَةٌ كادت أن تخطف أبصارهم، ورجفت مكةُ بأسرها، فأمسكوا. إلى أن قال: وقلَّت النَّفقة عن عمارة البيت، فأجمعوا على أن يقصروا عن القواعد ويحجّروا ما يقدرون ويتركوا بقيّته في الحجر، ففعلوا ذلك وتركوا ستّة أذرُع وشبراً، ورفعوا بابها وكَسَوها بالحجارة حتى لا يدخلها السّيل ولا يدخلها إلاّ مَنْ أرادوا، وبنوها بسافٍ من حجارة وسافٍ من خشب، حتى انتهوا إلى موضع الركن فتنافسوا في وضعه. إلى أن قال: فرفعوها بمدماك حجارة ومدماك خشب، حتى بلغوا السقف، فقال لهم باقوم النّجار الروميّ: أَتحبُّون أن تجعلوا سقفها مكنساً أو مسطَّحاً؟ قالوا: بل مسطَّحاً. وجعلوا فيه ستّ دعائم في صفَّين، وجعلوا ارتفاعها من ظاهرها ثمانية عشر ذراعاً وقد كانت قبلُ تسعة أذرُع، وجعلوا درجةً من خشبٍ في بطنها يُصعد منها إلى ظهرها، وزوّقوا سقفها وحيطانها من بطنها ودعائمها، وصوَّروا فيها الأنبياء والملائكة والشجر، وصوّروا إبراهيم يستقسم بالأزلام، وصوَّروا عيسى وأمَّه، وكانوا أخرجوا ما في جُبِّ الكعبة من حليةٍ ومالٍ وقَرنَي الكبش، وجعلوه عند أبي طلحة العَبدَري، وأخرجوا منها هُبل، فنُصب عند المقام حتى فرغوا فأعادوا جميع ذلك، ثم ستروها بحبرات يَمانية.

وفي الحديث عن أبي نَجيح، عن أبيه، عن حُوَيطِب بن عبد العُزَّى وغيره: فلما كان يوم الفتح دخل رسول الله ﷺ إلى البيت، فأمر بثوبٍ فبُلّ بماءٍ وأمر بطمس تلك الصُّوَر، ووضع كَفَّيه على صورة عيسى وأمّه وقال: «امحوا الجميع إلاّ ما تحت يدي». رواه الأزرقي(١).

ابن جُرَيج، قال: سأل سليمانُ بن موسى الشامي عطاء بنَ أبي

(١) تاريخ مكة ١/ ١٦٥.

رباح، وأنا أسمع: أدركت في البيت تمثالَ مريم وعيسى؟ قال: نعم أدركت تمثال مريم مزوَّقاً في حِجرها عيسى قاعد، وكان في البيت ستة أعمدة سواري، وكان تمثال عيسى ومريم في العمود الذي يلي الباب، فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: في الحريق زمن ابن الزُّبَير، قلت: أعَلَى عهد رسول الله ﷺ تعني كان؟ قال: لا أدري، وإنّي لأظنُّه قد كان على عهده.

قال داود بن عبدالرحمن، عن ابن جُرَيج: ثم عاودت عطاءَ بعد حينٍ فقال: تمثال عيسى وأمّه في الوسطى من السَّواري.

قال الأزرقيّ[1]: حدثنا داود العطار، عن عَمرو بن دينار، قال: أدركتُ في الكعبة قبل أن تُهدم تمثالَ عيسى وأمّه، قال داود: فأخبرني بعضُ الحَجَبَة عن مُسافع بن شَيبة: أنَّ النّبيَّ - ﷺ - قال: «يا شَيبة امحُ كلَّ صورةٍ إلاّ ما تحت يدي» قال: فرفع يده عن عيسى ابن مريم وأمّه.

قال الأزرقيّ، عن سعيد بن سالم: حدثني يزيد بن عِياض بن جُعْدُبة، عن ابن شهاب: أنّ النّبيّ ﷺ دخل الكعبة وفيها صُوَر الملائكة، فرأى صورة إبراهيم فقال: «قاتَلَهُم الله جعلوه شيخاً يستقسم بالأزلام، ثم رأى صورة مريم فوضع يده عليها فقال: امحوا ما فيها إلاّ صورة مريم». ثم ساقه الأزرقي[2] بإسنادٍ آخر بنحوه، وهو مُرسَل، لكنّ قول عطاء وعَمرو ثابت، وهذا أمر لم نسمع به إلى اليوم.

أخبرنا سليمان بن حمزة، قال: أخبرنا محمد بن عبدالواحد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد، أنّ فاطمة بنت عبدالله أخبرتهم، قالت: أخبرنا ابن بُرَيدَة، قال: أخبرنا الطَّبرانيُّ، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن

---

(١) تاريخ مكة ١/ ١٦٧-١٦٨.
(٢) تاريخ مكة ١/ ١٦٩.

عبدالرزّاق[١] ، عن مَعمَر، عن ابن خُثَيم، عن أبي الطُّفَيل، قال: كانت الكعبة في الجاهلية مبنيّة بالرَّضْم، ليس فيها مَدَر، وكانت قدر ما نقتحمها، وكانت غير مسقوفة، إنّما توضع ثيابها عليها، ثم تُسْدَل عليها سَدْلاً، وكان الرُّكنُ الأسودُ موضوعاً على سورها بادياً، وكانت ذات رُكنَين كهيئة الحلقة، فأقبلت سفينة من أرض الروم فانكسرت بقرب جُدَّة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا رجلاً روميّاً عندها، فأخذوا الخشب، وكانت السفينة تريد الحبشة، وكان الروميّ الذي في السفينة نجّاراً، فقدِموا به وبالخشب، فقالت قريش: نبني بهذا الذي في السفينة بيتَ ربِّنا، فلما أرادوا هدمَه إذا هم بحيّة على سور البيت، مثل قطعة الجائز[٢] سوداء الظَّهر، بيضاء البطن، فجعلت كلَّما دنا أحد إلى البيت ليهدم أو يأخذ من حجارته، سَعَت إليه فاتحةً فاها، فاجتمعت قريش عند المقام فعجوا إلى الله وقالوا: ربنا لم تُرَعْ، أردنا تشريفَ بيتك وتزيينه، فإن كنتَ تَرْضى بذلك، وإلاّ فما بَدَا لك فافعل. فسمعوا خِواراً في السّماء، فإذا هم بطائرٍ أسود الظّهر، أبيض البطن، والرّجلَين، أعظم من النَّسر، فغرز مِخلابَه في رأس الحيّة، حتى انطلق بها يجرّها، ذَنَبُها أعظم من كذا وكذا ساقطاً، فانطلق بها نحو أجياد، فهدمتها قريش، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي، تحملها قريش على رِقابها، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً، فبينا النّبيُّ ﷺ يحمل حجارةً من أجياد، وعليه نَمرةٌ، فضاقت عليه النّمِرةُ، فذهب يضعها على عاتقه، فبرزت عَورَتُه من صِغَر النَّمِرَة، فنُودي: يا محمد، خَمِّر عورتَك، فلم يُرَ عُرياناً بعد ذلك. وكان بين بُنيان الكعبة، وبين ما أُنزِل عليه خمسُ سنين. هذا حديث صحيح.

---

(١) المصنف (٩١٠٦).

(٢) أي: الخشبةُ التي تُوضع عليها أطراف العوارض في سقف البيت.

وقد روى نحوَه داودُ العطار، عن ابن خُثَيم.

ورواه محمد بن كثير المِصِّيصي، عن عبدالله بن واقد، عن عبدالله ابن عثمان بن خُثَيم، عن نافع بن سرجس، قال: سألت أبا الطُّفَيل، فذكر نحوه.

وقال عبدالصَّمد بن النُّعمان: حدثنا ثابت بن يزيد، قال: حدثنا هلال بن خَبَّاب، عن مجاهد، عن مولاه، أنّه حدثه أنّه كان فيمن يبني الكعبةَ في الجاهليّة، قال: ولي حجرٌ أنا نَحَتُّه بيدي أعبدهُ من دونِ الله، فأجيء باللَّبنِ الخاثر الذي أنفِسُه على نفسي فأصبّه عليه، فيجيء الكلبُ فيلحسه، ثم يشغر فيبول، فبنينا حتى بلغنا الحجر، وما يرى الحجَرَ منّا أحدٌ، فإذا هو وسط حجارتنا، مثل رأس الرجل، يكاد يتراءى منه وجهُ الرجل، فقال بطنٌ من قريش: نحن نضعه، وقال آخرون: بل نحن نضعه. فقالوا: اجعلوا بينكم حَكَماً. قالوا: أوّل رجلٍ يطلع من الفَجّ، فجاء النّبيُّ ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه في ثوبٍ، ثم دعا بطونهم، فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه هو. اسم مولى مجاهد: السّائب بن عبدالله.

وقال إسرائيل، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن عبدالله بن عَمرو، قال: كان البيت قبل الأرض بألفَي سنة ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ [الانشقاق] قال: من تحته مَدّاً. ورُوِيَ نحوه عن منصور، عن مجاهد.

(ما عصمه الله به من أمر الجاهلية)

ومما عصم الله به محمداً ﷺ من أمر الجاهلية أنّ قريشاً كانوا يُسَمَّون الحُمس، يعني الأشداء الأقوياء، وكانوا يقفون في الحَرَم بمُزدَلِفة، ولا يقفون مع الناس بعرَفَة، يفعلون ذلك رياسة

وبأواً[١]، وخالفوا بذلك شعائر إبراهيم ـ عليه السلام ـ في جملة ما خالفوا. فروى البُخاري ومسلم من حديث جُبَير بن مُطعِم، قال: أضللت بعيراً لي يوم عَرَفة، فخرجت أطلبه بعَرَفَة، فرأيت النّبيَّ ﷺ واقفاً مع الناس بعرَفَة، فقلت: هذا من الحُمس، فما شأنه هاهنا؟[٢].

وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبدالله بن قيس بن مَخرَمَة، عن الحَسَن بن محمد بن الحنفيّة، عن أبيه، عن جدّه، سمع النبي ﷺ يقول: «ما هَمَمْتُ بقبيح ممّا يهمّ به أهل الجاهليّة إلا مرّتين، عصمني الله، قلت ليلةً لفتىً من قريش: أبصِرْ لي غنمي حتى أسْمَر هذه الليلة بمكة كما تَسْمَر الفتيان. قال: نعم، فخرجت حتى جئت أدنى دارٍ من دُور مكة، فسمعت غناءً وصوتَ دفُوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوّج، فَلَهَوتُ بذلك حتى غلبتني عيني، فنمت، فما أيقظني إلاّ مسّ الشّمس، فرجعت إلى صاحبي، ثم فعلت ليلةً أخرى مثل ذلك، فَوَالله ما هممتُ بعدها بسوء ممّا يعمله أهل الجاهليّة، حتى أكرمني الله بنُبُوَّته»[٣].

وروى مِسْعَر، عن العباس بن ذَرِيح، عن زياد النَّخْعيّ، قال: حدثنا عمّار بن ياسر أنّهم سألوا رسولَ الله ﷺ: هل أتيتَ في الجاهلية شيئاً حراماً؟ قال: «لا، وقد كنت معه على ميعادين، أمّا أحدهما فحال بيني وبينه سامر قومي، والآخر غَلَبَتني عيني» أو كما قال.

وقال ابن سعد[٤]: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن أبي سَبرَة، عن حسين بن عبدالله بن عُبيدالله بن عباس، عن عِكرِمة، عن

---

(١) أي: كِبْراً وتعظيماً.
(٢) البخاري ٢/ ١٩٩، ومسلم ٤/ ٤٤.
(٣) هذا حديث غريب جداً، فلا يصح.
(٤) الطبقات ١/ ١٥٨.

ابن عباس قال: حدثتني أمّ أيمن، قالت: كان بُوَانَة صنماً تحضُره قريش، تعظِّمُه وتنسك له النُّسَّاك، ويحلقون رؤوسهم عنده، ويعكفون عنده يوماً في السنة، وكان أبو طالب يكلّم رسولَ الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد، فيأبَى، حتى رأيتُ أبا طالب غضب، ورأيت عمّاته غَضِبن يومئذٍ أشدّ الغضب، وجعلن يقُلن: إنّا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتِنا، فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله، ثم رجع إلينا مرعوباً، فقلن: ما دهاك؟ قال: إنّي أخشى أن يكون بي لَمَمٌ، فقُلن: ما كان الله ليبتليك بالشيطان، وفيك من خِصالِ الخير ما فيك، فما الذي رأيتَ؟ قال: «إنّي كلّما دَنَوتُ من صنمٍ منها تمثّل لي رجلٌ أبيضُ طويلٌ يصيح: وراءَك يا محمد لا تَمَسَّه» قالت: فما عاد إلى عيدٍ لهم حتى نُبِّيء.

وقال أبو أسامة: حدثنا محمد بن عَمرو، عن أبي سَلَمة، ويحيى بن عبدالرحمن بن حاطب، عن أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: كان صنمٌ من نحاسٍ يقال له إساف أو نائلة يتمسّح المشركون به إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلما مررت مَسَحتُ به، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَمَسَّه». قال زيد: فطفنا، فقلت في نفسي: لأمَسَّنَّه حتى أنظر ما يكون، فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: «ألم تُنه». هذا حديث حَسَن(١). وقد زاد فيه بعضهم عن محمد بن عَمرو بإسناده: قال زيد: فَوَالله ما استلم صنماً حتى أكرمه الله بالذي أُنزِل عليه.

وقال جرير بن عبدالحميد، عن سفيان الثَّورِي، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: كان النّبيُّ ﷺ شهد مع المشركين مَشَاهدهم، فسمع مَلَكَين خلفه، وأحدهما يقول لصاحبه: اذهب بنا

---

(١) بسبب محمد بن عمرو بن علقمة، فإنه حسن الحديث.

حتى نقوم خلف رسول الله، فقال: كيف نقوم خلفه، وإنّما عهده باستلام الأصنام قُبيل؟ قال: فلم يعد بعد ذلك أنْ يشهدَ مع المشركين مشاهدهم. تفرّد به جرير، وما أتى به عنه سوى شيخُ البخاري عثمان بن أبي شَيبة. وهو مُنكَر[1].

وقال إبراهيم بن طهمان: أخبرنا بُدَيل بن مَيسَرة، عن عبدالكريم، عن عبدالله بن شقيق، عن أبيه، عن عبدالله بن أبي الحَمْسَاء، قال: بايعت رسول الله ﷺ بيعاً قبل أن يُبعَث، فبقيت له بقيّة، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك. قال: فنسيت يومي والغد، فأتيته في اليوم الثالث، فوجدته في مكانه، فقال: يا فتى لقد شَقَقتَ عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاثٍ أنتظرك». أخرجه أبو داود[2].

وأخبرنا الخَضِر بن عبدالرحمن الأزدي، قال: أخبرنا أبو محمد بن البُن، قال: أخبرنا جدّي، قال: أخبرنا أبو القاسم عليّ بن أبي العلاء، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن أبي نصر، قال: أخبرنا علي بن أبي العَقب، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن عائذ، قال: حدثني الوليد، قال: أخبرني معاوية بن سَلَّام، عن جدّه أبي سَلّام الأسود، عمّن حدثه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا بأعلى مكة، إذا براكبٍ عليه سواد فقال: هل بهذه القرية رجل يقال له أحمد؟ فقلت ما بها أحمد ولا محمد غيري، فضرب ذراع راحلته فاستناخت، ثم أقبل حتى كشف عن كتفي حتى نظر إلى الخاتم الذي بين كتفيَّ فقال: أنتَ نبيُّ الله؟ قلت: ونبيٌّ أنا؟ قال: نعم. قلت: بِمَ أُبعَث؟ قال بضربِ أعناقِ قومك، قال: فهل من زاد؟ فخرجت حتى أتيت خديجةَ فأخبرتها،

(١) وعبدالله بن محمد بن عقيل ضعيف.
(٢) أبو داود (٤٩٩٦).

فقالت: حريّاً أو خَلِيقاً أنْ لا يكون ذلك، فهي أكبر كلمةٍ تكلَّمَتْ بها في أمري، فأتيته بالزَّاد، فأخذه وقال: الحمد لله الذي لم يُمِتني حتى زوَّدني نبيُّ الله ﷺ طعاماً، وحمله لي في ثوبه».

ذِكرُ زَيد بنِ عَمرو بْنِ نُفَيل رحمه الله

قال موسى بن عُقبة: أخبرني سالم أنه سمع أباه يحدّث عن رسول الله ﷺ: «أنه لقي زيدَ بنَ عَمرو بن نُفَيل أسفَلَ بَلدَحٍ، وذلك قبل الوحي، فَقدَّمَ إليه رسولُ الله ﷺ سُفرةً فيها لحم، فأبى أن يأكل وقال: لا آكُلُ مما يذبحون على أنصابهم، أنا لا آكل إلّا مما ذُكِر اسمُ الله عليه. رواه البخاري[1]؛ وزاد في آخره: فكان يَعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السّماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له. ثم قال البخاري: قال موسى: حدثني سالم بن عبدالله، ولا أعلم إلاّ يُحَدِّثُ به عن ابن عمر: أنّ زيدَ بنَ عَمرو بن نُفَيل خرج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويتَّبعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال: إنِّي لَعَلِّي أنْ أدين دينكم، قال: إنّك لا تكون على ديننا حتى تأخُذ بنصيبكَ من غضب الله. قال زيدٌ: ما أفِرُّ إلاّ من غضب الله، ولا أحمل من غَضَبِ الله شيئاً أبداً وأنا أستطيعه، فهل تَدُلُّني على غيره؟ قال: ما أعلمُهُ إلاّ أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيفُ؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبُدُ إلاّ الله. فخرج زيدٌ فَلقيَ عالماً من النَّصارَى، فذكر له مثلَه فقال: لن تكون على ديننا، حتى تأخُذَ بنصيبكَ من لعنة الله. قال: ما أفِرُّ إلاّ مِن لعنة الله، فقال له كما قال اليهوديّ، فلما رأى زيدٌ قولَهم في إبراهيم خرج، فلمّا برز رفع يديه فقال: اللَّهُمَّ إنّي أُشهِدك أنّي على دين إبراهيم. وهكذا أخرجه البخاري[2].

(١) البخاري ٥/ ٥٠.

(٢) البخاري ٥/ ٥٠-٥١.

وقال عبدالوهاب الثقفي: حدثنا محمد بن عَمرو، عن أبي سَلَمة، ويحيى بن عبدالرحمن، عن أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً حارّاً وهو مُردِفي إلى نُصُبٍ من الأنصاب، وقد ذبحنا له شاةً فأنضجناها، فلقينا زيد بن عَمرو بن نُفَيل، فحيَّا كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه بتحيّة الجاهليّة، فقال له النّبيّ ﷺ: يا زيد ما لي أرى قومك قد شنفوا لك؟ قال: والله يا محمد إنّ ذلك لَبِغَير نائلةٍ ترة لي فيهم، ولكّني خرجت أبتغي هذا الدِّين حتى أقدم على أحبار فَدَك فوجدتهم يعبدون الله ويُشرِكون به فقلت: ما هذا بالدِّين الذي أبتغي، فقدِمتُ الشَّامَ فوجدتهم يعبدون الله ويُشركون به، فخرجت فقال لي شيخ منهم: إنّك تسأل عن دينٍ ما نعلم أحداً يعبد الله به إلاّ شيخ بالجزيرة، فأتيته، فلمّا رآني قال: ممّن أنت؟ قلت: من أهل بيت الله، قال: من أهل الشَّوك والقَرَظ؟ إنّ الذي تطلب قد ظهر ببلادك، قد بُعث نبيٌّ قد طلع نجمه، وجميع مَن رأيتهم في ضلال. قال: فلم أحسّ بشيء، قال: فقرَّب إليه السُّفرَة فقال: ما هذا يا محمد؟ قال: شاة ذُبحت للنُّصُب. قال: ما كنتُ لآكل مما لم يُذكر اسمُ الله عليه قال: فتفرقا. وذكر باقي الحديث..

وقال الليث[١]، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لقد رأيت زيدَ بن عَمرو بن نُفَيْل قائماً مُسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما منكم أحدٌ على دينِ إبراهيمَ غيري. وكان يُحْيي الموؤدَةَ، يقولُ للرجلِ إذا أراد أنْ يقتلَ ابنته: مَه! لا تقتلها أنا أكفيكَ مَؤُونَتها، فيأخذها، فإذا ترعرَعت قال لأبيها: إنْ شئتَ دفعتُها إليك وإنْ شئتَ كفيتُك مؤونتها». هذا حديث صحيح[٢].

وقال محمد بن عَمرو، عن أبي سَلَمة، عن أسامة بن زيد، عن

---

(١) من هنا إلى أول الباب الآتي كتبها المؤلف بورقة طيارة.
(٢) البخاري ١/ ٥١معلقاً.

أبيه، أنّ زيد بن عَمرو بن نُفَيْل مات، ثم أُنزِل على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «إنّه يُبعث يوم القيامة أمَّةً وحدَه». إسناده حَسَن(١).

أُنبِئتُ عن أبي الفخر أسعد، قال: أخبرتنا فاطمة، قالت: أخبرنا ابن ريذة، قال: أخبرنا الطَّبراني، قال: أخبرنا عليّ بن عبدالعزيز، قال: أخبرنا عبدالله بن رجاء، قال: أخبرنا المسعودي، عن نُفَيْل بن هشام بن سعيد بن زيد، عن أبيه، عن جده، قال: خرج أبي ووَرَقة بن نَوفل يطلبان الدِّينَ حتى مرّا بالشام، فأما ورقة فتنصر، وأما زيد فقيل له: إنّ الذي تطلب أمامك، فانطلقَ حتى أتى المَوْصِلَ، فإذا هو براهبٍ، فقال: من أين أقبلَ صاحبُ الراحلة، قال: من بيت إبراهيم، قال: ما تطلب؟ قال: الدِّين، فعرض عليه النَّصرانية، فأبى أن يقبل، وقال: لا حاجة لي فيه، قال: أمّا إنّ الذي تطلب سيظهر بأرضك، فأقبل وهو يقول: لبيك حقاً، تَعَبُّداً ورقاً، البرَّ أبغي لا الخال، وما مُهَجِّر كمن قال(٢).

عُـذْتُ بمـا عـاذ بـه إبـراهِـمْ   مُسْتَقْبِـل القبلـة وهـو قـائـم
أنفـي لـك اللهُـمَّ عـانٍ راغـمْ   مهما تُجَشِّمُني فإني جاشم(٣)

ثم يخرُّ فيسجد للكعبة. قال: فمرّ زيد بالنبي ﷺ وبزيد بن حارثة، وهما يأكلان من سُفْرةٍ لهما، فَدَعَيَاه فقال: يا ابن أخي لا آكل مما ذُبح على النُّصُب، قال: فما رُؤي النبي ﷺ يأكل مما ذُبح على النُّصُب من يومه ذاك حتى بُعث.

قال: وجاء سعيد بن زيد إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنّ زيداً كان كما رأيت، أو كما بَلَغَكَ، فأستغفِر له؟ قال: «نعم، فاستغفِروا

---

(١) وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٦.
(٢) الخال: الخيلاء والكبر. والمُهَجِّر: الذي يسير في الهاجرة. وقال: إذا نام في القائلة.
(٣) العاني: الأسير. وتجشمني: تكلفني.

له، فإنه يُبعث يوم القيامة أمَّةً وَحْدَه»[1].

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق: كانت قريش حين بنوا الكعبةَ يتوافدون على كسوتها كلّ عام تعظيماً لحقّها، وكانوا يطوفون بها، ويستغفرون الله عندها، ويذكرونه مع تعظيم الأوثان والشِّرْك في ذبائحهم ودينهم كلّه.

وقد كان نفرٌ من قريش: زيد بن عَمرو بن نُفَيْل، ووَرَقة بن نوفل، وعثمان بن الحُوَيْرث بن أسد، وهو ابن عم وَرَقَة، وعُبَيدالله بن جحش بن رِئاب، وأمّه أُميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم حضروا قريشاً عند وثنٍ لهم كانوا يذبحون عنده لعيدٍ من أعيادهم، فلما اجتمعوا خلا بعضُ أولئك النَّفر إلى بعضٍ وقالوا: تصادقوا وليكتُم بعضُكم على بعضٍ، فقال قائلهم: تَعْلَمُنَّ والله ما قومكم على شيءٍ، لقد أخطأوا دينَ إبراهيم وخالفوه، وما وثنٌ يُعْبد لا يضرّ ولا ينفع، فابتغوا لأنفسكم، فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض يلتمسونَ أهلَ الكتاب من اليهود والنَّصارَى والمِلل كلّها، يتّبعون الحنيفيّةَ دينَ إبراهيم، فأمّا ورقة فتنصر، ولم يكن منهم أعدل شأناً من زيد بن عَمْرو، اعتزل الأوثان وفارق الأديان إلاّ دينَ إبراهيم[2].

وقال الباغَنْدي: حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا أبو معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجنَّةَ فرأيت لزيد بن عَمْرو بن نُفَيْل دَوْحَتَيْن».

وقال البكائي، عن ابن إسحاق: حدثني هشام[3]، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لقد رأيت زيدَ بن عَمْرو بن نُفَيْل شيخاً كبيراً

(١) وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٦.
(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٢-٢٢٣.
(٣) تقدم قبل قليل من رواية الليث بن سعد، عن هشام، به، وصححه المؤلف.

مُسْنِداً ظهرَه إلى الكعبة، وهو يقول: يا معشر قريش، والذي نفسي بيده! ما أصبحَ منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أعلم أيَّ الوجوه أحبّ إليك عبدتُك به، ثم يسجد على راحلته».

قال ابن إسحاق(١): فقال زيد في فراق دين قومه:

أرَبّاً واحِداً أمْ ألفَ ربّ   أدينُ إذا تُقسِّمتِ الأمورُ

عزلتُ اللاّتَ والعُزَّى جميعاً   كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبُورُ

في أبيات.

قال ابن إسحاق(٢): وكان الخطّاب بن نُفَيْل عمُّه وأخوه لأمّه يعاتبه ويؤذيه حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزلَ حِراء مقابل مكة، فإذا دخل مكة سرّاً آذَوه وأخرجوه، كراهيةَ أن يُفسد عليهم دينَهم، وأن يتابعه أحدٌ. ثم خرج يطلب دين إبراهيم، فجال الشامَ والجزيرة، إلى أن قال ابن إسحاق: فردّ إلى مكة حتى إذا توّسط بلاد لَخْم عَدَوْا عليه فقتلوه.

باب

أخبرتنا ستُّ الأهل بنت علوان، قالت: أخبرنا البهاء عبدالرحمن، قال: أخبرنا مَنُوجهر بن محمد، قال: أخبرنا هبة الله بن أحمد، قال: حدثنا الحسين بن عليّ بن بطحا، قال: أخبرنا محمد بن الحسين الحرَّاني، قال: أخبرنا محمد بن سعيد الرَّسْعَني، قال: أخبرنا المُعافَى ابن سليمان، قال: حدثنا فُليح، عن هلال بن عليّ، عن عطاء بن يسار،

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٢٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٠-٢٣٢.

قال: لقيتُ عبدَالله بن عَمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفةِ رسولِ الله ﷺ في التَّوراة. فقال: أجل، والله إنّه لَموصوفٌ في التَّوراة بصفته في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب] وحِرزاً للأُمّيين، أنتَ عبدي ورسولي، سَمَّيتُك المتوكّل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السَّيئة بالسّيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به المِلَّةَ العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً. قال عطاء: ثم لقيت كعبَ الأحبار فسألته، فما اختلفا في حرف، إلاّ أنَّ كعباً يقول بلغته: أَعيُنا عُمُومَى وآذاناً صُمُومَا وقلوباً غُلُوفَى[1]. أخرجه البخاري[2] عن العَوَقي، عن فُلَيح.

وقد رواه سعيد بن أبي هلال، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يَسار، عن عبدالله بن سَلاَم، فذكر نحوه. ثم قال عطاء: وأخبرني أبو واقد اللَّيثي أنّه سمع كعبَ الأحبار يقول مثل ما قال ابن سَلاَم.

قلتُ: وهذا أصحُّ فإنّ عطاءً لم يُدرك كَعباً.

وروى نحوَه أبو غسّان محمد بن مُطَرِّف، عن زيد بن أسلم، أنّ عبدالله بن سلام قال: صفة النّبيّ ﷺ في التّوراة، وذكر الحديث.

وروى عطاء بن السّائب، عن أبي عُبَيدة بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه، قال: إنّ الله ابتعث نبيَّه لإدخال رجلٍ الجنَّةَ، فدخل الكنيسةَ، فإذا هو بيهود، وإذا بيهوديٍّ يقرأ التَّوراة، فلمّا أتوا على صفة النّبيِّ ﷺ أمسكوا، وفي ناحية الكنيسة رجل مريض، فقال النّبيُّ ﷺ: «ما لكم أمسكتم؟» قال المريض: أتوا على صفة نبيٍّ فأمسكوا، ثم جاء المريض

---

(١) هكذا رسم المؤلف هذه الألفاظ.

(٢) البخاري: ٣/ ٨٧ و ٦/ ١٦٩ وليس فيه قول كعب الأحبار.

يحبو حتى أخذ التَّوراة فقرأ حتى أتى على صفة النّبيّ ﷺ وأُمَّته، فقال: هذه صفتك وأُمَّتك أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأنّك رسول الله، فقال النّبيُّ ﷺ: «لُوا[١] أخاكم». أخرجه أحمد بن حنبل في «مُسندِه»[٢].

أخبرنا جماعة عن ابن اللَّتّي أنّ أبا الوقت أخبره، قال: أخبرنا الدّاووديّ، قال: أخبرنا ابن حمويه، قال: أخبرنا عيسى السَّمَرقنديّ، قال: أخبرنا الدّارمي، قال: أخبرنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا معن ابن عيسى، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن أبي فروة، عن ابن عباس أنّه سأل كعباً: كيف تجد نَعتَ رسولِ الله ﷺ في التّوراة؟ قال: نجده محمد بن عبدالله، يولد بمكة، ويهاجر إلى طابةَ، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحّاشٍ ولا سخّابٍ في الأسواق، ولا يكافىء بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، أُمَّتُهُ الحمّادون، يحمدون الله في كلّ سرّاء، ويكبِّرون الله على كلّ نجدٍ، يوضِّئون أطرافهم، ويأتزِرُون في أوساطهم، يَصفُّون في صلاتهم كما يصفّون في قتالهم، دَوِيُّهُم في مساجدهم كَدَوِيِّ النَّحل، يُسْمَعُ مُناديهم في جَوِّ السّماء. قلت: يعني الأذان.

وقال يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن ثابت بن شُرَحبيل، عن أمّ الدَّرداء، قالت: قلت لكعب الحبر: كيف تجدون صفةَ النّبيّ ﷺ في التّوراة. فذكر نحوَ حديث عطاء.

---

(١) أي: تولَّوْا أمر أخيكم.

(٢) أحمد ١/٤١٦، وهو منقطع، فإن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

قصَّة سلمان الفارسي

قال ابن إسحاق[1] : حدثني عاصم بن عمر، عن محمود بن لَبِيد، عن ابن عباس، قال: حدثني سَلمان الفارسي، قال: كنتُ رجلاً من أهل فارس من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جَيّ، وكان أبي دهقان أرضه، وكان يحبني حباً شديداً، لم يُحِبَّه شيئاً من ماله ولا ولده، فما زال به حبُّه إيّايَ حتى حبسني في البيت كما تُحبس الجارية، واجتهدتُ في المجوسية حتى كنت قَطَن النّار الذي يُوقدها، فلا أتركها تخبو ساعةً، فكنتُ لذلك لا أعلمُ من أمرِ الناسِ شيئاً إلاّ ما أنا فيه، حتى بنى أبي بنياناً له، وكانت له ضَيعة فيها بعضُ العمل، فدعاني فقال: أي بُنَيَّ، إنّه قد شغلني ما ترى من بُنياني عن ضيعتي هذه، ولا بد لي من اطلاعها، فانطلقْ إليها فمُرهم بكذا وكذا، ولا تحتبس عليّ فإنّك إن احتبستَ عنّي شَغَلني ذلك عن كلّ شيء. فخرجتُ أُريد ضَيعته، فمررتُ بكنيسةٍ للنصارى، فسمعتُ أصواتهم فقلتُ: ما هذا؟ قالوا: النَّصارى، فدخلتُ فأعجبني حالهم، فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غَربت الشمس، وبعث أبي في طلبي في كلّ وجهٍ حتّى جئته حين أمسيت، ولم أذهب إلى ضَيعَته فقال: أين كنتَ؟ قلت: مررت بالنَّصارى، فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم، فجلستُ أنظر كيف يفعلون. قال: أيْ بُنَيّ دينك ودينُ آبائك خيرٌ من دينهم. فقلت: لا والله ما هو بخيرٍ من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، ويدعونه ويصلُّون له، ونحنُ نعبدُ ناراً نوقدها

(١) ابن هشام: ١/ ٢١٤-٢٢٢. وهو عند أحمد ٥/ ٤٤١-٤٤٤، والطبراني في الكبير (٦٠٦٥)، والخطيب في تاريخه ١/ ١٦٤.

بأيدينا، إذا تركناها ماتت. فخاف فجعل في رِجليَّ حديداً وحبسني، فبعثتُ إلى النصارى فقلت: أين أصلُ هذا الدِّين الذي أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام. فقلتُ: فإذا قدِمَ عليكم من هناك ناسٌ فآذنوني. قالوا: نفعل. فقَدِم عليهم ناسٌ من تُجارهم فآذنوني بهم، فطرحتُ الحديد من رِجليَّ ولحقتُ بهم، فقدِمتُ معهم الشام، فقلت: مَنْ أفضل أهل هذا الدِّين؟ قالوا: الأسقُف صاحب الكنيسة. فجئته فقلت: إنّي قد أحببتُ أنْ أكونَ معك في كنيستك، وأعبد الله فيها معك، وأتعلّم منك الخير. قال: فَكُنْ معي. قال: فكنتُ معه، فكان رجل سَوْءٍ، يأمر بالصَّدَقة ويُرَغِّبُهم فيها، فإذا جمعوها له اكتنزها ولم يُعطِها المساكينَ، فأبغضتُه بُغضاً شديداً، لِمَا رأيتُ من حاله، فلم ينشب أنْ مات، فلمّا جاؤوا ليدفنوه قلت لهم: هذا رجل سَوءٍ، كان يأمركم بالصّدقة ويكتنزها. قالوا: وما علامةُ ذلك؟ قلت: أنا أُخرِج إليكم كنزه، فأخرجت لهم سبعَ قِلالٍ مملوءةً ذَهَباً ووَرِقاً، فلمّا رأوا ذلك قالوا: والله لا يُدفن أبداً، فصلبوه ورموه بالحجارة، وجاؤوا برجل فجعلوه مكانه، ولا والله يا ابن عباس، ما رأيت رجلاً قطّ لا يصلّي الخَمس، أرى أنّه أفضل منه، وأشدّ اجتهاداً، ولا أزهد في الدّنيا، ولا أدأب ليلاً ونهاراً، وما أعلمني أحببتُ شيئاً قطّ قبله حُبَّه، فلم أزل معه حتى حَضَرَته الوفاة، فقلتُ: قد حَضَرَكَ ما ترى من أمرِ الله فماذا تأمرني وإلى مَنْ توصيني؟ قال لي: أيْ بُنَيّ، والله ما أعلمه إلاّ بالمَوصِل، فَأْتِه فإنّك ستجده على مثل حالي.

فلما مات لحقتُ بالمَوصِل، فأتيتُ صاحبَها فوجدته على مثلِ حاله من الاجتهاد والزُّهد، فقلت له: إنّ فلاناً أوصى بي إليك. قال: فأقم أيْ بُنَيّ، فأقمتُ عنده على مثل أمرِ صاحبه حتى حَضَرَته الوفاةُ، فقلت: إنَّ فلاناً أوصى بي إليكَ، وقد حَضَرَكَ من أمرِ الله ما ترى، فإلى مَن توصيني؟ قال: والله ما أعلمه إلاّ رجلاً بنَصِيبين. فلما دفنّاه لحقتُ

بالآخر، فأقمتُ عنده على مثلِ حالهم، حتى حضره الموت فأوصى بي إلى رجلٍ من عَمُّورية بالروم،فأتيته فوجدته على مثلِ حالهم، فأقمتُ عنده واكتسبتُ حتى كانت لي غُنَيمة وبقَيْرات، ثم احتضر فكلَّمتُه، فقال: أيْ بُنَيّ والله ما أعلمه بقيَ أحدٌ على مثل ما كنّا عليه، ولكنْ قد أظَلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعث من الحَرَم، مُهَاجَرُه بين حَرَّتَين؛ أرض سَبخَة ذات نخل، وإنّ فيه علاماتٍ لا تَخفى، بين كتفيه خاتم النُّبُوَّة، يأكلُ الهديّةَ ولا يأكل الصَّدقة، فإن استطعت أن تَخلُص إلى تلك البلاد فافعلْ،فإنه قد أظَلَّك زمانُهُ.

فلمّا واريناه أقمتُ حتى مرَّ بي رجالٌ من تُجَّار العرب من كَلْب، فقلت لهم: تحملوني إلى أرضِ العرب، وأنا أعطيكم غُنَيمتي هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إيّاها وحملوني، حتى إذا جاؤوا بي وادي القُرَى ظلموني فباعوني عبداً من رجل يهوديٍّ بوادي القُرَى، فَوَالله لقد رأيت النَّخل، وطمعتُ أنْ يكون البلد الذي نَعَتَ لي صاحبي، وما حقَّت عندي حتى قدِم رجلٌ من بني قُرَيظة فابتاعني، فخرج بي حتى قدِمنا المدينة، فَوَالله ما هو إلاّ أن رأيتُها فعرفتُ نَعتَها فأقمت في رِقّي.

وبعث الله رسولَه ﷺ بمكة لا يُذكر لي شيءٌ من أمره، مع ما أنا فيه من الرِّقّ،حتى قدِم قُباء، وأنا أعمل لصاحبي في نَخله، فَوَالله إنّي لَفيها، إذ جاء ابنُ عمٍّ له فقال: يا فلان، قاتلَ اللهُ بني قيلة، والله إنّهم الآن مجتمعون على رجل جاء من مكة، يزعمون أنّه نبيّ. فَوَالله ما هو إلاّ أنّ سمِعتُها فأخذتني العُرَواء ـ يقول الرِّعدة ـ حتى ظننتُ لأسقطنَّ على صاحبي، ونزلتُ أقول: ما هذا الخبر؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمةً شديدة، وقال: مالك ولهذا، أقبِلْ على عملك. فقلت: لا شيء، إنّما سمعتُ خبراً فأحببت أن أعلمه، فلما أمسيتُ وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقُبَاء فقلت له: بلغني

أنّك رجلٌ صالح، وأنّ معك أصحاباً لك غُرباء، وقد كان عندي شيء للصَّدَقَة، فرأيتكم أحقّ مَن بهذه البلاد فَهَاكَها فَكُلْ منه، فأمسك وقال لأصحابه: كُلُوا، فقلت في نفسي هذه واحدة، ثم رجعت وتحوّل رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فجمعت شيئاً ثم جئته به، فقلت: هذا هديّة، فأكل وأكل أصحابه، فقلت: هذه خَلَّتان، ثم جئته وهو يتبع جنازةً وعليَّ شملتان لي، وهو في أصحابه، فاستدرتُ لأنظر إلى الخاتم، فلما رآني استدبرته عرف أنّي أستثبتُ شيئاً وُصِف لي، فوضع رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه، كما وصف لي صاحبي، فأكببتُ عليه أُقَبِّلُه وأبكي، فقال: تحوَّلْ يا سلمان هكذا. فتحوّلت، فجلست بين يديه، وأحبّ أن يسمع أصحابُه حديثي عنه، فحدّثته يا ابنَ عباس كما حَدَّثْتُكَ. فلما فرغت قال: «كَاتِبْ يا سَلمان». فكاتبت صاحبي على ثلاث مئة نخلة أُحييها له وأربعين أوقيّة، فأعانني أصحابُ رسولِ الله ﷺ بالنَّخل ثلاثين وَدِيَّة[1] وعشرين ودِيَّة وعشرٍ، فقال لي رسول الله ﷺ فَقِّرْ لها[2]، فإذا فرغتَ فَآذِنّي حتى أكون أنا الذي أضعها بيدي. ففقرتها وأعانني أصحابي، يقول: حفرتلها حيث توضع حتى فرغنا منها، وخرج معي، فكنا نحمل إليه الودِيَّ فيضعه بيده ويسوّي عليها، فَوَالذي بعثه ما مات منها وَدِيَّةٌ واحدة. وبقيت عليَّ الدراهم، فأتاه رجلٌ من بعض المعادن بمثل البيضة من الذَّهَب فقال: أين الفارسيّ؟ فدُعِيتُ له فقال: خذ هذه فأدِّ بها ما عليك. قلت: يا رسول الله، وأين تقع هذه ممّا علي؟ قال: فإنّ الله سيؤدي بها عنك، فوالذي نفسُ سَلمان بيده، لَوَزَنتُ لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم وعتق سَلمان. وحبسني الرِّقّ حتى فاتتني بدر وأُحُد، ثم شهدتُ الخندقَ، ثم لم يفُتني معه مشهد.

---

(١) الودية: جمع ودي، وهو صغار الفسيل.

(٢) التفقير: الحفر للغراس.

قولُه: قَطَنُ النار: جمع قاطن، أي: مقيمٌ عندها، أو هو مصدر، كرجل صومٍ وعَدلٍ.

وقال يونس بن بُكَير وغيره، عن ابن إسحاق[1]: حدثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، قال: حدثني مَن سمع عمَر بنَ عبدالعزيز، قال: وجدتُ هذا من حديث سَلمان، قال: حُدِّثت عن سَلمان: أنّ صاحب عَمُّورِية قال له لما احتضر: إئت غَيْضَتَين من أرض الشام، فإنَّ رجلاً يخرج من إحداهما إلى الأخرى في كل سنة ليلة، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحدٍ به مرضٌ إلاّ شُفي، فَسَلْهُ عن هذا الدِّين دين إبراهيم. فخرجت حتى أقمت بها سنةً، حتى خرج تلك الليلة، وإنّما كان يخرج مستجيزاً، فخرج وغلبني عليه الناس، حتى دخل في الغَيْضة، حتى ما بقي إلاّ منكَبه، فأخذت به فقلت: رحِمَك الله! الحنيفيّة دين إبراهيم؟ فقال: تسأل عن شيء ما سأل عنه الناسُ اليوم، قد أظلَّك نبيٌّ يخرج عند أهل هذا البيت بهذا الحَرَم، ويُبعث بسفك الدَّم. فلما ذكر ذلك سَلمان لرسول الله ﷺ قال: «لئن كنتَ صدَقْتَني يا سَلمان لقد رأيتَ حواريَّ عيسى ابنِ مريم»[2].

وقال مَسلَمَة بن عَلقمة المازني[3]: حدثنا داود بن أبي هند، عن سِمَاك بن حرب، عن سلامة العِجلي، قال: جاء ابن أختٍ لي من البادية يقال له قُدَامة، فقال: أحبُّ أنْ ألقى سَلمان الفارسي فأُسلِّم عليه، فخرجنا إليه فوجدناه بالمدائن، وهو يومئذٍ على عشرين ألفاً، ووجدناه على سريرٍ يسفُّ خوصاً فسلَّمنا عليه، فقلت: يا أبا عبدالله هذا ابن أختٍ لي قدِم عليَّ من البادية، فأحبّ أن يسلّم عليك. قال: وعليه السلام

---

(١) ابن هشام ١/ ٢٢١.
(٢) إسناده ضعيف لما فيه من الجهالة.
(٣) المعجم الكبير للطبراني (٦١١٠).

ورحمة الله وبركاته. قلت: يزعم أنّه يحبّك. قال: أَحَبَّهُ الله. فتحدثنا وقلنا: يا أبا عبدالله، ألا تحدِّثنا عن أصلك؟ قال: أمّا أصلي فأنا من أهل رامَهُرْمُز، كنّا قوماً مَجُوساً، فأتى رجلٌ نصرانيٌّ من أهل الجزيرة كانت أمه منّا، فنزل فينا واتّخذ فينا ديراً وكنت من كُتّاب الفارسية، فكان لا يزال غلامٌ معي في الكُتَّابِ يجيء مضروباً يبكي، قد ضربه أبواه، فقلت له يوماً: ما يبكيك؟ قال: يضربني أبواي. قلت: ولِمَ يضرِبانك؟ فقال: آتي صاحبَ هذا الدّير، فإذا عَلِما ذلك ضرباني، وأنت لو أتيته سَمعتَ منه حديثاً عجباً. قلت: فاذهبْ بي معك، فأتيناه، فحدثنا عن بدء الخَلق وعن الجنة والنار، فحدثنا بأحاديث عجب، فكنت أختلف إليه معه، وفَطِنَ لنا غِلمان من الكُتاب، فجعلوا يجيئون معنا، فلما رأى ذلك أهلُ القرية أتوه، فقالوا: يا هناه إنك قد جاورتَنا فلم تر من جوارنا إلاّ الحَسَن، وإنّا نرى غِلمانَنا يختلفون إليك، ونحن نخاف أن تُفسدهم علينا، اخرج عنا. قال: نعم. فقال لذلك الغلام الذي كان يأتيه: ٱخرج معي. قال: لا أستطيع ذلك. قلت: أنا أخرج معك، وكنت يتيماً لا أبَ لي، فخرجت معه، فأخذنا جبلَ رَامَهُرمُز، فجعلنا نمشي ونتوكل، ونأكل من ثمر الشجر، فقدِمنا نَصِيبين، فقال لي صاحبي: يا سَلمان، إنّ هاهنا قوماً هم عُبّاد أهلِ الأرض، فأنا أحبُّ أنْ ألقاهم. قال: فجئناهم يوم الأحد، وقد اجتمعوا، فسلَّم عليهم صاحبي، فحيّوه وبَشُّوا به، وقالوا: أين كانت غيبتك؟ فتحدثنا، ثم قال: قم يا سَلمان، فقلت: لا، دعني مع هؤلاء. قال: إنّك لا تُطيق ما يطيقون، هؤلاء يصومون من الأحد إلى الأحد، ولا ينامون هذا الليل. وإذا فيهم رجل من أبناء الملوك ترك المُلكَ ودخل في العبادة، فكنت فيهم حتى أمسينا، فجعلوا يذهبون واحداً واحداً إلى غاره الذي يكون فيه، فلما أمسينا قال ذاك الرجل الذي من أبناء الملوك: هذا الغلام ما تضيّعوه ليأخذه رجلٌ

منكم. فقالوا: خذه أنت، فقال لي: هَلُمَّ، فذهب بي إلى غاره، وقال لي: هذا خُبز وهذا أُدم فكُل إذا غرثت، وصُم إذا نشطت، وصلِّ ما بدا لك، ونَم إذا كسلت. ثم قام في صلاته فلم يكلمني، فأخذني الغمُّ تلك السبعة الأيام لا يكلمني أحد، حتى كان الأحد، وانصرف إليَّ، فذهبنا إلى مكانهم الذي يجتمعون فيه في الأحد، فكانوا يفطرون فيه، ويَلْقَى بعضهم بعضاً ويسلم بعضهم على بعض، ثم لا يلتقون إلى مثله، قال: فرجعنا إلى منزلنا فقال لي مثل ما قال أول مرة، ثم لم يكلمني إلى الأحد الآخر، فحدثت نفسي بالفِرار فقلت: اصبر أَحَدَين أو ثلاثة فلما كان الأحد واجتمعوا، قال لهم: إني أريد بيتَ المقدس. فقالوا: ما تريد إلى ذلك؟ قال: لا عهد لي به. قالوا: إنّا نخاف أن يحدُث بك حَدَث فيليك غيرُنا. قال: فلما سمعته يذكر ذاك خرجتُ، فخرجنا أنا وهو، فكان يصوم من الأحد إلى الأحد، ويصلي الليل كله، ويمشي بالنهار، فإذا نزلنا قام يصلي، فأتينا بيتَ المقدس، وعلى الباب مُقْعَدٌ يسأل فقال: أعطني. قال: ما معي شيء. فدخلنا بيتَ المقدس، فلما رأوه بشُّوا إليه واستبشروا به، فقال لهم: غلامي هذا فاستوصوا به، فانطلقوا بي فأطعموني خبزاً ولحماً، ودخل في الصلاة، فلم ينصرف إلى الأحد الآخر، ثم انصرف. فقال: يا سَلمان إني أريد أن أضع رأسي، فإذا بلغ الظلُّ مكان كذا فأيقظني. فبلغ الظلُّ الذي قال، فلم أوقظه مأواةً له مما دأب من اجتهاده ونَصَبه، فاستيقظ مذعوراً، فقال: يا سلمان، ألم أكن قلت لك: إذا بلغ الظل مكان كذا فأيقظني؟ قلت: بلى، ولكن إنّما منعني مأواةً لك من دأبك. قال: ويحك إني أكره أن يفوتني شيء من الدهر لم أعمل لله فيه خيراً، ثم قال: اعلمْ أنَّ أفضلَ دينٍ اليوم النصرانية. قلت: ويكون بعد اليوم دينٌ أفضل من النصرانية ـ كلمة ألقيت على لساني ـ. قال: نعم، يوشك أن يُبعثَ نبيٌّ يأكل الهدية

ولا يأكل الصَّدقة، وبين كتفيه خاتم النُّبُوَّة، فإذا أدركته فاتّبعه وصَدِّقْهُ. قلت: وإنْ أمرني أنْ أَدَعَ النصرانية؟ قال: نعم فإنّه نبيٌّ لا يأمر إلاّ بحق ولا يقول إلاّ حقّاً، والله لو أدركته ثم أمرني أن أقع في النار لوقعتها.

ثم خرجنا من بيت المقدس، فمررنا على ذلك المُقعد، فقال له: دخلت فلم تعطني، وهذا تخرج فأعطني، فالتفت فلم ير حوله أحداً، قال: أعطني يدك. فأخذه بيده، فقال: قم بإذن الله، فقام صحيحاً سويّاً، فتوجّه نحو أهله فأتبَعتُهُ بصري تعجُّباً مما رأيت، وخرج صاحبي مُسرعاً وتبعته، فتلقاني رفقة من كَلْب، فسَبَوني فحملوني على بعيرٍ وشدُّوني وثاقاً، فتداولني البيَّاعُ حتى سقطت إلى المدينة، فاشتراني رجل من الأنصار، فجعلني في حائط له ومن ثَمَّ تعلمت عَمَلَ الخوص، أشتري بدِرهَم خوصاً فأعمله فأبيعه بدرهمين، فأنفق درهماً، أحبّ أن آكل من عملِ يدي. وهو يومئذٍ أمير على عشرين ألفاً. قال: فَبَلَغَنَا ونحن بالمدينة أنّ رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنّ الله أرسله، فمكثنا ما شاء الله أن نمكث، فهاجر إلينا، فقلت: لأُجرِبَنَّهُ، فذهبت فاشتريت لحم جزورٍ بدرهمٍ، ثم طبختُه، فجعلت قصعة من ثريد، فاحتملتها حتى أتيته بها على عاتقي حتى وضعتها بين يديه. فقال: «أصَدَقة أم هدية»؟ قلت: صَدَقة. فقال لأصحابه: «كُلُوا بسم الله» وأمسك ولم يأكل، فمكثت أياماً، ثم اشتريت لحماً فأصنعه أيضاً وأتيته به، فقال: ما هذه؟ قلت: هدية. فقال لأصحابه: «كُلُوا بسم الله» وأكل معهم. قال: فنظرت فرأيت بين كتفيه خاتم النُّبُوَّة مثل بيضة الحمامة، فاسلمتُ، ثم قلت له: يا رسولَ الله أيُّ قومِ النصارى؟ قال: «لا خير فيهم». ثم سألته بعد أيام قال: «لا خير فيهم ولا فيمن يحبهم». قلت في نفسي: فأنا والله أحبهم، قال: وذاك حين بعث السرايا وجرّد السيف، فَسَريّةٌ تدخل وسرية تخرج، والسيف يقطر. قلتُ يحَدّثُ بي الآن أنّي أُحِبُّهم، فيبعث

فيضرب عنقي، فقعدت في البيت، فجاءني الرسول ذات يوم فقال: يا سَلمان أجِب. قلت: هذا والله الذي كنت أحذر. فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ فتبسم وقال: «أبشِر يا سَلمان فقد فرَّج الله عنك» ثم تلا عليَّ هؤلاء الآيات: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴿٥٤﴾ ﴾ [القصص] قلت: والذي بَعَثَكَ بالحق، لقد سمعته يقول: لو أدركته فأمرني أن أقع في النار لوقعتها.

هذا حديث مُنكَر غريب، والذي قبله أصَحُّ، وقد تفرّد مَسلَمَة بهذا، وهو ممن احتج به مسلم، ووثقه ابن مَعِين، وأمّا أحمد بن حنبل فضعفه، رواه قيس بن حفص الدَّارمي شيخ البخاري عنه(١).

وقال عبدالله بن عبدالقُدُّوس(٢): حدثنا عُبَيد المُكتب، قال: أخبرنا أبو الطُّفَيل، قال: حدثني سلمان، قال: كنت من أهل جَيّ، وكان أهل قريتي يعبدون الخيل البُلق، فكنت أعرف أنّهم ليسوا على شيءٍ، فقيل لي: إنّ الدّين الذي تطلب بالمغرب، فخرجت حتى أتيت المَوصِلَ، فسألتُ عن أفضلِ رجلٍ بها، فدُلِلتُ على رجلٍ في صَومَعَة، ثم ذكر نحوه. كذا قال الطبراني، قال: وقال في آخره: فقلت لصاحبي: بِعني نفسي. قال: على أن تُنبِت لي مئة نخلة، فإذا نبتنَ جئني بوزن نواةٍ من ذهب. فأتيت رسولَ الله ﷺ فأخبرته، فقال: اشترِ نفسَك بالذي سألك، وائتني بدلوٍ من ماء النَّهر التي كنت تسقي منها ذلك النَّخل. قال: فدعا لي، ثم سقيتها، فَوَالله لقد غرست مئة فما غادرت منها نخلة إلاّ نَبَتَت،

---

(١) لكنه من رواية سلامة العجلي، وهو مجهول.

(٢) عبدالله بن عبدالقدوس ضعيف، وهو عند الطبراني أيضاً، الحاكم ٣/٦٠٣ وتعقبه المصنف عليه، وقال في ترجمة سلمان من السير: «هذا حديث منكر غير صحيح، وعبدالله بن عبدالقدوس متروك، وقد تابعه في بعض الحديث الثوري وشريك، وأما هو فسَمَّنَ الحديث فأفسده» (١/ ٥٣٤).

فأتيت رسولَ الله ﷺ فأخبرته أنّ النَّخلَ قد نبتن، فأعطاني قطعةً من ذهب، فانطلقت بها فوضعتها في كفّة الميزان، ووضع في الجانب الآخر نواة، قال: فَوَالله ما استعلت القطعة الذهب من الأرض، قال: وجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فأعتقني.

عليّ بن عاصم، قال: أخبرنا حاتم بن أبي صغيرة، عن سماك بن حرب، عن زيد بن صُوحان، أنّ رجُلَين من أهل الكوفة كانا صديقَين ولهما إخاء، وقد أحبّا أن يسمعا حديثك كيف كان أول إسلامك؟ قال: فقال سلمانُ: كنت يتيماً من رامَهُرمُز، وكان ابن دِهقان[1] رامَهُرمُز يختلفُ إلى معلمٍ يعلِّمهُ، فلزِمتُهُ لأكون في كَنَفِهِ، وكان لي أخ أكبر مني، وكان مستغنياً في نفسه، وكنت غلاماً فقيراً، فكان إذا قام من مجلسه تَفَرَّقَ من يُحَفِّظه، فإذا تَفَرَّقوا خرج فتقنّع بثوبه، ثم يصعد الجبل متنكراً، فقلت: لِمَ لا تذهب بي معك؟ فقال: أنت غلام وأخاف أن يظهر منك شيء. قلت: لا تخف. قال: فإنّ في هذا الجبل قوماً في برطيل[2]، لهم عبادة يزعمون أنّا عَبَدَةُ النّيران، وأنَّا على غير دينٍ فأستأذِنُ لك. قال: فاستأذنهم ثم واعدني وقال: اُخرُج في وقت كذا، ولا يعلم بك أحدٌ، فإنّ أبي إنْ علم بهم قَتَلَهم. قال: فصعِدنَا إليهم. قال عليّ ـ وأراه قال ـ وهم ستة أو سبعة. قال: وكأنّ الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار، ويقومون الليل، يأكلون الشجر وما وجدوا، فقعدنا إليهم، فذَكَرَنا الحديث بطوله، وفيه: أنّ الملك شعر بهم، فخرجوا، وصحبهم سلمانُ إلى المَوصِل، واجتمع بعابدٍ من بقايا أهل الكتاب، فذكر من عبادته وجُوعه شيئاً مُفرِطاً، وأنّه صَحِبه إلى بيت

(١) الدهقان: رئيس القرية، ومقدم أصحاب الزراعة.
(٢) أي: صومعة.

المقدس، فرأى مُقعداً فأقامه، فحملت على المُقعد أثاثه[1] ليسرع إلى أهله، فانملس مني صاحبي، فتبِعتُ أثَرَه، فلم أظفر به، فأخذني ناسٌ من كَلْب وباعوني، فاشترتني امرأة من الأنصار، فجعلتني في حائطٍ لها وقدِم رسول الله ﷺ، فاشتراني أبو بكر فأعتَقَنِي.

وهذا الحديث يُشبه حديثَ مَسلَمَة المازني، لأنّ الحديثين يرجعان إلى سِماك، ولكن قال هنا عن زيد بن صوحان، فهو مُنقطعٌ، فإنّه لم يدرك زيدَ بن صوحان، وعليّ بن عاصم ضعيف كثير الوهم، والله أعلم.

عَمرو العَنْقَزِي: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي قُرّة الكِندي، عن سَلمان، قال: كان أبي من الأساورة فأسلمني الكُتّابَ، فكنت أختلف ومعي غلامان، فإذا رجعا دخلا على راهبٍ أو قَسّ، فدخلتُ معهما، فقال لهما، أَلَم أَنهَكما أن تُدْخِلاَ عليّ أحداً. فكنت أختلف حتى كنتُ أحبَّ إليه منهما، فقال لي: يا سلمان، إنّي أحبّ أن أخرج من هذه الأرض. قلت: وأنا معك. فأتى قريةً فنزلها، وكانت امرأة تختلفُ إليه، فلما حضر قال: احفر عند رأسي، فحفرت فاستخرجت جرَّةً من دراهم، فقال: ضعها على صدري، فجعل يضرب بيده على صدره ويقول: ويل للقَنَّائين! قال: ومات فاجتمع القِسِّيسون والرُّهبان، وهَمَمتُ أن أحتمل المال، ثم إن الله عصمني، فقلتُ للرُّهبان، فوثب شبابٌ من أهل القرية، فقالوا: هذا مالُ أبينا كانت سُرِّيَّتُه تختلف إليه، فقلت لأولئك: دُلُّوني على عالمٍ أكون معه. قالوا: ما نعلم أحداً أعلم من راهبٍ بحمص. فأتيته فقال: ما جاء بكَ إلاّ طَلَب العلم. قلت: نعم. قال: فإنّي لا أعلم أحداً أعلم من رجلٍ يأتي بيتَ

(١) جاءت الرواية في ترجمة سلمان من السير (١/ ٥٣٠): «فقال لي المقعد: يا غلام! احمل عليَّ ثيابي حتى أنطلق وأبشر أهلي».

المقدس كلّ سنةٍ في هذا الشهر. فانطلقتُ فوجدت حماره واقفاً، فخرج فَقَصَصتُ عليه، فقال: اجلس هاهنا حتى أرجع إليك. فذهب فلم يرجع إلى العام المُقبِل، فقال: وإنّك لهاهنا بعد؟ قلت: نعم. قال: فإنّي لا أعلمُ أحداً في الأرض أعلم من رجلٍ يخرج بأرض تَيماء وهو نبيٌّ وهذا زمانه، وإن انطلقت الآن وافَقتَه، وفيه ثلاثٌ: خاتم النُّبوة، ولا يأكل الصَّدقة، ويأكل الهدية. وذكر الحديث[١].

وقال ابن لهيعة: حدثنا يزيد بن أبي حبيب، قال: حدثني السَّلْمُ بنُ الصَّلت، عن أبي الطُّفَيل، عن سَلمان، قال: كنت رجلاً من أهل جَيّ مدينة أصبهان، فأتيت رجلاً يتحرج من كلام الناس، فسألته: أيُّ الدِّين أفضل؟ قال: ما أعلم أحداً غير راهبٍ بالمَوصِل، فذهبتُ إليه. وذكر الحديث، وفيه: فأتيتُ حجازياً، فقلتُ: تحملني إلى المدينة؟ قال: ما تُعطيني؟ قلت: أنا لك عبد. فلما قدِمتُ جعلني في نخله، فكنت أستقي كما يستقي البعير حتى دَبِر ظهري وصدري من ذلك، ولا أجد أحداً يفقه كلامي، حتى جاءت عجوزٌ فارسية تستقي، فقلت لها: أين هذا الرجل الذي خرج؟ فدلَّتني عليه، فجمعت تمراً وجئت فقرَّبتُهُ إليه. وذكر الحديث.

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٨١-٨٢.

ذِكْرُ مَبْعَثِه ﷺ

قال الزُّهري، عن عُروة، عن عائشة، قالت[1] : أوَّلُ ما بُدِىء به النبيُّ ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصالحة ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يأتي حِراء فيتحنّث فيه، أي: يَتعبَّدُ الليالي ذوات العَدَد ويَتزوَّدُ لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى فَجَأه الحقُّ وهو في غار حِراء، فجاءه المَلَك فقال: اقرأ، قال: فقلت: ما أنا بقارىءٍ. فأخذني فَغَطَّني حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني، فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارىءٍ. فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني، فقال: إقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ حتى بلغ إلى قوله: ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق] قالت: فرجع بها ترجفُ بوادرُه[2] حتى دخل على خديجة فقال: زَمِّلوني. فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع فقال: يا خديجة ما لي! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيتِ عليَّ. فقالت له: كلاّ أبشر فَوَالله لا يُخزيكَ الله إنّك لَتَصِلُ الرَّحِمَ وتَصدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمّها ورقة بن نَوفل بن أسد بن عبد العُزَّى، وكان أمرءاً تَنصَّرَ في الجاهلية، وكان يكتب الخطَّ العربي، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً قد عَمي. فقالت: اسمع من ابنِ أخيك. فقال: يا ابن أخي

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٣ و٤/ ١٨٤ و ٦/ ٢١٤ و٢١٥ و٢١٦ و٩/ ٣٧، ومسلم ١/ ٩٧-٩٨ وغيرهما. وانظر طبقات ابن سعد ١/ ١٩٤، وابن هشام ١/ ٢٣٤.

(٢) أي: ما يبدر من الرجل عند غضبه، وهي لحمة بين المنكب والعنق.

ما ترى؟ فأخبره، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جَذَعاً حين يُخرِجُكَ قومُك، قال: أوَ مُخرجيَّ هم؟ قال: نعم، إنه لم يأتِ أحد بما جئت به إلاّ عُودي وأُوذِي، وإنْ يُدرِكني يومُكَ أنصُرُك نصراً مُؤزَّراً. ثم لم يَنشب ورقةُ أنْ تُوفي.

فروى التِّرمذِي[1]، عن أبي موسى الأنصاري، عن يونس بن بُكَير، عن عثمان بن عبدالرحمن، عن الزُّهري، عن عُروة، عن عائشة، قالت: سُئل النبي ﷺ عن ورَقة، فقالت له خديجة: إنه ـ يا رسول الله ـ كان صَدَّقَك، وإنّه مات قبل أن تظهر. فقال: «رأيته في المنام عليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار لَكَان عليه لباس غير ذلك».

وجاء من مَراسيل عُروَة أنّ رسول الله ﷺ قال: «رأيت لورقة جنَّةً أو جنَّتَين».

وقال الزُّهري، عن عُروة، عن عائشة: «وفَتَرَ الوحيُ فترةً، حتى حزن رسولُ الله ﷺ حُزناً شديداً، وغدا مراراً يتردى من شواهق الجبال، وكلّما أوفى بذِروة ليلقي نفسه، تبدّى له جبريل فقال: يا محمد إنّك رسولُ الله حقّاً، فيسكن لذلك جأشُه، وتقَرُّ نفسُه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترةُ الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تَبَدَّى له جبريل فقال مثل ذلك. رواه أحمد في «مُسنده»[2]، والبخاري[3].

وقال هشام بن حسّان، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، قال: بُعِثَ رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاثٍ وستّين.

---

(١) الترمذي (٢٣٩٠).
(٢) أحمد ٦/ ٢٣٣.
(٣) البخاري ٨/ ٣٧-٣٨.

رواه البخاري[1] .

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيّب، قال: أُنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاثٍ وأربعين سنة، فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً[2] .

وقال محمد بن أبي عدِيّ، عن داود بن أبي هند، عن الشَّعبي، قال: نزلت عليه النُّبوة وهو ابن أربعين سنة، فَقُرِنَ بنُبُوَّته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاثُ سنين قرنَ بنُبُوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين[3] .

أخبرنا أبو المعالي الأبرقُوهي، قال: أخبرنا عبد القويّ بن الجَبّاب، قال: أخبرنا عبدالله بن رفاعة، قال: أخبرنا عليّ بن الحَسَن الخِلَعِيُّ، قال: أخبرنا أبو محمد بن النَّحّاس، قال: أخبرنا عبدالله بن الورد، قال: أخبرنا عبدالرحيم بن عبدالله البَرقيّ، قال: حدثنا عبدالملك بن هشام، قال[4] : حدثنا زياد بن عبدالله البكّائيّ، عن محمد بن إسحاق، قال: كانت الأحبار والرُّهبان وكُهّان العرب قد تحدّثوا بأمر محمد ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه، أمّا أهل الكتاب فَعَمّا وجدوا في كُتُبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان عهد إليهم أنبياؤهم من شأنه، وأمّا الكُهّان فأتتهم الشياطين بما استَرَقَت من السَّمع، وأنّها قد حُجبت عن استراق السَّمع ورُمِيَت بالشُّهُب. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن] فلما سمعت الجنُّ القرآن

(١) البخاري ٥/ ٥٦.
(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٩٠.
(٣) طبقات ابن سعد ١/ ١٩١.
(٤) ابن هشام ١/ ٢٠٤.

من النبي ﷺ عرفت أنّها مُنِعَت من السَّمع قبل ذلك، لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السّماء فيلتبس الأمر، فآمنوا وصدّقوا وولّوا إلى قومهم منذِرين.

حدثني يعقوب بن عُتبة أنه بلغه أنَّ أوَّلَ العرب فزع للرمي بالنّجوم ثقيفٌ، فجاؤوا إلى عَمرو بن أُميَّة وكان أدهى العرب، فقالوا: ألا ترى ما حدث؟ قال: بلى، فانظروا فإنْ كانت معالم النُّجوم التي يُهتَدَى بها وتُعرف بها الأنواء هي التي يُرمَى بها، فهي والله طيُّ الدُّنيا وهلاك أهلها، وإنْ كانت نجوماً غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا أمرٌ أراد الله به هذا الخَلقَ فما هو[1].

قلت: روى حديث يعقوب بنحوه حُصَين، عن الشَعبي، لكن قال: فأتوا عبدَ يا لَيلَ بن عَمرو الثَّقفي، وكان قد عَمِي.

وقد جاء غيرُ حديثٍ بأسانيدَ واهيةٍ أنّ غيرَ واحدٍ من الكُهّان أخبره رَئِيُّه من الجنِّ بأسجاعٍ ورجزٍ، فيها ذِكر مَبعث النبي ﷺ وسُمع من هواتف الجانّ من ذلك أشياء.

وبالإسناد إلى ابن إسحاق[2]، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قَتَادة عن رجالٍ من قومه، قالوا: إنّ مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهُداه لنا، أنّا كنّا نسمع من يهود، وكنّا أصحابَ أوثان، وهم أهل كتاب، وكان لا يزال بيننا وبينهم شُرُور، فإذا نلنا منهم قالوا: إنَّه قد تقارب زمان نبي يُبعثُ الآن نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرمَ، فكُنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلمّا بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا، وعرفنا ما كان يتوعدونا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففي ذلك نزل:

---

(١) ابن هشام ١/ ٢٠٦.
(٢) ابن هشام ١/ ٢١١.

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة] الآيات.

حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عَوف، عن محمود بن لَبيد، عن سَلَمة بن سلامة بن وَقْش، قال: كان لنا جارٌ يهوديٌّ، فخرج يوماً حتى وقف على بني عبدالأشهل، وأنا يومئذٍ أحدثُهم سِنّاً، فذكر القيامةَ والحسابَ والميزانَ والجنة والنار، قال ذلك لقوم أصحاب أوثانٍ لا يرون بعثاً بعد الموت، فقالوا له: وَيحك يا فلان، أَوَ تَرى هذا كائناً أنّ النّاس يُبعثون! قال: نعم. قالوا: فما آية ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوثٌ من نحو هذه البلاد، وأشار إلى مكة واليمن. قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إليّ وأنا حَدَث فقال: إنْ يستنفد هذا الغلامُ عُمرَه يُدركه. قال سَلَمة: فَوَالله ما ذهب الليلُ والنهار حتى بعث الله محمداً ﷺ وهو حيٌّ بين أظهُرِنا، فآمنّا به، وكَفَرَ به بَغياً وحَسَداً، فقلنا له: ويحَك يا فلان، ألستَ بالذي قلتَ لنا فيه ما قلت! قال: بلى، ولكن ليس به[1].

حدثني[2] عاصم بن عمر، عن شيخ من بني قُرَيظة، قال لي: هل تدري عَمّ كان الإسلام لثعلبة بن سَعيَة، وأسيد بن سَعيَة، وأسد بن عُبَيد، نفر من إخوة بني قُرَيظة، كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟ قلت: لا والله، قال: إنّ رجلاً من يهود الشام يقال له ابن التيهان[3] قدِم علينا قبل الإسلام بسنين، فحل بين أظهُرنا، والله ما رأينا رجلاً قطّ لا يصلي الخمسَ أفضل منه، فأقام عندنا فكان إذا قحط عنّا المطر يأمرنا بالصَّدقة ويستسقي لنا، فَوَالله ما يبرح من مجلسه حتى نُسقَى، قد فعل ذلك غير مرَّتين ولا ثلاث، ثم حَضَرَته الوفاة، فلما

---

(١) ابن هشام ١/ ٢١٢.
(٢) ابن هشام ١/ ٢١٣.
(٣) هكذا هو مجود بخط المؤلف، وفي سيرة ابن هشام: «الهَيَّبان».

عرف أنّه ميّتٌ قال: يا معشر يهود ما تَرَوْنَهُ أخرجني من أرض الخَمر والخمير، إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: إنما قدِمتُ أَتَوَكَّفُ خروج نبيٍّ قد أظل زمانُه، وهذه البلدة مُهاجَرُه، فكنت أرجو أن يُبعث فاتبعه، وقد أظَلَّكم زمانه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود، فإنّه يُبعث بسفك الدّماء وسبي الذَّراري والنّساء ممّن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. فلما بُعث محمد ﷺ وحاصر خَيبَر قال هؤلاء الفتية، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قُرَيظَة، والله إنّه للنّبيُّ الذي كان عَهِدَ إليكم فيه ابن التيهان. قالوا: ليس به، فنزل هؤلاء وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم.

وبه، قال ابن إسحاق[1] : وكانت خديجة قد ذكرت لعمها وَرَقة بن نَوفَل، وكان قد قرأ الكتبَ وتنصّر، ما حدّثها مَيسَرَة من قول الرّاهب وإظلال الملَكَين، فقال: لئن كان هذا حقاً يا خديجة إنّ محمداً لَنَبيُّ هذه الأمة، وقد عرفتُ أنّ لهذه الأمة نبيّاً يُنْتَظَر زمانُه، قال: وجعل وَرَقة يستبطىء الأمرَ ويقول: حتى متى، وقال:

لَجِجْتُ وكنتُ في الذِّكرَىٰ لَجُوجاً ... لهمٍّ طالما بعث النَّشِيجا
ووصفٍ من خديجةَ بعد وصفٍ ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكَّتَين على رجائي ... حديثك أن أرى منه خُروجا
بما خبرتِنا من قول قَسّ ... من الرُّهْبان أكره أن يَعُوجا
بأنّ محمداً سيسود قوماً ... ويخْصِم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياءُ نورٍ ... يقيم به البريّة أن تموجا
فَيَلْقَى مَنْ يحاربُه خَساراً ... ويلقى من يسالمه فُلُوجا
فيا لَيْتَني إذا ما كنت ذاكم ... شهدت فكنت أوّلهم وُلُوجا

(١) ابن هشام ١/١٩١.

فإن يَبقَوْا وأبْقَ تَكُنْ أمور   يضجُّ الكافرون لها ضجيجا

وقال سليمان بن مُعاذ الضَّبي، عن سِماك، عن جابر بن سَمُرَة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ بمكة لَحَجَراً كان يسلّم عليَّ ليالي بُعِثتُ إنّي لأعرفه الآن». رواه أبو داود(١).

وقال يحيى بن أبي كثير: حدثنا أبو سَلَمَة، قال: سألت جابراً: أيُّ القرآن أُنزل أوّل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر] أو ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ۝١﴾ [العلق]؟ فقال: ألا أحدثكم بما حدثني به رسول الله ﷺ؟ قال: إني جاورت بحِرَاء شهراً، فلما قضيتُ جواري نزلت فاستَبطنتُ الوادي فنُودِيت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، فلم أر شيئاً، ثم نظرت إلى السَّماء، فإذا هو على عرشٍ في الهواء، يعني المَلَك، فأخذني رجفةٌ، فأتيتُ خديجة، فأمرتهم فدثروني، ثم صبُّوا عليّ الماء، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر].

وقال الزُّهري، عن أبي سَلَمة، عن جابر: سمعت رسولَ الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي، قال: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيٍّ بين السّماء والأرض، فَجُئِثْتُ منه رعباً، فرجعت، فقلت: زمِّلوني فدثّروني، ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر] وهي الأوثان. مُتَّفقٌ عليه(٢). وهو نصّ في أنّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ نزلت بعد فترة الوحي الأول، وهو ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فكان الوحي الأول للنُّبُوّة والثّاني للرسالة.

---

(١) هكذا قال، وما أظنه إلا وهماً، فإن أبا داود لم يخرج هذا الحديث، وإنما أخرجه أحمد ٥/ ٨٩ و٩٥ و ١٠٥، والدارمي ٢٠، ومسلم ٧/ ٥٨، والترمذي (٣٦٢٤).

(٢) البخاري ٦/ ٢٠١، ومسلم ١/ ٩٩.

فأوَّلُ من آمن به خديجة رضي الله عنها

قال عزّ الدين أبو الحسن ابن الأثير[1] : خديجة أوَّلُ خلق الله أسلمَ بإجماع المسلمين، لم يتقدَّمها رجلٌ ولا امرأة.

وقال الزُّهري، وقَتَادة، وموسى بن عُقبة، وابن إسحاق، والواقدي، وسعيد بن يحيى الأموي، وغيرهم: أوَّلُ من آمن بالله ورسوله: خديجة، وأبو بكر، وعليّ.

وقال حسّان بن ثابت وجماعة: أبو بكر أوّل مَن أسلم.

وقال غير واحدٍ: بل عليٌّ.

وعن ابن عباس: فيهما قَولان، لكن أسلم عليٌّ وله عشرُ سنين أو نحوها على الصحيح، وقيل: وله ثمان سنين، وقيل: تسع، وقيل: اثنتا عشرة، وقيل: خمس عشرة، وهو قولٌ شاذّ، فإنَّ ابنه محمداً، وأبا جعفر الباقر، وأبا إسحاق السَّبِيعي وغيرهم، قالوا: تُوُفي وله ثلاث وستون سنة. فهذا يقضي بأنه أسلم وله عشر سنين، حتى إنّ سُفيان بن عُيينَة روى عن جعفر الصادق، عن أبيه، قال: قُتِلَ عليٌّ وله ثمان وخمسون سنة.

وقال ابن إسحاق[2] : أوّل ذَكَرٍ آمن بالله علي رضي الله عنه، وهو ابن عشر سنين، ثم أسلم زيد مولى النبي ﷺ، ثم أسلم أبو بكر.

وقال الزُّهري: كانت خديجة أوّل من آمن بالله، وقبل الرسولُ

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٥٧.
(٢) ابن هشام ١/ ٢٤٥.

رسالةَ ربِّه وانصرف إلى بيته، وجعل لا يمرّ على شجرةٍ ولا صخرةٍ إلا سلَّمت عليه، فلما دخل على خديجة قال: أرأيتُكِ الذي كنت أحدثكِ أنّي رأيته في المنام، فإنه جبريل استعلن لي، أرسله إليَّ ربي، وأخبرها بالوحي. فقالت: أبشِر، فَوَاللهِ لا يفعل الله بكَ إلاخيراً، فاقْبَل الذي جاءك من الله فإنَّه حقّ، ثم انطلقت إلى عدّاس غلام عُتبة بن ربيعة، وكان نصرانياً من أهل نِينَوى فقالت: أُذَكِّركَ الله إلاّ ما أخبرتني، هل عندك عِلمٌ من جبريل؟ فقال عداس: قُدُّوس قُدُّوس. قالت: أخبرني بعِلمِك فيه. قال: فإنّه أمينُ الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب موسى، وعيسى عليهما السلام. فرجعت من عنده إلى ورقة. فذكر الحديث.

وقد رواه ابن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عُروَة بن الزُّبير بنحوٍ منه، وزاد: ففتح جبريل عيناً من ماء فتوضّأ، ومحمد ﷺ ينظر إليه، فوضّأ وجهه ويديه إلى المِرفقين، ومسح رأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم نضح فَرجَه، وسجد سجدتين مواجه البيت، ففعل النبي ﷺ كما رأى جبريلَ يفعل[1] .

---

(١) وانظر ابن هشام ١/ ٢٤٤.

من معجزاته الأُول

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق[١] : حدثني عبدالملك بن عبدالله بن أبي سُفيان بن العلاء بن جارية الثَّقفي، عن بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنُّبوة، كان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلاَّ سلَّم عليه وسمع منه، وكان يخرج إلى حِراء في كلّ عامٍ شهراً من السنة يَنسك فيه.

وقال سِماك بن حرب، عن جابر بن سَمُرة: قال رسول الله ﷺ: «إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلّم عليَّ قبل أن أُبعث». أخرجه مسلم[٢] .

وقال الوليد بن أبي ثور وغيره، عن إسماعيل السُّدِّي، عن عَبَّادَ بن عبدالله، عن عليّ رضي الله عنه، قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شجرٌ ولا جبلٌ إلاّ قال: السّلام عليك يا رسول الله. أخرجه التِّرمذي[٣] ، وقال: غريب.

وقال يوسف بن يعقوب القاضي: حدثنا أبو الرَّبيع، قال: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أَنس بن مالك، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو خارج من مكة، قد خَضَبه أهلُ مكة بالدِّماء، قال: ما لَكَ؟ قال: خضبني هؤلاء بالدِّماء وفعلوا وفعلوا،

(١) ابن هشام ١/ ٢٣٤.
(٢) مسلم ٧/ ٥٨.
(٣) الترمذي (٣٧٠٥).

قال: تريدُ أن أُريكَ آيةً؟ قال: نعم. قال: ادعُ تلك الشجرة. فدعاها رسولُ الله ﷺ، فجاءت تخطُّ الأرضَ حتى قامت بين يديه، قال: مُرْهَا فلترجعْ إلى مكانها. قال: ارجعي إلى مكانكِ فَرَجعَت، فقال رسول الله ﷺ: حسبي. هذا حديث صحيح[1].

وقال ابن إسحاق[2]: حدثني وهْب بن كَيسان، قال: سمعت عبدالله بن الزُّبير يقول لعُبيد بن عُمَير بن قَتَادة اللَّيثي: حَدِّثْنَا ياعُبيدالله[3] عن كيف كان بَدْء ما ابتدىء به رسول الله ﷺ من النُّبوة حين جاءه جبريل. فقال عُبيد بن عُمَير: كان رسول الله ﷺ يجاور في حِراء من كلّ سنة شهراً، وكان ذلك ممّا تتحنّث به قريشٌ في الجاهلية. والتحنُّثَ التبرُّر.

قال ابن إسحاق[4]: فكان يجاور ذلك في كلّ سنة، يطعم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره، كان أول ما يبدأ به الكعبة، فيطوف ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله كرامته، وذلك الشهر رمضان، خرج ﷺ إلى حِراء ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، جاءه جبريل بأمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «جاءني وأنا نائم بنمطٍ من ديباجٍ فيه كتاب، فقال: إقرأ. قلت: ما أقرأ؟ قال: فَغَتَّني[5] به حتى ظننت أنّه الموت، ثم أرسلني فقال: إقرأ. قلت: وما أقرأ؟ فغتَّني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: إقرأ. قلت: وما أقرأ؟ ما أقول ذلك إلاّ افتداءً منه أن يعود لي

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١١٣، والدارمي (٢٣)، وابن ماجة (٤٠٢٨).
(٢) ابن هشام ١/ ٢٣٥.
(٣) هكذا في الأصل، ولعل هذا من خطاب ابن الزبير له، وإلا فاسمه: «عُبيد» حسب.
(٤) ابن هشام ١/ ٢٣٦.
(٥) أي: عصرني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة.

بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾ [العلق]، فقرأتها ثم انتهى عني، وهَبَبت من نومي، فكأنَّما كتبت في قلبي كتاباً». في هذا المكان زيادة، زادها يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق، وهي: ولم يكن في خلق الله أحدٌ أبغض إليَّ من شاعرٍ أو مجنونٍ فكنت لا أطيقُ أنظر إليهما، فقلت: إنَّ الأبعد، يعني نفسه، لشاعرٌ أو مجنون، ثم قلت: لا تَحَدَّثُ عني قريش بهذا أبداً، لأعمدن إلى حالقٍ من الجبل، فلأطرحنّ نفسي فلأستريحنّ، فخرجت حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبل، سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا جبريل في صورة رجلٍ صافٍّ قدميه في أُفق السماء، فقال: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فوقفتُ أنظر إليه، فما أتقدَّمُ ولا أتأخَّرُ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحيةٍ منها إلاّ رأيته كذلك، فما زلت واقفاً حتى بعثت خديجةُ رُسُلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك. ثم انصرف عني، فانصرفت إلى أهلي، حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذِها مضيفاً إليها(١) فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فَوالله لقد بعثتُ رُسُلي في طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا. ثم حَدَّثْتُهَا بالذي رأيتُ، فقالت: أبشِر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسُ خديجة بيده إنّي لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة(٢).

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقتْ إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمها، وكان قد تَنَصَّر وقرأ الكتب، فأخبرته بما رأى وسمع، فقال ورقة: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، والذي نفسي بيده لئن كنتِ صدقت يا

---

(١) أي: ملتصقاً بها.

(٢) ابن هشام١/ ٢٣٧-٢٣٨.

خديجة، لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كانَ يأتي موسى وإنّه لنبيُّ هذه الأمة فقولي له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول وَرَقة، فلما قضى جواره طاف بالكعبة، فلقيه ورقة وهو يطوف فقال: أخبرني بما رأيتَ وسمعت، فأخبره، فقال: والذي نفسي بيده إنك لنبيُّ هذه الأمة، ولقد جاءكَ النّاموسُ الأكبر الذي جاء موسى ولتُكَذَّبُنَّه ولتُؤْذُنَّه ولتُخْرَجُنَّه ولتُقاتَلُنَّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصُرَنَّ الله نصراً يعلمُهُ، ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يافوخَه.

وقال موسى بن عُقبة في «مغازيه»: كان ﷺ فيما بَلَغَنا أوّل ما رأى أنّ الله أراه رؤيا في المنام، فشقَّ ذلك عليه، فذكرها لخديجة، فعصمها الله وشرح صدرها بالتصديق، فقالت: أبشِر. ثم أخبرها أنّه رأى بطنه شُقَّ ثم طُهِّر وغُسِّل ثم أعيد كما كان، قالت: هذا والله خيرٌ فأبشِر. ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة، فأجلسه في مجلس كريم مُعجِب كان النبي ﷺ يقول: أجلسني على بساط كهيئة الدُّرْنوك[1] فيه الياقوت واللُّؤلؤ، فبشره برسالة الله عزّ وجلّ حتى اطمأنَّ.

الذي فيها من شقّ بطنه يُحتَمَل أن يكون أخبرها بما تم له في صِغَره ويُحتَمَل أن يكون شُقَّ مرةً أخرى، ثم شُقَّ مرة ثالثة حين عُرِج به إلى السماء.

وقال ابن بُكَير عن ابن إسحاق، فأنشد ورقة:

إن يَكُ حقّاً يا خديجة فاعلمي ... حديثك إيّانا فأحمد مُرسَلُ
وجبريل يأتيه وميكالُ مَعْهما ... من الله وحيٌ يَشرح الصَّدرَ مُنزَلُ
يفوز به من فاز فيها بتوبة ... ويشقى به العاني الغويُّ المُظَلَّلُ
فسبحان من تَهوي الرّياحُ بأمره ... ومَنْ هو في الأيام ما شاء يَفعَلُ

(١) ستر له خمل.

ومَن عرشهُ فوق السَّماوات كلّها وأقضاؤه في خلقه لا تُبدَّلُ

وقال ابن إسحاق(١) : حدثني إسماعيل بن أبي حَكيم أنّ خديجة قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عم، إن استطعتَ أن تُخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك. قال: «نعم». قال: فلمَّا جاءه قال: «يا خديجة هذا جبريل». قالت: يا ابن عم قُم فاجلس على فخذي اليُسرى، فقام فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاقعد على فخذي اليُمنى. فتحّول فقعد على فخذها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فاجلس في حِجري. ففعل، قالت: هل تراه؟ قال: نعم. فتحسَّرت فألقت خِمَارها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: اثبت وأبشِر فَوَالله إنّه لَمَلَكٌ وما هذا بشيطان. قال: وحدثتُ عبدَالله بنَ حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمّي فاطمةَ بنتَ حسين تحدث هذا الحديث، عن خديجة، إلاّ أنّي سمعتُها تقول: أدخلت رسولَ الله ﷺ بينها وبين دِرعها فذهب عند ذلك جبريل، فقالت: إنَّ هذا لَمَلَكٌ وما هو بشيطان.

وقال أبو صالح: حدثنا اللَّيث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمد بن عبَّاد بن جعفر المخزومي أنّه سمع بعضَ علمائهم يقول: كان أوّل ما أنزل الله على نبيه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق] فقالوا: هذا صدرُها الذي أُنزل على رسول الله ﷺ يوم حِراء، ثم أُنزل آخِرُها بعدُ بما شاء الله.

وقال ابن إسحاق(٢) : ابتُدِىء رسولُ الله ﷺ بالتنزيل في رمضان، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ

(١) ابن هشام ١/ ٢٣٨-٢٣٩.
(٢) ابن هشام ١/ ٢٣٩.

أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْـلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴿٣﴾﴾ [الدخان][1] .

قال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق[2] ، قال: هَمَزَ جبريلُ بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت عينٌ، فتوضّأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صلّى ركعتين ورجع، قد أقرَّ الله عينه، وطابت نفسُه، فأخذ بيد خديجة، حتى أتى بها العينَ فتوضّأ كما توضّأ جبريل، ثم صلّى ركعتين هو وخديجة، ثم كان هو وخديجة يصليان سرّاً، ثم إنّ علياً جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصلّيان فقال عليٌّ: ما هذا يا محمد. فقال: دينٌ اصطفاهُ الله لنفسه وبعث به رُسُله فأدعوكَ إلى الله وحده وكُفرٍ باللاّت والعُزَّى. فقال عليّ: هذا أمر لم أسمعْ به قبلَ اليوم، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أُحَدِّث به أبا طالب. وكره رسولُ الله ﷺ أن يُفشي عليه سِرَّهُ قبل أن يستعلن عليه أمره، فقال له: يا عليّ إنْ لم تُسلم فاكتم، فمكث عليٌّ تلك الليلة ثم أوقع الله في قلبه الإسلام، فأصبح فجاء إلى رسول الله ﷺ، وبقي يأتيه على خوفٍ من أبي طالب، وكَتَم إسلامه.

وأسلم زيد بن حارثة، فمكثا قريباً من شهرٍ، يختلفُ عليٌّ إلى رسولِ الله ﷺ، وكان مما أنعم الله على عليّ أنّه كان في حِجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

وقال سَلَمَة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق[3] : حدثني عبدالله

---

(١) كتب المؤلف في حاشية نسخته إضافة لكنّه تنبه إلى أنها قد مَرّت فكتب قبالتها «مَرّ» وهي: «وقال ابن أبي عدي، عن داود، عن عامر الشعبي، قال: أنزلت النبوة على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين يُعلّمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة».

(٢) وانظر ابن هشام ١/ ٢٤٤.

(٣) ابن هشام ١/ ٢٤٦.

ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، قال: أصابت قريشاً أزمةٌ شديدة، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثيرة، فقال النبي ﷺ للعباس عمه ـ وكان مُوسِراً ـ إنَّ أخاكَ أبا طالب كثير العيال، وقد أصابَ الناسَ ما ترى، فانطلق لنخفف عنه من عياله، فأخذ النبي ﷺ عليّاً، فضَمَّهُ إليه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيّاً فاتبعه عليٌّ وآمن به.

وقال الدَّراوَردِيّ، عن عمر بن عبدالله، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: إنّ أوّل من أسلم خديجة، وأول رجُلَين أسلما أبو بكرٍ وعلي، وإنّ أبا بكر أول من أظهر الإسلام، وإنّ عليّاً كان يكتم الإسلام فَرَقاً من أبيه، حتى لقيه أبوه فقال: أسلَمتَ؟ قال: نعم، قال: وازر ابنَ عمِّك وانصُره. وقال: أسلم علي قبل أبي بكر.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن الحُصَين التميمي أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوةٌ وتردُّد ونظرٌ، إلاّ أبا بكرٍ، ماعتم[1] منه حين ذكرته وما تردد فيه».

وقال إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن أبي ميسرة أنَّ النبي ﷺ كان إذا بَرَزَ، سمع من يناديه، يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هارباً، فأسرَّ ذلك إلى أبي بكر، وكان نديماً له في الجاهلية[2].

---

(١) كتب المؤلف على حاشية نسخته: «تأخر».

(٢) كتب صلاح الدين الصفدي بخطه المليح على حاشية نسخة المؤلف: «بلغت قراءة خليل بن أيبك في الميعاد الثاني، وسمع منه قصة سلمان الفارسي إلى آخره: محصن بن عكاشة».

إسلام السَّابقين الأوَّلينَ

قال ابن إسحاق[1] : ذكر بعضُ أهلِ العلم أنّ رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصّلاةُ، خرج إلى شِعاب مكة ومعه عليٌّ فيُصلّيان فإذا أمسيا رجعا، ثم إنّ أبا طالب عبر عليهما وهما يُصلّيان، فقال للنبي ﷺ: يا ابن أخي ما هذا؟ قال: أي عم هذا دينُ الله ودين ملائكته ورُسُله ودين إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد وأنتَ أي عم أحقُّ مَنْ بذلتُ له النّصيحةَ ودَعَوتُهُ إلى الهُدَى وأحق من أجابني وأعانني. فقال أبو طالب: أي ابنَ أخي لا أستطيعُ أنْ أفارقَ دين آبائي، ولكن والله لا يُخْلَصُ إليكَ بشيءٍ تكرهه ما بقيتُ، ولم يكلِّم عليّاً بشيء يكره، فزعموا أنّه قال: أما إنه لم يَدْعُكَ إلاّ إلى خيرٍ فاتَّبِعه. ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسولِ الله ﷺ، فكان أوّل ذَكَرٍ أسلم، وصلّى بعد عليٍّ رضي الله عنهما.

وكان حكيم بن حِزام قدم من الشام برقيق، فَدَخَلَت عليه خديجة بنت خُوَيلِد فقال: اختاري أيَّ هؤلاء الغِلمان شئتِ فهو لك، فاختارت زيداً، فأخذته، فرآه النبيُّ ﷺ فاستوهبه، فوهبته له، فأعتقه وتبنّاه قبل الوحي، ثم قدِم أبوه حارثة لموجَدَتِه عليه وجَزَعِه فقال النبي ﷺ: «إنْ شئتَ فأقِم عندي، وإنْ شئتَ فانطَلِق مع أبيك»، قال: بل أقيمُ عندكَ، وكان يُدعى زيد بن محمد، فلمّا نزلت ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحزاب] قال: أنا زيد بن حارثة.

---

(١) ابن هشام ١/٢٤٦-٢٤٧.

قال ابن إسحاق[1] : وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه محبَّباً سهلاً، وكان أنسَبَ قريشٍ لقريش، وكان تاجراً ذا خُلُقٍ ومعروف، فجعل لمّا أسلم يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَن وثِق به من قومه، مِمَّنْ يَغشاه، ويجلس إليه، فأسلم بدعائه: عثمان، والزُّبير، وعبدالرحمن بن عَوف، وطلحة بن عُبَيدالله، وسعد بن أبي وقاص، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين أسلموا وصلُّوا، فكان هؤلاء النَّفر الثمانية أوّل من سبق بالإسلام وصلُّوا وصدَّقوا.

ثم أسلم أبو عُبيدة عامر بن عبدالله بن الجرّاح الفهرِي، وأبو سَلَمَة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله المخزومي، والأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبدالله المخزومي، وعثمان بن مظعون الجُمَحِيّ، وأخواه قُدامة وعبدالله، وعُبَيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبدمَناف المطَّلبيّ، وسعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفَيل العَدَوي، وامرأته فاطمة أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وخَبّاب بن الأرَتّ حليف بني زُهرة، وعُمَير بن أبي وقّاص أخو سعد، وعبدالله بن مسعود، وسَلِيط بن عَمرو بن عبد شمس العامريّ، وأخوه حاطب، وعيّاش بن أبي ربيعة بن المُغيرة المخزومي، وامرأته أسماء، وخُنَيس بن حُذافة السَّهميّ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب، وعبدالله وأبو أحمد ابنا جحش بن رئاب الأسدي، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عُمَيس، وحاطب بن الحارث الجُمَحّي، وامرأته فاطمة بنت المُجَلَّل، وأخوه خطّاب، وامرأته فُكَيهة بنت يَسار، ومَعمَر بن الحارث أخوهما، والسّائب بن عثمان بن مَظعون، والمطّلب بن أزهر بن عبد عَوف العَدَوي الزُّهْريّ، وامرأته رَملة بنت أبي عَوف، والنّحّام وهو نُعَيم بن عبدالله بن أسد العدوي، وعامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر، وخالد بن

(١) ابن هشام ١/ ٢٥٠.

سعيد بن العاص بن أميَّة، وامرأته أُمينَة بنت خَلَف، وحاطب بن عَمرو، وأبو حُذَيفة مهشم بن عُتبة بن ربيعة، وواقد بن عبدالله حليف بني عَدِيّ، وخالد، وعامر، وعاقل، وإياس بنو البُكَير حلفاء بني عَدِي، وعمّار بن ياسر حليف بني مخزوم، وصُهَيب بن سِنان النَّمَريّ حليف بني تَيم.

وقال محمد بن عمر الواقدي[1]: حدثني الضَّحاك بن عثمان، عن مَخرَمة بن سليمان الوالبي، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: قال طلحة بن عُبَيدالله: حضرت سوق بُصرَى، فإذا راهب في صَومعته يقول: سلوا أهلَ الموسم، أفيهم أحدٌ من أهل الحَرَم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومَن أحمد؟ قال: ابن عبدالله بن عبدالمطَّلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، مَخرَجُهُ من الحَرَم ومُهاجَره إلى نخلٍ وحَرَّةٍ وسباخ، فإيّاك أن تُسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي، فأسرعت إلى مكة، فقلت: هل من حَدَث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبدالله الأمين تنبّأ، وقد تبعه ابنُ أبي قُحافة، فدخلتُ عليه فقلت: اتَّبعتَ هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطَلِق فاتَّبِعهُ. فأخبره طلحة بما قال الرّاهب، فخرج به حتى دخلا على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسولَ الله ﷺ بذلك، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نَوفل بن خُوَيلد بن العَدَوية فشدَّهما في حبلٍ واحد، ولم تمنعهما بنو تَيم، وكان نَوفل يُدعى «أسد قريش»، فلذلك سُمِّي أبو بكر وطلحة: القَرينَين.

وقال إسماعيل بن مجالد، عن بيان بن بِشر، عن وَبَرة، عن هَمَّام، قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: رأيتُ رسول الله ﷺ وما معه إلاّ خمسة أعبُدٍ وامرأتان وأبو بكر. أخرجه البخاري[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٤-٢١٥.

(٢) البخاري ٥/ ٥-٦.

قلت: ولم يذكر علياً لأنه كان صغيراً ابن عشر سنين.

وقال العباس بن سالم، ويحيى بن أبي كثير، عن أبي أمامة، عن عَمرو بن عبَسَة، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو بمكة مُستَخفِياً، فقلت: ما أنتَ؟ قال: «نبيٌّ». قلت: وما النبيُّ؟ قال: «رسول الله». قلتُ: الله أرسلَكَ؟ قال: «نعم». قلت: بِمَ أرسلَكَ؟ قال: «بأن يُعبد الله وتُكسر الأوثان وتُوصل الأرحام». قلت: نعمَ ما أرسلَكَ به، فمن تَبِعَكَ؟ قال: «حُرّ وعبد»، يعني أبا بكر وبلالاً، فكان عَمرو يقول: لقد رأيتُني وأنا رابع أو رُبع، فأسلمتُ وقلت: أتَّبعُكَ يا رسولَ الله، قال: «لا، ولكن إلحَق بقومك، فإذا أُخبرتَ بأني قد خرجتُ فاتَّبِعني». أخرجه مسلم[1].

وقال هاشم بن هاشم، عن ابن المسيب، أنه سمع سعد بن أبي وقّاص يقول: لقد مكثتُ سبعةَ أيام، وإنّي لَثُلُثُ الإسلام. أخرجه البخاري[2].

وقال زائدة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبدالله، قال: أوّل من أظهر إسلامه سبعة: النبي ﷺ وأبو بكر، وعمّار وأمّه، وصُهَيب، وبلال، والمِقداد. تفرّد به يحيى بن أبي بُكَيْر.

وقال إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن سعيد بن زيد، قال: والله لقد رأيتُني وإنّ عمر لمُوثِقِي وأخته على الإسلام، قبل أن يُسلم عمر، ولو أنّ أُحداً ارفَضَّ للذي صنعتم بعثمان لكان. أخرجه البخاري[3].

---

(١) مسلم ٢/٢٠٨.

(٢) البخاري ٥/٢٨.

(٣) البخاري ٥/٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٩/٢٥.

وقال الطَّيَّالسي في «مُسنده»[1] : حدثنا حمّاد بن سَلَمَة، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبدالله بن مسعود، قال: كنت يافعاً أرعى غنماً لعُقبة بن أبي مُعَيط بمكة فأتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر، وقد فَرَّا من المشركين، فقالا: يا غلام هل عندك لبنٌ تَسقينا؟ قلت: إنّي مُؤْتَمَنٌ ولستُ بساقيكما. فقالا: هل عندك من جَذعَة لم يَنْزُ عليها الفحل؟ قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر، وأخذ النبيُّ ﷺ الضّرع فدعا، فحفل الضّرعُ، وأتاه أبو بكر بصخرةٍ مُنقَعِرةٍ، فحلب فيها، ثم شربا وسقياني، ثم قال للضّرع: «اقلَص»، فقلص فلما كان بعدُ، أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: علِّمني من هذا القولِ الطيب، يعني القرآن فقال: إنّك غلام مُعَلَّم، فأخذتُ من فيه سبعينَ سورة ما ينازعني فيها أحدٌ.

(١) وأخرجه أحمد ١/ ٣٧٩ و ٤٥٣ و ٤٥٧ و ٤٦٢، وانظر المسند الجامع حديث (٩٣٦٢).

فصل في دعوة النبي ﷺ عشيرته إلى الله وما لقي من قومه

وقال جرير، عن عبدالملك بن عُمَير، عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة، قال: لما نَزَلَت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء] دعا النبيُّ ﷺ قريشاً، فاجتمعوا فعَمَّ وخَصَّ، فقال: «يا بني كعب بن لُؤَي أنقِذوا أنفسكم من النار، يابني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مَناف أنقِذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقِذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقِذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أنّ لكم رَحِماً سأبلُّها ببَلالها». أخرجه مسلم[1] عن قُتَيبة وزهير، عن جرير، واتّفقا عليه[2] من حديث الزُّهري، عن ابن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة.

وقال سُليمان التَّيمي، عن أبي عثمان، عن قَبيصة بن المُخَارق، وزُهير بن عَمرو، قالا: لمّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء] انطلق رسولُ الله ﷺ إلى رَضمَةٍ من جبل، فَعلاها ثم نادى: يا بني عبد مناف، إنّي نذير، إنّما مَثَلي ومَثَلُكُم كَمَثَلِ رَجُلٍ رأى العدوّ فانطَلَقَ يَربَأُ أهلَه[3]، فخشي أن يسبِقُوه فهتف: يا صَبَاحَاه. أخرجه

(١) مسلم ١/ ١٣٣.

(٢) البخاري ٦/ ١٤٠، ومسلم ١/ ١٣٣.

(٣) كتب المصنف بخطه في حاشية نسخته: «يربأُ أهله: يحفظهم».

مسلم[1].

وقال يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق: حدثني من سمع عبدالله بن الحارث بن نَوفل، واستكتمني اسمه، عن ابن عباس، عن عليّ، قال: لمّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] قال رسول الله ﷺ: عرفت أنّي إنْ بادَأتُ قومي رأيت منهم ما أكره، فصَمتُّ عليها، فجاءني جبريل فقال: يا محمد إنّك إنْ لم تفعل ما أمرك به ربُّك عذّبك. قال عليُّ: فدعاني فقال: يا عليّ إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فعرفت أنّي إنْ بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره، فصمتُّ، ثم جاءني جبريل فقال: إنْ لم تفعل ما أُمرت به عذّبك ربُّك، فاصنع لنا يا عليّ رِجلَ شاةٍ على صاعٍ من طعام وأعد لنا عُسَّ[2] لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب». ففعلت، فاجتمعوا له، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فقدّمت إليهم تلك الجَفنَة فأخذ رسول الله ﷺ منها حُذْية، فشقّها بأسنانه، ثم رمى بها في نواحيها وقال: كُلُوا باسم الله. فأكل القوم حتى نَهلُوا عنه ما نرى إلاّ آثار أصابعهم، والله إنْ كان الرجل منهم يأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: «اسقِهم يا علي». فجئت بذلك القَعب، فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وايْمُ الله إنْ كان الرجل منهم لَيَشرب مثله، فلما أراد النبي ﷺ أن يتكلّم بَدَرَهُ أبو لَهَب فقال: لَهَدَّما[3] سَحَرَكم صاحبُكم. فتفرّقوا ولم يكلِّمهُم، فقال لي النبي ﷺ من الغد: «عُدْ لنا يا علي بمثل ما صنعتَ بالأمس». ففعلتُ وجمعتُهم، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا، وشربوا من ذلك

---

(١) مسلم ١/ ١٣٤.
(٢) أي: قدحاً كبيراً من اللبن.
(٣) كلمة يُتَعَجَّبُ بها.

القَعب حتى نهلوا، فقال النبي ﷺ: «يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلمُ شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة».

قال أحمد بن عبدالجبار العُطاردي: بلغني أنّ ابن إسحاق إنّما سمعه من عبدالغفار بن القاسم أبي مريم، عن المِنهال بن عَمرو، عن عبدالله بن الحارث.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: فكان بين ما أخفى النبيُّ ﷺ أمره إلى أنْ أُمِرَ بإظهاره ثلاثُ سنين.

وقال الأعمش، عن عَمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] ورهطك منهم المخلصين خرج رسولُ الله ﷺ حتى صَعِدَ الصَّفا فهتف؛ يا صباحاه. قالوا: مَنْ هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرايتُكم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكُنْتُم مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: ما جَرَّبنا عليكَ كَذِباً، قال: «فإنّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد» فقال أبو لَهَبٍ: تبّاً لك، ألِهذا جمعتنا. ثم قام، فنزلت «تبَّتْ يَدا أبي لهب وقد تب» كذا قرأ الأعمش. متفق عليه[1] إلا «وقد تب» فعند بعض أصحاب الأعمش، وهي في صحيح مسلم[2].

وقال ابن عُيَينَة: حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تَدْرس، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴿١﴾﴾ [المسد] أقبلت العَوراء أمُّ جميل بنت حرب، ولها ولوَلة، وفي يدها فِهر[3] وهي تقول:

(١) البخاري ٢/ ١٢٩ و٤/ ٢٢٤ و٦/ ١٤٠ و٢٢١ و٢٢٢، ومسلم ١/ ١٣٤.
(٢) مسلم ١/ ١٣٤.
(٣) أي: حجر.

مُذَمّماً أبَينا   ودِينَه قَلَيْنا   وأمْرَهُ عصَيْنا

والنبي ﷺ في المسجد، فقال أبو بكر: يا رسول الله قد أقبلَت وأخافُ أنْ تراكَ. قال: إنّها لن تراني، وقرأ قرآناً فاعتصم به وقرأ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الإسراء] فوقفتْ على أبي بكر، ولم تر النبيَّ ﷺ فقالت: إنّي أُخبرتُ أنّ صاحبَك هجاني، فقال: لا وَرَبِّ هذا البيت ما هجاك، فَوَلَّت وهي تقول: قد عَلِمَت قريشُ أنّي ابنة سيّدها.

روى نحوه عليّ بن مُسهر، عن سعيد بن كثير، عن أبيه، عن أسماء.

وقال أبو الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «انظروا قريشاً كيف يصرف الله عني شَتْمهم ولَعنهم، يشتمون مُذَمَّماً ويلعنون مذَمَّماً، وأنا محمد». أخرجه البخاري[١] .

وقال ابن إسحاق[٢] : وفشا الإسلامُ بمكةَ ثم أمر الله رسولَهُ فقال: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر] وقال: ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الحجر] قال: وكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ إذا صلّوا ذهبوا في الشِّعاب واسْتَخْفُوا بصلاتِهم من قومهم، فبينا سعدُ بن أبي وقّاص في نَفَرٍ بشِعبٍ، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يصلُّون فناكروهم وعابوا عليهم وقاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي بعيرٍ فشجَّه، فكان أوّلَ دمٍ في الإسلام، فلما بادىء رسول الله ﷺ قومَه وصدع بالإسلام، لم يُبْعد منه ولم يردُّوا عليه ـ فيما بلغني ـ حتى عابَ آلهتَهم، فأعظَمُوه وناكَرُوه وأجمَعُوا خِلاَفَه وعَداوته، فحدَب عليه

---

(١) البخاري ٤/ ٢٢٥.

(٢) ابن هشام ١/ ٢٦٢-٢٦٣.

عمُّه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، فلمّا رأت قريش أنّ محمداً ﷺ لا يُعتِبهم من شيءٍ أنكروه عليه، ورأوا أنَّ عمّه يمنعه مشوا إلى أبي طالبٍ فكلَّموه، وقالوا: إمّا أنْ تَكُفَّه عن آلهتنا وعن الكلام في ديننا، وإمّا أن تُخلي بينَنا وبينه. فقال لهم قولاً رفيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا. ثم بعد ذلك تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثَرَت قريش ذِكرَ رسولِ الله ﷺ، وحضَّ بعضُهم بعضاً عليه، ومشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا: إنّ لك نسَباً وشَرَفاً فينا، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنهَه عنا، وإنّا والله ما نصبر على شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا حتى تكُفَّه أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتى يهلك أحدُ الفريقين. ثم انصرفوا عنه، فعظُمَ على أبي طالب فِراقُ قومه وعداوته لهم، ولم يَطِبْ نفساً أن يُسلم رسولَ الله ﷺ لهم ولا أن يَخذُلَه.

وقال يونس بن بُكير، عن طلحة بن يحيى بن عُبَيد الله، عن موسى ابن طلحة قال: أخبرني عَقِيلُ بن أبي طالب، قال: جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: إنّ ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا، فانهَهُ عنّا، فقال: يا عَقِيل انطَلِق فائتني بمحمد. فانطلقتُ إليه فاستخرجتُه من حِفش أو كِبس ـ يقول: بيت صغير ـ، فلمّا أتاهم قال أبو طالب: إنّ بني عمّكَ هؤلاء قد زعموا أنّك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانتَهِ عن أذاهم. فحلَّق رسولُ الله ﷺ ببصره إلى السّماء، فقال: «أترون هذه الشمسَ»؟ قالوا: نعم، قال: «فما أنا بأقدر على أنْ أدَعَ ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شُعلةً». فقال أبو طالب: والله ما كَذَبَنا ابنُ أخي قَطُّ فارجعوا. رواه البخاري في «التاريخ»[1] عن أبي كُرَيب، عن يونس.

وقال ابن إسحاق[2] : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة أنّ قريشاً

---

(١) التاريخ الكبير ٧/ ٥١.

(٢) ابن هشام ١/ ٢٦٦.

حين قالت لأبي طالب ما قالوا، بعث إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنَّ قومكَ قد جاءوا إليَّ فقالوا: كذا وكذا، فأبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تُحَمِّلني من الأمرِ ما لا أُطيقُ. فظنَّ رسولُ الله ﷺ أنّه قد بدا لعمّه بَدَاء وأنّه خاذله ومُسلِمه، فقال: «يا عمّ لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في شمالي على أنْ أتركَ هذا الأمرَ حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركتُه»، ثم استعبر رسولُ الله ﷺ ثم قام، فلمّا ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي. فأقبلَ إليه فقال: اذهب فقُل ما أحببتَ فَوَالله لا أُسلِمُك أبداً.

قال ابن إسحاق فيما رواه عنه يونس: ثم قال أبو طالب في ذلك شعراً.

والله لـن يصِلـوا إليـك بجمعهـم ... حتـى أُوَسَّـد فـي التُّـراب دَفِينـا
فامضِ لأمركَ ما عليكَ غَضَاضَةٌ ... أبشِـرْ وقـرَّ بـذاك منـك عيـونـا
ودعوتَني وزعمت أنّك ناصحي ... فلقد صدقت، وكنت قِدماً أمينا
وعرضـتَ دِينـاً قـد عـرفـتُ بأنـهُ ... مـن خيـر أديـان البَـرِيَّـة دِينـا
لـولا الملامـةُ أو حَـذَارِي سُبَّـةً ... لَـوَجَـدتَنـي سَمحـاً بـذاك مُبينـا

وقال الحارث بن عُبَيد: حدثنا الجُرَيْري، عن عبدالله بن شقيق، عن عائشة، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُحرس حتى نزلت ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ۝٦٧﴾ [المائدة] فأخرجَ رأسه من القُبَّة فقال لهم: «أيّها النّاس انصرِفوا فقد عَصَمني الله».

وقال محمد بن عَمرو بن علقمة، عن محمد بن المُنكَدِر، عن ربيعة ابن عبّاد الدُّؤليّ، قال: رأيت النّبي ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع النّاسَ في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجلٌ أحوَل تقدّ وجنتاه، وهو يقول: لا يَغُرَّنَّكُم عن دِينِكُم ودينِ آبائكم. قلتُ: مَن هذا؟ قالوا: أبو لَهَب.

وقال عبدالرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن ربيعة بن عباد من بني الدِّيل، وكان جاهلياً فأسلم، أنه رأى النبي ﷺ بذي المَجَاز، وهو يمشي بين ظَهرَاني الناس يقول: «يا أيها الناسُ قُولوا لا إله إلاّ الله تُفلحوا، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[1] ووراءه أبو لهبٍ. فذكر الحديث. قال ربيعة: وأنا يومئذ أزفرُ القِربةَ لأهلي.

وقال شُعبة، عن الأشعث بن سُلَيم، عن رجلٍ من كنانة، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوق ذي المجاز، وهو يقول: «قولوا لا إله إلاّ الله تُفلحوا». وإذا خلفه رجلٌ يَسفي عليه التُّرابَ، فإذا هو أبو جهل ويقول: لا يَغُرَّنَّكُم هذا عن دينكم، فإنّما يريدُ أنْ تتركوا عبادةَ اللاّت والعُزَّى. إسناده قويّ.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: حدثني نُعَيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّرُ محمدٌ وجهَهُ بين أظهُرِكُم؟ قيل: نعم، فقال: واللاّت والعُزَّى لئِن رأيتُهُ يفعل ذلك لأطَأنَّ على رقبته ولأعفِّرنَّ وجهَهُ. فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي لِيَطَأ على رَقَبَتِهِ، فما فَجَأهُم منه إلاّ وهو يَنكُصُ على عقبَيه ويتَّقي بيدَيه، فقيل له: ما لَكَ؟ قال: إنّ بيني وبينه لَخَندقاً من نار. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختَطَفَتْهُ الملائكة عضواً عضواً». أخرجه مسلم[2].

وقال عِكرِمة، عن ابن عباس: قال أبو جهل: لَئِن رأيتُ محمداً يصلي عند الكعبة لاطَأنَّ عنُقَهُ. فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعلَ لأخذَتْهُ الملائكةُ عِياناً». أخرجه البخاري[3].

---

(١) هكذا بخط المؤلف مرتين وهو الصواب إن شاء الله تعالى.

(٢) مسلم ٨/ ١٣٠.

(٣) البخاري ٦/ ٢١٦.

وقال محمد بن إسحاق(١) : ثم إنّ قريشاً أتوا أبا طالب فقالوا: يا أبا طالب هذا عُمارة بن الوليد أنهدُ فتىً في قريش وأجمله، فَخُذهُ فلكَ عَقلُه ونُصرته واتّخِذه ولداً فهو لك، وأَسلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الذي قد خالف دِينكَ ودينَ آبائك نقتله، فإنّما رجلٌ كرجل. فقال: بئس والله ما تسومونني، أَتُعطُوني ابنكم أغْذُوهُ لكم، وأُعطيكم ابني تَقتُلُونه! هذا والله ما لا يكونُ أبداً. فقال المُطعِم بن عَدِي بن نوفل بن عبد مَناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك وشهدوا(٢) على التخلُّص مما تكره، فما أراك تريد أنْ تقبلَ منهم شيئاً. فقال: والله ما انصفوني ولكنّك قد أجمعتَ خذلاني ومظاهرةَ القوم عليّ، فاصنعْ ما بَدَا لك. فَحَقَب الأمرُ، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، فقال أبو طالب:

ألا قُل لعَمرو والوليد ومُطعم ألا ليت حظّي من حياطتكم بَكرُ(٣)
من الخُور حَبحَابٌ(٤) كثير رُغَاؤه يرَشُّ على الساقين من بَوله قَطرُ
أرى أخَوَينا من أبينا وأُمّنا إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمرُ
أَخُصُّ خصوصاً عبدَ شمسٍ ونَوفَلاً هما نَبَذَانا مثلما يُنبَذُ الجَمرُ

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر، منذ بضعٍ وأربعين سنة، عن عِكرِمة، عن ابن عباس في قصّة طويلة جرت بين المشركين وبين النبي ﷺ، فلما قام عنهم قال أبو جهل: يا معشرَ قريش إنّ محمداً قد أبى إلّا ما ترون من عَيب دِيننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسبِّ آلهتنا، وإنّي أعاهدُ الله لأجلسنَّ له غداً بحجر، فإذا سجد فَضختُ به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مَناف ما بدا لهم.

---

(١) ابن هشام ١/٢٦٦-٢٦٧.
(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي السيرة: «وجهدوا».
(٣) أي: الفتي من الإبل.
(٤) الحبحاب: الصغير.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً وجلس، وأتى النبيُّ ﷺ فقام يصلي بين الرُّكنين الأسود واليَماني، وكان يصلي إلى الشام، وجلست قريش في أنديتها ينظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجرَ ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع مرعوباً منتقعاً لونُه، قد يبست يداه على حجره، حتى قذف به من يده، وقامت إليه رجالُ قريش فقالوا: ما لَكَ يا أبا الحَكَم؟ فقال: قمتُ إليه لأفعل ما قلتُ لكم فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فَحلٌ من الإبلِ، والله ما رأيتُ مثلَ هامته ولا قصَرَتِه[1] ولا أنيابه لفحلٍ قَطّ، فهمَّ أنْ يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذُكرَ لي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ذاك جبريل عليه السلام لو دَنا مني لأخَذَه[2].

وقال المُحَاربي وغيره، عن داود بن أبي هند، عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: مرّ أبو جهل بالنبيِّ ﷺ وهو يصلي، فقال: ألم أَنهكَ عن أنْ تصلي يا محمد؟ لقد علمتَ ما بها أحدٌ أكثر نادياً مني. فانتهره النبيُّ ﷺ، فقال جبريل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق]. والله لو دعا نادِيَه لأخذَته زبانية العذاب.

وقال البيهقي[3]: أخبرنا الحاكم، قال: أخبرنا محمد بن علي الصَّنعاني بمكة، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبدالرزاق، عن مَعمَر، عن أيّوب، عن عكرِمة، عن ابن عباس أنّ الوليد ابن المُغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهلٍ، فأتاه فقال: يا عم إنَّ قومكَ يرون أنْ يجمعوا لك مالاً. قال: لِمَ؟ قال: ليُعطُوكَ فإنّك أتيتَ محمداً لتعرّضَ لِما قِبَله. قال: قد عَلِمَتْ

(١) القَصَرَة: العنق.
(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٩.
(٣) دلائل النبوة ٢/ ١٩٨-١٩٩.

أنّي من أكثرها مالاً. قال: فَقُل فيه قولاً يبلُغُ قومكَ أنّكَ مُنكِرٌ لها، أو أنّك كارهٌ له. قال: وماذا أقول؟ فَوَالله ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالأشعار مني، ولا أعلم برَجزه ولا بقصيدته مني، ولا بأشعار الجِنّ، والله ما يُشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوةً، وإنّ عليه لطَلاوةً، وإنّه لمُثمِرٌ أعلاه، مغدِقٌ أسفلُه، وإنه لَيَعلو وما يُعلى، وإنّه ليَحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومُكَ حتى تقولَ فيه. قال: فَدَعني حتى أُفكِّرَ فيه. فلما فَكَّرَ قال: هذا سِحرٌ يُؤثَر، يأثَرُه عن غيره، فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ ﴾ [المدثر] يعني الآيات. هكذا رواه الحاكم موصولاً. ورواه مَعمَر، عن عَبّاد بن منصور، عن عكرمة مُرسلاً. ورواه مختصراً حماد بن زيد، عن أيوب، عن عِكرمة مُرسلاً.

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس أنّ الوليد بن المُغيرة اجتمع ونفرٌ من قريش، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وقد حضر الموسمُ، فقال: إنَّ وفودَ العرب ستقدمُ عليكم فيه، وقد سمعوا بأمرِ صاحبكم فأجمَعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيُكذِّب بعضُكم بعضاً. قالوا: فقُل وأقِم لنا رأياً. قال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع. قالوا: نقول كاهن. فقال: ما هو بكاهنٍ، لقد رأيت الكُهان، فما هو بزمزمة الكاهن وسحره[1]. فقالوا: نقولِ مجنون. فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قال: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشِّعرَ برَجزه وهَزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشِّعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، قد رأينا السُّحارَ وسحرَهم، فما هو بِنَفثه ولا عقده. فقالوا: ما

(١) هكذا بخط المؤلف، وفي سيرة ابن هشام - وهي عن رواية البكائي-: «وسجعه».

تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنّ لقوله حَلاوة وإنّ أصله لَغَدِق وإنّ فرعه لَجَنيّ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلاّ عُرِفَ أنّه باطلٌ، وإنّ أقربَ القولِ أنْ نقول ساحر يفرّق بين المرء وبين ابنه وبين المرء وبين أخيه وبين عشيرته. فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدِموا الموسم، لا يمرُّ بهم أحد إلاّ حذَّروه. فأُنزل في الوليد: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المدثر] وأنزل الله في الذين كانوا معه: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الحجر] أي: أصنافاً، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر].

وقال ابن بُكَير، عن ابن إسحاق، عن رجلٍ، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، قال: قام النَّضر بن الحارث بن كَلَدَة العَبدَرِي، فقال: يا معشر قريش، إنّه والله لقد نزل بكم أمرٌ ما ابتُلِيتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشَّيب، وجاءكم بما جاءكم، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، ولا بكاهن، ولا بشاعر، قد رأينا هؤلاء وسمعنا كلامهم، فانظروا في شأنكم. وكان النَّضر من شياطين قريش، ممّن يؤذي رسولَ الله ﷺ وينصبُ له العداوة.

وقال محمد بن فُضَيل: حدثنا الأجلح، عن الذَّيّال بن حَرملة، عن جابر بن عبدالله، قال: قال أبو جهل والملأ من قريش: لقد انتشر علينا أمرُ محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكَهانة والشِّعر، فكلَّمه ثم أتانا ببيانٍ من أمره. فقال عُتبة: لقد سمعت بقول السَّحَرة[1] والكهانة والشِّعر، وعلمت من ذلك عِلماً، وما يخفى عليَّ إنْ كان كذلك. فأتاه، فلمّا أتاه قال له عُتبة: يا محمد أنت خيرٌ أم هاشم، أنت

---

(١) هكذا بخط المؤلف، وقد ضبب على التاء لأن السياق: «السحر»، لكنه نقل الخبر كما هو، وهي كذلك «السحرة» في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٠٣).

خيرٌ أم عبدالمطَّلب، أنت خيرٌ أم عبدالله؟ فلم يُجبه، قال: فَبِمَ تشتم آلهتنا وتضلِّل آباءنا، فإنْ كنتَ إنّما بك الرياسة عقدنا لك ألويتنا، فكنت رأسنا ما بقيتَ، وإنْ كان بك الباءة زَوَّجناك عَشرَ نِسْوَةٍ تختارُ من أيِّ أبياتِ قريشٍ شئتَ، وإنْ كان بك المالُ جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به أنتَ وعقِبك من بعدك، ورسول الله ﷺ ساكتٌ، فلمّا فرغ قال رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت] فقرأ حتى بلغ ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت] فأمسك عُتبة على فيه، وناشده الرَّحِمَ أن يكفَّ عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبسَ عنهم، فقال أبو جهل: يا مَعشَرَ قريش والله ما نرى عُتبة إلاّ قد صَبأَ إلى محمد، وأعجبه طعامه، وما ذاك إلاّ من حاجةٍ أصابته، انطَلِقوا بنا إليه. فأتوه، فقال أبو جهل: والله يا عُتبة ما حسِبنا إلاّ أنّك صبوتَ، فإنْ كانت بك حاجةٌ جمعنا لك ما يُغْنيك عن طعام محمد. فغضب وأقسم بالله لا يكلِّم محمداً أبداً، وقال: لقد علمتم أنّي من أكثر قريش مالاً ولكنّي أتيته، فقصّ عليهم القصّة، فأجابني بشيءٍ والله ما هو بسحرٍ ولا شعرٍ ولا كهانة، قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ حتى بلغ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت] فأمسكتُ بفِيهِ، وناشَدتُهُ الرحم أن يكفَّ، وقد علِمتم أنّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفتُ أنْ ينزلَ بكم العذاب. رواه يحيى ابن مَعِين عنه(١) .

وقال داود بن عَمْرو الضَّبِّي: حدثنا المثنَّى بن زُرعة، عن محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: لما قرأ النبي ﷺ على عُتبَة بن ربيعة ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ أتى أصحابه فقال لهم: يا

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٣-٢٠٥.

قوم أطيعوني في هذا اليوم واعصُوني فيما بعده، فَوَالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أُذُناي قطّ كلاماً مثله، وما دريتُ ما أردُّ عليه.

ابن إسحاق[1]: حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القُرظِي، قال: حدِّثتُ أنّ عُتبة بن ربيعة، لما أسلم حمزة قالوا له: يا أبا الوليد كلِّم محمداً. فأتاه فقال: يا ابن أخي إنّك منّا حيث علِمتَ من البسطة والمكان في النَّسَب، وإنّك أتيتَ قومَكَ بأمرٍ عظيم، فرَّقتَ به بينهم، وسفَّهتَ أحلامَهم، وعبت به آلهتهم، فاسمع منّي. قال: قل يا أبا الوليد. قال: إنْ كنت تريد مالاً جمعنا لك، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإنْ كنت تريد شَرَفاً سوَّدناك وملَّكناك، وإنْ كان الذي يأتيك رئيّاً طلبنا لك الطِّبّ. حتى إذا فرغ قال: فاسمع منّي. قال: أفعل. قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ومضى، فأنصت عُتبة، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، فلمّا انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السَّجدة سجد، ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد فأنتَ وذاك. فقام إلى أصحابه، فقال بعضهم: نحلفُ والله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس قالوا: ما وراءك؟ قال: ورائي أنّي سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، خَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننَّ لقوله نبأ، فإنْ تُصِبه العرب فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإنْ يظهر على العرب، فمُلكُه مُلكُكم، وعزُّه عزُّكم، وكنتم أسعدَ الناس به. قالوا: سَحَرَك والله بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بَدَا لكم.

---

(١) ابن هشام ١/ ٢٩٣.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[1] : حدثني الزُّهري. قال: حُدِّثت أنّ أبا جهل، وأبا سُفيان، والأخنس بن شَريق خرجوا ليلةً يلتمسون يتسمَّعُون من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في جوف بيته، وأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً، وكلاًّ لا يعلم بمكان صاحبه، فلما أصبحوا تفرّقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا وقالوا: لا نعود فلو رآنا بعض السُّفهاء لوقع في نفسه شيء، ثم عادوا لمثل ليلتهم، فلما تفرقوا تلاقوا فتلاوموا كذلك، فلمّا كان في الليلة الثالثة وأصبحوا جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لا يعودوا، ثم إنّ الأخنس بن شَرِيق أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يُراد بها. فقال الأخنس: وأنا والذي حلفتَ به. ثم أتى أبا جهل فقال: ما رأيك؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مَناف الشَّرفَ، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرّكب، وكنّا كَفَرَسَي رهان، قالوا: منّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه. فقام الأخنس عنه.

وقال يونس بن بُكَير، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلَم، عن المُغيرة بن شُعبة، قال: إنّ أول يومٍ عرفتُ رسولَ الله ﷺ أنّي أمشي أنا وأبو جهل، إذ لَقِيَنَا رسولُ الله ﷺ فقال لأبي جهل: يا أبا الحَكَم هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله. فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت مُنتَهٍ عن سَّبّ آلهتنا، هل تريد إلاّ أنْ نشهد أنْ قد بلّغتَ، فَوَالله لو أني أعلم أنّ ما تقول حقاً ما اتّبعتُكَ. فانصرف رسول الله ﷺ، وأقبل عليَّ فقال: والله إنّي لأعلمُ أنَّ ما يقول حقّ، ولكنَّ بني قصي قالوا: فينا الحِجابة، فقلنا: نعم، فقالوا: ففينا النَّدوة، قلنا: نعم، ثم قالوا: فينا

(١) ابن هشام ١/ ٣١٥.

اللّواء، فقلنا: نعم، وقالوا: فينا السِّقاية، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منّا نبيٌّ. والله لا أفعل.

وقال ابن إسحاق[1] : ثم إنَّ قريشاً وثبت كلّ قبيلة على مَنْ أسلم منهم يعذّبونهم ويفتنونهم عن دينهم، فمنع اللهُ رسولَهُ ﷺ بعمه أبي طالب، فقام أبو طالب فدعا بني هاشم وبني عبدالمطلب إلى ما هو عليه من منع رسولِ الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، إلاّ ما كان من الخاسر أبي لَهَب، فجعل أبو طالب يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضلَ محمد ﷺ، وقال في ذلك أشعاراً، ثم إنّه لما خشي دَهماء العرب أن يركبوه مع قومه، لمّا انتشر ذِكرُهُ قال قصيدته التي منها:

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهم ... وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوةِ والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العدوِّ المُزايلِ
صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ سمحةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تراث المقاوِلِ
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل
أعوذُ بربِّ الناس من كل طاعنٍ ... علينا بسوء أو مُلحٍّ بباطلِ

وفيها يقول:

كذبتم وبيتِ الله نُبزَى محمداً ... ولَمَّا نُطاعِن دونه ونُنَاضل
ونُسلمه حتى نُصَرَّعَ حوله ... ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم نحوكم غير عزل ... ببيضٍ حديث عهدها بالصَّياقِلِ
وأبيضَ يُستَسقَى الغمامُ بوجهه ... ثِمالُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ
يلوذ به الهُلاَّكُ من آل هاشم ... فهم عنده في رحمةٍ وفواضلِ
لعَمري لقد كلفتُ وجداً بأحمدَ ... وإخوته دأبَ المُحبِّ المُوَاصِلِ
فمن مثلُهُ في الناس أي مُؤَمَّل ... إذا قاسه الحكامُ عند التفاضلِ

---

(1) ابن هشام ١/ ٢٧٢.

حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافلِ
فَوَالله لولا أن أجيء بسُبَّة ... تُجَرُّ على أشياخنا في المحافلِ
لكُنَّا اتّبعناهُ على كلّ حالةٍ ... من الدَّهر جداً غير قَول التهازلِ
لقد علموا أنّ ابننا لا مُكَذَّبٌ ... لدينا ولا يُعنَى بقَول الأباطلِ
فأصبح فينا أحمدٌ ذو أرومة ... يقصِّر عنها سَورة المتطاولِ
حَدِبْتُ بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذُّرى والكلاكلِ
جزى الله عنّا عبدَ شمسٍ ونَوفَلاً ... عقوبةَ شرٍّ عاجلاً غيرَ آجلِ

فلما انتشر ذِكرُ رسولِ الله ﷺ بين العرب ذُكر بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذُكِرَ، وقبل أن يُذكَرَ، من الأوس والخَزرَج، وذلك لِما كانوا يسمعون من الأحبار، وكانوا حلفاء، يعني اليهود في بلادهم. وكان أبو قيس بن الأسلت يحب قريشاً، وكان لهم صِهراً، وعنده أرنب ابنةُ أسد بن عبدالعُزَّى، وكان يقيم بمكة السِّنين بزوجته، فقال:

أيا راكباً إمّا عَرضتَ فَبَلِّغَن ... مغلغلة عنّي لُؤيَّ بنَ غالبِ
رسول امرئٍ قد راعَه ذات بينكم ... على النأي محزون بذلك ناصبِ
أعيذكمُ بالله من شرّ صُنعكم ... وشَرّ تباغيكم ودَسّ(1) العقاربِ
متى تبعثوها، تبعثوها ذَميمةً ... هي الغول للأقصين أو للأقاربِ
أقيموا لنا ديناً حنيفاً، فأنتمُ ... لنا غاية قد نهتدي بالذّوائبِ
فقوموا، فصلُّوا ربّكم، وتمسَّحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشبِ
فعندكُمُ منه بلاءٌ مَصْدَقٌ ... غداةَ أبي يَكسومَ هادي الكتائبِ
فلمّا أتاكم نصرُ ذي العرش ردّهم ... جنودُ المليك بين سافٍ وحاصبِ
فولُّوا سراعاً هاربين ولم يَؤُبْ ... إلى أهله ملجيش غير عصائبِ

---

(١) كتب المصنف بخطه في حاشية نسخته: «ودوس» أي أنها كذلك في رواية أخرى.

أبو يَكسُوم: ملِكُ أصحاب الفيل.

وقال ابن إسحاق[1] : فحدثني يحيى بن عُروة بن الزُّبير، عن أبيه، عن عبدالله بن عَمرو، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت أصابت قريشُ من رسولِ الله ﷺ فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟ قال: حضرتُهُم وقد اجتمع أشرافهُم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسولَ الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قطّ، قد سفَّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وفعل وفعل. فطلع عليهم رسول الله ﷺ، فاستلم الركنَ وطاف بالبيت، فلما مرّ غمزوه ببعض القول، فعرفتُ ذلك في وجهه، فلمّا مرّ الثانية غمزوه، فلمّا مرّ الثالثة غمزوه، فوقف، فقال: أتسمعون يا معشَر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذَّبْح. قال: فأخذتِ القومَ كلمتُه حتى ما فيهم رجلٌ إلاّ كأنَّ على رأسه طائراً واقع، حتى إنّ أشدَّهم فيه وطأة ليرفؤه[2] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنّه ليقول: انصرفْ يا أبا القاسم، فَوَالله ما كنت جَهُولاً. فانصرف ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحِجْر، وأنا معهم، فقال بعضُهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينا هم في ذلك، إذ طلع النبي ﷺ فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحدٍ، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ فيقول: «نعم»، فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، فقام أبو بكر دونهم يبكي ويقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر] ثم انصرفوا عنه، فحدثني بعض آل أبي بكر، أن أمّ كلثوم بنت أبي بكر قالت: لقد رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صَدَعوا فَرْقَ رأسه مما جَذَبُوه بلحيته، وكان كثير الشَّعر.

---

(١) ابن هشام ١/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) أي: يُهدِّئه ويُسَكّنه.

إسلام أبي ذَرّ رضي الله عنه

وقال سُليمان بن المغيرة: حدثنا حُمَيد بن هلال، عن عبدالله بن الصّامت قال: قال أبو ذَرّ: خرجنا من قومنا غِفار، وكانوا يُحِلُّون الشهرَ الحرام، فخرجتُ أنا وأخي أنيس وأُمّنا، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذي مالٍ وهيئةٍ فأكرَمَنا، فَحَسَدنا قومُهُ، فقالوا: إنّك إذا خرجت عن أهلك خالَفَ إليهم أُنَيسٌ. فجاء خالُنا فَنَثَا[١] علينا ما قيل له. فقلت له: أمّا ما مضى من معروفك، فقد كدَّرتَه ولا جِماعَ لك فيما بعد، فقرَّبنا صِرمَتَنا[٢] فاحتملنا عليها، وتغطّى خالُنا ثوبه، فجعل يبكي، فانطلقنا فنزلنا بحضرة مكة، فَنَافَرَ[٣] أُنَيس عن صِرمَتنا وعن مثلها، فأتينا الكاهنَ فخيَّرَ[٤] أُنَيساً، فأتانا بصِرمتنا ومثلها معها. قال: وقد صلَّيت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسولَ الله ﷺ بثلاث سنين، فقلت: لِمَن؟ قال لله. قلت: فأين توجّه؟ قال: أتَوَجَّه حيث يوَجِّهني الله أصلي عِشاءً، حتى إذا كان من آخر الليل أُلقيتُ كأني خِفاءٌ ـ يعني الثَوب ـ حتى تَعْلوني الشمس. فقال أُنَيْس: إنّ لي حاجةً بمكة فاكفِني حتى آتيك. فأتى مكةَ فَراثَ ـ أي أبطَأ ـ عليَّ، ثم أتاني فقلتُ ما حبسكَ؟ قال: لقيت رجلاً بمكة يزعُمُ أنّ الله أرسله على دينك. قلت: ما يقول الناس؟ قال: يقولون: إنّه شاعرٌ، وساحرٌ، وكاهنٌ، وكان أُنَيس أحدَ الشُّعراء. فقال: لقد سمعتُ قول الكَهَنَة، فما هو بقولهم، ولو وضعت قَولَه على أقوال

---

(١) أي: أظهر وأشاع.
(٢) أي: القطعة من الإبل أو الغنم.
(٣) أي: المفاخرة والمحاكمة. وهو أن يتفاخر رجلان ثم يحتكمان أيهما خير أو أيهما أشعرُ؟.
(٤) أي: تراهن.

الشعراء، فما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي أنّه شِعر، ووالله إنّه لَصَادقٌ، وإنَّهم لكاذبون. قال: قلت له: هل أنت كافيني حتى أنطلِقَ فأنظر؟ قال: نعم، وكن من أهل مكة على حَذَر، فإنّهم قد شَنِفُوا له وتجهَّموا. فأتيت مكة، فتضعَّفتُ[1] رجلاً، فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصّابىء؟ قال: فأشار إليَّ الصّابىءَ[2]. قال: فمال عليَّ أهلُ الوادي بكلّ مَدَرَةٍ وعَظمٍ، حتى خَرَرتُ مَغشِيّاً عليّ، فارتفعتُ حين ارتفعتُ، كأنّي نُصُبٌ أحمر[3]، فأتيتُ زَمزَمَ فشربت من مائها، وغسلت عنّي الدَّمَ، فدخلتُ بين الكعبة وأستارها، ولقد لبِثتُ يا ابن أخي ثلاثين من بين ليلةٍ ويومٍ، وما لي طعام إلّا ماءُ زمزم، فسمِنتُ حتى تكسَّرَت عُكَنُ بطني[4]، وما وجدتُ على كبدي سَخفَةَ[5] جُوعٍ. فبينما أهل مكة في ليلةٍ قمراء إضحيان، قد ضرب الله على أصمخة أهل مكة، فما يطوفُ بالبيت أحدٌ غير امرأتين، فأتتا عليَّ، وهما تدعوان إسافاً ونائلة، فأتتا عليّ في طوافهما، فقلتُ: أنكِحا أحدَهُما الأُخرى. قال: فما تناهتا عن قولهما - وفي لفظ: فما ثناهما ذلك عمّا قالتا - فأتَتَا عليَّ فقلت: هَنٌ مِثلُ الخَشَبة، غير أني لا أَكْنِي. فانطَلَقَتَا تُولولان، وتقولان: لو كان ها هنا أحدٌ من أنفارنا. فاستقبلَهُما رسولُ الله ﷺ وأبو بكر، وهما هابطان من الجبل، فقالا لهما: ما لكما؟ قالتا: الصّابىء بين الكعبة وأستارها. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمةً تملأُ الفَمَ. فجاء رسول الله ﷺ وصاحبه، فاستلم الحَجَرَ، ثم طافا، فلما قضى صلاته أتيتُه، فكنتُ أول مَنْ حيَّاه بتحية الإسلام. فقال: «وعليك ورحمةُ الله». ثم قال: «ممن

---

(١) أي: سألتُ رجلاً من أضعَفِهم.
(٢) في صحيح مسلم: فأشار إليّ فقال: الصابىءَ.
(٣) أي: كأني صنم مُحْمَرٌّ من دم الذبائح.
(٤) جمع عكنة، وهي الطيُّ في البطن من السِّمَن.
(٥) أي: أثر الجوع.

أنت»؟ قلت: من غِفار، فأهوى بيده فوضعها على جبينه، فقلت في نفسي: كره أنّي انتميتُ إلى غفار، فأهويت لآخُذَ بيده، فَقَدَعَني[1] صاحبُه، وكان أعلَمَ به مني، ثم رفع رأسه، فقال: متى كنت ها هنا؟ قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين، بين ليلةً ويوماً[2] . قال: فمن كان يُطعمك؟ قلتُ: ما كان لي طعام إلا ماءُ زمزم. فقال: إنّها مباركة، إنّها طعامُ طُعْمٍ، وشَفَاءُ سُقْمٍ. فقال أبو بكر: إئذَن لي يا رسولَ الله في طعامه اللَّيلة. ففعل، فانطلقا، وانطلقتُ معهما، حتى فتح أبو بكر باباً، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، فكان ذلك أوَّلَ طعامٍ أكلتُهُ بها. قال: فَغَبَرتُ ما غَبَرتُ ثم أتيت رسولَ الله ﷺ، فقال: إنّي قد وُجِّهتُ إلى أرضٍ ذاتِ نخلٍ لا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلِّغٌ عني قومَكَ لعل الله أنْ ينفعهم بك ويَأجُرَكَ فيهم؟ فانطلقت حتى أتيت أخي أُنَيْساً فقال لي: ما صنعت؟ قلت: صنعت أنّي أسلمتُ وصدَّقتُ. ثم أتينا أُمَّنا فقالت: ما بي رغبةٌ عن دينكما. فأسلمتْ، ثم احتملنا حتى أتينا قومَنا غِفار، فأسلم نصفُهم قبل أن يقدم رسولُ الله ﷺ المدينة، وكان يؤمُّهُم خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغفاري، وكان سيدَهم يومئذٍ، وقال بقيتُهم: إذا قدِم رسولُ الله ﷺ أسلَمنا، فقدِم المدينةَ فأسلم بقيَّتُهُم. وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله إخواننا، نُسْلِمُ على الذي أسلموا عليه، فأسلموا فقال: «غِفارٌ غَفَرَ الله لها، وأسلَمُ سالَمَها الله» أخرجه مسلم[3] عن هُدبة، عن سليمان.

وفي الصحيحين[4] من حديث مثنَّى بن سعيد، عن أبي جَمرَة

---

(١) كتب المؤلف بخطه في حاشية نسخته شارحاً الكلمة بقوله: «كَفَّني».

(٢) هكذا مجودة بخط المؤلف، وفي صحيح مسلم: «بين ليلةٍ ويومٍ».

(٣) مسلم ٧/ ١٥٢ و ١٧٦.

(٤) البخاري: ٤/ ٢٢١ و ٥/ ٥٩، ومسلم: ٧/ ١٥٥.

الضُّبَعي، أنّ ابن عباس حدثهم بإسلام أبي ذَرّ، قال: أرسلت أخي فرجع وقال: رأيت رجلاً يأمر بالخير. فلم يَشفني، فأتيتُ مكةَ، فجعلت لا أعرفه، وأشرب من زمزم، فمر بي عليٌّ، فقال: كأنّك غريب. قلت: نعم. قال: انطلق إلى المنزل. فانطلقتُ معه، فلم أسأله، فلمّا أصبحنا، جئت المسجد، ثم مرّ بي عليٌّ، فقال: أما آنَ لك أن تعود؟ قلت: لا. قال: ما أمرك؟ قلت: إنْ كتمتَ عليَّ أخبرتُك، ثم قلت: بَلَغَنا أنّه خرج نبيٌّ. قال: قد رشدتَ فاتبَعني. فأتينا النَّبي ﷺ فقلت: اعرضْ عليَّ الإسلام. فعرضه عليَّ، فأسلمت، فقال: اكتُم إسلاَمَك وارجع إلى قومك. قلت: والله لأصرُخَنَّ بها بين أظهُرِهم، فجاء في المسجد، فقال: يا معاشر قريش أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. فقالوا: قوموا إلى هذا الصّابىء. فقاموا، فضُرِبتُ لأموتَ، فأدركني العباسُ فأكبَّ عليَّ وقال: تقتلون، ويلَكُم رجلاً مِن بني غِفار، ومتجَرُكم وممركُم على غِفار؟! فأطلقوا عني. ثم فعلت من الغد كذلك، وأدركني العباس أيضاً.

وقال النَّضر بن محمد اليَمامي: حدثنا عِكرِمة بن عمار، عن أبي زُمَيل سِماك بن الوليد، عن مالك بن مَرثَد، عن أبيه، عن أبي ذَرّ قال: كنت رُبع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثةُ نَفَر، أتيت النبي ﷺ فقلت: السّلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، فرأيت الاستبشار في وجهه.

إسلَامُ حمزة رضي الله عنه

وقال ابن إسحاق[1] : حدثني رجلٌ من أسلَمَ، كان واعيةً ، أنّ أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ عند الصّفا، فآذاه وشتمه، فلم يكلّمه النبيُّ ﷺ، ومولاةٌ لعبدالله بن جُدعان، تسمع، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب أن أقبل متوَشحاً قوسَه، راجعاً من قنصٍ له، وكان صاحب قنصٍ، وكان إذا رجع من قنصه بدأ بالطَّواف بالكعبة، وكان أعزَّ فتى في قريش، وأشده شكيمة، فلما مرَّ بالمولاة قالت له: يا أبا عُمارة ما لقيَ ابنُ أخيك آنفاً من أبي الحَكَم، وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبَّه وبلغ منه، ولم يكلّمه محمد. فاحتمل حمزةَ الغضبُ، لِما أرادَ اللهُ به من كرامتِه، فخرج يسعى مُغِذّاً لأبي جهل، فلمّا رآه جالساً في القوم أقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها، فشجَّهُ شَجَّةً مُنكَرَة، ثم قال: أتشتمه! فأنا على دِينِه أقولُ ما يقول، فَرُدَّ عليَّ ذلك إنِ استطعتَ، فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارَة فَوَالله لقد سَبَبتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً. وتَمَّ حمزةُ على إسلامِه، فلما أسلم، عرفت قريش أنّ رسول الله ﷺ قد عَزَّ وامتنع، وأنَّ حمزة رضي الله عنه سيمنعه، فكفُّوا بعض الشَّيء.

---

(١) ابن هشام ١/ ٢٩١.

إسلامُ عمر رضي الله عنه

قال عبد بن حُمَيد وغيره[1] : حدثنا أبو عامر العَقَدي، قال: حدثنا خارجة بن عبدالله بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر، أنَّ النبي ﷺ قال: اللَّهُمّ أعِزَّ الإسلام بأحبِّ هذين الرجُلين إليك، بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام. ورُوي نحوه عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر.

وقال مُبارك بن فَضالة، عن عُبَيدالله، عن نافع، عن ابن عمر، عن ابن عباس، أنّ النبي ﷺ قال: اللَّهُمَّ أعزَّ الدِّين بعُمَر[2] .

وقال عبدالعزيز الأُويسيُّ: حدثنا الماجشُون بن أبي سَلَمة، عن هشام بن عُروَة، عن أبيه، عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعِزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصّة».

قال إسماعيل بن أبي خالد: حدثنا قيس، قال ابن مسعود: ما زلنا أعِزَّة منذ أسلم عمر. أخرجه البخاري[3] .

وقال أحمد في «مسنده»[4] : حدثنا أبو المغيرة، قال: حدثنا صَفوان، قال: حدثنا شُريح بن عُبيد، قال: قال عمر: خرجت أتعرَّض رسولَ الله ﷺ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أُعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر، كما قالت قريش، فقرأ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا

(١) مسند عبد بن حميد (٧٥٩)، والترمذي (٣٦٨١)، وأحمد ٢/ ٩٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٩.

(٣) البخاري ٥/ ١٤.

(٤) أحمد ١/ ١٧.

تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [الحاقة] الآيات، فوقع في قلبي الإسلامُ كلَّ موقع.

وقال أبو بكر بن أبي شَيبة: حدثنا يحيى بن يَعلَى الأسلمي، عن عبدالله بن المؤمل، عن أبي الزُّبير، عن جابر، قال: كان أوّل إسلام عمرَ أنّ عمر قال: ضربَ أُختي المخاضُ ليلاً، فخرجت من البيت، فدخلتُ في أستار الكعبة في ليلةٍ قرَّة، فجاء النبيُّ ﷺ فدخل الحِجرَ، وعليه تُبَّان[1]، فصلى ما شاء الله، ثم انصرفَ، فسمعتُ شيئاً لم أسمعْ مثله، فخرج، فاتّبعته فقال: «مَنْ هذا»؟ قلتُ: عمر. قال: «يا عمر ما تَدَعُني ليلاً ولا نهاراً»، فخشيتُ أنْ يدعوَ عليَّ فقلت: اشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأنّكَ رسولُ الله. فقال: «يا عمر أسِرَّهُ». قلتُ: لا والذي بعثكَ بالحقِّ لأُعلِنَنَّه، كما أعلنتُ الشِّركَ.

وقال محمد بن عُبيد الله ابن المنادي: حدثنا إسحاق الأزرق، قال: حدثنا القاسم بن عثمان البصري، عن أنَس بن مالك، قال: خرج عمر رضي الله عنه متقلّداً السيف، فلقيه رجل من بني زُهرة فقال له: أينَ تَعمِدُ يا عمر؟ قال: أريدُ أنْ أقتلَ محمداً. قال: فكيف تأمَنُ في بني هاشم وبني زُهرة، وقد قتلتَ محمداً؟ فقال: ما أراك إلا قد صبوتَ. قال: أفلا أدُلُّكَ على العَجَب، إنّ خَتَنَكَ وأختك قد صبوا وتركا دينك. فمشى عمر فأتاهما، وعندهما خَبَّاب، فلما سمع بحسّ عمر توارى في البيت، فدخل فقال: ما هذه الهَيْنَمَة؟ وكانوا يقرءون «طه»، قالا: ما عَدَا حديثاً تَحَدَّثْناهُ بيننا. قال: فلعلّكما قد صبوتما؟ فقال له خَتَنَهُ: يا عمر إنْ كان الحقّ في غير دينك. فوثب عليه فوطئه وطئاً شديداً، فجاءت أختُه لتدفعه عن زوجها، فَنَفَحَهَا نفحةً بيده فدمَّى وجهها، فقالت وهي غَضبَى: وإنْ كان الحق في غير دينك إنّي أشهد أن لا إله إلاّ

(١) أي: سروال صغير.

الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. فقال عمر: أعطوني الكتابَ الذي هو عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت أخته: إنّك رِجْسٌ، وإنّه لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرون، فقُم فاغتسِل أو توضّأ، فقام فتوضّأ، ثم أخذ الكتاب، فقرأ ﴿طه﴾ حتى انتهى إلى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه] فقال عمر: دُلّوا على محمد، فلما سمع خبّابَ قول عمر خرج فقال: أبشِر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوةُ رسول الله ﷺ لك ليلةَ الخميس: «اللهم أعِزَّ الإسلامَ بعمر بن الخطاب أو بعَمْرو بن هشام». وكان رسول الله ﷺ في أصل الدّار التي في أصل الصّفا. فانطلق عمر حتى أتى الدَّار وعلى بابها حمزة، وطلحة، وناس، فقال حمزة: هذا عمر، إنْ يُرِدِ الله به خيراً يُسْلِم وإنْ يُرد غير ذلك يكن قتلُهُ علينا هيّناً. قال: والنبي ﷺ داخلٌ يوحى إليه، فخرج حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: «ما أنت منتهٍ يا عمر حتى يُنزِل الله بك من الخِزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة»؟ فهذا عمر «اللّهُمّ أعزَّ الإسلام بعمر». فقال عمر: أشهد أنَّ لا إله إلاّ الله وأنّك عبدالله ورسوله.

وقد رواه يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق، وقال فيه: زوج أخته سعيد بن زيد بن عَمرو.

وقال ابن عُيَينَة، عن عَمرو، عن ابن عمر، قال: إنّي لَعَلى سطحٍ، فرأيت الناسَ مجتمعين على رجل وهم يقولون: صبأ عمر، صبأ عمر. فجاء العاص بن وائل عليه قَباء ديباج، فقال: إنْ كَانَ عمر قد صبأ فمه أنا له جار. قال: فتفرَّقَ الناس عنه. قال: فعجبت من عزّه. أخرجه البخاري[1] عن ابن المَدِيني، عنه.

---

(١) البخاري ٥/ ٦١.

قال البكّائي، عن ابن إسحاق[١] : حدثني نافع، عن ابن عمر، قال: لما أسلم عمر، قال: أيُّ قريش أنْقَلُ للحديثِ؟ قيل: جميلُ بنُ مَعمَر الجُمَحي. فغدا عليه، قال ابن عمر: وَغَدَوتُ أتبع أثره وأنا غلام أعقِل، حتى جاءه، فقال: أعَلِمتَ أني أسلمتُ؟ فوالله ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه، حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، ألا إنَّ ابنَ الخطاب قد صبأ. قال: يقول عمر من خلفه: كذبَ، ولكنِّي أسلمتُ. وثاروا إليه فما برحَ يُقاتلهم، ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلحَ[٢] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعَلُوا ما بَدَا لكم، فأحلف بالله أن لو كنّا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. فبينا هو على ذلك إذ أقبل شيخ عليه حلّةً حِبرة، وقميصٌ مُوشًى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمه! رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون! أترون بني كعب بن عَدِي يُسْلِمُونه! خَلُّوا عنه. قال: فَوَالله لكأنّما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه، فقلت لأبي بعد أن هاجر: يا أبَهَ، مَن الرجلُ الذي زَجَرَ القومَ عنك؟ قال: العاص بن وائل.

أخرجه ابن حبان[٣] ، من حديث جرير بن حازم، عن ابن إسحاق.

وقال إسحاق بن إبراهيم الحُنَيني، عن أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال لنا عمر: كنت أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ، فبينا أنا في يومٍ حارّ بالهاجرة، في بعض طريق مكة، إذ لَقِيَني رجلٌ فقال: عجباً لكَ يا ابن الخطاب، إنّك تزعم أنَّك وأنّكَ، وقد دخلَ علينا الأمرُ في بيتك. قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد أسلمت. فرجعتُ

---

(١) ابن هشام ١/٣٤٨-٣٤٩.
(٢) أي: أعيا.
(٣) صحيح ابن حبان ١٥/٣٠٢-٣٠٣= (٦٨٧٩).

مُغضَباً حتى قرعت الباب، وقد كان رسولُ الله ﷺ إذا أسلمَ الرجلُ والرجلان ممّن لا شيء له ضَمَّهما إلى مَنْ في يده سَعَةٌ فينالان من فضلِ طعامه، وقد كان ضمّ إلى زوج أختي رجلين، فلمّا قرعتُ الباب قيل: مَنْ هذا؟ قلتُ: عمر. فتبادروا فاختفوا مني، وقد كانوا يقرؤون صحيفةً بين أيديهم تركوها أو نسوها، فقامت أختي تفتح الباب، فقلت: يا عدوَّةَ نفسِها، أصبوتِ. وضربتُها بشيءٍ في يدي على رأسها، فسال الدمُ وبكَت، فقالت: يا ابن الخطاب ما كنتَ فاعلاً فافعلْ فقد صبوتُ. قال: ودخلتُ حتى جلستُ على السرير، فنظرت إلى الصحيفة فقلت: ما هذا ناولنيها. قالت: لستَ من أهلها، أنتَ لا تُطَهِّر من الجَنَابةِ، وهذا كتابٌ لا يمَسُّهُ إلاّ المُطهرون. فما زلت بها حتى ناوَلَتْنيها، ففتحتها، فإذا فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) فكلّما مررتُ باسمٍ من أسماء الله عز وجل ذُعِرتُ منه، فألقيتُ الصحيفة، ثم رجعتُ إلى نفسي فتناولتها، فإذا فيها ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ۝١﴾ [الحديد] فذُعِرت، فقرأت إلى ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۝٧﴾ فقلت: أشهدُ أن لا إله إلا الله. فخرجوا إليه متبادرين وكبّروا، وقالوا: أبشِر فإنّ رسولَ الله ﷺ دعا يوم الإثنين فقال: «اللَّهُمَّ أعِزَّ دينكَ بأحب الرجلَين إليكَ إمّا أبو جهل وإمّا عمر»، ودَلُّوني على النبي ﷺ في بيتٍ بأسفل الصّفا، فخرجتُ حتى قرعتُ الباب، فقالوا: مَنْ؟ قلت: ابن الخطاب، وقد علموا شِدَّتي على رسول الله ﷺ، فما اجترأ أحدٌ يفتح الباب، حتى قال: «افتحوا له». ففتحوا لي، فأخذ رجلان بعَضُدي، حتى أتَيا بي النبي ﷺ فقال: خلُّوا عنه، ثم أخذ بمجامعِ قميصي وجذبني إليه، ثم قال: «أسلِم يا ابن الخطاب، اللهم اهدِه». فتشهدتُ، فكبَّرَ المسلمون تكبيرةً سُمِعت بفِجاج مكة، وكانوا مُستَخفين، فلم أشأ أنْ أرى رجلاً يَضرِب ويُضرب إلاّ رأيته، ولا يُصيبني من ذلك شيء، فجئت

خالي[1] وكان شريفاً، فقرعتُ عليه الباب، فقال: مَن هذا؟ قلت: ابن الخطاب وقد صبوتُ. قال: لا تفعل. ثم دخل وأجاف البابَ دوني. فقلتُ: ما هذا شيء. فذهبتُ إلى رجلٍ من عظماء قريش، فناديته، فخرج إليَّ، فقلتُ مثلَ مقالتي لخالي، وقال لي مثلَ ما قال خالي، فدخل وأجاف البابَ دوني فقلت: ما هذا شيء، إنَّ المسلمين يُضربون وأنا لا أُضربَ، فقال لي رجلٌ: أتحبّ أن يُعلم بإسلامك؟ قلت: نعم. قال: فإذا جلس الناس في الحِجر فَأْتِ فُلاناً ـ لرجلٍ لم يكن يكتم السِّرَّ ـ فَقُلْ له فيما بينك وبينه: إنّي قد صبوتُ، فإنّه قَلَّما يكتم السِّرَّ. فجئت، وقد اجتمع الناس في الحِجر، فقلتُ فيما بيني وبينه: إنّي قد صبوتُ. قال: أَوَقَد فعلتَ؟ قلتُ: نعم. فنادى بأعلى صوته: إنّ ابن الخطاب قد صبأ، فبادروا إليَّ، فما زلت أضربهم ويضربوني، واجتمع عليَّ النَّاسُ، قال خالي: ما هذه الجماعةُ؟ قيل: عمر قد صبأ، فقام على الحِجر، فاشار بكُمِّه: ألا إنّي قد أجرتُ ابنَ أختي، فتكشَّفوا عني، فكنتُ لا أشاء أنْ أرى رجلاً من المسلمين يَضْربُ ويُضْرَب إلاّ رأيته، فقلت: ما هذا شيء حتى يصيبني، فأتيتُ خالي فقلت: جوارك ردّ عليك، فما زلتُ أضرب وأُضرب حتى أعزَّ الله الإسلام.

ويُروَى عن ابن عباس بإسنادٍ ضعيف، قال: سألتُ عمر، لأيِّ شيءٍ سُمِّيتَ الفاروق؟ فقال: أسلم حمزةُ قبلي بثلاثة أيام، فخرجتُ إلى المسجد، فأسرع أبو جهلٍ إلى النبي ﷺ يسبه، فأُخبرَ حمزةُ، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد، إلى حلقة قريشٍ التي فيها أبو جهل، فاتكَّأ على قوسه مقابل أبي جهل، فنظر إليه، فعرف أبو جهلٍ الشَّرَّ في وجهه، فقال: ما لكَ يا أبا عُمارة؟ فرفع القوسَ فضرب بها أَخدَعيه[2]، فقطعه

(١) على هامش الأصل: خاله أبو جهل.
(٢) الأخدعان: عرقان في جانبي العنق.

فسالت الدّماء، فأصلحت ذلك قريشُ مخافةَ الشَّرّ، قال: ورسولُ الله ﷺ مختفٍ في دارِ الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، فانطلق حمزةُ فأسلم. وخرجتُ بعده بثلاثة أيام، فإذا فلان المخزومي فقلت: أَرَغِبتَ عن دِين آبائك واتَّبعتَ دِينَ محمد؟ قال: إنْ فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقّاً مني، قلت: ومَن هو؟ قال: أختك وخَتَنك. فانطلقت فوجدتُ همهمةً، فدخلت فقلت: ما هذا؟ فما زال الكلامُ بيننا حتى أخذتُ برأس خَتني فضربته وأدميتُه، فقامت إليَّ أختي فأخذت برأسه، وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك. فاستحيَيتُ حين رأيتُ الدّماء، فجلست وقلت: أروني هذا الكتاب. فقالت: إنّه لا يَمسّهُ إلاّ المُطهَّرون. فقمتُ فاغتسلتُ، فأخرجوا إليَّ صحيفةً فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) قلت: أسماء طيّبةٌ طاهرة ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ إلى قوله ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه]، فتعظَّمتْ في صدري، وقلت: مِنْ هذا فرَّت قريش. فأسلمتُ، وقلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت: فإنّه في دار الأرقم. فأتيتُ فضربت الباب، فاستجمع القومُ، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر. قال: وعمر! افتحوا له الباب، فإنْ أقبل قبِلنا منه، وإنْ أدبرَ قتلناه. فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ، فخرج فتشهَّد عمر، فكبَّر أهلُ الدَّار تكبيرةً سمعها أهلُ المسجد. قلت: يا رسول الله أَلَسنا على الحق؟ قال: «بلى». قلتُ: ففيمَ الاختفاءُ. فخرجنا صَفَّين أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجدَ، فنظرت قريشُ إليّ وإلى حمزة، فاصابتهم كآبةٌ شديدةٌ، فسمّاني رسول الله ﷺ (الفاروق) يومئذٍ، وفرق بين الحقّ والباطل.

وقال الواقدي: حدثنا محمد بن عبدالله، عن الزُّهرِي، عن ابن المسيب، قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نِسوة، فلما أسلم ظهر الإسلام بمكة.

وقال الواقدي: حدثنا مَعمَر، عن الزُّهري أنّ عمر أسلم بعد أن دخل النبي ﷺ دار الأرقم، وبعد أربعين أو نيّفٍ وأربعين من رجال ونساء، فلما أسلم نزل جبريل فقال: يا محمد استبشر أهلُ السماء بإسلام عمر.

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق: كان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خرج من الصحابة إلى الحبشة. فحدثني عبدالرحمن بن الحارث[1]، عن عبدالعزيز ابن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أمّه ليلى، قالت: كان عمر من أشدِّ الناس علينا في إسلامنا، فلمّا تهيأنا للخروج إلى الحبشة، جاءني عمر، وأنا على بعيرٍ، نريد أن نتوجَّه، فقال: إلى أين يا أمَّ عبدالله؟ فقلت: قد آذيتمونا في ديننا، فنذهب في أرض الله حيث لا نُؤْذى في عبادة الله. فقال: صَحِبَكُمُ الله، ثم ذهب، فجاء زوجي عامرُ بنُ ربيعة فأخبرتُه بما رأيت من رِقَّة عمر بن الخطاب، فقال: ترجين أن يُسلِم؟ قلت: نعم. قال: فَوَالله لا يُسلم حتى يُسلِمَ حِمَارُ الخطاب. يعني من شِدَّته على المسلمين.

قال يونس، عن ابن إسحاق: والمسلمون يومئذٍ بضعٌ وأربعون رجلاً، وإحدى عشرة امرأة[2].

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢-٣٤٣.
(٢) كتب على هامش الأصل: «بلغت قراءة».

الهجرة الأولى إلى الحبشة
ثم الثانية

قال يعقوب الفَسَوي في «تاريخه»[1] : حدثني العباس بن عبدالعظيم، قال: حدثني بشّار بن موسى الخفَّاف، قال: حدثنا الحَسَن ابن زياد البُرْجُميّ - إمام مسجد محمد بن واسع -، قال: حدثنا قَتَادة، قال: أوّل من هاجر إلى الله بأهله عثمان بن عفّان. قال: سمعتُ النَّضر ابن أنَس يقول: سمعت أبا حمزة يعني أنَسَ ابن مالك، يقول: خرج عثمان بِرُقيّة بنتِ رسولِ الله ﷺ إلى الحبشة، فأبطأ خَبرُهُم، فقدِمَت امرأةٌ من قريش، فقالت: يا محمد قد رأيت خَتَنَكَ ومعه امرأته، فقال: «على أيِّ حالٍ رأيتهما»؟ قالت: رأيتُه حملَ امرأته على حمارٍ من هذه الدّبابة[2] ، وهو يسوقها، فقال رسول الله ﷺ: صَحِبَهما اللهُ، إنَّ عثمان أول من هاجر بأهلِه بعد لُوط.

ورواه يحيى بن أبي طالب، عن بشّار.

عن عبدالله بن إدريس، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: حدثني الزُّهري، عن أبي بكر بن عبدالرحمن، وعُروة، وعبدالله بن أبي بكر، وصلتُ الحديث عن أبي بكر، عن أم سَلَمة، قالت: لما أُمِرنا بالخروج إلى الحَبَشَة، قال رسول الله ﷺ حين رأى ما يصيبنا من البلاء: «إلحقوا بأرض الحَبَشَة فإنّ بها ملكاً لا يُظْلم عنده أحدٌ، فأقيموا ببلاده حتى

---

(١) كتاب المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٥.
(٢) على هامش الأصل: «أي: ضعاف تدبُّ ولا تسرع».

يجعل الله مخرجاً مما أنتم فيه». فقدِمنا عليه فاطمَأْنَنَّا في بلاده... الحديثَ.

قال البغوي في تاسع «المُخَلِّصِيّات»[1] : وروى ابن عَون، عن عُمَير ابن إسحاق، عن عَمرو بن العاص بعضَ هذا الحديث.

وقال البكّائي: قال ابن إسحاق[2] : فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما يصيب أصحابَهُ من البلاء، وما هو فيه من العافيةِ بمكانة من الله، ومن عمه، وأنه لا يقدر أن يمنعهم من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرضِ الحبشة، فإنّ بها ملِكاً لا يُظْلم عنده أحدٌ وهي أرضُ صِدقٍ، حتى يجعلَ الله لكم فرجاً مما أنتم فيه». فخرج عند ذلك المسلمون مخافةَ الفتنة، وفراراً بدينهم إلى الله. فخرج عثمان بزوجته، وأبو حذيفة ولد عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بزوجته سَهلَة بنت سُهَيل بن عَمرو فولدت له بالحبشة محمداً، والزُّبيرُ بنُ العوَّام، ومُصعب بن عُمير العَبدَري، وعبدالرحمن بن عَوف، وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد المخزومي، وزوجته أمّ سَلَمَة أمّ المؤمنين، وعثمان بن مظعون الجُمحِي، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة العَدَويَّة، وأبو سَبرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَّى العامريّ، وسُهَيل بن بيضاء، وهو سُهَيل بن وهب الحارثي، فكانوا أوّلَ من هاجر إلى الحبشة.

قال: ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون إلى الحَبَشَة. ثم سمَّى ابنُ إسحاق[3] جماعتهم، وقال: فكان جميع مَنْ لَحِق بأرض الحَبَشَة، أو وُلد بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، فعبدوا الله وحمدوا جِوار النَّجَاشي، فقال عبدالله بن الحارث بن قيس السَّهمِيّ:

(١) هي أجزاء لأبي الطاهر المخلص الذهبي، وهي من الأجزاء العالية الإسناد.
(٢) ابن هشام ١/ ٣٢١.
(٣) ابن هشام ١/ ٣٢٣.

يـا راكبـاً بَلِّغَـنْ عنّـي مغلغلـةً   من كان يرجو بلاغَ الله والدين
كُلَّ امرىء من عباد الله مضطَّهَدٍ   ببطـن مكـةَ مقهـورٍ ومفتـونِ
أنّـا وجـدنـا بـلادَ الله واسعـةً   تُنجي من الذُّلِّ والمخزاة والهُونِ
فلا تُقيموا على ذُلّ الحياة وخزْ   يٍ في الممات وعَيبٍ غير مأمونِ
إنّـا تَبِعنـا نبـيَّ الله، واطَّـرَحُـوا   قولَ النبي وعالوا في الموازينِ
فـاجْعَلْ عـذابكَ في القوم الـذين بَغَـوا   وعـائذٌ بك أنْ يَعْلُوا فيُطْغُـوني

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أُمَيّة بن خَلَف ابن عمه، وكان يؤذيه:

أتيمَ بن عَوفٍ والذي جاء بِغْضَةً   ومن دونه الشِّرْمانُ والبَرْكُ أكتعُ
أأخرجتني من بطنِ مكّة أيمناً[1]   وأسْكَنتني في سرح بيضاءَ تقذعُ
تَـريـشُ نبـالاً لا يـواتيـك ريشُهـا   وتبري نبـالاً ريشهـا لـك أجمـعُ
وحـاربـتَ أقـوامـاً كِـرامـاً أعِـزَّةً   وأهلكتَ أقواماً بهم كنت تُفْزَعُ
ستعلـمُ إنْ نـابتْـك يـومـاً مُلِمَّـةٌ   وأسْلَمَكَ الأرياشُ[2] مـاكنت تصنع

وقال موسى بن عُقبة: ثم إنّ قريشاً ائتمروا واشتدَّ مَكرهم، وهمُّوا بقتل رسول الله ﷺ أو إخراجه، فعرضوا على قومه أن يُعطُوهم دِيَتَه ويقتلوه، فأبوا حَمِيَّةً. ولما دخل رسول الله ﷺ شِعبَ بني عبد المطلب، أمر أصحابه بالخروج إلى الحَبَشَة فخرجوا مرّتين؛ رجع الذين خرجوا في المرة الأولى حين أُنزلت سورة «النَّجم»، وكان المشركون يقولون: لو كان محمد يذكر آلهتنا بخيرٍ قَرّرناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر مَنْ حالفه من اليهود والنّصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا من الشتم، والشَّر. وكان رسول الله ﷺ يتمنّى هُدَاهم، فأُنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم]، فألقى الشيطان عندها كلمات «وإنّهنّ

(١) في سيرة ابن هشام: آمناً.
(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي السيرة: الأوباش. وهو جمع راش، أي: ضعيف، شُبّه بالريش ضعفاً، فما ذكره المؤلف هو الصواب، وإن كان الكل بمعنى.

الغَرانيق العُلا، وإنَّ شفاعتهُنَّ تُرْتَجَى[1] » فوقعت في قلب كلّ مشركٍ بمكة، وذلَّت بها ألسنتهم وتباشروا بها. وقالوا: إنّ محمداً قد رجع إلى ديننا. فلمَّا بلغ آخرَ النَّجم سجد ﷺ وسجد كل مَن حَضَر من مسلمٍ أو مُشركٍ، غير أنّ الوليد بن المُغيرة كان شيخاً كبيراً رفع مِلء كفَّيه تراباً فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السّجود، بسجود رسول الله ﷺ ، عجب المسلمون بسجود المشركين معهم، ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطان، وأمّا المشركون فاطمأنُّوا إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، لما أُلقي في أُمنيةِ رسول الله ﷺ؛ وحدثهم الشيطان أنّ رسول الله ﷺ قد قرأها في السَّجدة، فسجدوا تعظيماً لآلهتهم. وفَشَت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشَّيطان، حتى بلغت أرضَ الحبشة ومَن بها من المسلمين؛ عثمان بن مظعون وأصحابه، وحُدِّثُوا أنَّ أهلَ مكة قد أسلموا كلّهم وصلُّوا، وأنّ المسلمين قد أَمِنُوا بمكة، فأقبلوا سراعاً، وقد نسخ الله ما ألقى الشيطانُ، وأُنزلت ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج] الآيات. فلما بيَّن الله قضاءه وبرَّأه من سَجع الشيطان انقلب المشركون

(١) كتب المصنف بخطه في حاشية نسخته تعليقاً على هذا الخبر نصه: «هذه اللفظة ينكرها أهل النظر، وهي منكرة، ولكنها في مغازي الحافظ موسى بن عقبة، وفي السيرة رواية ابن إسحاق، وفي مصنف البيهقي، وغير ذلك، وكان الحافظ المنذري يرد ذلك، وكان شيخنا الدمياطي يخالفه. ورواها أبو الفتح اليَعمري في السيرة له، فقال: الذي عندي في هذا الخبر أنه جار مجرى ما يذكر من المغازي والسير. وذهب كثير من أهل العلم إلى الترخُّص في رواية الرقاق، وما لاحكم فيه من أخبار المغازي إلى أن قال: وهذا الخبر ينبغي رَدُّه إلا أن يثبت بسند قوي، فنرجع إلى تأويله. وقال فيه السهيلي: مَنْ صحح هذا قال: إن الشيطان قال ذلك وأشاعه في الأسماع وما نطق به الرسول. وقيل: بل قاله الرسول عليه السلام حاكياً عن الكفرة، وأنهم يقولون ذلك، فقالها متعجباً من كفرهم. والله أعلم.

بضلالتهم وعداوتهم. وكان عثمان بن مظعون وأصحابه، فيمن رجع، فلم يستطيعوا أن يدخلوا مكة إلاّ بجوار، فأجار الوليدُ بن المغيرة عثمانَ ابن مَظعون، فلما رأى عثمان ما يَلْقَى أصحابهُ من البلاء، وعُذِّب طائفةٌ منهم بالسِّياط والنار، وعثمان مُعافى لا يعرض له، استحبَّ البلاءَ، فقال للوليد: يا عمُّ قد أجَرتني، وأحبّ أنْ تخرجني إلى عشيرتك فتبرأ مني. فقال: يا ابن أخي لعلّ أحداً آذاك أو شتمك؟ قال: لا والله ما اعترض لي أحدٌ ولا آذاني. فلمّا أبى إلاّ أنْ يتبرأ منه أخرجه إلى المسجد، وقريشٌ فيه، كأحفلِ ما كانوا، ولَبيد بن ربيعة الشاعر يُنشِدهم، فأخذ الوليد بيد عثمان وقال: إنّ هذا قد حملني على أن أتبرّأ من جواره، وإنّي أُشهدكم أنّي بريءٌ منه، إلاّ أن يشاء. فقال عثمان: صدق، أنا والله أكرَهتُهُ على ذلك، وهو مني بريء. ثم جلس مع القوم فنالوا منه.

قال موسى: وخرج جعفر بن أبي طالب [وأصحابه][(١)] فراراً بدينهم إلى الحبشة، فبعثت قريش عَمرو بن العاص، وعمارةَ بن الوليد ابن المغيرة، وأمروهما أنّ يسرعا ففعلا، وأهدوا للنَّجاشِيِّ فَرَساً وجُبَّةَ دِيباج، وأهدوا لعُظماء الحبشة هدايا، فقبل النَّجاشِيُّ هديَّتَهم، وأجلس عَمراً على سريره، فقال: إنّ بأرضك رجالاً منّا سُفَهاء ليسوا على دينك ولا ديننا، فادفعهم إلينا. فقال: حتى أكلّمهم وأعلم على أيّ شيءٍ هُم. فقال عَمرو: هم أصحاب الرجل الذي خرج فينا، وإنّهم لا يشهدون أنّ عيسى ابن الله، ولا يسجدون لك إذا دخلوا. فأرسل النَّجاشِيُّ إلى جعفر وأصحابِه، فلم يسجدْ له جعفر ولا أصحابُه وحيّوه بالسّلام، فقال عَمرو: ألم نُخبرك خبر القوم. فقال النَّجاشِيّ: حدثوني أيُّها الرَّهطُ، ما لكم لا تُحَيُّوني كما يُحيّيني مَن أتاني من قومكم، وأخبِرُوني ما تقولون في عيسى وما دِينكم؟ أنَصَارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفَيَهُود أنتم؟

(١) إضافة لابد منها لا يستقيم المعنى من غيرها.

قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله وَحدَه ولا نُشرك به شيئاً. قال: مَن جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل منّا قد عرفنا وجهه ونَسَبَه، بعثه الله كما بعث الرسل إلى مَن كان قبلنا، فأمرنا بالبِرَّ والصَّدقة والوفاء والأمانة، ونهانا أنْ نعبدَ الأوثانَ، وأمرنا أنْ نعبدَ الله، فَصدَّقناه، وعرفنا كلام الله، فعادانا قومُنا وعادَوه وكذَّبوه، وأرادونا على عبادة الأصنام، فَفَرَرنا إليك بدِيننا ودمائنا من قومنا. فقال النّجَاشِيُّ: والله إنْ خرج هذا الأمر إلاّ من المِشكاة التي خرج منها أمرُ عيسى. قال: وأمّا التحيّة فإن رسولنا أخبرنا أنّ تحيّة أهلِ الجنّة السلام، فَحيَّيناك بها، وأمّا عيسى فهو عبدُ الله ورسولُه وكلِمتُه ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه وابن العذراء البَتُول. فخفض النّجاشيُّ يدَه إلى الأرض، وأخذ عُوداً فقال: والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزنَ هذا العود. فقال عظماء الحَبَشَة: والله لئن سمعت هذا الحبشةُ لَتَخلَعَنَّكَ. فقال: والله لا أقولُ في عيسى غيرَ هذا أبداً، وما أطاع اللهُ الناسَ فيَّ حين ردّ إليَّ مُلكي، فأنا أطيع الناسَ في دين الله! مَعاذَ الله من ذلك. وكان أبو النَّجاشي مَلِكَ الحبشة، فمات والنجاشي صبيّ، فأوصى إلى أخيه أنَّ إليك مُلك قومِكَ حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله المُلك. فرغب أخوه في المُلك، فباع النجاشيَّ لتاجرٍ، وبادر بإخراجه إلى السفينة، فأخذ الله عمه قَعْصاً[1] فمات، فجاءت الحبشة بالتاج، وأخذوا النجاشي فملَّكوه، وزعموا أنّ التاجر قال: ما لي بدٌّ من غلامي أو مالي. قال النجاشي: صَدَق، ادفعوا إليه ماله. قال: فقال النّجاشيّ حين كلّمه جعفر: رُدُّوا إلى هذا هديَّتَه ـ يعني عَمراًـ والله لو رشوني على هذا دَبرَ ذَهَبٍ ـ والدَّبر بلغته الجبل ـ ما قبِلتُهُ، وقال لجعفر وأصحابه: امكثُوا آمنين، وأمر لهم بما يصلحهم من

(١) قعصاً: أي: قتلاً سريعاً.

الرِّزق. وألقى الله العداوةَ بين عَمرو وعمارة بن الوليد في مسيرهما، فمكر به عَمرو وقال: إنّك رجل جميل، فاذهب إلى امرأة النجاشي فتحدَّث عندها إذا خرج زوجُها، فإنّ ذلك عونٌ لنا في حاجتنا. فراسلها عمارةُ حتى دخل عليها، فلمّا دخل عليها انطلق عَمرو إلى النّجاشيّ، فقال: إنّ صاحبي هذا صاحب نساء، وإنّه يريد أهلك فاعلم عِلمَ ذلك. فبعث النّجاشي، فإذا عمارة عند امرأته، فأمر به فنُفِخَ في إحليله شَحْوةً[1] ثم أُلقي في جزيرةٍ من البحر، فَجُنَّ، وصار مع الوحش، ورجع عَمرو خائب السَّعي.

وقال البكائي: قال ابن إسحاق[2]: حدثني الزُّهري، عن أبي بكر ابن عبدالرحمن، عن أمّ سَلَمَة، قالت: لما نزلنا أرضَ الحبشة، جاورنا بها خيرَ جارٍ النّجاشيَّ، أمِنّا على ديننا، وعَبَدنا الله تعالى، لا نُؤذَى، ولا نسمع ما نكره، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النَّجاشي رجلَين جَلدين، وأنْ يُهدوا للنّجاشي، فبعثوا بالهدايا مع عبدالله بن أبي ربيعة، وعَمرو بن العاص. وذكر القصّة بطولها، وستأتي إنْ شاء الله، رواها جماعة، عن ابن إسحاق.

وذكر الواقدي أنّ الهجرة الثانية كانت سنة خمسٍ من المَبعَث.

وقال حُدَيج بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عبدالله بن عُتبة، عن ابن مسعود، قال: بَعَثَنَا رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن ثمانون رجلاً، ومَعَنَا جعفر، وعثمان بن مظعون، وبعثت قريشُ عمارَة، وعَمرو ابن العاص، وبعثوا معهما بهدّيةٍ إلى النجاشي، فلما دخلا عليه سجدا

---

(١) جَوّد المؤلف تقييد هذا اللفظ بخطه تقييداً متقناً، وشحا فاه: فَتَحَهُ، لعله يريد: نُفِخَ في إحليله فَتْحاً. على أن الرواية المشهورة أن النجاشي أمر ساحراً فنفخ في إحليله من سحره، عقوبة له (وانظر فتح الباري ١/ ٤٦٣).

(٢) ابن هشام ١/ ٣٣٤.

له، وبعثا إليه بالهدّية، وقالا: إنّ ناساً من قومنا رغِبوا عن دِيننا، وقد نزلوا أرضَك. فبعث إليهم، فقال لنا جعفر: أنا خطيبُكُمُ اليومَ. قال: فاتَّبعوه حتى دخلوا على النجاشي، فلم يسجدوا له، فقال: وما لكم لم تسجدوا للملك؟ فقال: إنّ الله قد بعث إلينا نبيَّه، فأمرنا أن لا نسجد إلاّ لله. فقال النجاشي: وما ذاك؟ قال عَمرو: إنّهم يخالفونك في عيسى. قال: فما تقولون في عيسى وأمّه؟ قال: نقول كما قال الله، هو روح الله وكلمتُه ألقاها إلى العذراء البَتُول، التي لم يمسَّها بَشَرٌ، ولم يَفْرِضها ولد. فتناول النجاشي عوداً، فقال: يا معشر القِسِّيسين والرُّهبان، ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما يزنُ هذا، فمرحباً بكم وبِمَنْ جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه نبيٌّ، ولَوَدِدتُ أنّي عنده فأحمل نَعلَيه ـ أو قال أخدمه ـ فانزلوا حيث شئتم من أرضي. فجاء ابن مسعود فشهِد بدراً. رواه أبو داود الطَّيالسيّ في «مُسنده»[1] عن حُدَيج.

وقال عُبَيد الله بن موسى: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بُردَة، عن أبيه، قال: أَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أن ننطلِقَ مع جعفر إلى الحبشة. وساق كحديث حُدَيج.

ويظهر لي أنّ إسرائيل وَهِمَ فيه، ودخل عليه حديث في حديث، وإلاّ أين كان أبو موسى الأشعريّ ذلك الوقت.

رجعنا إلى تمام الحديث الذي سُقناه عن أمّ سَلَمَة قالت: فلم يَبقَ بِطرِيقٌ من بطارقة النّجاشيِّ إلاّ دفعا إليه هديّةً، قبل أنْ يُكَلِّما النّجاشيَّ، وأخبرا ذلك البطريق بقصدهما، ليُشِير على الملك بدفع المسلمين إليهم، ثم قرّبا هدايا النّجاشيّ فقبِلها، ثم كلّماه فقالا: أيُّها الملِك إنّه قدم إلى بلادك منّا غِلمانٌ سُفَهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في

---

(١) مجمع الزوائد ٦/ ٢٤. وهو عند أحمد ١/ ٤٦١.

دينك، جاءوا بدِينٍ ابتدعوه، لا نعرفه نحن، ولا أنت، فقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من أقاربهم لتردَّهم عليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم. قالت: ولم يكن أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعَمرو بن العاص من أنْ يسمع كلامهم النّجاشيّ، فقالت بطارقته حوله: صَدَقا أيها الملك، قومُهم أعلى بهم عَيناً، وأعلم بما عابوا عليهم من دِينهم، فأسلِمهُم إليهما. فغضب ثم قال: لاها الله إذن لا أُسلِّمُهُم إليهما، ولا يُكَادُ قومٌ جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَن سِوايَ، حتى أدعوَهم فأسألهم عمّا تقولان. فأرسل إلى الصّحابة فدعاهم، فلّما جاؤوا وقد دعا النّجاشيُّ أساقفتَه فنشروا مصاحفهم، سألهم فقال: ما دينكم؟ فكان الذي كلَّمه جعفر، فقال: أيُّها الملك، كنّا قوماً أهلَ جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل المَيتَةَ، ونأتي الفواحشَ، ونقطع الأرحام، ونُسِيء الجِوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نَسَبَه، وصِدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة، وأَمَرَنا بالصِّدق والأمانة وصلة الرَّحِم ـ وعدَّد عليه أمور الإسلام ـ فصدَّقناه واتَّبَعناه، فعدا علينا قومُنا فعذَّبونا، وفتنونا عن ديننا، وضيّقوا علينا، فخرجنا إلى بلادك واخترناك على مَنْ سِواكَ، ورجَونا أن لا نُظلم عندك أيُّها الملك. قالت: فقال: وهل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم، وقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم] فبكى والله النّجاشيُّ، حتى أخضَلَ لحيتَهُ، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم، ثم قال النّجاشيُّ: إنّ هذا، والذي جاء به موسى لَيَخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلِقا، فلا والله لا أُسلمهم إليكما ولا يُكاد. قالت: فلمّا خرجا من عنده قال عَمرو: والله لآتينَّهم غداً بما أستأصِل به خَضراءهم. فقال له ابن أبي ربيعة، وكان

أتقى الرجُلَين فينا: لا تفعل، فإنّ لهم أرحاماً. قال: والله لأخبرنَّه أنّهم يزعمُون أنّ عيسى عبد. ثم غدا عليه، فقال له ذلك، فَطَلَبَنا، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول، والله، ما قال اللهُ، كائناً في ذلك ما كانَ، فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول: هو عبدالله ورسوله، وروحه، وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول. فأخذ النّجاشيّ عوداً ثم قال: ما عدا عيسى ما قلتَ هذا العود. فتناخرت بطارقتُه حوله، فقال: وإنْ نَخَرتُم، والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسّيوم: الآمنون - مَنْ سبّكم غَرِم، ما أحبّ أن لي دَبراً[1] من ذَهَب، وأنّي آذيتُ رجلاً منكم، رُدُّوا هداياهما فلا حاجة لي فيها، فَوَالله ما أخذ الله منّي الرّشوةَ حين ردّ عليَّ مُلكي، فآخذ الرشوةَ فيه، وما أطاعَ النّاسَ فيَّ فأُطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحَين مردوداً عليهما ما جاءا به. قالت: فإنّا على ذلك، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في مُلكه، فَوَالله ما علِمنا حُزناً حَزِنَّا قَطُّ كان أشدّ علينا من حُزنٍ حزِنّاه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهر ذلك الرجلُ على النّجاشيِّ، فيأتي رجلٌ لا يعرفُ من حقّنا ما كان النّجاشيُّ يعرف منه. فسار إليه النّجاشي، وكان بينهما عرض النّيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَن رجلٌ يخرج حتى يحضر الوقعةَ، ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزُّبَير: أنا، فنفخوا له قربةً، فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النّيل التي بها يلتقي القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، ودعونا الله تعالى للنّجاشيّ، فإنّا لَعَلَى ذلك، إذ طلع الزُّبَير يسعى فلمع بثوبه، وهو يقول: ألا أبشِرُوا، فقد ظهر النّجاشيّ، وقد أهلك الله عدوَّه، ومكَّن له في بلاده.

---

(١) أي: جبلاً.

قال الزُّهري[1] : فحدَّثتُ عُروة بن الزُّبير هذا الحديثَ فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرّشوَةَ إلى آخره؟ قلت: لا. قال: فإنّ عائشة أمَّ المؤمنين حدثتني أنّ أباه كان مَلِك قومه، ولم يكن له ولدٌ إلاّ النّجاشيّ، وكان للنّجاشي عمٌّ من صُلبه اثنا عشر رجلاً، فقالت الحبشة: لو أنّا قتلنا هذا وملّكنا أخاه، فإنّه لا ولد غير[2] هذا الغلام، ولأخيه اثنا عشر ولداً، فتوارثوا مُلكَه من بعده بقيت الحبشةُ بعده دهراً، فَعَدَوا على أبي النّجاشي فقتلوه، وملّكوا أخاه. فمكثوا حيناً، ونشأ النجاشي مع عمّه، فكان لبيباً حازماً فغلب على أمر عمّه، ونزل منه بكلِّ منزلة، فلما رأت الحبشةُ مكانه منه قالت بينها: والله لقد غَلَبَ هذا على عمّه، وإنّا لَنَتَخَوَّفُ أن يُمَلِّكه علينا، وإنْ مَلَكَ لَيَقتُلنا بأبيه، فكلّموا الملك، فقال: ويلكم، قتلتُ أباهُ بالأمس، وأقتُله اليوم!، بل أُخرِجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به فباعوه لتاجرٍ بست مئة دِرهم، فقذفه في سفينة وانطلق به، حتى إذا كان آخر النّهار، هاجت سحابةٌ، فخرج عمّه يستمطر تحتَها، فأصابته صاعقةٌ فقتلته، ففزعت الحبشةُ إلى ولده، فإذا هو مُحْمَقٌ ليس في ولده خير، فَمَرِجَ الأمرُ، فقالوا: تعلموا، والله إنّ مَلِكَكم الذي لا يُقيم أمرَكم غيره لَلّذي بِعْتُمُوه غدوةً. فخرجوا في طلبه فأدركوه، وأخذوه من التّاجر، ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التّاجَ، وأقعدوه على سرير مُلكه، فجاء التّاجر فقال: مالي. قالوا: لا نعطيك شيئاً، فكلَّمَهُ، فأمرهم فقال: أعطوه دراهمه أو عبده. قالوا: بل نُعطيه دراهمه، فكان ذلك أوّل ما خُبر من عدله، رضي الله عنه.

وروى يزيد بن رومان، عن عُروة، قال: إنّما كان يكلّم النّجاشيَّ عثمانُ بن عفّان رضي الله عنه.

---

(١) ابن هشام ١/ ٣٣٩.

(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي السيرة: «لا ولد له غير».

أخبرنا إبراهيم بن حَمْد، وجماعة، قالوا: أخبرنا ابن مُلاعب، قال: حدثنا الأرمَوِيّ، قال: أخبرنا جابر بن ياسين، قال: أخبرنا المخلِّص، قال: حدثنا البَغَوِيّ، قال: حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان، قال: حدثنا أسد بن عَمرو البَجَلي، عن مجالد، عن الشَّعبيّ، عن عبدالله بن جعفر، عن أبيه، قال: بعثت قريش عَمراً وعُمارة بهديّة إلى النّجاشي ليُؤْذُوا المهاجرين، وذكر الحديث، فقال النّجاشيّ: أعَبيدٌ هم لكم؟ قالوا: لا. قال: فلكم عليهم دَيْنٌ؟ قالوا: لا. قال: فخلُّوهم. فقال عمرو: إنهم يقولون في عيسى غير ما تقول. فأرسَلَ إلينا، وكانت الدعوة الثانية أشدّ علينا، فقال: ما يقول صاحبكم في عيسى؟ قال: يقول: هو روح الله وكلمتُه ألقاها إلى عذراء بتول. فقال: ادعوا لي فُلاناً القسّ، وفلاناً الرَّاهب، فأتاه أُناسٌ منهم، فقال: ما تقولون في عيسى؟ قالوا: أنت أعلَمُنا. قال: وأخذ شيئاً من الأرض، فقال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثلَ هذا. ثم قال: أيُؤْذِيكم أحد؟ قالوا: نعم. فنادى: مَن آذى أحداً منهم فأَغرِموه أربعةَ دراهم، ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا. فأضعَفَها، قال: فلمّا ظهر النبيُّ ﷺ وهاجر أخبرناه، قال فزوَّدَنا وحملنا، ثم قال: أخبِر صاحبَك بما صنعتُ إليكم، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّه رسول الله، وقُلْ له يستغفر لي. فأتينا المدينةَ، فتلقّاني النبي ﷺ فاعتنقني وقال: «ما أدري أنا بقدوم جعفر أفرح أم بفتح خَيبر»، وقال: «اللَّهُمَّ اغفِر للنّجاشيّ» ثلاث مرّات، وقال المسلمون: آمين[1].

(١) كتب العلامة صلاح الدين الصفدي بخطه المليح على حاشية نسخة المؤلف إعلاماً نصه: «بلغت قراءة خليل بن أيبك في الميعاد الثالث على مؤلفه، فسح الله في مدته».

إسلامُ ضِماد

داود بن أبي هند، عن عَمرو بن سعيد، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: قدِم ضِمادٌ مكةَ، وهو من أَزدِ شَنُوءَةَ، وكان يَرقِي من هذه الرياح، فسمع سُفهاءَ من سُفهاء الناس يقولون: إنّ محمداً مجنون، فقال: آتي هذا الرجلَ لعلَّ الله أنْ يشفيه على يديّ. قال: فلقيتُ محمداً فقلت: إنّي أرقي من هذه الرياح، وإنّ الله يشفي على يدي مَن يشاء، فَهَلُمَّ. فقال محمد: إنّ الحمد لله نَحمدُه ونستعينه، من يَهْدِه الله فلا مُضِلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له (ثلاث مرات)، وأنّ محمداً عبده ورسوله، أمّا بعد. فقال: واللهِ لقد سمعتُ قولَ الكَهَنَة، وقولَ السَّحرَة، وقول الشعراء، فما سمعت مثلَ هؤلاء الكلمات ولقد بَلَغنَ قاموس البحر[1]، فَهَلُمّ يدَكَ أبايعك على الإسلام. فبايعه رسول الله ﷺ وقال له: «وعلى قومك». فقال: وعلى قومي. فبعث رسول الله ﷺ سريّةً، فمرُّوا بقوم ضِماد، فقال صاحب الجيش للسَّرِيَّة: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مِطهَرَةً. فقال: رُدُّوها عليهم فإنّهم قوم ضِماد. أخرجه مسلم[2].

---

(١) كتب المصنف بخطه: «في م: ناعوس» يريد أنها كذلك عند مسلم. وقد قال النووي في شرحه: «ناعوس البحر ضبطناه بوجهين أشهرهما: ناعوس، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا، والثاني: قاموس، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم... قال أبو عبيد: قاموس البحر: وسطه. وقال ابن دريد: لجته. وقال صاحب كتاب العين: قعره الأقصى.

(٢) مسلم ٣/ ١١.

إسلامُ الجِنِّ

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحقاف] الآيات، وقال: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأنعام] وأنزل فيهم سورة الجِنّ.

وقال أبو بِشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السّماء، وأُرسِلَت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسِلَت علينا الشُّهُب، قالوا: ما حالَ بينكم وبين خبرِ السماء إلّا شيءٌ حدث، فاضربوا مشارقَ الأرض ومغاربَها. قال: فانصرف أولئك النَّفر الذين توجَّهُوا نحو تهامة إلى رسول الله وهو بنَخلَة[1] ، عامداً إلى سوق عُكاظ، وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلمّا سمعوا القرآنَ استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا: إنَّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشد فآمنا به ولن نُشِرك بربِّنا أحداً، فأُنزلت ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴿١﴾ ﴾ [الجن]. متَّفَقٌ عليه[2] .

ويُحمل قول ابن عباس: إنّ النبي ﷺ ما قرأ على الجنّ ولا رآهم،

---

(١) مكان قرب مكة المكرمة.

(٢) البخاري ١/ ١٩٥ و ٦/ ١٩٩، ومسلم ٢/ ٣٥.

يعني أول ما سمعتِ الجنُّ القرآنَ، ثم إنّ داعي الجنّ أتى النبيَّ ﷺ ـ كما في خبر ابن مسعود، وابن مسعود قد حفظ القصَّتَين، فقال سفيان الثَّوريّ عن عاصم عن زِرّ، عن عبدالله قال: هبطوا على رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلمّا سمعوه أنصتوا، قالوا: صَه، وكانوا سبعة أحدهم زَوبَعَة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف] الآيات.

وقال مِسعَر، عن معن، قال: حدثنا أبي، قال: سألت مسروقاً: مَن آذن النّبيّ ﷺ ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك، يعني ابن مسعود: أنّه آذَنَتْهُ بهم شجرة. مُتفقٌ عليه(١).

وقال داود بن أبي هند، عن الشَّعبيّ، عن عَلقَمَة، قال: قلت لابن مسعود: هل صحِبَ رسولَ الله ﷺ ليلةَ الجنّ منكم أحدٌ؟ فقال: ما صحِبَه منا أحدٌ، ولكنّا فقدناه ذات ليلةٍ بمكة، فقلنا اغتِيل، استُطِير، ما فعل، فبتنا بِشرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ، فلمّا كان في وجه الصّبح ـ أو قال في السَّحَر ـ إذا نحن به يجيء من قِبلَ حِراء، فقلنا: يا رسول الله، فذكروا الذي كانوا فيه، فقال: «إنّه أتاني داعي الجن فأتيتُهم فقرأتُ عليهم»، فانطلق فأرانا آثارَهم وآثارَ نيرانهم. رواه مسلم(٢).

وقد جاء ما يخالف هذا، فقال عبدالله بن صالح: حدثني اللَّيثُ، قال: حدثني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو عثمان بن سَنَّة الخُزَاعي من أهل الشام، أنّه سمع ابنَ مسعود يقول: إنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه، وهو بمكة «مَن أحبّ منكم أن يحضر اللَّيلةَ أمرَ الجنّ فليفعل». فلم يحضر منهم أحدٌ غيري حتى إذا كنّا بأعلى مكة خَطَّ لي برِجله خطاً، ثمّ أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام، فافتتح القرآنَ

(١) البخاري ٥/ ٥٨، ومسلم ٢/ ٣٥.
(٢) مسلم ٢/ ٣٦.

فغشيَتْهُ أسْودة كثيرة، حالت بيني وبينه، حتى سمعت ما أسمعُ صوتَه، ثم انطلقوا وطَفِقُوا يتقطَّعون مثلَ قِطَع السَّحاب، ذاهبين، حتّى ما بقي منهم رَهطٌ، وفرغ رسولُ الله ﷺ مع الفجر، فانطلق فَتَبرَّزَ، ثم أتاني فقال: «ما فعل الرَّهطُ»؟ فقلت: هم أولئك يا رسول الله، فأخذ عَظماً ورَوثاً فأعطاهم إيّاه زاداً، ثم نهى أن يَستَطيبَ أحدٌ بعَظمٍ أو بَروثٍ. أخرجه النَّسائي[1] من حديث يونس.

وقال سليمان التَّيميّ، عن أبي عثمان النَّهدِي، أنّ ابن مسعود أبصر زُطّاً[2] في بعض الطريق فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء الزُّطّ، قال: ما رأيت شِبْهَهم إلاّ الجِنَّ ليلة الجنِّ، وكانوا مستثفرين يتبع بعضُهم بعضاً. صحيح.

يقال: استثفر الرجل بثوبه، إذا أخذ ذيله من بين فخِذَيه إلى حجزته فغرزه. وكذا يقال في الكلب، إذا جعل ذنبه بين فخِذَيه، ومنه قوله للحائض: استثفري.

وقال عثمان بن عمرو بن فارس، عن مستمر بن الرّيان، عن أبي الجَوزاء، عن ابن مسعود، قال: انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجنّ، حتى أتى الحَجُونَ فخطّ عليَّ خطّاً، ثم تقدّم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيّد لهم يقال له وَرْدان: إنّي أنا أرحِّلُهُم عنك، فقال: إنّي لَنْ يُجيرني من اللهِ أحدٌ.

وقال زُهير بن محمد التميميّ، عن ابن المُنكَدِر، عن جابر، قال: قرأ رسول الله ﷺ سورة «الرحمن»، ثم قال: «ما لي أراكم سُكُوتاً، لَلْجنُّ كانوا أحسن رداً منكم، ما قرأتُ عليهم هذه الآية من مرّة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن]، إلاّ قالوا: ولا بشيءٍ من نِعَمِك ربّنا

(١) المجتبى ١/ ٣٧، وفي الكبرى (٣٨).
(٢) جنس من السودان والهنود. (النهاية).

نُكَذِّبُ، فلكَ الحمدُ». زُهير ضعيف[1] .

وقال عَمرو بن يحيى بن سعيد بن عَمرو بن العاص، عن جدّه سعيد، قال: كان أبو هريرة يتبع رسول الله ﷺ بأداوةٍ لوضوئه. فذكر الحديث، وفيه: «أتاني جِنُّ نَصِيبين فسألوني الزَّادَ، فدعوتُ الله لهم أنْ لا يمرّوا بِرَوثَةٍ ولا بعَظمٍ إلاّ وجدوا طعاماً». أخرجه البخاري[2] .
ويدخل هذا الباب في باب شجاعته ﷺ وقوّة قلبه.

ومنه حديث محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: إنَّ عفريتاً من الجنّ تفلَّتَ عليَّ البارحةَ ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني اللهُ منه، فأخذتُه وأردتُ أنْ أربطه إلى ساريةٍ من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلُّكم، فذكرتُ دعوةَ أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴿٣٥﴾﴾ [ص]، فردَدْتُه خاسئاً. وفي لفظ: فأخذته فَذَعَتُّهُ[3] ، يعني خنقته، مُتفقٌ عليه[4] .

(١) التاريخ الصغير ٢٠٣، والكامل لابن عدي ٣/ ١٠٧٣.
(٢) البخاري ٥/ ٥٩.
(٣) وتروى أيضاً بالدال المهملة، ومعناه: دفعته دفعاً شديداً.
(٤) البخاري ١/ ١٢٤ و ٢/ ٨١ و ٤/ ١٥١ و ٦/ ١٥٦، ومسلم ٢/ ٧٢.

فصل
فيما وَرَدَ من هَواتفِ الجان وأقوالِ الكُهَّان

قال ابن وَهْب: أخبرنا عمر بن محمد، قال: حدثني سالم بن عبدالله، عن أبيه، قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيءٍ قطّ إنّي لأظُنُّهُ كذا، إلاّ كان كما يظن، فبينا عمر جالسٌ إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ فقال: لقد أخطأ ظنّي، أو إنّ هذا على دِينه في الجاهليّة، أو لقد كان كاهِنَهُم، عليَّ الرجلَ، فدُعِيَ له، فقال له عمر: لقد أخطأ ظنّي أو أنك على دِينك في الجاهلية، أو لقد كنت كاهنهم. فقال: ما رأيت كاليوم اسْتُقبِل به رجلٌ مسلم، قال فإنّي أعزِمُ عليك إلاّ ما أخبرتني. فقال: كنت كاهِنَهُم في الجاهلية. فقال: فما أعجبُ ما جاءتك به جِنِّيتك؟ قال: بينا أنا جالسٌ جاءتني أعرف فيها الفزع قالت:

ألـم تـر الجـنَّ وإبـلاسَهـا ويـأسها بَعْدُ وإبلاسَهَا[1]
ولحوقها بالقلاص وأحْلاسها وإيـاسهـا مـن أنسـاكهـا

قال عمر: صَدَق، بينا أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجلٌ بعِجْلٍ فذبحه، فصرخ منه صارخٌ لم أسمع صارخاً قَطُّ أشدّ صوتاً منه يقول: يا جَليحْ، أمرٌ نَجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلاّ الله. فوثب القوم، قلت: لا أبرحُ حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جَليح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ فصيح، يقول: لا إله إلاّ الله. قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء

(١) وعجز البيت في رواية البخاري : «وياسها من بعد إنكاسها».

هذا، فأعاد قوله، قال: فقمتُ فما نَشِبت أن قيل هذا نبيٌّ. أخرجه البخاري عن رجل عنه هكذا[1]. وظاهره أنّ عمر بنفسه سمع الصّارخَ من العِجل، وسائرُ الروايات تدلّ على أنّ الكاهن هو الذي سمع.

فروى يحيى بن أيّوب، عن ابن الهاد، عن عبدالله بن سليمان، عن محمد بن عبدالله بن عَمرو، عن نافع، عن ابن عمر، قال: بينما رجل مارّ، فقال عمر: قد كنت مرَّةً ذا فراسة، وليس لي رِئْيٌ، ألم يكن قد كان هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة، اُدْعُوه لي، فدعوه، فقال عمر: من أين قدِمتَ؟ قال: من الشام. قال: فأين تريد؟ قال: أردتُ هذا البيتَ، ولم أكن أخرج حتى آتيك. قال: هل كنتَ تنظرُ في الكَهَانة؟ قال: نعم. قال: فحدثني. قال: إنّي ذات ليلةٍ بوادٍ، إذ سمعت صائحاً يقول: يا جَليح، خبرٌ نَجِيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلاّ الله، الجنّ وإياسها، والإنس وإبلاسها، والخيل وأحلاسها، فقلت: مَن هذا؟ إنّ هذا لَخَبرٌ يئست منه الجنّ، وأبلست منه الإنس، وأُعملت فيه الخيل، فما حال الحَوْلُ حتى بُعِثَ رسول الله ﷺ.

ورواه الوليد بن مَزْيَد العُذرِيّ، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن ابن مسكين الأنصاريّ، قال: بينا عمر جالس. وهذا منقطع. ورواه حَجَّاج بن أرطاة، عن مجاهد. ويروَى عن ابن كثير أحد القرّاء، عن مجاهد موقوفاً.

ويُشبه أن يكون هذا الكاهن هو سَواد بن قارب المذكور في حديث أحمد بن موسى الحَمَّار الكوفي، قال[2]: حدثنا زياد بن يزيد القَصْري، قال: حدثنا محمد بن تراس الكوفي، قال: حدثنا أبو بكر بن عيّاش، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: بينا عمر يخطب إذ قال:

(١) البخاري ٥/ ٦١.
(٢) دلائل النبوة ٢/ ٢٤٩-٢٥١.

أفيكم سوادُ بن قارب؟ فلم يُجِبْهُ أحدٌ تلك السنة، فلما كانت السنةُ المقبلةُ قال: أفِيكم سَواد بن قارب؟ قالوا: وما سَواد بن قارب؟ قال: كان بدْء إسلامه شيئاً عَجَباً، فبينا نحن كذلك، إذ طلع سواد بن قارب، فقال له: حدِّثنا ببدء إسلامك يا سواد، قال: كنت نازلاً بالهند، وكان لي رَئِيٌّ من الجنّ، فبينا أنا ذات ليلةٍ نائم إذ جاءني في منامي ذلك، قال: قمْ فافْهم واعْقِلْ إنْ كنت تعقل، قد بُعث رسولٌ من لُؤَيّ بن غالب، ثم أنشأ يقول:

عجبتُ للجنّ وأنجاسها ... وشدّها العِيسَ بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ما مؤمنوها مثل أرجاسها
فانهض إلى الصَّفوة من هاشمٍ ... واَسْمُ بعينيك إلى راسها

يا سواد، إنّ الله قد بعث نبيّاً فانهضْ إليه تَهْتَدِ وترشد، فلمّا كان من اللّيلة الثانية أتاني فأنبهني، ثم قال:

عجِبْتُ للجنّ وتطلابها ... وشدّها العيسَ بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ليس قُدَامَاها كأذنابها
فانهضْ إلى الصَّفْوة من هاشمٍ ... واسمُ بعينيك إلى نابها[1]

فلمّا كانت الليلة الثالثة أتاني فأنبهني، ثم قال:

عجِبتُ للجنّ وتَخْبارها ... وشدّها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ليس ذَوُو الشّرّ كأخيارها
فانهضْ إلى الصَّفْوة من هاشمٍ ... ما مؤمنو الجنّ ككُفّارها

فوقع في قلبي حبُّ الإسلام، وشددت رَحْلي، حتى أتيتُ النّبيَّ ﷺ، فإذا هو بالمدينة، والناس عليه كعرف الفَرَس، فلمّا رآني قال: «مرحباً بسَواد بن قارب، قد علِمنا ما جاء بك» قلت: يا رسول الله قد

(١) كتب المصنف في حاشية نسخته: أي: سيدها.

قلتُ شعراً فاسمعه منّي:

أتـانـي رَئْيـي بعـد ليـلٍ وهجْعـة ... ولم يك فيما قد بلوت بكاذِب
ثـلاثَ ليـالٍ قـولـه كـلَّ ليلـةٍ ... أتـاك نبـيّ مـن لُـؤَيّ بـن غـالـبِ
فشمّرتُ عن ساقي الإزارَ ووسَّطَت ... بي الذِّعْلِبُ الوجناء عند السباسبِ[1]
فـأشهـد أنَّ الله لا شـيء غيـره ... وأنـك مـأمـونٌ علـى كـلّ غـائـبِ
وأنّـك أدنـى المـرسَليـن شفـاعـةً ... إلى الله يا ابن الأكرَمين الأطايبِ
فمُرْنا بما يأتيك يا خيرَ مَنْ مشى ... وإنْ كان فيما جاء شَيْب الذَّوائبِ
فكُنْ لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... سواك بِمُغْنٍ عن سَواد بن قاربِ

فضحك رسولُ الله ﷺ، وقال لي: «أفلحتَ يا سَواد» فقال له عمر: هل يأتيك رئْيُك الآن؟ قال: منذ قرأت القرآن لم يأتني، ونِعمَ العِوَض كتابُ الله من الجنّ.

هذا حديث مُنكَر بالمرّة، ومحمد بن تراس وزياد مجهولان لا تُقبل روايتهما، وأخاف أن يكون موضوعاً على أبي بكر بن عيّاش، ولكنَّ أصلَ الحديث مشهور.

وقد قال أبو يَعلَى الموصليّ، وعليّ بن شَيبان: حدثنا يحيى بن حُجْر الشّاميّ، قال: حدثنا عليّ بن منصور الأبناوي، قال: حدثنا أبو عبدالرحمن الوقاصيُّ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: بينما عمر جالس إذ مرَّ به رجل، فقال قائل: أتعرِف هذا؟ قال: ومَنْ هو؟ قال: سَواد بن قارب، فأرسل إليه عمر فقال: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم. قال: أنت الذي أتاه رَئيُّهُ بظهور النّبيّ ﷺ؟ قال: نعم. قال: فأنتَ على كَهانتكَ. فغضب وقال: ما استقبلني بهذا أحدٌ منذ أسلمتُ. قال عمر: سبحان الله ما كنّا عليه من الشِّرك أعظم، قال: فأخبِرني بإتيانك

---

(١) الذعلب: الناقة السريعة، والوجناء: الشديدة، والسباسب: المفازة.

رَئيّكَ بظهور رسول الله ﷺ. قال: بينا أنا ذات ليلةٍ بين النّائم واليَقْظان، إذ أتاني فضربني برِجله، وقال: قُمْ يا سَواد بن قارب اسمع مقالتي واعقِلْ، إنْ كنت تعقِل، إنّه قد بُعث رسولٌ من لُؤَيّ بن غالب يدعو إلى عبادة الله، ثم ذكر الشعر قريباً مما تقدّم، ثم أنشأ عمر يقول: كنّا يوماً في حيٍّ من قريشٍ يقال لهم آل ذَرِيح، وقد ذبحوا عجْلاً، والجزّار يعالجه إذ سمعنا صوتاً من جوف العِجل ولا نرى شيئاً هو يقول: يا آل ذَريح، أمر نَجِيح، صائح يصيح، بلسانٍ فصيح، يشهد أن لا إله إلاّ الله.

أبو عبدالرحمن اسمه عثمان بن عبدالرحمن، مُتَّفقٌ على تركه، وعلي بن منصور فيه جَهالة، مع أنّ الحديث منقطِع.

وقد رواه الحسن بن سفيان، ومحمد بن عبدالوهاب الفرَّاء، عن بِشر بن حُجْر أخي يحيى بن حُجْر، عن عليّ بن منصور، عن عثمان بن عبدالرحمن، بنَحوه.

وقال ابن عديّ في «كامله»[1]: حدثنا الوليد بن حمّاد، بالرملة، قال: حدثنا سليمان بن عبدالرحمن، قال: حدثنا الحَكَم بن يَعلَى المُحارِبيّ، قال: حدثنا أبو مَعمَر عبّاد بن عبدالصَّمد، قال: سمعت سعيد بن جُبَير، يقول: أخبرني سَواد بن قارب قال: كنت نائماً على جبل من جبال الشَّرَاة، فأتاني آتٍ فضربني برِجله وقال: قم يا سَواد أتى رسولٌ من لُؤَيّ بن غالب، فذكر الحديث.

كذا فيه سعيد يقول: أخبرني سواد، وعبّاد ليس بثقة يأتي بالطَّامّات.

وقال مَعمَر، عن الزُّهري، عن عليّ بن الحسين، قال: أوّل ما سُمِع بالمدينة أنّ امرأةً من أهل يثرب تُدعَى فَطِيمة، كان لها تابعٌ من الجِنّ،

---

(١) الكامل ٢/٦٢٨.

فجاء يوماً فوقع على جدارها، فقالت: ما لك لا تدخل؟ فقال: إنّه قد بُعث نبيّ يُحَرِّمُ الزِّنَى. فحدَّثتْ بذاك المرأةُ عن تابعها من الجنّ، فكان أول خبرٍ تُحُدِّثَ به بالمدينة.

وقال يحيى بن يوسف الزَّمِّي: حدثنا عُبَيدالله بن عَمرو، عن عبدالله ابن محمد بن عَقِيل، عن جابر، قال: أول خبر قدِم عن النبي ﷺ بالمدينة أنّ امرأةً كان لها تابع، فجاء في صورة طائرٍ حتى وقع على حائط دارهم، فقالت له المرأة: انزِل، قال: لا، إنّه قد بُعث بمكة نبيٌّ يحرِّم الزِّنى، قد منع منّا القرار.

وفي الباب عدّة أحاديث عامّتها واهية الأسانيد.

انشقاق القمر

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ۝٣﴾ [القمر]. قال شَيبان، عن قَتَادة، عن أنس: إنّ أهل مكة سألوا نبيَّ الله ﷺ أنْ يُرِيَهُمْ آيةً، فأراهم انشقاقَ القمر مرَّتَين. أخرجاه(١) من حديث شَيبان، لكن لم يقل البخاري مرَّتَين.

وقال مَعمَر، عن قَتَادة، عن أنس مثلَه، وزاد «فانشقّ فِرْقَتَين مرَّتين». وللبخاري نحوٌ منه، عن ابن أبي عَرُوبة، عن قَتادة(٢). وأخرجاه(٣) من حديث شُعبة، عن قَتَادة.

وقال ابن عُيَيْنَة وغيره: عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن أبي مَعمَر، عن ابن مسعود، قال: رأيت القمر منشقّاً شقتين بمكة، قبل مخرج النّبيّ ﷺ شقّة على أبي قُبَيْس، وشِقّة على السُّوَيْداء، فقالوا: سحر القمر.

لفظ عبدالرزاق، عن ابن عُيينة، وأراد (قبل مخرج النبي ﷺ) يعني إلى المدينة.

أخرجاه(٤) من حديث ابن عُيَينَة، ولفظهُ: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا.

---

(١) البخاري ٤/ ٢٥١ و ٦/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٢.
(٢) البخاري ٤/ ٢٥١.
(٣) البخاري ٦/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٢.
(٤) البخاري ٤/ و٦ ٢٥١/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٢.

وأخرجاه[1] عن عمر بن حفص، عن أبيه، عن الأعمش، قال: حدثنا إبراهيم، عن أبي مَعمَر، عن عبدالله، قال: انفلقَ القمرُ، ونحن مع رسول الله ﷺ، فصارت فلقةٌ من وراء الجبل، وفلقةٌ دونه، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا. وأخرجاه[2] من حديث شُعبة، عن الأعمش.

وقال أبو داود الطَّيَالِسي في «مُسنده»: حدثنا أبو عُوانَة، عن مُغيرة، عن أبي الضُّحى، عن مسروق، عن عبدالله، قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السُّفَّار، فإنّ محمداً لا يستطيع أن يسْحَرَ الناسَ كلَّهم، فجاء السُّفَّارُ فقالوا: ذلك صحيح.

وقال هُشَيم، عن مغيرة، نحوَه.

وقال بكر بن مُضَر، عن جعفر بن ربيعة، عن عِراك بن مالك، عن عُبَيدالله بن عبدالله بن عُتبة، عن ابن عباس أنّه قال: إنَّ القمرَ انشقَّ على زمان رسول الله ﷺ. مُتَّفقٌ عليه من حديث بكر[3].

وقال شُعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، في قوله ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر] قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشقّ فلقَتين، فِلْقةً من دون الجبل، وفِلْقةً من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ «اللَّهُمَّ اشهد». أخرجه مسلم[4].

وقال إبراهيم بن طهمان، وهُشَيم، عن حُصين، عن جُبَير بن محمد ابن جُبير بن مُطعِم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: انشقَّ القمرُ، ونحن بمكة على عهد رسول الله ﷺ. وكذا رواه أبو كُدَينة، والمفضّل بن يونس،

---

(١) البخاري ٥/ ٦٢، ومسلم ٨/ ١٣٢.
(٢) البخاري ٦/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٢ و١٣٣.
(٣) البخاري ٤/ ٢٥١ و ٥/ ٦٢ و ٦/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٣.
(٤) مسلم ٨/ ١٣٢.

عن حُصَين. ورواه محمد بن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حُصَين، عن محمد بن جُبَير، عن أبيه. والأول أصحّ.

باب: ويسألونك عنِ الرُّوح

قال يحيى بن أبي زائدة، عن داود بن أبي هند، عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]، قالوا: نحن لم نُؤْتَ من العلم إلاّ قليلاً؟ وقد أُوتينا التَّوراة فيها حكم الله، ومن أوتي التَّوراة فقد أُوتي خيراً كثيراً. قال: فنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف] الآية. وهذا إسنادٌ صحيح[1].

وقال يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس أنّ مُشرِكي قريش، بعثوا النَّضرَ بن الحارث، وعُقبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، وقالوا لهم: سَلُوهم عن محمد، وصفوا لهم صفَتَه، وأخبروهم بقوله، فإنّهم أهلُ الكتاب الأوّل، وعندهم علمُ ما ليس عندنا. فقدِما المدينةَ، فسألوا أحبارَ اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره ببعض قوله، فقالت لهم أحبار اليهود: سَلُوه عن ثلاثٍ نأمركم بهنّ، فإنْ أخبركم بهنّ فهو نبيٌّ مُرسَلْ. سَلُوه عن فِتيةٍ ذهبوا في الدَّهْر الأول، ما كان من أمرهم، فإنّه كان لهم حديثٌ عجب. وسَلُوه عن رجلٍ طوَّافٍ بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها وما كان نَبَؤُه. وسَلُوه عن الرُّوح ما هو. فقدِما مكةَ، فقالا: يا

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٥، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في الكبرى، كما في التحفة (٦٠٨٣).

معشر قريشٍ قد جئناكم بفصلٍ ما بينكم وبين محمد، قد أَمَرَنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أُمورٍ، فجاؤوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، وسألوه، فقال: «أُخبركم غداً»، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث خمس عشرة ليلة لا يُحدِث الله إليه في ذلك وحياً، ولم يأته جبريل، حتى أَرْجَفَ أهلُ مكة، وقالوا: وَعَدَنَا غداً واليوم خمس عشر. وأحزن رسولَ الله ﷺ مكثُ الوحي، ثم جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إيّاه على حُزنه، وخبر الفتية والرجل الطّوّاف، وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

وأمّا حديث ابن مسعود[1] ، فيدلّ على أنّ سؤال اليهود عن الرُّوح كان بالمدينة. ولعلّه ﷺ سُئل مرّتين.

وقال جرير بن عبدالحميد، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة رسولَ الله ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذهباً، وأن يُنَحّيَ عنهم الجبال فيزرعوا فيها. فقال الله: إنْ شئتَ آتيناهم ما سألوا، فإنْ كفروا أُهلكوا كما أُهلِك مَنْ كان قبلهم، وإنْ شئتَ أن أستأني بهم. لعلّنا نستحيي منهم، وأنزل الله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء]. حديثٌ صحيح[2] . ورواه سَلَمَة بن كُهيل، عن عمران، عن ابن عباس، وروي عن أيّوب، عن سعيد بن جُبير.

---

(١) حديث ابن مسعود في الصحيحين: البخاري ١/٤٣ و٦/١٠٨ و٩/١١٩ و١٦٧، ومسلم ٨/١٢٨ و١٢٩.

(٢) أخرجه أحمد ١/٢٥٨، والنسائي في الكبرى، كما في التحفة (٥٤٦٧).

ذِكْر أذيَّةِ المشركينَ للنبيِّ ﷺ وللمسلمينَ

الأوزاعيُّ، عن يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني محمد بن إبراهيم التَّيمي، قال: حدثني عُروة، قال: سألت عبدَالله بنَ عَمرو قلت: حدِّثني بأشدّ شيءٍ صنعه المشركون برسول الله ﷺ. قال: أقبل عُقبة بن أبي مُعَيط والنبي ﷺ يصلّي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عُنُقِه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمَنْكِبِه، فدفعه عن رسول الله ﷺ ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر]. أخرجه البخاري[1].

ورواه ابن إسحاق، عن يحيى بن عُروة، عن أبيه، عن عبدالله.

ورواه سليمان بن بلال، وعَبْدة[2]، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عَمرو بن العاص. وهذه علّة ظاهرة، لكن رواه محمد بن فُلَيح، عن هشام، عن أبيه، عن عبدالله بن عَمرو، فهذا ترجيحٌ للأول.

وقال سُفيان، وشُعبة، واللَّفظ له، قال: حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت عَمرو بن ميمون يحدث عن عبدالله، قال: بينما رسول الله ﷺ ساجدٌ وحوله ناسٌ من قريش، وثَمّ سَلَى بعيرٍ، فقالوا: من يأخذ سَلَى هذا الجَزُور فيقذفه على ظهره. فجاء عُقبة بن أبي مُعَيط فقذفه على ظهره ﷺ، وجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت على مَن صنع

---

(١) البخاري ٥/٥٨.

(٢) هو عبدة بن سليمان، وقد كتب المصنف في حاشية نسخته «خ: عبيدة» أي أنه في نسخة أخرى. قلت: ولا نعرف في الرواة عن هشام بن عروة من اسمه عبيدة.

ذلك، قال عبدالله: فما رأيت رسولَ الله ﷺ دعا عليهم إلاّ يومئذٍ فقال: «اللَّهُمَّ عليك الملأ من قريش، اللَّهُمّ عليك أبا جهل بن هشام، وعُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وعُقبة بن أبي مُعَيط، وأُميَّة بن خَلَف» ـ أو أُبَيّ ابن خَلَف، شكّ شُعبة، ولم يشكّ سُفيان أنّه أُميّة ـ قال عبدالله: فقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر وأُلْقُوا في القَلِيب[1]، غير أنّ أُميّة كان رجلاً بادناً، فتقطّع قبل أن يُبْلَغ به البئر. أخرجاه[2] من حديث شُعبة، ومن حديث سُفيان.

وقال مسلم[3]: حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان، قال: أخبرنا عبدالرحيم بن سليمان، عن زكريّا، عن أبي إسحاق، عن عَمرو بن ميمون، عن عبدالله، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلّي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جُلوس، وقد نُحرت جَزُور بالأمس، فقال أبو جهل: أيُّكُم يقوم إلى سَلَى جَزُور فيضعه على كتفيَ محمدٍ إذا سجد؟ فانبعث أشقاهم[4]، فأخذه فوضعه بين كتفيه، فضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لي مَنَعَة طرحتُه، والنبي ﷺ ما يرفع رأسه، فجاءت فاطمة، وهي جُوَيْرية فطرحته عنه وسَبَّتهم، فلما قضى صلاتَه رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «اللَّهُمَّ عليك بقريش» ثلاثاً، فلمّا سمعوا صوته ذهب عنهم الضِّحْكُ وخافوا دعوته، ثم قال: «اللّهُم عليك بأبي جهل، وعُتبة ابن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، والوليد بن عُقبة، وأُميَّة بن خَلَف، وعُقبة

---

(١) هكذا قال ابن مسعود رضي الله عنه مع أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب، وإنما قُتل صبراً بعد أن رحلوا عن بدر مرحلة (وانظر فتح الباري ١/ ٤٦٣).

(٢) البخاري ٥/ ٥٧، ومسلم ٥/ ١٧٩.

(٣) مسلم ٥/ ١٧٩.

(٤) هو: عقبة بن أبي معيط.

ابن أبي مُعَيط» وذكر السابع ولم أحفظه. فَوَالذي بعث محمداً بالحقّ، لقد رأيتُ الذين سمَّى صَرعَى يوم بدرٍ، ثم سُحِبوا إلى القَلِيب، قَلِيب بدر.

وقال زائدة، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبدالله، قال: إنَّ أوَّلَ مَنْ أظهر إسلامَهُ سبعةٌ: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّار، وأمّه سُمَيّة، وصُهَيب، وبلال، والمِقداد. فأمّا رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمّه أبي طالب. وأمّا أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأمّا سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد، وأوقفوهم في الشمس، فما من أحدٍ إلاّ وقد واتاهم على ما أرادوا غير بلال، فإنّه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الوِلدانَ فجعلوا يطوفون به في شِعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحد. حديث صحيح.

وقال هشام الدَّستوائيّ، عن أبي الزُّبَير، عن جابر، أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بعمار وأهله، وهم يُعذَّبون، فقال: «أبشِروا آل عمار[١] فإنّ موعدكم الجنّة».

وقال الثَّوريّ، عن منصور، عن مجاهد، قال: كان أوّل شهيدٍ في الإسلام أمّ عمّار سُمَيّة، طعنها أبو جهل بحربة في قُبُلِها[٢].

وقال يونس بن بُكَير، عن هشام بن عُروة، عن أبيه أنّ أبا بكرٍ أعتق ممّن كان يُعذَّب في الله سبعة، فذكر منهم الزِّنِّيرَة، قال: فذهب بصرها، وكانت ممّن يُعذَّب في الله على الإسلام، فتأبى إلاّ الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصَرَها إلاّ اللاّتُ والعُزَّى، فقالت: كلاّ والله، ما هو كذلك. فردّ الله عليها بصرها[٣].

---

(١) كتب المصنف بخطه في هامش النسخة أنه في نسخة: آل ياسر.
(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٦٤-٢٦٥.
(٣) وانظر ابن هشام ١/ ٣١٨.

وقال إسماعيل بن أبي خالد وغيره: حدثنا قيس، قال: سمعت خبَّاباً يقول: أتيت رسولَ الله ﷺ وهو متوسّد بُرده في ظلّ الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدّةً شديدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله؟ فقعد وهو مُحمَرٌّ وجهُهُ فقال: «إنْ كان مَن كان قبلكم لَيُمْشَطُ أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحمٍ أو عَصَبٍ ما يصرفه ذلك عن دِينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقّ باثنين، ما يصرفه ذلك عن دِينه، ولَيَتُمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حَضرَمَوت لا يخاف إلاّ الله عز وجل» مُتفق عليه[1]، وزاد البخاري من حديث بيان ابن بِشر: «والذِّئبَ على غنمه».

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[2]، قال: حدثني حُكَيم بن جُبَير، عن سعيد بن جُبير: قلتُ لابن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذَرون به في تَرْكِ دِينهم؟ قال: نعم والله، إنْ كانوا ليضربون أحدَهم، يُجِيعُونه ويُعَطِّشُونه، حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدّة الضّرِّ الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولون له: آللاّتُ والعُزَّى إلهُكَ من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إنّ الجُعَلَ لَيَمُرُّ بهم فيقولون له: أهذا الجُعَل إلهُكَ من دون الله، فيقول: نعم، افتداءً منهم ممّا يبلغون من جَهْدِه.

وحدَّثني الزُّبَير بن عُكَّاشة، أنّه حُدِّث، أنّ رجالاً من بني مخزوم مَشَوا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلموا، منهم سَلَمَة بن هشام،

---

(١) هكذا قال إنه متفق عليه، ولم يخرجه مسلم، بل أخرجه البخاري ٤/ ٢٤٤و ٥/ ٥٦و٩/ ٢٥، والنسائي ٨/ ٢٠٨، وأبو داود (٢٦٤٩)، وهو عند الحميدي (١٥٧)، وأحمد ٥/ ١٠٩ و ١١٠ و١١١ و٦/ ٣٩٥، وانظر تحفة الأشراف ٣/ ١١٧حديث (٣٥١٩)، والمسند الجامع ٣٢٠٥ حديث (٣٦٠٦).

(٢) ابن هشام ١/ ٣٢٠.

وعيّاش بن أبي ربيعة، قال: فقالوا له وخَشُوا شرَّه: إنّا قد أردنا أن تعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدِّين الذي قد أحدثوا، فإنّا نأمن بذلك في غيره. قال: هذا فعليكم به فعاتبوه، يعني أخاه الوليد، ثم إيّاكم ونفسَهُ، وقال:

ألا لا تقتُلُـنَّ أخـي عُيَيْـشٍ فيبقـى بيننـا أبـداً تـلاحـي

احذروا على نفسه، فأُقْسِم بالله لئن قتلتموه لأقتلنّ أشرفكم رجلاً، قال: فتركوه، فكان ذلك مما دفع الله به عنه.

وقال عَمرو بن دينار، فيما رواه عنه ابن عُيَيْنَة: لما قدِم عَمرو بن العاص من الحبشة جلس في بيته فقالوا: ما شأنه، ما له لا يخرج؟ فقال: إنّ أصْحَمة يزعمُ أنَّ صاحبكم نبيّ.

ويروى عن ابن إسحاق، من طريق محمد بن حُمَيد الرّازي، أنّ النبي ﷺ كتب إلى النّجاشي يدعوه إلى الإسلام، وذلك مع عَمرو بن أُميَّة الضَّمْرِيّ، وأنّ النجاشي كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة بن أبجر، سلامٌ عليك يا نبيَّ الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنّك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابنَ عمّك، وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين، وقد بعثت إليك أريحا ابني، فإنّي لا أملك إلاّ نفسي، وإن شئت، أن آتيكَ فعلتُ، يا رسول الله.

قال يونس، عن ابن إسحاق: كان اسم النَّجاشي مَصْحَمَة، وهو بالعربية عطّية، وإنّما النجاشي اسم المَلِك، كقولك كِسرَى وهِرَقل.

وفي حديث جابر، أنّ النبي ﷺ صلّى على أصحمة النجاشي، وأمّا قوله: «مَصْحَمَة» فلفظٌ غريب.

ذكْر شِعْب أبي طالب والصَّحيفة

قال موسى بن عُقبة، عن الزُّهري، قال: ثم إنّهم اشتدُّوا على المسلمين كأشدّ ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجهدُ، واشتدَّ عليهم البلاءُ، وأجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسولَ الله ﷺ علانيةً. فلمّا رأى أبو طالب عَمَلهم جمع بني أبيه وأمرهم أن يُدْخِلُوا رسولَ الله ﷺ شِعبَهم ويمنعوه ممّن أرادَ قتلَه، فاجتمعوا على ذلك مُسلمُهُم وكافرُهُم، فمنهم من فعله حَمِيَّةً، ومنهم من فعله إيماناً، فلمّا عرفت قريش أنَّ القومَ قد منعوه أجمعوا أمرهم أنْ لا يُجالسوهم ولا يبايعوهم، حتى يُسْلِموا رسولَ الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مَكْرهم صحيفةً وعهوداً ومواثيق، لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صُلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفةٌ حتى يُسْلِمُوه للقتل(١).

فلبِث بنو هاشم في شِعبهم، يعني ثلاث سنين، واشتدّ عليهم البلاءُ، وقطعوا عنهم الأسواق، وكان أبو طالب إذا نام النّاس أمر رسولَ الله ﷺ فاضطّجع على فراشه، حتى يرى ذلك مَنْ أراد مكراً به واغتياله، فإذا نام الناس أمر أحدَ بنيه أو إخوَته فاضطّجع على فراش رسول الله ﷺ. ويأتي رسولُ الله ﷺ فراشَ ذلك فينام عليه. فلما كان رأس ثلاث سنين، تَلَاوَمَ رجالٌ من بني عبد مَناف، ومن بني قُصَيّ، ورجال أُمَّهاتهم

(١) كتب المؤلف على هامش الأصل: «الحافظ أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري: حدثنا المدائني، عن أبي زيد الأنصاري، عن أبي عمرو بن العلاء، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حُصرنا في الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنا الميرة حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة فما يبتاع شيئاً حتى مات منا قوم».

من نساء بني هاشم، ورأوا أنّهم قد قطعوا الرَّحِمَ واستخفُّوا بالحقّ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدرِ والبراءة منه.

وبعث الله على صحيفتهم الأرَضَة، فَلَحَست كلَّ ما كان فيها من عهدٍ وميثاق، ويقال: كانت معلَّقةً في سقف البيت، فلم تترك اسماً لله إلاّ لحسته، وبقي ما كان فيها من شِرك أو ظُلم، فأطلع الله رسولَه على ذلك، فأخبر به أبا طالب، فقال أبو طالب: لا والثَّواقبِ ما كَذَبَني. فانطلق يمشي بعصابةٍ من بني عبدالمطلب، حتى أتى المسجدَ وهو حافلٌ من قريش، فأنكروا ذلك، فقال أبو طالب: قد حَدَثَت أمورٌ بينكم لم نذكرها لكم، فائتوا بصحيفتكم التي تَعَاهَدتم عليها، فلعلَّه أنْ يكون بيننا وبينكم صُلح. فأتوا بها وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمرٍ يجمع قومكم، فإنّما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد، جعلتموه خطراً للهَلَكَة. قال أبو طالب: إنّما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نَصَفٌ، إنّ ابن أخي قد أخبرني ولم يَكذِبني، أنّ الله بريءٌ من هذه الصحيفة، ومحا كلَّ اسمٍ هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم، فإنْ كان كما قال، فأفيقوا، فَوَالله لا نُسلِمُه أبداً حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً، دفعناه إليكم، فرضوا وفتحوا الصّحيفة، فلما رأتْها قريش كالذي قال أبو طالب، قالوا: والله إنْ كان هذا قطّ إلاّ سِحراً من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا لكُفرهم، فقال بنو عبدالمطلب: إنّ أولى بالكذِب والسِّحر غيرنا، فكيف ترون، وإنّا نعلم أنّ الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب الى الجِبتِ والسِّحر من أمرنا، ولولا أنّكم اجتمعتم على السِّحر لم تفسد الصّحيفة، وهي في أيديكم، أَفَنَحنُ السَّحَرةُ أم أنتم؟ فقال أبو البَختَرِيّ، ومُطعِم بن عَدِي، وزُهَير بن أبي أُميَّة بن المغيرة، وزَمعة بن الأسود، وهشام بن عَمرو ـ وكانت الصّحيفة عنده،

وهو من بني عامر بن لُؤَيّ ـ في رجالٍ من أشرافهم: نحن بُرآء ممّا في هذه الصّحيفة. فقال أبو جهل: هذا أمر قُضِي بِلَيل.

وذكر نحو هذه القصّة ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُروَة.

وذكر ابن إسحاق[1] نحواً من هذا، وقال: حدثني حسين بن عبدالله أنّ أبا لهب ـ يعني حين فارق قومه من الشِّعْب ـ لقي هنداً بنت عُتبة بن ربيعة، فقال لها: هل نَصَرتِ اللاّتَ والعُزَّى وفارَقتِ مَن فارقها؟ قالت: نعم فجزاك الله خيراً أبا عتبة.

وأقام بنو هاشم سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سرّاً مستخفىً به. وقد كان أبو جهل فيما يذكرون لَقِيَ حكيمَ بن حزام بن خويلد، ومعه غلام يحمل قمحاً، يريد به عمته خديجة رضي الله عنها، وهي في الشعب فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم، والله لا تبرح أنتَ وطعامك حتى أفضحكَ بمكة. فجاءه أبو البَخترَيّ بن هشام، فقال: ما لَكَ وله! قال: يحمل الطعام إلى بني هاشم! قال: طعام كان لعمّته عنده أفَتَمنعه أن يأتيها بطعامها، خَلِّ سبيلَ الرّجل. فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه، فأخذ له أبو البَختَرِيّ لَحيَ بَعِيرٍ، فضربه فشجّه ووطِئه وطئاً شديداً، وحمزة يرى ذلك، يكرهون أنْ يبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابه، فيشمتوا بهم، قال: ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهاراً، سرّاً وجَهراً.

وقال موسى بن عُقبة: فلمّا أفسد الله الصحيفة، خرج رسول الله ﷺ ورهطه، فعاشوا وخالطوا الناس[2].

---

(١) ابن هشام ١/٣٥١.

(٢) كتب صلاح الدين الصفدي بلاغاً على هامش نسخة المؤلف يفيد قراءته عليه نصه: «بلغت قراءة خليل بن أيبك في الميعاد الرابع على مؤلفه».

باب
إنّا كفيناكَ المُستهزِئينَ

قال الثَّوري، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس في قول الله عَزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر] قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزُّهري، وأبو زَمعة الأسود بن المطلب من بني أسد بن عبدالعُزَّى، والحارث بن عَيْطَل السَّهميّ، والعاص بن وائل، فأتاه جبريلُ فشكاهم النبيُّ ﷺ إليه، فأراه الوليدَ، وأومأ جبريل إلى أبجله[1] فقال: ما صنعتَ؟ قال: كُفِيتَه. ثم أراه الأسود، فأومأ جبريل إلى عينيه، فقال: ما صنعت؟ قال: كُفِيتَه. ثم أراه أبا زَمْعَة، فأومأ إلى رأسه، فقال: ما صنعت؟ قال: كُفِيته. ثم أراه الحارث، فأومأ إلى رأسه أو بطنه، وقال: كُفِيته. ومَرَّ به العاص فأومأ إلى أخمصه، وقال: كُفِيته. فأمّا الوليد، فمرّ برجلٍ من خُزاعة، وهو يريش نَبلاً له فأصاب أبْجَلَهُ فقطعها، وأمّا الأسود فعميَ، وأمّا ابن عبد يَغُوث فخرج في رأسه قُرُوحٌ فمات منها، وأمّا الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه، حتى خرج خُرؤه من فِيهِ فماتَ منها، وأمّا العاص فدخل في رأسه شِبْرِقة[2]، حتى امتلأت فمات منها، وقال

---

(١) الأبجل: عرق في باطن الذراع، وقيل: هو عرق غليظ في الرِّجلِ فيما بين العصب والعظم.

(٢) نبتٌ حجازي له شوك.

غيره: إنّه ركب إلى الطّائف حماراً فربط به على شوكة، فدخلت في أخمصه فمات منها. حديث صحيح[1].

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٣١٦.

دُعاءُ رسول الله ﷺ على قريش بالسَّنَة

قال الأعمش، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، قال: بينما رجل يُحَدِّثُ في المسجد، إذ قال فيما يقول: يوم تأتي السّماءُ بدُخَانٍ مبين، قال: دخانٌ يكونُ يوم القيامة فيأخذ بأسماعِ المنافقينَ وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزُّكمَة، فقمنا فدخلنا على عبدالله بن مسعود فأخبرناه، فقال: أيُّها الناس مَنْ علم منكم عِلماً فليقُل به، ومَنْ لم يعلمْ فليقُل: الله أعلم، فإنَّ من العلم أنْ يقول العالمُ لِمَا لايعلم اللهُ أعلمُ، قال الله لرسوله: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [صَ]. وسأحدثكم عن الدُّخان: إنّ قريشاً لمّا استعصت على رسول الله ﷺ وأبطَؤُوا عن الإسلام قال: «اللَّهُمَّ أعِنّي عليهم بسبعٍ كَسَبع يوسف»، فأصابتهم سَنَةٌ فحصَّت كلَّ شيءٍ حتى أكلوا الجِيَفَ والمَيتَةَ، حتى إنّ أحدهم كان يرى ما بينه وبين السّماء كهيئة الدُّخان من الجوع، ثم دَعَوا فكشف عنهم، يعني قولهم: ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الدخان]. ثم قرأ عبدالله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الدخان] قال: فعادوا فكفروا فأُخِّرُوا إلى يوم بدر ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان]. قال عبدالله: يوم بدر فانتقم منهم. مُتفق عليه[1].

وقال عليّ بن ثابت الدّهّان ـ وقد تُوُفِّي سنة تسع عشرة ومئتين: أخبرنا أسباط بن نصر، عن منصور، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، عن

(١) البخاري ٢/ ٣٣ و ٣٧ و ٦/ ٩٦ و ١٣٩ و ١٥٦ و ١٦٥ و ١٦٦، ومسلم ٨/ ١٣٠ و١٣١.

عبدالله، قال: لما رأى رسولُ الله ﷺ من الناس إدباراً قال: «اللَّهُمَّ سبعٌ كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام، فجاءه أبو سُفيان وغيره، فقال: إنَّكَ تزعم أنّك بُعِثتَ رحمةً، وإنّ قومك قد هلكوا، فادعُ الله لهم، فدعا فسُقُوا الغيث.

قال ابن مسعود: مضت آية الدُّخَان، وهو الجوع الذي أصابهم، وآية الرُّوم، والبطشةُ الكبرى، وانشقاق القمر.

وأخرجا من حديث الأعمش، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، قال عبدالله: خمسٌ قد مَضَين: اللّزام[1]، والروم، والدخان، والقمر، والبطشَة[2].

وقال أيّوب وغيره، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع، لأنهم لم يجدوا شيئاً، حتى أكلوا العِلهز[3] بالدم، فنزلت: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [المؤمنون].

---

(١) المراد به قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ [الفرقان]، أي: يكون عذابهم لازماً.

(٢) البخاري ٦/ ١٦٤ و ١٦٦، ومسلم ٨/ ١٣١.

(٣) كتب المؤلف في حاشية نسخته: «هو الوبر». أي: يخلطون الدم بأوبار الإبل ويشوونه ويأكلونه في سني المجاعة.

ذِكْرُ الرُّوم

وقال أبو إسحاق الفزاريُّ، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عَمرة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: كان المسلمون يحبُّونَ أنْ تظهرَ الرُّوم على فارس، لأنّهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبّون أن تظهر فارس على الروم، لأنّهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر، فذكره للنبي ﷺ، فقال: «أما إنّهم سيظهرون»، فذكر أبو بكر لهم ذلك، فقالوا: اجعل بيننا وبينكم أجلاً، فجعل بينهم أجلَ خمس سنين فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال: «ألا جعلتَهُ - أُراه قال - دون العشرة»، قال: فظهرت الروم بعد ذلك. فذلك قولُه تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾﴾ [الروم].

قال سُفيان الثَّوري: وسمعت أنّهم ظهروا يوم بدر.

وقال الحسين بن الحسن بن عطيّة العَوفي: حدثني أبي، عن جدّي، عن ابن عباس: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ [الروم] قال: قد مضى ذلك وغَلَبَتهم فارس، ثم غلبتهم الروم بعد ذلك، ولقي نبيُّ الله ﷺ مشركي العرب، والتقت الروم وفارس، فنصر الله النبي ﷺ على المشركين، ونُصِر الرُّوم على مُشرِكي العجم، ففرح المؤمنون بنصرِ الله إيّاهم، ونصرِ أهل الكتاب.

قال عطيّة: فسألت أبا سعيدٍ الخُدرِيّ عن ذلك، فقال: التقينا مع رسول الله ﷺ نحن ومشركو العرب، والتقت الروم وفارس، فَنَصَرَنَا الله

على المشركين، ونصر الله أهلَ الكتاب على المجوس، ففرحنا بنصرنا ونصرهم[(١)].

وقال اللَّيث: حدثني عُقَيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عُبَيدالله ابن عبدالله بن عُتبة، قال: لمّا نزلت هاتان الآيتان ـ يعني أوّل الرُّوم ـ ناحَب أبو بكر بعض المشركين ـ يعني راهن قبل أن يُحَرَّم القِمار ـ على شيءٍ، إنْ لم تُغلَب فارس في سبع سِنين، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ فعلتَ، فكُلّ ما دون العشر بِضعٌ»، فكان ظهور فارس على الروم في سبع سنين، فقال رسول الله ﷺ: لم فعلتَ، فكان ظهور فارس على الروم في تِسع سنين، ثم أظهر الله الرومَ عليهم زمن الحُدَيبية، ففرح بذلك المسلمون[(٢)].

وقال ابن أبي عَرُوبة، عن قَتادة ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴿٣﴾ ﴾ [الروم] قال: غَلَبَهم أهلُ فارس على أدنى الشام، قال: فصدَّق المسلمون ربَّهم، وعرفوا أنّ الروم سيظهرون بعدُ، فاقتمر هم والمشركون على خمس قلائص، وأجَّلُوا بينهم خمسَ سنين، فولي قمارَ المسلمين أبو بكر، وولي قمارَ المشركين أُبَيّ بن خَلَف، وذلك قبل أن يُنهَى عن القمار، فجاء الأجَلُ، ولم تظهر الروم، فسأل المشركون قمارهم، فقال رسول الله ﷺ: «ألم تكونوا أحِقّاء أن تؤجِّلوا أجلاً دون العَشر، فإنّ البِضع ما بين الثلاث إلى العَشر، فزايدُوهم ومَادُّوهم في الأجَل» ففعلوا، فأظهر الله الرومَ عند رأس السبع من قمارهم الأوّل، وكان ذلك مَرجِعَهُم من الحُدَيبية، وفرح المسلمون بذلك.

---

(١) الحسن بن عطية العوفي وأبوه عطية ضعيفان. وأخرجه الترمذي من طريق عطية عن أبي سعيد (٢٩٣٥) و(٣١٩٢). وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٣٢٢، وأخرجه الترمذي (٣١٩١)، عن عبيدالله، عن ابن عباس، واستغربه من هذا الوجه.

وقال الوليد بن مسلم: حدثنا أُسَيْد الكلابيُّ، أنّه سمع العلاء بن الزُّبَير الكلابي يحدث عن أبيه، قال: رأيت غَلَبَة فارس الرومَ، ثم رأيت غَلَبَة الرومِ فارسَ، ثم رأيت غَلَبَة المسلمين فارسَ والرومَ، وظهورهم على الشامِ والعراق، كلُّ ذلك في خمس عشرَةَ سنة.

ثمَّ تُوُفي عَمُّه أبو طالب وزوجتُه خَديجة

يقال في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنعام]. أنّها نزلت في أبي طالب ونزل فيه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص].

قال سُفيان الثَّوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عمّن سمع ابن عباس يقول في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ قال: نزلت في أبي طالب، كان يَنهَى المشركين أن يُؤْذوا رسولَ الله ﷺ وَينْأَى عنه.

ورواه حمزة الزَّيَّات، عن حبيب، فقال: عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس.

وقال مَعمَر، عن الزُّهرِيّ، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حَضَرَت أبا طالب الوفاةُ دخل عليه النبي ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبدَالله بن أبي أُمَيَّة بن المُغيرة، فقال له النبي ﷺ «يا عمّ قُل لا إله إلاّ الله أُحاجّ لك بها عند الله». فقالا: أيْ أبا طالب، أَتَرغَبُ عن مِلَّة عبد المطلب! قال: فكان آخر كلمةٍ أنْ قال: على مِلّة عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ «لأستغفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة] الآيتين، ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص]. أخرجه مسلم[١].

وللبخاري مثله من حديث شُعيب بن أبي حمزة[٢].

---

(١) مسلم ١/ ٤٠، وانظر المسند الجامع حديث (١١٤٣٢).

(٢) البخاري ٥/ ٦٥-٦٦ و ٦/ ٨٧ و ١٤١ و ٨/ ١٧٣.

وقد حكى عن أبي طالب، واسمه عبد مَناف، ابنُه عليّ، وأبو رافع مولى النبي ﷺ.

ابن عَون، عن عَمرو بن سعيد، أنّ أبا طالب، قال: كنت بذي المجاز مع ابن أخي، فعطِشتُ، فشَكَوتُ إليه، فأهوى بعَقبِه إلى الأرض، فنبع الماء فشربتُ.

وعن بعض التابعين، قال: لم يكن أحد يسود في الجاهلية إلاّ بمالٍ، إلاّ أبو طالب وعُتبة بن ربيعة.

قلت: ولأبي طالب شِعرٌ جيّد مُدَوَّنٌ في السيرة وغيرها.

وفي «مسند أحمد»[1] من حديث يحيى بن سَلَمَة بن كُهَيل، عن أبيه، عن حَبَّة العُرَنيّ، قال: رأيت عَلِيّاً ضحك على المنبر حتى بدت نواجذُه، ثم ذكر قول أبي طالب، ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ نصلّي ببطن نخلة فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقال: ما بالذي تصنعان من بأس، ولكنْ واللهِ لا تَعْلُوني استي أبداً، فضحكتُ تعجُّباً من قول أبي.

وروى معتمر بن سليمان، عن أبيه أنّ قريشاً أظهروا لبني عبدالمطلب العداوةَ والشَّتمَ، فجمع أبو طالب رهطَه، فقاموا بين أستار الكعبة يدعون الله على مَنْ ظلمهم، وقال أبو طالب: إنْ أبَى قومُنا إلاّ البغيَ علينا فعجِّلْ نصرَنا، وحُلْ بينهم، وبين الذي يريدون من قتل ابن أخي، ثم دخل بآلِه الشِّعْبَ.

ابن إسحاق[2]: حدثني العباس بن عبدالله بن مَعْبَد، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: لمّا أتى النبيُّ ﷺ أبا طالب قال: أيْ عمّ،

---

(١) أحمد ١/ ٩٩.

(٢) ابن هشام ١/ ٤١٧-٤١٨.

قلْ لا إله إلاّ الله أستحلُّ لكَ بها الشفاعة. قال: يا ابن أَخي، والله لولا أنْ تكون سُبَّة على أهل بيتك، يرون أنّي قُلتُها جَزَعاً من الموت، لقُلتُها، لا أقولها إلاّ لأسُرَّكَ بها، فلمّا ثقُل أبو طالب رؤيَ يحرّك شفتيه، فأصغى إليه أخوه العباس ثم رفع عنه فقال: يا رسول الله قَدْ واللهِ قالها، فقال رسول الله ﷺ: «لم أسمع».

قلت: هذا لايصحّ، ولو كان سمعه العباسُ يقولها لما سألَ النبيَّ ﷺ وقال: هل نَفعت عمَّكَ بشيءٍ، ولَمَا قال عليٌّ بعد موته: يا رسول الله إنَّ عَمَّكَ الشيخ الضّالَّ قد مات. صحّ أنَّ عمرو بن دِينار روى عن أبي سعيد بن رافع، قال: سألت ابن عمر: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص] نزلت في أبي طالب؟ قال: نعم.

زيد بن الحُبَاب، قال: حدثنا حمّاد، عن ثابت، عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث، عن العباس، أنّه سأل النبي ﷺ ما ترجو لأبي طالب؟ قال: «كلّ الخير من ربِّي».

أيّوب، عن ابن سيرين، قال: لما احتضر أبو طالب دعا النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي إذا أنا متُّ فأْتِ أخوالَكَ من بني النّجّار، فإنّهم أمنع الناس لما في بيوتهم.

قال عُروَة بن الزُّبَير: قال رسول الله ﷺ: ما زالت قريش كاعَّةً عنّي حتّى مات عمّي.

كاعّة: جمْع كائع، وهو الجبان، يقال: كَعّ: إذا جَبُن وانقبض.

وقال يزيد بن كَيسان: حدثني أبو حازم، عن أبي هُرَيرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمّه: «قُلْ لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة» فقال: لولا أنْ تعيّرني قريش، يقولون: إنّما حمله عليه الجَزَع لأقررتُ بها عينَكَ. فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾﴾ الآية. أخرجه

مسلم[١].

وقال أبو عَوَانة، عن عبدالملك بن عُمير، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل، عن العباس أنّه قال: يا رسولَ الله هل نفعتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنّه كان يَحُوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم. هو في ضَحضاحٍ من النار، ولولا أنا لَكَان في الدَّرك الأسفل من النار». أخرجاه[٢]. وكذلك رواه السُّفيانان، عن عبدالملك.

وقال اللَّيث، عن ابن الهاد، عن عبدالله بن خَبَّاب، عن أبي سعيد الخُدريّ، أنّه سمع رسولَ الله ﷺ: يقول ـ وذُكِر عنده عمُّه أبو طالب فقال ـ: «لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضَحضَاحٍ من النار يبلغ كعبَيه يغلي منه دماغُه». أخرجاه[٣].

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن ابن عباس، أنّ رسول الله ﷺ قال: أهوَنُ أهلِ النّار عذاباً أبو طالب مُنْتَعِل بنَعلَين يغلي منهما دماغُه. مسلم[٤].

وقال الثَّوري وغيره، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب، عن عليّ رضي الله عنه، قال: لمّا مات أبو طالب أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: إنَّ عمَّكَ الشيخ الضّالّ قد مات. قال: «اذهب فَوَارِ أباك ولا تُحْدِثن شيئاً حتى تأتيني». فأتيتُه فأمرني فاغتسلتُ، ثم دعا لي بدعواتٍ ما يَسُرُّني أنّ لي بهنّ ما على الأرض من شيء. ورواه الطيالسي في «مسنده»[٥] عن شُعبة، عن أبي إسحاق فزاد بعد اذْهَبْ فَوَارِه: «فقلتُ: إنّه مات مشرِكاً»

---

(١) مسلم ١/ ٤١.
(٢) البخاري ٥/ ٦٥، ومسلم ١/ ١٣٥.
(٣) البخاري ٥/ ٦٥، ومسلم ١/ ١٣٥.
(٤) يعني: أخرجه مسلم، وهو عنده ١/ ١٣٥.
(٥) (١٢٠) وأخرجه أبو داود (٣٢١٤)، وأحمد ١/ ٩٧ و١٠٣ و ١٣٠ و ١٣١، وغيرهم.

قال: «اذهبْ فَوَارِهِ». وفي حديثه تصريح السّماع من ناجية قال: شهدتُ عليّاً يقول. وهذا حديث حَسَنٌ مُتَّصِل[1].

وقال عبدالله بن إدريس: حدثنا محمد بن إسحاق، عمّن حدثه، عن عُروَة بن الزُّبير، عن عبدالله بن جعفر، قال: لمّا مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيهٌ من قريش، فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته، فأتت بنتُه تمسح عن وجهه التُرابَ وتبكي فجعل يقول: «أي بُنَيّة لا تبكين، فإنَّ اللهَ مانع أباكِ»، ويقول ما بين ذلك: «ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»[2]. غريب مُرسَل.

وروي عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ عارض جنازة أبي طالب، فقال: «وَصَلَتْكَ رَحِمٌ يا عمّ وجُزِيتَ خيراً». تفرّد به إبراهيم بن عبدالرحمن الخوارزمي. وهو مُنكر الحديث يروي عنه عيسى غُنجار، والفضل السِّيناني.

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق: حدثني العباس بن عبدالله بن مَعبَد، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: لما أتى رسولُ الله ﷺ أبا طالب في مرضه قال: «أي عمّ، قلْ لا إله إلا الله أستَحِلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة». فقال: يا ابن أخي والله لولا أنْ تكون سُبَّةً عليك وعلى أهل بيتك من بعدي يرون أنّي قلتها جَزَعاً حين نزل بي الموتُ لقُلْتُها، لا أقولها إلاّ لأَسُرَّكَ بها، فلما ثَقُلَ أبو طالب رُؤِيَ يحرّك شفتَيه، فأصغى إليه العباس ليستمع قوله، فرفع العباس عنه، فقال: يا رسول

---

(١) كذا قال لحسن ظنه بناجية بن كعب الأسدي، فقد وثقه ابن حجر، وليس الأمر كذلك فهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد حسب، كما حققناه في «تحرير أحكام التقريب». ولذلك ضعّفَ البيهقي هذا الحديث في «السنن» وتبعه الإمام النووي في المجموع فضعفه أيضاً (٥/ ١٤٤).

(٢) ابن هشام ١/ ٤١٦.

الله، قد والله قال الكلمةَ التي سألتَهُ، فقال النبي ﷺ: «لم أسمع»[1] .

إسناده ضعيف لأنّ فيه مجهولاً، وأيضاً، فكان العباس ذلك الوقت على جاهليته، ولهذا إنْ صَحَّ الحديثُ لم يقبلِ النبيُّ ﷺ روايته وقال له: لم أسمع، وقد تقدّم أنّه بعد إسلامه قال: يا رسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنّه كان يحُوطُكَ ويغضبُ لك، فلو كان العباس عنده عِلمٌ من إسلامِ أخيه أبي طالب لَمَا قال هذا، ولَمَا سكت عند قولِ النبي ﷺ «هو في ضَحضَاحٍ من النار»، ولَقَال: إنّي سمعته يقول: لا إله إلا الله، ولكن الرافضة قوم بُهُتٌ.

وقال ابن إسحاق[2] : ثم إنّ خديجة بنت خُوَيلد رضي الله عنها وأبا طالب ماتا في عامٍ واحد فتتابعَتْ على رسولِ الله ﷺ المصائبُ بهلاكهما.

وكانت خديجة وزيرةَ صِدْقٍ على الإسلام، كان يسكن إليها.

وذكر الواقديّ أنّهم خرجوا من الشِّعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وأنّهما تُوُفِّيا في ذلك العام، وتُوُفِّيَت خديجة قبل أبي طالب بخمسةٍ وثلاثين يوماً.

وذكر أبو عبدالله الحاكم أنّ موتها كان بعد موت أبي طالب بثلاثة أيّام، وكذا قال غيره.

وهي خديجة بنت خُوَيلِد بن أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ الأسدية.

قال الزُّبَير بن بكّار: كانت تُدعَى في الجاهلية الطاهرة، وأمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ العامرية. وكانت خديجة تحت أبي هالة بن زُرَارة التميميّ، واختُلِف في اسم أبي هالة، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عائذ

(١) ابن هشام ١/ ٤١٨.
(٢) ابن هشام ١/ ٤١٦.

ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ثم النبي ﷺ.

وقال ابن إسحاق: بل تزوّجها أبو هالة بعد عتيق. وكانت وزيرةَ صِدْقٍ على الإسلام.

وعن عائشة، قالت: تُوُفيت خديجة قبل أن تُفرَض الصلاة، وقيل: كان موتها في رمضان، ودُفِنت بالحَجُون، وقيل: إنّها عاشت خمساً وستّين سنة.

وقال الزُّبَير: تزوّجها النبيُّ ﷺ ولها أربعون سنة، وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة.

قال مروان بن معاوية الفزاريّ، عن وائل بن داود، عن عبدالله البهيّ، قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يَكَد يسأم من ثناءٍ عليها، واستغفارٍ لها، فذكرها يوماً، فاحتملتني الغَيْرةُ، فقلت: لقد عوَّضَكَ اللهُ من كبيرة السِّنّ، فرأيته غضب غضباً أسقطت في خَلَدِي، وقلت في نفسي: اللَّهُمَّ إنّك إنْ أذهبت غضبَ رسولِك عنّي لم أعُدْ إلى ذِكرها بسوء، فلمّا رأى النبي ﷺ ما لقِيت قال: «كيف قلتِ، والله لقد آمَنَت بي إذ كفرَ بيَ الناسُ، وآوتني إذْ رفضني الناس، وصدّقَتْني إذ كذّبني الناس، ورُزِقت منها الولد، وحُرِمتُمُوه منّي»، قالت: فغدا وراح عليَّ بها شهراً.

وقال هشام بن عُروَة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: ما غرتُ على امرأةٍ ما غرت على خديجة، ممّا كنتُ أسمعُ من ذِكْرِ رسولِ الله ﷺ لها، وما تزوّجني إلاّ بعد موتها بثلاث سنين، ولقد أمره ربُّه أنْ يبشِّرها ببيتٍ في الجنّة من قصب لا صَخَب فيه ولا نَصَب. مُتفقٌ عليه[1].

وقال الزُّهرِيّ: تُوُفِّيَت خديجة قبل أن تُفرَض الصّلاة.

---

(١) البخاري ٥/٤٨ و ٧/٤٧ و ٨/١٠ و ٩/١٧٣، ومسلم ٧/١٣٣ و ١٣٤.

وقال ابن فُضَيْل، عن عمارة، عن أبي زُرعَة، سمع أبا هريرة يقول: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: هذه خديجة، أتتك معها إناءٌ فيه إدام طعامٍ أو شرابٍ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السّلامَ من رَبِّها ومنّي، وبَشِّرها ببيتٍ في الجنّة من قَصَب، لا صَخَب فيه ولا نَصَبَ. مُتفقٌ عليه[1].

وقال عبدالله بن جعفر: سمعت عليّاً رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران. أخرجه مسلم[2].

(١) البخاري ٥/ ٤٨ و ٩/ ١٧٦، ومسلم ٧/ ١٣٣.
والقصب: اللؤلؤ المُجَوَّف الواسع.
(٢) مسلم ٧/ ١٣٢.

ذكر الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى

قال موسى بن عُقبَة، عن الزُّهريّ: أُسريَ برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس قبل الهجرة بسنة.

وكذا قال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُروَة.

وقال أبو إسماعيل التِّرمِذِيّ: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن[1] العلاء ابن الضَّحَّاك الزُّبيديّ بن زِبرِيق، قال: حدثنا عَمرو بن الحارث، عن عبدالله بن سالم، عن الزُّبَيديّ محمد بن الوليد، قال: حدثنا الوليد بن عبدالرحمن، أنَّ جُبَيْر بن نُفَير قال: حدثنا شدّاد بن أوس، قال: قلنا يا رسول الله كيف أُسرِيَ بك؟ قال: «صلَّيْتُ لأصحابي صلاةَ العَتَمَة بمكة مُعْتِماً، فأتاني جبريل بدابةٍ بيضاءَ، فوق الحمار ودون البغل، فقال: اركبْ، فاستصعب عليّ، فَرَازَها[2] بأُذُنها، ثمّ حملني عليها، فانطلقتْ تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، حتى بلغنا أرضاً ذات نخلٍ، فأنزلني فقال: صلِّ. فصلَّيْت، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صلَّيْتَ؟ صلَّيتَ بيثْرب، صلَّيْت بطيبة. فانطلقت تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثمّ بلغْنا أرضاً، فقال: انزل فَصَلِّ. ففعلت، ثمّ ركبنا. قال: أتدري أين صلَّيت؟ قلت: «الله أعلم». قال: صلَّيتَ بمَدْيَن عند شجرة موسى عليه السلام. ثم انطلقتْ تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثمّ بلغنا أرضاً بدت لنا قصور، فقال: انزِل، فصلَّيْتُ

---

(١) جاء في هامش الأصل: «في الكنى: إسحاق بن إبراهيم بن زبريق ليس بثقة عن عمرو بن الحارث».

(٢) أي: اخْتَبَرها.

وركِبْنا. فقال لي: صلّيت ببيت لَحْمٍ حيث وُلد عيسى. ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينةَ من بابها اليَمَانيّ، فأتى قِبْلَةَ المسجد فربط فيه دابّته، ودخلنا المسجدَ من بابٍ فيه تميل الشمس والقمر، فصلّيت من المسجد حيث شاء الله، وأخذني من العطش أشدّ ما أخذني، فأُتيتُ بإناءين لبنٍ وعسلٍ، أُرْسِلَ إليَّ بهما جميعاً، فعدلت بينهما، ثمّ هداني الله فأخذت اللبن، فشربت حتى قَرعْتُ[1] به جبيني، وبين يدي شيخ متّكىء على مثراة له، فقال: أخذ صاحبك الفِطْرةَ إنّه لَيُهْدَى. ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي في المدينة، فإذا جهنّم تنكشف عن مثل الزَّرَابيّ. قلت: يا رسول الله، كيف وجدتَها؟ قال: مثل الحَمأة السُّخنة. ثم انصرف بي، فمررنا بعِيرٍ لقريش، بمكان كذا وكذا، قد ضَلُّوا بعيراً لهم، قد جمعه فلانٌ، فسلّمت عليهم، فقال بعضهم: هذا صوت محمد. ثم أتيتُ أصحابي قبل الصُّبح بمكة، فأتاني أبو بكر فقال: أين كنتَ اللّيلة، فقد التَمَسْتُكَ في مَظَانّك؟ قلت: علمت أنّي أتيت بيتَ المقدس اللّيلة، فقال: يا رسول الله إنّه مسيرة شهرٍ، فصِفْه لي. قال: ففُتح لي صِراطٌ كأنّي أنظر إليه، لا يسألني عن شيءٍ إلاّ أنبأته عنه. قال: أشهد أنّك رسول الله. فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كَبْشَة، يزعم أنّه أتى بيتَ المقدس اللّيلة. فقال: إنّي مررتُ بِعِيرٍ لكم، بمكانِ كذا، وقد أضلُّوا بعيراً لهم، فجمعه فلان، وإنّ مسيرهم ينزلون بكذا، ثمّ كذا، ويأتونكم يومَ كذا، يقدمهم جملٌ آدم، عليه مسح أسود، وغرارتان سوداوان. فلَمّا كان ذلك اليوم، أشرف النّاس ينظرون حتى كان قريب من نصف النّهار، حين أقبلت العِير يقدمهم ذلك الجمل».

قال البيهقي[2]: هذا إسناد صحيح.

---

(١) أي: ضَرَبَهُ، يعني أنه شربَ جميع ما فيه، كما في النهاية ٤/ ٤٣.
(٢) دلائل النبوة ٢/ ٣٥٧.

قلت: ابن زِبْرِيق تكلّم فيه النَّسائيّ. وقال أبو حاتم: شيخ.

قال حمّاد بن سَلَمَة: حدثنا أبو حمزة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «أُتيتُ بالبُرَاق فركبته خلفَ جبريل، فسار بنا، فكان إذا أتى على جبلٍ ارتفعتْ رِجْلاه، وإذا هبط ارتفعتْ يداه، فسار بنا في أرض فيحاءَ طيّبة، فأتينا على رجلٍ قائمٍ يصلّي، فقال: من هذا معكَ يا جبريل؟ قال: أخوك محمد، فرحَّبَ ودعا لي بالبركة، وقال: سل لأُمَّتك اليُسْرَ، ثمّ سار فذكر أنّه مرَّ على موسى وعيسى، قال: ثمّ أتينا على مصابيح فقلت: ما هذا؟ قال: هذه شجرة أبيك إبراهيم، تحبّ أن تدنُوَ منها؟ قلت: نعم. فدنونا منها، فرحّب بي، ثمّ مضينا حتى أتينا بيتَ المقدس، ونُشِر لي الأنبياءُ مَن سمَّى اللهُ ومن لم يُسمِّ، وصلَّيتُ بهم إلاّ هؤلاء النَّفر الثلاثة: موسى، وعيسى، وإبراهيم، فربطت الدَّابَّةَ بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثمّ دخلت المسجدَ فقُرِّبتْ لي الأنبياء، مَن سَمَّى اللهُ منهم، ومَن لم يُسَمِّ، فصليت بهم.

هذا حديث غريب، وأبو حمزة هو ميمون، ضُعِّف.

وقال يونس، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: أُتي رسول الله ﷺ ليلة أُسْرِيَ به بإيلياء بقَدَحَين من خمرٍ ولبن، فنظر إليهما، فأخذ اللَّبن، فقال له جبريل: الحمد لله الذي هداك للفِطْرة، لو أخذتَ الخمرَ غَوَتْ أُمَّتُك. مُتَّفقٌ عليه(١).

قرأت على القاضي سليمان بن حمزة، أخبركم محمد بن عبدالواحد الحافظ، قال: أخبرنا الفضل بن الحسين، قال: أخبرنا عليّ بن الحسن الموازيني، قال: أخبرنا محمد بن عبدالرحمن، قال: أخبرنا يوسف

---

(١) البخاري ٦/ ١٠٤ و ٧/ ١٣٥، ومسلم ١/ ١٠٦.

القاضي، قال: أخبرنا أبو يَعْلَى التميميّ، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الوساوسيّ، قال: حدثنا ضَمْرَة، عن يحيى بن أبي عَمرو الشَّيْبانيّ، عن أبي صالح مَولى أمّ هانىء، عن أمّ هانىء، قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ بغَلَس[1] وأنا على فراشي فقال: «شعرتُ أنّي نمتُ اللَّيلةَ في المسجد الحرام، فأتى جبريل فذهب بي إلى باب المسجد، فإذا دابّة أبيض، فوق الحمار، ودون البغل، مضطّرب الأُذُنَيْن، فركِبْتُه، وكان يضع حافره مدَّ بَصَرِه، إذا أخذ بي في هبوطٍ طالت يداه، وقصُرَت رِجْلاه، وإذا أخذ بي في صعودٍ طالَتْ رِجلاه وقَصُرَتْ يداه، وجبريل لا يفوتني، حتى انتهينا إلى بيت المقدس، فأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء تُوثِق بها، فنُشِر لي رَهْطٌ من الأنبياء، فيهم إبراهيم، وموسى، وعيسى، فصلَّيْتُ بهم وكلَّمتهم، وأُتيت بإناءين أحمر وأبيض، فشربت الأبيضَ، فقال لي جبريل: شربتَ اللَّبن وتركتَ الخَمْر، لو شربتَ الخمرَ لارتدَّتْ أُمَّتُك. ثم ركبته إلى المسجد الحرام، فصلَّيتُ به الغَدَاة». قالت: فتعلَّقْت بردائه، وقلت: أنشُدك الله يا ابن عمّ أن تُحَدِّث بهذا قريشاً فيكذِّبُكَ من صدَّقَك. فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدي، فارتفع عن بطنه، فنظرت إلى عكنه فوق إزاره وكأنّه طيّ القراطيس، وإذا نور ساطع عند فؤاده، يكاد يختطف بصري، فخررت ساجدةً، فلمّا رفعت رأسي إذا هو قد خرج، فقلت لجاريتي نبعة: ويْحَكِ اتبعيه فانظري. فلمّا رجَعَتْ أخبرتني أنّه انتهى إلى قريش في الحَطِيم، فيهم المُطْعِم بن عَدِيّ، وعَمرو بن هشام، والوليد بن المُغِيرة، فقصّ عليهم مَسْرَاه، فقال عَمْرو كالمستهزىء: صِفْهم لي. قال: أمّا عيسى ففوق الرَّبْعَة، عريض الصَّدْر، ظاهر الدّم، جَعْدُ الشَّعْر، تعلوه صَهْبة، كأنّه عُروة بن مسعود الثقفيّ، وأمّا موسى فضخم، آدم، طُوال، كأنّه من

---

(١) الغَلَس: ظُلمةُ آخر الليل.

رجال شَنُوءَة، كثير الشعر، غائر العينين، متراكب الأسنان، مقلَّص الشفَتَين، خارج اللّثة، عابس، وأما إبراهيم، فَوَاللهِ لأشبه النّاس بي خَلْقاً وخُلُقاً. فَضَجُّوا وأعظموا ذلك، فقال المُطْعِم: كلُّ أمرك كان قبلَ اليوم أمماً، غير قولك اليوم، أنا أشهد أنّك كاذب! نحن نضربُ أكبادَ الإبل إلى بيت المقدس شهراً، أتيتَهُ في ليلة!.

وذكر باقي الحديث، وهو حديث غريب، والوساوسي ضعيفٌ تَفَرَّدَ به.

وقال مسلم(١): حدثنا محمد بن رافع، قال: حدثنا حُجَيْن بن المثنَّى، قال: حدثنا عبدالعزيز بن أبي سَلَمة، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هُرَيرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتُني في الحِجْر، وقريش تسألني عن مَسْرَاي، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثْبتها، فكربتُ كَرْباً ما كربْتُ مثله قطّ، فرفعه الله لي، أنظُرُ إليه، ما يسألوني عن شيءٍ إلاّ أَنبأتهم به، وقد رأيتُني في جماعةٍ من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلّي فإذا رجلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ، كأنّه من رجال شَنُوءَة، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلّي، أقرب الناس به شَبَهاً عُروَة بن مسعود الثَّقَفيّ، وإذا إبراهيم قائم يصلّي أشبه النّاس به صاحبكم ـ يعني نفسَه، فحانت الصلاة فأمَمْتُهُم، فلمّا فرغت من الصّلاة قال لي قائل: يا محمد هذا مالِكٌ صاحب النّار، فسلّم عليه. فالتَفَتُّ إليه فبدأني بالسّلام».

وقد رواه أبو سَلَمَة أيضاً، عن جابر مختصَراً.

قال اللَّيث، عن عُقَيْل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سَلَمَة، قال: سمعت جابر بن عبدالله يحدّث، أنّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول:

(١) مسلم ١ /١٠٨ عن أبي هريرة وعن جابر.

«لما كَذَّبَتْني قريش قمت في الحِجْر فَجَلا اللهُ لي بيتَ المقدس، فطفقت أُخبرُهم عن آياته، وأنا أنظر إليه. أخرجاه[(١)] [(٢)].

وقال إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كَيْسان، عن ابن شهاب: سمعت ابن المسيّب يقول: إنّ رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم، وموسى، وعيسى، ثم أخبر أنّه أُسْرِي به، فافتتن ناسٌ كثير كانوا قد صلُّوا معه. وذكر الحديث. وهذا مُرسَل.

وقال محمد بن كثير المِصِّيصيّ: حدثنا مَعمَر، عن الزُّهريّ، عن عُروة، عن عائشة، قالت: لمّا أُسرِي بالنَّبيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدّث النّاس بذلك، فارتدّ ناس ممّن آمن، وسعوا إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك في صاحبك، يزعم أنّه أُسريَ به اللّيلةَ إلى بيت المقدس! قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك لقد صَدَق. قالوا: وتصدِّقُه! قال: نعم إنّي لأُصدِّقه بما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء في غَدْوَةٍ أو رَوْحَة. فلذلك سُمِّي أبو بكر الصِّدِّيق.

وقال مُعتَمِرُ بن سليمان التَّيْميّ، عن أبيه، سمع أنَساً يقول: حدثني بعض أصحاب النبي ﷺ أنَّ النبي ﷺ ليلة أُسْرِي به مَرَّ على موسى وهو يصلِّي في قبره. وذكر الحديث.

وقال عبدالعزيز بن عِمران بن مِقلاص الفقيه، ويونس، وغيرهما: حدثنا ابن وهْب، قال: حدثني يعقوب بن عبدالرحمن الزُّهْرِيّ، عن أبيه، عن عبدالرحمن بن هاشم بن عُتْبة بن أبي وقّاص، عن أَنَس بن مالك، قال: لمّا جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ بالبُراق،

---

(١) البخاري ٥/ ٦٦ و ٦/ ١٠٤، ومسلم ١/ ١٠٨.

(٢) في هامش الأصل بلاغ بقراءة الأصل على مؤلفه لابن البعلي نَصُّه: «بلغت قراءة في الميعاد الثاني عشر على جامعة الحافظ أبي عبدالله الذهبي. كتب ابن البعلي عفا الله عنه».

فكأنّها أَمَرَّتْ ذَنَبَهَا، فقال لها جبريل: مَهْ يا بُراق، فَوَالله إنْ ركبك مثلُه. وسار رسول الله ﷺ، فإذا هو بعجوزٍ على جانب الطريق، فقال: «ما هذه يا جبريل»؟ قال له: سِرْ يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء يدعوه مُتَنَحِّياً عن الطّريق يقول: هَلُمَّ يا محمد، فقال جبريل: سِرْ يا محمد. فسار ما شاء الله أن يسير، قال: فلقِيه خلقٌ من الخلق، فقالوا: السّلام عليك يا آخِرُ، السلام عليك يا حاشِرُ. فردّ السلامَ، فانتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء، والخمر، واللّبنَ، فتناول اللَّبَن، فقال له جبريل: أصبتَ الفطْرَةَ، ولو شربت الماءَ لغرقَتْ أُمّتُك وغرِقْتَ، ولو شربتَ الخمرَ لَغَوَيْتَ وغَوَتْ أُمَّتُك. ثم بُعِث له آدم فَمَنْ دُونه من الأنبياء، فأمَّهُم رسولُ الله ﷺ تلك اللّيلة، ثم قال له جبريل: أمّا العجوز فلم يبق من الدّنيا إلاّ ما بقي من عمر تلك العجوز، وأمّا الذي أراد أنْ تميلَ إليه، فذاك عدوّ الله إبليس، أراد أنْ تميلَ إليه، وأمّا الذين سلَّموا عليك فإبراهيم، وموسى، وعيسى.

أُنبئنا[1] عن ابن كليب، عن ابن بيان، قال: أخبرنا بشر ابن القاضي، قال: حدثنا محمد بن الحسن اليقطيني، قال: أخبرنا محمد ابن الحسن بن قتيبة، قال: حدثنا أبو عمر ابن النحاس، قال: حدثنا الوليد، قال: حدثني الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة قال: رؤي عبادة بن الصامت على حائط بيت المقدس يبكي فقيل: ما يُبكيك؟ فقال: من هاهنا حدثنا رسول الله ﷺ أنه رأى ملكاً يقلِّبُ جمراً كالقطف. إسناده جيد.

وقال النَّضْر بن شُمَيْل، ورَوْح، وغُنْدَر: أخبرنا عَوف، قال: حدثنا زُرَارة بن أوفَى، قال: قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «لمّا كانت

---

(١) كتب المؤلف هذه الفقرة بخطه على هامش نسخته، فأثبتناها في موضعها. وابن كليب هو عبدالمنعم بن كليب الحَرَّاني شيخ الذهبي.

ليلة أُسْرِيَ بي، ثمّ أصبحتُ بمكة، فُظِعْت بأمري، وعَلِمتُ بأنّ الناس يكذّبوني». قال: فقعد معتزِلاً حزيناً، فمرّ به أبو جهل، فجاء فجلس فقال كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال: ما هو؟ قال: «إنّي أُسْرِيَ بي الليلة». قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس». قال: ثمّ أصبحتَ بين أظْهُرنا! قال: «نعم». قال: فلم ير أنّه يُكَذِّبه مخافة أن يجحده الحديث، فدعا قومه[1]، فقال: أرأيتَ إنْ دعوتُ إليك قومَك أَتُحدّثهم بما حدثتني؟ قال: «نعم». فدعا قومَه فقال: يا معشَرَ بني كعب بن لُؤَيّ هَلُمَّ، فانتقضت المجالس، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فقال: حدِّثْهم. فقال رسول الله ﷺ: «إنّي أُسْرِي بي اللّيلة». قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس». قالوا: ثمّ أصبحتَ بين ظَهْرَيْنا! قال: «نعم». قال: فَمِنْ بين مُصَفِّرٍ[2] وواضعٍ يدَه على رأسه مُسْتَعْجِبٌ للكَذِب، زعم، قال: وفي القوم مَن قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد، فقال: هل تستطيع أن تنعتَ لنا المسجدَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «فذهبت أنعتُ، فما زلتُ حتى التبس عليَّ بعضُ النَّعْتِ، قال: فجيء بالمسجد حتى وُضع دون دار عقيل أو عقال. قال: فنعتُّهُ وأنا أنظرُ إليه». فقالوا: أمّا النَّعتُ فقد واللهِ أصاب. ورواه هَوْذة، عن عَوْف[3].

مسلم بن إبراهيم: قال: حدثنا الحارث بن عُبَيد، قال: حدثنا أبو عِمران، عن أنَس، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا قاعد ذات يوم، إذ دخل جبريل، فوكز بين كَتِفَيَّ، فقمت إلى شجرةٍ فيها مثل وَكْرَيْ

(١) كتب المصنف بخطه في حاشية نسخته: «لعله: إذا دعا». قلت: وهذا هو الصواب، كما في الدلائل للبيهقي ٢/ ٣٦٣.
(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي الدلائل: «مصفق».
(٣) الدلائل للبيهقي ٢/ ٣٦٣-٣٦٤.

الطّائر، فقعد في واحدةٍ، وقعدت في أخرى، فارتفعت حتى سَدَّت الخافقين، فلو شئت أنْ أمسَّ السماءَ لَمَسَسْتُ، وأنا أُقلِّبُ طَرْفي فالتفتُّ إلى جبريل، فإذا هو لاطىء، فعرفتُ فضلَ عِلْمِهِ بالله، وفتح لي باب السماء ورأيت النّور الأعظم، ثمّ أوحى الله إليَّ ما شاء أن يوحي»[(١)] .

إسناده جيّد حَسَن، والحارث من رجال مسلم.

سعيد بن منصور: حدثنا أبو معشر، عن أبي وهْب مولى أبي هُرَيرة، عن أبي هريرة، قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ ليلة أُسْريَ به، قال: «يا جبريل إنّ قومي لا يصدّقوني». قال: يصدّقك أبو بكر وهو الصِّدِّيق.

رواه إسحاق بن سليمان، عن يزيد بن هارون، قال: أخبرنا مِسْعَر، عن أبي وهب هلال بن خَبَّاب، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس، قال: فحدثهم ﷺ بعلامة بيت المقدس، فارتدُّوا كُفَّاراً، فضرب الله رقابَهم مع أبي جهل. وقال أبو جهل: يُخَوِّفُنا محمدٌ بشجرةِ الزَّقّوم، هاتوا تمراً وزبداً، فتزقَّمُوا. ورأى الدَّجّالَ في صورته رُؤيا عينٍ، ليس برؤيا منام، وعيسى، وموسى، وإبراهيم. وذكر الحديث.

وقال حمّاد بن سَلَمَة[(٢)] ، عن عاصم، عن زِرّ، عن حُذَيْفة: أنّ النبي ﷺ أُتِيَ بالبُرَاق، وهو دابّة أبيض فوق الحمار ودون البغل، فلم يُزَايلا ظهرَهُ هو وجبريل، حتى انتهيا به إلى بيت المقدس، فصعد به جبريل إلى السماء، فاستفتح جبريل، فأراه الجنَّةَ والنّارَ، ثم قال لي: هل صلّى في بيت المقدس؟ قلت: نعم. قال: اسمك يا أصلع. قلت: زِرّ بن حُبَيش. قال: فأين تجده صلاّها؟ فتأوّلْتُ الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ۝١﴾ [الإسراء]

(١) دلائل النبوة ٢/ ٣٦٨.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٣٦٤.

قال: فإنّه لو صلّى لَصَلَّيتُم كما تصلّون في المسجد الحرام. قلت لحُذَيْفَة: أَرَبَطَ الدّابّة بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء؟ قال: أكان يخاف أن تذهب منه وقد أتاه الله بها. كأنّ حُذَيْفَة لم يبلُغْهُ أنّه صلّى في المسجد الأقصى، ولا ربط البُراق بالحلقة.

وقال ابن عُيَيْنَة، عن عَمرو، عن عِكرِمة، عن ابن عباس ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الإسراء] قال: هي رؤيا عينٍ أُريها رسولُ الله ﷺ ليلة أُسْرِي به. ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الإسراء] قال: هي شجرة الزَّقُّوم. أخرجه البخاري[1].

(١) البخاري ٥/ ٦٩ و ٦/ ١٠٧-١٠٨.

ذكر معراج النبيِّ ﷺ إلى السَّماء

قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم] وقال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم] تفسير ذلك: قال زائدة وغيره، عن أبي إسحاق الشَّيْبانيّ، قال: سألت زِرَّ بن حُبَيْش عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ فقال: حدثنا عبدالله بن مسعود، أنّه رأى جبريل له ست مئة جناح. أخرجاه[1].

وروى شُعبَة، عن الشَّيْباني هذا، لكن قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم] فذكر أنّه رأى جبريل له ست مئة جناح.

وقال البخاريُّ[2]: قَبِيصة: حدثنا سُفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عَلقمة، عن عبدالله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ قال: رأى رَفْرَفاً أخضر قد ملأ الأُفُق.

وقال حمّاد بن سَلَمة: حدثنا عاصم، عن زِرّ، عن عبدالله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم] قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت جبريلَ عند سِدْرَة، عليه ست مئة جناح، ينفضُّ من ريشه التهاويل الدُّرّ والياقوت.

---

(١) البخاري ٦/ ١٧٦، ومسلم ١/ ١٠٩.

(٢) البخاري ٦/ ١٧٦، وكان يتعين على المؤلف أن يقول: حدثنا، ولكن هذا من طريقة الذهبي في الكتابة والاختصار. وقبيصة هذا هو ابن عقبة السوائي شيخ البخاري.

عاصم بن بَهْدَلَة القارىء، ليس بالقويّ[1] .

وقال مالك بن مِغْوَلٍ، عن الزُّبَيْر بن عَدِيّ، عن طلحة بن مُصَرِّف، عن مُرَّة الهَمداني، عن ابن مسعود، قال: لمّا أُسْرِي بالنبيِّ ﷺ فانتهى إلى سِدرةَ المُنتهَى، وهي في السماء السادسة ـ كذا قال ـ وإليها ينتهي ما يُصْعَد به، حتى يقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَط به من فوقها، حتى يُقبض منها ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم] قال: غَشِيها فَراشٌ من ذَهَب، وأُعطي رسولُ الله ﷺ الصَّلوات الخَمس، وخواتيمَ سُورة البقرة، وغُفِرَ لمن لا يُشْرِك بالله من أُمَّته المُقحِمَات[2] . أخرجه مسلم[3] .

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن عبدالله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم] قال: رأى رسول الله ﷺ جبريلَ عليه حُلّة من رَفْرَفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وقال عبدالملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن أبي هريرة: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم] قال: رأى جبريلَ عليه السلام. أخرجه مسلم[4] .

وقال زكريّا بن أبي زائدة، عن ابن أَشْوَع، عن الشَّعبيّ، عن مسروق، قال: قلت لعائشة: فأين قوله تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾؟ قالت: إنّما ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجل، وإنّه أتاه في هذه المرّة في صورته التي هي صورته، فسدَّ أُفُقَ السّماء. مُتفقٌ عليه[5] .

وقال ابن لهيعة: حدثني أبو الأسود، عن عُروَة، عن عائشة، أنَّ

---

(١) كذا قال، والحقُّ أنه ثقة كما حققناه في تعقباتنا على تقريب ابن حجر.

(٢) المقحمات: الذنوب العظام.

(٣) مسلم ١/١٠٩.

(٤) مسلم ١/١٠٩.

(٥) البخاري ٤/١٤٠، ومسلم ١/١١٠ و ١١١.

نبيَّ الله عليه السلام كان أوّلَ شأنِه يرى المنامَ، فكان أوّلُ ما رأى جبريلَ بأجياد، أنّه خرج لبعض حاجته، فصرخ به: يا محمد يا محمد. فنظر يميناً وشمالاً، فلم ير شيئاً، ثمّ نظر، فلم ير شيئاً، فرفع بصره، فإذا هو ثانياً إحدى رِجْلَيه على الأخرى في الأُفُق، فقال: يا محمد جبريل جبريل، يُسَكِّنُهُ، فهرب حتى دخل في الناس، فنظر فلم ير شيئاً، ثم رجع فنظر فرآه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم].

محمد بن عَمرو بن عَلقَمة، عن أبي سَلَمَة، عن ابن عباس ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ قال: دنا ربُّه منه فتدلّى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى. قال ابن عباس: قد رآه النبي ﷺ. إسناده حَسَن.

أخبرنا التّاج عبدالخالق، قال: أخبرنا ابن قُدَامة، قال: أخبرنا أبو زُرعة، قال: أخبرنا المقدَّمي، قال: أخبرنا القاسم بن أبي المنذر، قال: حدثنا ابن سَلَمَة، قال: أخبرنا ابن ماجةَ، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة، قال: حدثنا الحَسَن بن موسى، عن حمّاد بن سَلَمَة، عن عليّ بن زيد، عن أبي الصَّلت، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيتُ ليلة أُسْرِي بي على قومٍ، بُطُونهم كالبيوت، فيها الحَيَّات، تُرَى من خارج بطونهم، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أَكَلَةُ الرِّبا». رواه أحمد في «مُسنده»(1) عن الحَسَن، وعفّان، عن حمّاد وزاد فيه: رأيت ليلة أُسْرِي بي لمّا انتهينا إلى السماء السابعة.

أبو الصَّلت مجهول.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالرحمن المُرْدَاوي، قال: أخبرنا أبو محمد

---

(1) أحمد ٢/٣٦٣.

عبدالله بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا هبة الله بن الحسن بن هلال، قال: أخبرنا عبدالله بن عليّ بن زَكْرِي سنة أربع وثمانين وأربع مئة، قال: أخبرنا عليّ بن محمد بن عبدالله، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن عَمرو، قال: حدثنا سعدان بن نصر، قال: حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاريّ، عن ابن عَوْن، قال: أنبأنا القاسم بن محمد، عن عائشة أنّها قالت: مَنْ زعم أنّ محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد أعظم الفِرْيَةَ على الله، ولكنّه رأى جبريلَ مرَّتين في صورته وخَلْقه، سادّاً ما بين الأُفُق. أخرجه البخاريّ[١] عن محمد بن عبدالله بن أبي الثّلج، عن الأنصاريّ.

قلت: قد اختلف الصَّحابة رضي الله عنهم في رؤية محمدٍ ﷺ ربَّه، فأنْكَرَتْها عائشة، وأمّا الروايات عن ابن مسعود، فإنّما فيها تفسير ما في النَّجْم، وليس في قوله ما يدلّ على نفي الرُّؤْية لله. وذِكْرُها في الصحيح وغيره.

قال يونس، عن ابن شهاب، عن أَنَس، قال: كان أبو ذَرّ يحدِّث أنّ رسولَ الله ﷺ قال: فُرِج سَقْفُ بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريلُ عليه السلام ففرج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلىءٍ حكمةً وإيماناً ثم أفرغها[٢] في صدري، ثمَّ أطبقه، ثمّ أخذ بيدي فعرج بي إلى السّماء الدنيا، فقال لخازنها: افتَحْ، قال: مَنْ هذا؟ قال: جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم محمد. قال: أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم. ففتح، فلمّا عَلَوْنا السَّماءَ الدنيا، إذا رجل عن يمينه أَسْوِدَة، وعن يَساره أَسْوِدَة، فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحِك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبيِّ الصّالح، والابن الصّالح. قلت: «يا جبريل مَن

---

(١) البخاري ٤/ ١٤٠.
(٢) كتب المؤلف على هامش الأصل: «فأقَرَّه» دلالة على أنها كذلك في رواية أخرى.

هذا؟». قال: الصّالح، والابن الصّالح. قلت: «يا جبريل مَن هذا آدم عليه السلام، وهذه الأسوِدَة نَسَمُ بَنِيه، فأهل اليمين أهل الجنة والتي عن شماله أهل النار. ثمّ عرج بي جبريل حتى أتى السّماءَ الثانية، فقال لخازنها: افتَحْ. فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا، ففتح.

قال أنَس: فذكر أنّه وجد في السّموات: آدَمَ، وإدريسَ، وعيسى، وموسى، وإبراهيم، ولم يُثْبِتْ ـ يعني أبا ذَرّ ـ كيف منازلُهم، غير أنّه ذكر أنّه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السادسة، فلمّا مرَّ جبريلُ ورسولُ الله ﷺ بإدريس، قال: مرحباً بالنبيِّ الصّالح والأخ الصّالح. قال: ثمّ مرَّ، قلت: مَن هذا؟ قال: إدريس، قال: ثمّ مررْتُ بموسى فقال: مرحباً بالنبيّ الصالح، والأخ الصالح. قلت: مَن هذا؟ قال: موسى. ثم مررْتُ بعيسى، فقال: مرحباً بالنبيّ الصالح والأخ الصّالح. قلت: مَن هذا؟ قال: عيسى. ثمّ مررتُ بإبراهيم، فقال: مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصّالح. قلت: مَن هذا؟ قال: إبراهيم.

قال ابن شهاب: وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبّة[1]

---

(١) في هامش الأصل: «هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. وأبو حبّة بالموحَّدة، أَوْسِيٌّ شهد بدراً. قال الواقدي (المغازي ١/ ١٦٠): أبو حَنَّةَ بن عمرو بن ثابت، اسمه مالك. وقال محمد بن عبدالله بن نمير: اسمه عامر بن عبد عمرو. وقال ابن إسحاق: قُتل بأحد، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه. وقال أحمد بن البرقي: أبو حبة البدري اسمه ثابت بن النعمان بن امرىء القيس الأوسي. وقال سيف بن عمر فيمن قتل من الأنصار يوم اليمامة: أبو حَبَّة بن غزيَّة بن عمرو. وكذا قال الطبري، وسماه زيداً، ثم ساق نسبه إلى مازن بن النجار وقال: شهد أُحداً. وقال الواقدي: ليس فيمن شهد بدراً أحد يقال له أبو حبة، وإنما هو أبو حنة مالك بن عمرو بن ثابت من بني عمرو بن عوف. وأما أبو حبة بن غزية بن عمرو المازني فلم يشهد بدراً، وكذلك أبو حبة بن عبد عمرو الذي كان مع عليٍّ بصفِّين». ولمزيد بن التفاصيل انظر المؤتلف للدارقطني ٢/ ٥٨٢، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٣/ ٨٠-٨٦.

الأنصاري كانا يقولان: قال رسول الله ﷺ: ثمّ عرج بي حتّى ظَهَرْتُ لمستوىً أسمع فيه صريفَ الأقلام[1].

قال ابن شهاب: قال ابن حزْم، وأنَس بن مالك: قال رسول الله ﷺ ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاةً، قال: فرجعت بذلك حتى أَمُرَّ بموسى، فقال: ماذا فرض ربُّك على أُمَّتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة. قال موسى: فراجعْ ربَّك فإنّ أُمَّتَك لا تطيقُ ذلك. قال: فراجَعْتُ ربّي، فوضع عنّي شَطْرها، فرجعتُ إلى موسى فأخبرتُه، قال: فراجِعْ ربَّك، فإنّ أُمَّتك لا تطيق ذلك. فراجَعْتُ ربّي فقال: هي خمسٌ وهي خمسون لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لديَّ. فرجعت إلى موسى فقال: ارجِعْ إلى ربّك. فقلت: قد استحْيَيْتُ من ربّي. قال: ثم انطلق بي حتّى أتى سِدْرَةَ المُنْتَهَى، فغشِيَها ألوانٌ لا أدري ما هيَ، قال: ثم دخلتُ الجنَّة، فإذا فيها جنابِذُ[2] اللُّؤلُؤ، وإذا ترابها المِسْك.

أخبرنا بهذا الحديث يحيى بن أحمد المقرئ بالإسكندرية، ومحمد ابن حسين الفُوّي بمصر، قالا: أخبرنا محمد بن عماد، قال: أخبرنا عبدالله بن رفاعة، قال: أخبرنا عليّ بن الحسن الشافعيّ، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن عمر البّزاز، قال: حدثنا أبو الطّاهر أحمد بن محمد بن عَمْرو المَدِيني، قال: حدثنا أبو موسى يونس بن عبدالأعلى الصَّدَفي، قال: حدثنا ابن وهْب، قال: أخبرني يونس، فذكره. رواه مسلم[3] عن حَرْمَلَة، عن ابن وهْب.

---

(١) البخاري ١/ ٩٧ و ٢/ ١٩١ و ٤/ ١٦٤، ومسلم ١/ ١٠٢، وانظر المسند الجامع حديث (١٢٣٥٥).
(٢) كتب المؤلف على هامش الأصل: «الجنبذ كالقبة».
(٣) مسلم ١/ ١٠٢.

وروى النَّسائي[1] شَطْرَه الثاني من قول ابن شهاب: وأخبرني ابن حزْم أنّ ابن عباس، وأبا حَبَّة، إلى آخره، عن يونس، فوافقناه بعُلُوّ.

وقد أخرجه البخاريّ[2] من حديث اللَّيْث، عن يونس وتابَعَه عُقيل، عن الزُّهْرِي.

وقال همَّام: سمعت قَتَادة يحدّث، عن أنَس، أنّ مالك بن صَعْصَعَة حدّثه، أنَّ نبيَّ الله ﷺ حدَّثهم عن ليلة أُسْرِي به، قال: بينما أنا في الحَطِيم ـ وربَّما قال قَتَادة في الحِجْر ـ مضطجعاً إذ أتاني آتٍ ـ فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة قال: فأتاني وقد سمعت قَتَادة يقول ـ فشقّ ما بين هذه إلى هذه، قال قَتَادةَ: قلت لجارود، وهو إلى جنْبي: ما يعني؟ قال: من ثُغْرَة نحره إلى شِعْرَته[3] ؟ قال: فاستخرج قلبي، ثمّ أُتِيتُ بطَسْتٍ من ذهب مملوءٍ إيماناً، فغُسل قلبي، ثمّ حُشيَ، ثمّ أُعيد، ثم أُتِيتُ بدابّة دون البغل، وفوق الحمار أبيض ـ فقال له الجارود: هو البُراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم ـ يضع خَطْوه عند أقصى طَرفه، فحُمِلْتُ عليه، فانطلق بي جبريلُ حتى أتى السماءَ الدنيا، فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرْسِل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به ونِعْم المجيء جاء. ففتح له، فلمّا خَلَصْتُ فإذا آدم فيها، فقال: هذا أبوك آدم فسلِّم عليه، فسلَّمتُ عليه. فردّ السلامَ، ثمّ قال: مرحباً بالابن الصّالح، والنبي الصّالح، ثمّ صعد حتى أتى السماءَ الثانية، فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال جبريل: قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرْسِل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً

---

(١) النسائي ١/ ٢١٧.

(٢) البخاري ١/ ٩٧ و ٤/ ١٦٤.

(٣) كتب المؤلف بخطه على هامش الأصل «خ سُرَّته» أي: في نسخة أخرى كذلك.

الصّالح والنبي الصّالح. ثم صَعِد حتى أتى السماءَ الرابعة فاستفتح، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أُرْسِل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعمَ المجيء جاء. قال: ففتح، فلمّا خَلَصْتُ فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلِّم عليه، فسلّمت وردّ، ثمّ قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعِد حتّى أتى السماءَ الخامسة، فاستفتح، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرْسِل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعمَ المجيء جاء. قال: ففتح، فلمّا خَلَصتُ فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلِّمْ عليه، فسلّمْتُ عليه، فردّ السلامَ، ثمّ قال: مرحباً بالأخ الصّالح والنبي الصالح. ثم صعِد حتّى أتى السماءَ السادسة، فاستفتح، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قيل:مرحباً به ونِعمَ المجيء جاء. قال: ففتح، فلمّا خَلَصتُ فإذا موسى عليه السلام، قال: هذا موسى فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه، فردّ السلامَ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: فلمّا جاوزتُ بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي لأنّه غلام بُعِث بعدي يدخل الجنّة من أُمَّته أكثر ممّن يدخلها من أُمّتي. ثم صَعِد حتّى أتى السماءَ السابعة، فاستفتح، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. فقال: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء. ففتح، فلمّا خَلَصتُ فإذا إبراهيم عليه السلام، قال: هذا إبراهيم فسلِّم عليه. فسلَّمتُ عليه، فردّ، وقال: مرحباً بالابن الصّالح والنبي الصّالح. ثم رُفِعت إلى سِدْرَةُ المُنْتَهى. فإذا نبقها مثل قِلال هَجَر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فقال: هذه سدرة المنتهى. وإذا أربعةُ أنهارٍ: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أمّا الباطنان فنهران في

الجنّة، وأمّا الظاهران فالنّيل والفُرات. ثمّ رُفع[1] البيت المعمور، ثم أُتيتُ بإناءٍ من لبن، وإناءٍ من عَسَل، فأخذت اللبن. فقال: هذه الفِطرة أنت عليها وأُمَّتُك. قال: ثمّ فُرِضَتْ عليَّ الصّلاة، خمسون صلاةً في كلّ يوم، فرجعت فمررْت على موسى فقال: بِمَ أُمِرْتَ؟ قلت: بخمسين صلاة في كلّ يوم. قال: إنّ أُمّتك لا تستطيع ذلك، فإنّي قد خَبرتُ النّاسَ قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجِعْ إلى ربّك فَسَلْهُ التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى، فقال: بما أُمرتَ؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم. قال: إنَّ أمتك لا تستطيعها فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فرجعت فوضع عني عشراً أُخَر، ثم رجعت إلى موسى فذكر الحديث إلى أن قال: إن أمتك لا تستطيع بخمس صلوات كل يوم، وإني خبرت الناس قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قلت: قد سألت ربّي حتى استَحْيَيْتُ، ولكنْ أرضَى وأسلِّم. فلمّا نَفَرْتُ ناداني مُنادٍ: قد أمضيتُ فريضتي وخفَّفْتُ عن عبادي.

أخرجه البخاريّ، عن هُدبَة عنه[2] .

وقال مُعاذ بن هشام: حدثني أبي، عن قَتَادة، قال: حدثنا أنس، عن مالك بن صَعْصَعَة، أنّ رسول الله ﷺ قال، فذكر نحوه، وزاد فيه: فأُتِيتُ بطَسْتٍ من ذهب ممتلىءٍ حكمةً وإيماناً، فشقّ من النَّحر إلى مَرَاقِّ البطن، فغُسِل بماء زمزم، ثمّ مُلىء حكمةً وإيماناً. أخرجه مسلم بطُوله[3] .

---

(١) هكذا بخط المؤلف، وفي صحيح البخاري: رُفع لي.
(٢) البخاري ٤/ ١٣٣ و ١٨٥ و ١٩٩ و ٥/ ٦٦، ومسلم ١/ ١٠٣.
(٣) مسلم ١/ ١٠٤.

وقال سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قَتادة، عن أَنَس، عن مالك بن صَعْصَعَة، عن النبي ﷺ قال: بينما أنا عند البيت، بين النائم واليَقْظان، إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجُلين. قال: فأُتِيتُ فانطلق بي، ثمّ أُتِيتُ بطَسْتٍ من ذهبٍ فيه من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا. قال قَتَادة: قلت لصاحبي: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطني، فاستخرج قلبي فغُسِل بماء زمزم، ثمّ أُعيد مكانه، وحُشي، أو قال: كُنِزَ إيماناً وحكمةً - شكّ سعيد - ثم أُتِيتُ بدابّةٍ أبيض يقال له البُراق، فوق الحمار ودون البغل، يقع خَطْوُهُ عند أقصى طَرْفه، فَحُمِلْتُ عليه ومعي صاحبي لا يفارقني، فانطلقنا حتى أتينا السماءَ الدنيا.

وساق الحديثَ كحديث هَمَّام، إلى قوله: البيت المعمور، فزاد: «يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَك، حتّى إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم».

قلت: وهذه زيادة رواها هَمَّام في حديثه، وهو أتقنُ من ابن أبي عَرُوبة، فقال: قال قَتَادة، فحدّثنا الحَسَن، عن أبي هُرَيرة أنّه رأى البيت يدخله كلّ يومٍ سبعون ألف مَلَك، ثم لا يعودون إليه. ثم رجع إلى حديث أَنَس، وفي حديث ابن أبي عَرُوبة: «في سِدرَةِ المُنْتَهَى» إنّ وَرَقها مثل آذان الفِيَلَة، ولفظه: ثمّ أُتِيت على موسى فقال: بمَ أُمِرْتَ؟ قلت: بخمسين صلاةً، قال: إنّي قد بلوتُ النَّاسَ قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشدّ المعالجة وإنّ أُمّتك لا يطيقون ذلك، فارجِعْ إلى ربّك فَسَلْهُ التخفيف لأُمّتك. فرجعتُ، فَحَطَّ عنّي خمسَ صلواتٍ، فما زلت أختلف بين ربّي وبين موسى كلّما أتيت عليه، قال لي مثل مقالته، حتّى رجعت بخمس صلوات، كلّ يوم، فلمّا أتيت على موسى قال كمقالته، قلت: لقد رجعت إلى ربّي حتى استَحْيَيْتُ، ولكن أَرْضَى وأسلِّم. فنُودِيتُ أنْ: قد أمضيتُ فريضتي، وخفَّفتُ عن عبادي، وجعلت بكلّ

حسنةٍ عشر أمثالها. أخرجه مسلم(١).

وقد رواه ثابت البُناني، وشَريك بن أبي نَمِر، عن أنَس(٢)، فلم يُسْنِدْه لهما، لا عن أبي ذَرّ، ولا عن مالك بن صَعصَعَة، ولا بأس بمثل ذلك، فإنّ مُرْسَل الصّحابيّ حُجَّة.

قال حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت، عن أنَس، أنّ رسول الله ﷺ قال: أُتِيتُ بالبُراق، وهو دابّة أبيض، فركِبْتُهُ حتى أتينا بيتَ المقدِس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثمّ دخلت فصلَّيتُ، فأتاني بإناءين خمرٍ ولَبَنٍ، فاخترت اللَّبنَ، فقال: أصبتَ الفِطرة. ثم عُرِج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، فقيل: مَن أنت؟ قال: أنا جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد ارْسِل إليه؟ قال: قد أُرْسِل، ففُتِح لنا، فإذا بآدم.

فذكر الحديث، وفيه: فإذا بيوسف، وإذا هو قد أُعطي شَطْر الحُسن، فرحَّب بي ودعا لي بخير، إلى أن قال لما فُتح له السماء السابعة: فإذا بإبراهيم عليه السلام، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور، فرحّب بي، ودعا لي بخير، فإذا هو يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَكٍ لا يعودون إليه، ثمّ ذهب بي إلى سِدْرَة المُنْتَهَى، فإذا وَرَقُها كآذان الفِيَلَة، وإذا ثمرها كالقِلال، قال: فلمّا غَشِيها من أمر الله ما غَشِيَ تغيَّرَتْ. فما أحدٌ من خَلْقِ الله يستطيع أن ينعتها من حُسْنِها، قال: فدنا فتدلّى وأوحى إلى عبده ما أوحى، وفُرِضَ عليّ في كلّ يومٍ خمسون صلاة، فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى، قال: ما فرض ربُّك على أُمّتِك؟ قلت: خمسين صلاة في كلّ يوم وليلة. قال: ارجِعْ إلى ربّك فاسأله التخفيف، فإنّ أُمَّتَك لا تطيق ذلك، فإنّي قد بَلَوْت بني إسرائيل وجرَّبتهم وخَبِرْتُهُم.

---

(١) مسلم ١/ ١٠٤.

(٢) مسلم ١/ ٩٩.

قال: فرجعت فقلت: أي ربِّ خفِّفْ عن أُمّتي. فحطَّ عنّي خمساً، فرجعتُ حتى انتهيت إلى موسى، فقال: ما فعلتَ؟ قلت: قد حطّ عنّي خمساً، فقال: إنّ أُمّتَك لا تطيق ذلك، إرجِعْ إلى ربّك فَسَلْه التخفيف لأُمّتك. فلم أزل أرجِعْ بين ربّي وبين موسى حتى قال: هي خمسُ صلواتٍ في كلّ يومٍ وليلة، بكلّ صلاةٍ عَشْر، فذلك خمسون صلاة.

أخرجه مسلم[1] دون قوله: فدنا فتدلّى، وذلك ثابت في رواية حَجّاج بن مِنْهال، وهو ثَبْتٌ في حمّاد بن سَلَمَة.

وقال سليمان بن بلال، عن شَريك بن عبدالله بن أبي نَمِر، قال: سمعت أنَساً يقول، وذكر حديث الإسراء، وفيه: ثم عرج به إلى السماء السابعة، ثمّ علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلاّ الله، حتى جاء سِدْرَة المُنْتَهَى، ودنا الجبّار ربّ العِزّة، فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. أخرجه البخاريّ[2] ، عن عبدالعزيز بن عبدالله، عن سليمان.

وقال شَيْبان، عن قَتَادة، عن أبي العالية، قال: حدثنا ابن عباس، قال: قال نبيُّ الله ﷺ: رأيت ليلة أُسْرِي بي موسى عليه السلام رجلاً طُوالاً جَعْداً، كأنّه من رجال شَنُوءَة، ورأيت عيسى مربوع الخَلْق إلى الحُمْرة والبياض سَبِط الرأس، قال: وأُري مالكاً خازن النّار والدّجّال في آياتٍ أراهنّ الله إياه قال: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۝٢٣﴾ [السجدة]. فكان قَتَادة يفسّرها أنَّ نبيَّ الله ﷺ قد لقي موسى. أخرجه مسلم[3] .

وفي الصحيحين[4] ، من حديث سعيد بن المسيّب، عن أبي هُرَيرة، قال: قال النبي ﷺ حين أُسْرِي به: لقِيت موسى وعيسى ـ ثم

---

(١) مسلم ١/٩٩.
(٢) البخاري ٤/٢٣٢ و ٩/١٨٢-١٨٤.
(٣) مسلم ١/١٠٥.
(٤) البخاري ٤/١٨٦ و ٦/١٠٤ و ٧/١٣٥ و ١٤٠، ومسلم ١/١٠٦.

نَعَتَهُما ـ ورأيت إبراهيم، وأنا أَشْبَهُ وَلَدِه به.

وقال مروان بن معاوية الفِزارِيّ، عن قَنان النِّهميّ، قال: حدثنا أبو ظَبيان الجَنْبي، قال: كنّا جُلُوساً عند أبي عُبَيدة بن عبدالله ومحمد بن سعد بن أبي وقّاص، فقال محمد لأبي عُبَيدة: حدِّثنا عن أبيك ليلة أُسْرِي برسول الله ﷺ. فقال أبو عُبيدة: لا، بل حدِّثنا أنتَ عن أبيك. قال: لو سألتَني قبل أن أسألك لفعلتُ. فأنشأ أبو عُبَيدة يحدّث، قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل بدابّةٍ فوق الحمار ودون البغل، فحملني عليه، فانطلق يهوي بنا، كلّما صَعِد عقبةً استوتْ رِجْلاه مع يديه، وإذا هبط استوَتْ يداه مع رِجْلَيه، حتى مَرَرْنا برجلٍ طُوَالٍ سَبِطٍ آدمٍ، كأنّه من رجال أزْدِ شَنُوءَة، وهو يقول ويرفع صوته ويقول: أكرمته وفضّلته، فدفعنا إليه، فسلَّمْنا، فردّ السلام، فقال: مَن هذا معك يا جبريل؟ قال: هذا أحمد. قال: مرحباً بالنبي الأميّ الذي بَلَّغ رسالَة رِبّه ونصح لأُمَّته. قال: ثم اندفعنا، فقلت: مَن هذا يا جبريل؟ قال: موسى. قلت: ومَن يعاتب؟ قال: يُعاتبُ رَبَّهُ فيك. قلت: ويرفع صوته على ربّه! قال: إنّ الله قد عرف له حِدَّتَه. قال: ثم اندفعنا حتّى مَرَرْنا بشجرةٍ كأنّ ثمرها السّرْج وتحتها شيخ وعياله، فقال لي جبريل: اعمد إلى أبيك إبراهيم، فسلَّمْنا عليه فردّ السلام، وقال: مَن هذا معك يا جبريل؟ قال: ابنك أحمد. فقال: مرحباً بالنبي الأُمّي الذي بلّغ رسالة ربّه ونصح لأُمّته، يا بُنَيَّ إنّك لاقٍ ربَّك الليلة، فإن استطعتَ أن تكون حاجتك أو جُلّها في أُمَّتِك فافعَلْ. قال: ثمّ اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى، فنزلت فربطْتُ الدّابَّة بالحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها، ثمّ دخلت المسجد فعرفت النّبيّن ما بين قائمٍ وراكعٍ وساجدٍ، ثم أُتِيتُ بكأسين من عسلٍ ولبنٍ، فأخذت اللّبن فشربته، فضرب جبريل منكبي، وقال: أصبتَ الفِطْرة ورَبّ محمد. ثم

أُقيمت الصّلاة، فأممتهم، ثمّ انصرفنا فأقبلنا... هذا حديث حسن غريب.

فإنْ قيل: فقد صحّ عن ثابت، وسُليمان التَّيْميّ، عن أَنَس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: أتيت على موسى ليلة أُسرِي بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلّي في قبره، وقد صحّ عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «رأيتُني في جماعةٍ من الأنبياء، فإذا موسى يصلّي، وذكر إبراهيم، وعيسى قال: فحانت الصّلاة فأَمَمْتُهُم». ومن حديث ابن المسيّب أنّه لقِيَهم في بيت المقدس، فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين ما تقدّم، من أنّه رأى هؤلاء الأنبياء في السموات، وأنّه راجَعَ موسى؟

فالجواب: أنّهم مُثِّلُوا له، فرآهم غير مرّةٍ، فرأى موسى في مسيره قائماً يصلّي في قبره، ثم رآه ببيت المقدس، ثمّ رآه في السماء السادسة هو وغيره، فعُرِج بهم، كما عُرِج بنبيّنا صلوات الله على الجميع وسلامه، والأنبياء أحياء عند ربّهم كحياة الشُّهداء عند ربّهم، وليست حياتُهم كحياة أهل الدنيا، ولا حياة أهل الآخرة، بل لون آخر، كما ورد أنّ حياة الشهداء بأنْ جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضْرٍ، تسرح في الجنّة وتأوي إلى قناديل معلّقة تحت العرش، فهم أحياء عند ربّهم بهذا الاعتبار كما أخبر سبحانه وتعالى، وأجسادهم في قبورهم.

وهذه الأشياء أكبر من عقول البشر، والإيمان بها واجب[1] كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة].

أخبرنا أبو الفضل أحمد بن هبة الله، قال: أخبرنا أبو رَوْح عبدالمعزّ ابن محمد كتابةً، أنّ تميم بن أبي سعيد الجُرْجانيّ أخبرهم، قال: أخبرنا

---

(١) هذا هو كلام العقلاء، والذهبي بحمد الله منهم.

أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن، قال: أخبرنا أبو عَمْرو بن حمدان، قال: أخبرنا أحمد بن عليّ بن المثنَّى، قال: حدثنا هُدْبة بن خالد، قال: حدثنا حمّاد بن سَلَمَة، عن عطاء بن السّائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبّاس، أنّ رسول الله ﷺ قال: «مررت ليلة أُسرِي بي برائحةٍ طيّبة، فقلت: ما هذه الرائحة يا جبريل؟ قال: هذه ماشطة بنت فرعون، كانت تمشّطها، فوقع المشط من يدها، فقالت: باسم الله، قالت بنت فرعون: أبي. قالت: ربِّي وربّ أبيكِ. قالت: أقول له إذاً. قالت: قولي له. قال لها: أَوَ لَكِ ربٌّ غيري! قالت: ربِّي وربُّك الذي في السماء. قال: فأحْمَى لها بقرة[1] من نُحاس، فقالت: إنّ لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قالت: أن تجمع عظامي وعظامَ ولدي. قال: ذلك لكِ علينا لِما لكِ علينا من الحقّ. فألقي وَلَدُها في البقرة، واحداً واحداً واحداً، فكان آخرهم صبيٌّ، فقال: يا أُمَّه اصبِري فإنّكِ على الحقّ. قال ابن عبّاس: فأربعةٌ تكلّموا وهم صَبِيّان: ابن ماشطة بنت فرعون، وصبيّ جُرَيْج، وعيسى ابن مريم، والرابع لا أحفظه. هذا حديث حسن.

وقال ابن سعد[2]: أخبرنا محمد بن عمر، عن أبي بكر بن أبي سبرة وغيره، قالوا: كان رسول الله ﷺ يسأل ربَّه أن يُرِيَه الجنّة والنّار، فلمّا كان ليلة السبت لسبع عشرة خَلَتْ من رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، ورسول الله ﷺ نائم في بيته أتاه جبريل بالمعراج، فإذا هو أحسن شيء منظراً، فعرج به إلى السموات سماءً سماءً، فلقي فيها الأنبياء، وانتهى إلى سِدْرة المُنْتَهى.

---

(١) أي: قِدْر كبير.
(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢١٣.

قال ابن سعد[1] : وأخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أسامة بن زيد اللَّيْثي، عن عَمْرو بن شُعَيْب، عن أبيه، عن جدّه. قال محمد بن عمر: وحدثنا موسى بن يعقوب الزَّمْعيّ، عن أبيه، عن جدّه، عن أمّ سَلَمَة. وحدثنا موسى بن يعقوب، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، عن عائشة. وحدّثني إسحاق بن حازم، عن وهْب بن كَيْسان، عن أبي مُرَّة، عن أمّ هانىء. وحدثني عبدالله بن جعفر، عن زكريّا بن عَمْرو، عن ابن أبي مُلَيْكة، عن ابن عبّاس، دخل حديثُ بعضهم في بعض، قالوا: أُسْرِي برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة من شِعب أبي طالب إلى بيت المقدس، وساق الحديث إلى أن قال: وقال بعضهم في الحديث: فتفرّقت بنو عبد المطَّلب يطلبونه حين فُقِد يلتمسونه، حتى بلغ العبّاس ذا طُوَى، فجعل يصرخ: يا محمد يا محمد، فأجابه رسول الله ﷺ: لَبَّيْك. فقال: يا ابن أخي عَنَّيْتَ قومك منذ اللّيلة، فأين كنت؟ قال: «أتيتُ من بيت المقدس». قال: في ليلتكَ! قال: «نعم». قال: هل أصابك إلاّ خير؟ قال: «ما أصابني إلاّ خير».

وقالت أمّ هانىء: ما أُسْرِيَ به إلاّ من بيتنا: نام عندنا تلك اللّيلة بعد ما صلَّى العشاء، فلمّا كان قبل الفجر أنبهناهُ للصُّبح، فقام، فلمّا صلّى الصُّبحَ قال: يا أمّ هانىء جئتُ بيت المقدس، فصلّيتُ فيه، ثمّ صلّيتُ الغَدَاةَ معكم. فقالت: لا تُحدِّثِ النّاسَ فيكذّبونك، قال: والله لأُحَدِّثَنَّهم، فأخبرهم فتعجَّبوا، وساق الحديث[2] .

فرّق الواقديّ، كما رأيت، بين الإسراء والمعراج، وجعلهما في تاريخَيْن.

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٢١٣.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢١٣-٢١٥.

وقال عبد الوهاب بن عطاء: أخبرنا راشد أبو محمد الحِمّانيُّ، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ، عن النبي ﷺ أنه قال له أصحابه: يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أُسْرِي بك فيها، فقرأ أوّل ﴿سُبْحَانَ﴾ وقال: بينا أنا نائمٌ عشاءً في المسجد الحرام، إذ أتاني آتٍ فأيقظني، فاستيقظت، فلم أر شيئاً، ثمّ عدْتُ في النَّوم، ثمّ أيقظني، فاستيقظت، فلم أر شيئاً، ثمّ نمت، فأيقظني، فاستيقظت، فلم أر شيئاً، فإذا أنا بهيئة خيال فأَتْبَعْتُهُ بَصَري، حتى خرجت من المسجد، فإذا أنا بدابّةٍ أدنى شَبَهِهِ بدوابّكم هذه بغالكم، مضطرب الأُذُنَيْن، يقال له البُراق، وكانت الأنبياء تركبه قبلي، يقع حافره مدَّ بَصَره، فركبتُه، فبينا أنا أسير عليه إذ دعاني داعٍ عن يميني: يا محمد انْظُرْني أسألك. فلم أُجِبْه، فسِرْتُ، ثم دعاني داعٍ عن يساري: يا محمد انظُرني أسألك. فلم أُجِبْه، ثمّ إذا أنا بامرأةٍ حاسرةٍ عن ذراعيها، وعليها من كلّ زينةٍ، فقالت: يا محمد انْظُرني أسألك. فلم أَلتفِتْ إليها، حتى أتيت بيتَ المقدس، فأوثقتُ دابّتي بالحلقة، فأتاني جبريل بإناءين: خمر ولبن، فشربت اللّبن، فقال: أصبْتَ الفِطْرة. فحدَّثتُ جبريل عن الدّاعي الذي عن يميني، قال: ذاك داعي اليهود، لو أجبتَه لتهوَّدَتْ أُمَّتُك، والآخر داعي النَّصارى، لو أجبتِه لتَنَصَّرَتْ أُمَّتُك، وتلك المرأة الدُّنيا، لو أجبتَها لاختارتْ أُمَّتُك الدنيا على الآخرة. ثم دخلتُ أنا وجبريل بيتَ المقدس، فصلَّينا ركْعَتَين، ثم أُتيتُ بالمعراج الذي تعرجُ عليه أرواحُ بني آدم، فلم تَرَ الخلائقُ أحسنَ من المعراج، أما رأيتم الميت حيث يشقّ بصره طامحاً إلى السماء، فإنّما يفعل ذلك عَجَبُه به، فصعِدتُ أنا وجبريل، فإذا أنا بمَلَكٍ يقال له إسماعيل، وهو صاحب سماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف مَلَك، مع كل ملك جنده مئة ألف مَلَك، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ (٣١)﴾ [المدثر]. فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال:

جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: أوَ قد بُعِث إليه؟ قال: نعم. فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خَلَقه الله على صورته، تُعرض عليه أرواح ذُرِّيَّته المؤمنين فيقول: روح طيّبة ونفْسٌ طيّبة اجعلوها في عِلِّيِّين، ثم تُعرض عليه أرواح ذُرِّيَّته الفُجَّار، فيقول: روحٌ خبيثةٌ ونفْسٌ خبيثة، اجعلوها في سِجِّين. ثمّ مَضِيَت هُنَيَّة، فإذا أنا بأَخْونَةٍ ـ يعني بالخُوَان المائدة ـ عليها لحم مُشَرَّح، ليس يقربُها أحد، وإذا أنا بأَخْونة أخرى، عليها لحم قد أَرْوَحَ، ونَتُنَ، وعندها أُناس يأكلون منها: قلت: يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أُمَّتك يتركون الحلال ويأتون الحرام. قال: ثمّ مَضِيَت هُنَيَّة، فإذا أنا بأقوامٍ بُطونهم أمثال البيوت، كلّما نهض أحدُهم خرَّ يقول: اللَّهمّ لا تُقِم السَّاعةَ، وهم على سابلة آل فرعون، فتجيء السّابلة فتطؤهم، فسمعتُهم يضجُّون إلى الله، قلت: مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أُمَّتك الذين يأكلون الرِّبا. ثم مَضِيَت هُنَيَّةٌ، فإذا أنا بأقوامٍ مَشَافِرُهُمْ كمشافرِ الإبلِ، فتُفْتَح أفواهُهم ويُلقمون الجَمْر، ثمّ يخرج من أسافلهم فيضجّون، قلت: مَن هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلْماً. ثم مضيت هُنَيَّة، فإذا أنا بنساءٍ يُعَلَّقْن بثُديّهنَّ، فسمعتهنّ يضْجُجْن إلى الله، قلت: يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال: الزُّناة من أُمَّتك. ثم مضيت هُنَيَّة، فإذا أنا بأقوامٍ يُقطّع من جُنُوبهم اللَّحم، فيُلَقَّمون، فيقال له: كُلْ ما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت: مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمّازون من أُمَّتِك اللَّمَّازُون. ثم صَعِدت إلى السماء الثانية، فإذا أنا برجلٍ أحسن ما خلق الله، قد فَضُل على النّاس بالحُسْن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت: يا جبريل مَن هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، ومعه نفرٌ من قومه. فسلَّمتُ عليه وسلَّمَ عليَّ، ثم صَعِدْت إلى السماء الثالثة، فإذا أنا بيحيى وعيسى ومعهما نفرٌ من قومهما. ثم صَعِدْت إلى الرابعة، فإذا أنا بإدريس، ثم صَعِدت إلى

السماء الخامسة، فإذا أنا بهارون، ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء، تكاد لحيته تصيب سُرَّتَه من طُولها، قلت: يا جبريل مَن هذا؟ قال: هذا المحبَّب في قومه، هذا هارون بن عِمران، ومعه نفرٌ من قومه. فسلَّمتُ عليه، ثم صَعِدت إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى رجل آدم كثير الشعر، لو كان عليه قميصان لنفذ شعرهُ دونَ القميص، وإذا هو يقول: يزعم النّاسُ أنّي أكرمُ على الله من هذا، بل هذا أكرمُ على الله منّي. قلت: مَن هذا؟ قال: موسى. ثم صَعِدت السابعة، فإذا أنا بإبراهيم، ساند ظهره إلى البيت المعمور، فدخلتُهُ ودخل معي طائفةٌ من أُمّتي، عليهم ثياب بِيض، ثم دفعت إلى السدرة المُنْتَهَى، فإذا كلّ ورقة منها تكاد أن تُغطّي هذه الأُمّة، وإذا فيها عين تجري، يقال لها سلسبيل، فيشقّ منها نهران، أحدهما الكوثر والآخر نهر الرَّحْمة، فاغتسلتُ فيه، فغُفِر لي ما تقدّمَ من ذنبي وما تأخّر، ثمّ إنّي دُفعت إلى الجنة، فاستقبلتني جارية، فقلت: لمن أنتِ؟ قالت: لزيد بن حارثة. ثمّ عُرِضَتْ عليَّ النّارُ، ثم أُغْلِقت، ثمّ إنّي دُفِعت إلىالسدرة المُنْتَهَى فتغشّى لي، وكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى، قال: ونزل على كلّ ورقة مَلَكٌ من الملائكة، وفُرِضت عليَّ الصّلاةُ خمسين، ثم دُفِعت إلى موسى ـ فذكر مراجعته في التخفيف. أنا اختصرت ذلك وغيره إلى أن قال ـ فقلت: رجعت إلى ربّي حتى استَحْيَيْتُه.

ثمّ أصبحَ بمكّةَ يُخبرهم بالعجائبِ، فقال: إنّي أتيتُ البارحةَ بيتَ المقدس، وعُرِجَ بي إلى السماء، ورأيت كذا، ورأيت كذا، فقال أبو جهل: ألا تعجبون مما يقولُ محمد، وذكر الحديث.

هذا حديث غريب عجيب حذفت نحو النّصفِ منه، رواه يحيى بن أبي طالب، عن عبدالوهاب، وهو صَدُوق، عن راشد الحِمّاني، وهو مشهور، روى عنه حمّاد بن زيد، وابن المبارك، وقال أبو

حاتم[1]: صالح الحديث، عن أبي هارون عمارة بن جُوَيْن العَبْدِي، وهو ضعيف شيعيّ. وقد رواه عن أبي هارون أيضاً هُشَيْم، ونوح بن قيس الحدّاني بطُوله نحوه، حدّث به عنهما قُتَيْبَة بن سعيد. ورواه سَلَمَة ابن الفضل، عن ابن إسحاق، عن رَوْح بن القاسم، عن أبي هارون العبدي بطُوله. ورواه أسد بن موسى، عن مُبارك بن فضَالة. ورواه عبد الرزّاق، عن مَعْمَر. والحَسَن بن عَرَفَة، عن عمّار بن محمد، كلّهم عن أبي هارون، وبسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكاً.

عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء] قال: رأي عين.

ابن أبي الزناد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: أُسري بروح رسول الله ﷺ وهو نائم على فراشه.

معمر عن قتادة عن الحسن، قال: أسري بروح رسول الله ﷺ وهو نائم على فراشه.

وقال إبراهيم بن حمزة الزُّبَيْرِيّ: حدثنا حاتم بن إسماعيل، قال: حدثني عيسى بن ماهان، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي هُرَيرة. (ح). وقال هاشم بن القاسم، ويونس بن بُكَيْر، وحجّاج الأعور: حدثنا أبو جعفر الرّازي، وهو عيسى بن ماهان، عن الربيع بن أَنَس، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره، عن النبي ﷺ أنّه قال في هذه الآية ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴿١﴾﴾ [الإسراء] قال: أُتي بفرَسٍ فحُمِل عليه، خطْوُه مُنْتَهَى بَصَرِه، فسار وسار معه جبريل، فأتى على قومٍ يزرعون في يومٍ ويحصدون في يوم، كلمّا حصدوا عادَ كما كانَ، فقال: يا جبريل، مَنْ

(١) الجرح والتعديل ٣/ ٤٨٤.

هؤلاء؟ قال: هؤلاء المهاجرون في سبيل الله، تُضاعفُ لهم الحَسَنة بسبع مئة ضعف ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ]. ثمّ أتى على قومٍ تُرْضَخ رؤوسهم بالصَّخْر، كلّما رُضِخَتْ عادت! قال: يا جبريل، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصّلاة. ثم أتى على قومٍ على أقبالهم رِقاع، وعلى أدبارهم رِقاع، يسرحونَ كما تسرحُ الأنعامُ عن الضّريع والزَّقُّوم، ورضف جهنّم، قال: يا جبريل ما هؤلاء؟ قال: الذين لا يؤدُّون الزَّكاة. ثم أتى على خشبةٍ على الطريق لا يمرّ بها شيءٌ إلاّ قصعته، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف]. ثم مرّ على رجلٍ قد جمع حُزْمةً عظيمةً لا يستطيع حَمْلَها، وهو يريد أن يزيد عليها، قال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا رجل من أُمَّتك عليه أمانةٌ، لا يستطيع أداءها، وهو يزيدُ عليها. ثمّ أتى على قومٍ تُقْرَض ألسنتُهم وشِفاهُهُم بمقاريضَ من حديد، كلّما قُرِضت عادت كما كانت. قال: يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

ثم نَعَتَ الجنَّةَ والنّار، إلى أن قال: ثمّ سار حتى أتى بيتَ المقدس، فدخل وصلّى، ثمّ أتى أرواحُ الأنبياءِ فأثنوا على ربّهم.

وذَكر حديثاً طويلاً في ثلاث وَرَقَاتٍ كِبار. تفرّد به أبو جعفر الرّازي، وليس هو بالقويّ، والحديث مُنْكَرٌ يُشبه كلامَ القُصّاص، إنّما أوردْتُهُ للمعرفة لا للحُجَّة.

وروى في المعراج إسحاق بن بشير، وليس بثقة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس حديثاً.

وقال معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: فُرِضت الصلاة على النبي ﷺ بمكة ركعتين ركعتين، فلما خرج إلى المدينة

فرضت أربعاً، وأُقِرَّتْ صلاة السفر ركعتين. أخرجهالبخاري[1]. آخر الإسراء[2].

(١) البخاري ١/ ٨٩و٢/ ٥٤و٥/ ٨٧.

(٢) كتب صلاح الدين الصفدي في حاشية نسخة المؤلف بلاغاً يفيد قراءته للكتاب على مؤلفه نصه: «بلغت قراءة خليل بن أيبك في الميعاد الخامس على مؤلفه، فسح الله في مدته».

زَوَاجُهُ ﷺ بعَائِشَة وَسَوْدَة أُمَّي المُؤْمِنينَ

قال هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: تزوَّجني رسول الله ﷺ مُتَوَفَّى خديجة، قبل الهجرة، وأنا ابنة ستٍّ، وأُدْخِلْتُ عليه وأنا ابنة تسع سنين جاءني نِسْوةٌ وأنا ألعب على أُرْجُوحة، وأنا مجمَّمَةٌ[(١)]، فهيَّأْنَني وصَنَّعْنَنِي، ثمّ أَتَيْنَ بي إليه. قال عُرْوَة: ومكثت عنده تسع سنين. وهذا حديث صحيح.

وقال أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، قال: تُوُفِّيتْ خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبِثَ سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ستّ سنين، ثمّ بنى بها وهي ابنة تسع. أخرجه البخاري[(٢)] هكذا مُرْسَلاً.

وقال هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُرِيتُكِ في المنام مرّتين، أرى أنّ رجلاً يحملك في سَرَقةٍ[(٣)] حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشِفُ فأراكِ فأقول: إنْ كان هذا من عندِ الله يُمْضِهِ». مُتّفقٌ عليه[(٤)].

وقال عبدالله بن إدريس، عن محمد بن عَمْرو، عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب، قال: قالت عائشة رضي الله عنها: لمّا ماتت خديجة جاءت خَوْلَةُ بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ألا تَزَّوَج؟

---

(١) الجُمَّة: ما سقط على المنكبين من شعر الرأس.
(٢) البخاري ٥/ ٧١.
(٣) أي: قطعة من الحرير.
(٤) البخاري ٥/ ٧١ و ٧/ ٦ و ١٨ و ٩/ ٤٦، ومسلم ٧/ ١٣٤.

قال: ومَنْ؟ قالت: إنْ شئتَ بِكْراً وإنْ شئتَ ثيّباً. قال: مَن البِكْر ومَن الثّيِّب؟ فقالت: أمّا البِكْر فعائشة ابنة أحبِّ خَلْقِ اللهِ إليكَ. وأمّا الثَّيِّبُ فَسَوْدَة بنتُ زمعة، قد آمَنَتْ بك واتَّبَعَتْك. قال: اذكريهما عليّ. قالت: فأتيتُ أُمَّ رُومان فقلت: يا أُمَّ رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبَرَكَة! قالت: ماذا؟ قالت: رسول الله ﷺ يذكر عائشة. قالت: انتظري فإنَّ أبا بكر آتٍ. فجاء أبو بكر فذكرت ذلك له. فقال: أَوَتَصْلُحُ له وهي ابنةُ أخيه؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا أخوه وهو أخي وابنته تَصْلُحُ لي. قالت: وقام أبو بكر، فقالت لي أُمُّ رومان: إنّ المُطْعِم بن عَدِيّ قد كان ذكرها على ابنه، ووالله ما أَخْلفَ وعداً قطّ، تعني أبا بكر. قالت: فأتى أبو بكر المُطْعِمَ فقال: ما تقولُ في أمر هذه الجارية. قالت: فأقبل على امرأته فقال لها: ما تقولين؟ فأقبلت على أبي بكر فقالت: لعلّنا إنْ أنكحنا هذا الفتى إليك تُصْبِئه وتُدْخِلْه في دِينك. فأقبل عليه أبو بكر فقال: ما تقولُ أنت؟ فقال: إنّها لَتَقُولُ ما تسمع. فقام أبو بكر وليس في نفسه من الموعدِ شيءٌ، فقال لها: قولي لرسولِ الله ﷺ فلْيأتِ. فجاء رسولُ الله ﷺ فملكها، قالت: ثمّ انطلقت إلى سَوْدَة بنت زمعة، وأبوها شيخ كبير قد جلس عن الموسم فحيَّيْتُهُ بتحيّة أهل الجاهلية وقلت: أنْعَمْ صباحاً. قال: مَنْ أنتِ؟ قلتُ: خَوْلةُ بنت حكيم. فرحَّبَ بي وقال ما شاء الله أن يقول، قلت: محمد بن عبدالله بن عبدالمطّلب يذكر سَوْدةَ بنت زمعة. قال: كفؤٌ كريم، ماذا تقولُ صاحبتكِ؟ قلت: تحبُّ ذلك. قال: قولي له فلْيأتِ. قالت: فجاء رسولُ الله ﷺ فملكها. قالت: وقدِم عبد بن زمعة فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: إنّي لَسَفِيهٌ يوم أحثو على رأسي التراب أنْ تَزوّجَ رسولُ الله ﷺ سَوْدَة. إسناده حَسَن.

عرْضُ نفسِه ﷺ على القبائِل

قال إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسَه على النّاس بالموقف فيقول: «هل من رجلٍ يحملني إلى قومه، فإنَّ قريشاً قد منعوني أنْ أُبلِّغَ كلامَ ربّي». أخرجه أبو داود[1]، عن محمد بن كثير، عن إسرائيل، وهو على شرط البخاري.

وقال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب، قال: كان رسول الله ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم، ويكلّم كلَّ شريفِ قومٍ، لا يسألهم مع ذلك إلاّ أنْ يُؤْوُوه ويمنعوه، ويقول: لا أُكْرِه أحداً منكم على شيء، مَن رضي منكم بالذي أدعوه إليه فَذاك، ومَن كَرِه لم أُكْرِهْهُ، إنّما أريد أن تحرزوني ممّا يُرادُ بي من الفتك، حتى أُبلِّغَ رسالاتِ ربّي، وحتّى يقضي الله لي ولمن صَحِبَني بما شاء. فلم يقبله أحد ويقولون: قومُهُ أعلمُ به، أتَروْن أنّ رجلاً يُصْلِحُنا وقد أفسد قومَه، ولَفَظُوه، فكان ذلك ممّا ذخرَ اللهُ للأنصار.

وتُوُفّي أبو طالب، وابتُليَ رسولُ الله ﷺ أشدَّ ما كان، فعمد لثقيف بالطّائف، رجاء أنْ يُؤْوُوه، فوجد ثلاثةَ نفرٍ منهم، هم سادةُ ثقيف: عبد ياليل، وحبيب، ومسعود بنو عَمْرو، فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاءَ، وما انتهك منه قومُه. فقال أحدهم: أنا أسرِق أستارَ الكعبة إنْ كان الله بعثكَ قطُّ. وقال الآخر: أَعَجز على الله أن يرسل غيرك. وقال الآخر: والله لا أكلّمك بعد مجلسك هذا، والله لئنْ كنتَ رسول الله

(١) أبو داود (٤٧٣٤).

لأنتَ أعظم شَرَفاً وحقّاً من أن أكلِّمكَ، ولئنْ كنتَ تكذِب على الله، لأنتَ أشرُّ من أنْ أكلِّمكَ. وَتَهَزَّؤُوا به، وأفشوا في قومهم الذي راجعوه به، وقعدوا له صَفَّين على طريقه، فلمّا مرَّ جعلوا لا يرفع رِجْليه ولا يضعهما إلاّ رضخوهما بالحجارة، ودَمَّوا رِجْلَيْه، فخلُص منهم وهما تسيلان الدماء، فعمد إلى حائطٍ من حوائطهم، واستظل في ظلّ سَمُرَة حَبَلَة منه، وهو مكروب مُوجَع، فإذا في الحائط عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبة أخوه، فلمّا رآهما كرِه مكانهما لِما يعلم من عداوتهما، فلمّا رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يُدْعَى عدَّاساً، وهو نَصْرانيٌّ من أهل نينَوَى، معه عِنَب، فلمّا جاء عدَّاس، قال له رسول الله ﷺ: «من أيّ أرضٍ أنت يا عدّاس»؟ قال: من أهل نينَوَى، فقال له النبي ﷺ: «من مدينة الرجل الصّالح يونس بن متَّى»؟ فقال: وما يدريك من يونس بن متَّى؟ قال: «أنا رسول الله، والله أخبرني خبرَ يونس». فلمّا أخبره خرَّ عدّاس ساجداً لرسول الله ﷺ، وجعل يقبّل قدميه وهما تسيلان الدّماء، فلمّا أبصر عُتبة، وشَيْبة ما يصنع غلامهما سكتا، فلمّا أتاهما قالا: ما شأنك سجدت لمحمدٍ وقبَّلْت قدميه؟ قال: هذا رجل صالح، أخبرني بشيءٍ عرفته من شأن رسولٍ بعثه الله إلينا يُدْعى يونس بن متَّى، فضحكا به، وقالا: لايفتنك عن نصرانيّتك، فإنّه رجل خدّاع. فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة.

وقال يونس بن يزيد، عن الزُّهْري: أخبرني عُرْوة، أنّ عائشة حدّثته، أنّها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يومٌ أشدّ عليك من يوم أُحُد؟ قال: «ما لقيتُ من قومِك كان أشدّ منه، يوم العَقَبَة إذ عرضْتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفِقْ إلاّ وأنا بقَرْن الثعالب(١)، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرت فإذا هو جبريل،

(١) موضع قرب مكة.

فناداني «إنّ الله قد سمع قولَ قومِكَ لكَ وما رَدُّوا عليكَ، وقد بعثَ إليك مَلكَ الجبالِ لتأمره بما شئتَ فيهم». ثمّ ناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ، ثمّ قال: يا محمد إنَّ الله قد سمع قولَ قومِكَ، وأنا ملكُ الجبال، قد بعثني إليك ربُّكَ لتأمرني بما شئتَ، إن شئتَ يُطْبِقْ عليهم الأخشَبَين[1]. فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أسرارهم - أو قال: من أصلابهم - مَنْ يعبد الله لا يُشْرك به شيئاً. أخرجاه[2].

وقال البكّائي، عن ابن إسحاق[3]: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال: لمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى الطّائف، عمد إلى نفرٍ من ثقيف، وهم يومئذٍ سادتهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عَمْرو، وأَخَواه مسعود، وحبيب، وعند أحدهم امرأةٌ من قريش من جُمَح، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أَمَا وجد الله مَن يرسله غيرك؟ وقال الآخر: والله لا أكلّمك.

وذكره كما في حديث ابن شهاب، وفيه زيادة وهي: فلمّا اطمأنّ ﷺ قال فيما ذُكِرَ لي: «اللّهم إليك أشكو ضَعْفَ قوّتي وقلّةَ حيلتي وهَوَاني على النّاس، أرحمَ الراحمين، أنت ربّ المُسْتَضْعَفين وأنت ربّي، إلى مَن تكِلُني، إلى بعيدٍ يتجهّمُني، أو إلى عدوٍّ ملَّكْتَه أمري، إنْ لم يكن بك عليَّ غضَبٌ فلا أُبالي، ولكنَّ عافيتَك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقَتْ له الظُّلُمات، وصَلُحَ عليه أمرُ الدّنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبُك أو يحلَّ عليَّ سخطُك، لك العُتْبَى حتّى

(١) أي: جبلي مكة، وهما: أبو قبيس والأحمر.
(٢) البخاري ٤/ ١٣٩و ١٤٤، ومسلم ٥/ ١٨١.
(٣) ابن هشام ١/ ٤١٩-٤٢٠.

ترضَى ولا حول ولا قوّة إلاّ بك».

وحدثني حسين بن عبدالله بن عُبَيْدالله بن عباس، قال: سمعتُ ربيعة بن عِبَاد[1] يحدث أبي، قال[2]: إنّي لَغُلامٌ شابٌّ مع أبي بمِنَى، ورسول الله ﷺ يقفُ على القبائلِ من العرب، يقول: يا بني فُلان إنّي رسولُ الله إليكم، يأمركم أنْ تعبدوه لا تُشْرِكوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا وتصدّقوني وتمنعوني حتى أُبيِّنَ عن الله ما بعثني به. قال: وخلفه رجلٌ أحْوَل وَضِيء، له غديرتان، عليه حلّة عَدَنيّة، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله قال: يا بني فُلان إنّ هذا إنّما يدعوكم إلى أنْ تسلخوا اللاّت والعُزَّى وحُلَفاءكم من الحيّ من بني مالك بن أُقَيش، إلى ما جاء به من البدعة والضَّلالة، فلا تُطيعوه ولا تسمعوا منه. فقلت لأبي: مَن هذا؟ قال: هذا عمّه عبدالعُزَّى أبو لَهَب.

وحدّثني ابن شهاب أنّه ﷺ أتى كِنْدَةَ في منازلهم، وفيهم سيّد لهم يقال له مُلَيْح، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه[3].

وحدثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حُصَين، أنّه أتى كلباً في منازلهم، إلى بطنٍ منهم يقال له بنو عبدالله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنّه ليقول: يا بني عبدالله إنّ الله قد أحسن اسمَ أبيكم، فدعاهم إلى الله فلم يقبلوا[4].

وحدثني بعض أصحابنا أنّه أتى بني حَنِيفة في منازلهم، ودعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبح ردّاً منهم[5].

---

(١) قيده المؤلف في المشتبه ٤٢٩.
(٢) ابن هشام ١/ ٤٢٣.
(٣) ابن هشام ١/ ٤٢٤-٤٢٥.
(٤) ابن هشام ١/ ٤٢٤-٤٢٥.
(٥) ابن هشام ١/ ٤٢٤-٤٢٥.

وحدثني الزُّهرِيّ أنّه أتى بني عامر بن صَعْصَعَة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن فِراس: والله لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إنْ بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على مَن خالفك، أيكون لنا الأمرُ من بعدك؟ قال: «الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء»، قال: أَفَنُهْدِفُ نحورَنا للعربِ دونك؟ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك، فأبَوْا عليه[1] .

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمرو بن قَتَادَة، عن أشياخ من قومه، قالوا: قدِم سُوَيْد بن الصّامت أخو بني عَمْرو بن عَوْف مكةَ حاجّاً أو مُعْتَمِراً، وكان سُوَيْد يسمّيه قومُه فيهم (الكامل) لِسِنّه وجَلدِه وشِعْره، فتصدّى له رسول الله ﷺ ودعاه إلى الله، فقال سُوَيْد: فلعلّ الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك»؟ قال: مجلّة لُقْمان، يعني: حكمة لُقمان، قال: اعرضْها، فعرضها عليه، فقال: «إنَّ هذا الكلام حَسَن، والذي معي أفضل منه، قرآنٌ أنزله الله عليَّ»، فتلا عليه القرآن، ودَعاهُ إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إنّ هذا لقَول حَسَن. ثم انصرف فقدِم المدينةَ على قومها، فلم يلبث أنْ قتلته الخَزْرج، فكان رجالٌ من قومه يقولون: إنّا لَنَرى أنّه قُتِل وهو مسلمٌ، وكان قَتْلهُ يوم بُعاث.

وقال البكّائي، عن ابن إسحاق[2] ، قال: وسُوَيْد الذي يقول:

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقاً ولو ترى مقالته بالغيبِ ساءكَ ما يَفْرِي
مقالتهُ كالشَّهْد ما كانَ شاهداً وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغْرَةِ النَّحْرِ
يَسُـرُّكَ بـاديـهِ وتحـت أديمـهِ تميمة غشّ تبتري عَقِبَ الظَّهرِ

(١) ابن هشام ١/ ٤٢٥.
(٢) ابن هشام ١/ ٤٢٦.

تُبينُ لك العَيْنان ما هو كاتمٌ　　من الغلّ والبغضاء بالنَّظَر الشَّزْرِ
فَرِشْني بخيرٍ طالما قدْ بَرَيْتَني　　وخيرُ الموالي مَنْ يَرِيش ولا يَبْري

حدِيْثُ يَوْمِ بُعاث[١]

قال يونس، عن ابن إسحاق[٢] : حدثني الحُصَيْن بن عبدالرحمن ابن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن لَبِيد، قال: لما قدِم أبو الحَيْسَر أَنَسُ ابنُ رافع مكةَ ومعه فِتْيةٌ من بني عبدالأشهل، فيهم إياس بن مُعَاذ، يلتمسون الحلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسولُ الله ﷺ فأتاهم فقال لهم: هل لكم إلى خيرٍ ممّا جئتم له؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد، ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس، وكان غلاماً حَدَثاً: يا قوم هذا والله خير ممّا جئتم له. فيأخذ أبو الحَيْسَر حفنةً من الحَصْباء[٣] ، فضربَ[٤] بها وجهَ إياس، وقال: دعنا منك، فَلَعَمْرِي لقد جئنا لغير هذا. فسكت، وقام النبي ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاثٍ بين الأوْس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أنْ هَلَك. قال محمود بن لَبِيد: فأخبرني مَن حضره من قومي أنّهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّل الله ويكبِّره ويُحَمِّدُه ويسبّحه حتى مات، وكانوا لا يشكُّون أنّه مات مسلماً. وقد كان استشعرَ من الإسلامِ في ذلك المجلس، حين سمعَ من رسولِ الله ﷺ ما سمع.

---

(١) بعاث: موضع قرب المدينة على بعد ليلتين، وفيه كانت حرب بين الأوس والخزرج.

(٢) ابن هشام ١/ ٤٢٧-٤٢٨.

(٣) كتب المؤلف بخطه على هامش الأصل: «خ البطحاء» أي: في نسخة أخرى كذلك.

(٤) كتب المؤلف بخطه على هامش الأصل: «فيضرب».

وقال هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان يوم بُعاث يوماً قدّمه الله لرسوله، فقدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وقد افترق مَلَؤُهم وقُتِلت سرواتهم ـ يعني: وجُرِحوا ـ قَدَّمه اللهُ لرسولِهِ في دخولهم في الإسلام. أخرجه البخاري[1].

(١) البخاري ٥/٣٨.

ذكر مبدأ خَبر الأنصار والعقبة الأُولى

قال أحمد بن المِقْدام العِجْليّ(١) : حدثنا هشام بن محمد الكلْبيّ، قال: حدثنا عبدالحميد بن أبي عيسى بن خير، عن أبيه، قال: سمعت قريش قائلاً يقول في اللّيل على أبي قُبَيْس:

فإنْ يُسلمِ السَّعْدانِ يُصبحْ مُحمدٌ   بمكةَ لا يَخْشى خِلافَ المُخَالِفِ

فلمّا أصبحوا قال أبو سفيان: مَنِ السَّعْدان؟ سعد بن بكر، سعد تميم؟ فلمّا كان في الليلة الثانية سمعوا الهاتف يقول:

أيا سعدُ سعد الأوسِ كُنْ أنتَ ناصِراً   ويا سعدُ سعْدَ الخَزْرَجَيْن الغَطارِفِ
أجيبا إلى داعي الهُدَى وتمنّيا   على الله في الفِرْدَوْس مُنية عارِفِ
فإنّ ثَوَابَ الله للطالِبِ الهُدَى   جنانٌ من الفِرْدَوْس ذات رَفَارِفِ

فقال أبو سفيان: هو والله سعد بن مُعاذ، وسعد بن عُبادة.

وقال البكّائيُ، عن ابن إسحاق(٢) : لمّا أراد الله إظهار دِينه، وإعزاز نبيّه، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقِيه فيه الأنصار، فعرض نفسه على القبائل، كما كان يصنع، فبينا هو عند العَقَبَة لقي رهطاً من الخزرج، فحدثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن أشياخ من قومه، أنّ رسول الله ﷺ لمّا لقِيَهم قال: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمِن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلّمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم

---

(١) رواه عنه الطبري في تاريخه ٢/ ٣٨٠-٣٨١.
(٢) ابن هشام ١/ ٤٢٨.

الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان ممّا صنع الله به في الإسلام أنّ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهلَ كتابٍ وعِلْم، وكانوا أهلَ شِرْكٍ وأوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إنّ نبيّاً مبعوثٌ الآن، قد أظلّ زمانه، نَتَّبِعُهُ، فنقتلكم معه قتْل عادٍ وإرَم. فلمّا كلّم رسولُ الله ﷺ أولئك النَّفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تَعَلَّموا والله إنّه لَلنَّبيُّ الذي تواعدكم به يهود، فلا يَسْبِقُنَّكُم إليه. فأجابوه وأسلموا، وقالوا: إنّا تركنا قومَنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدَمُ عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك به، فإنْ يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك. ثم انصرفوا.

قال ابن إسحاق[١]: وهم فيما ذُكر ستّة من الخزرج: أسعد بن زُرَارة، وعَوْف بن عَفْراء، ورافع بن مالك الزُّرقي، وقُطْبة بن عامر السَّلَميّ، وعُقْبة بن عامر. رواه جرير بن حازم عن ابن إسحاق، فقال بدل عُقْبة: مُعَوَّذ بن عَفْراء، وجابر بن عبدالله أحد بني عَدِيّ بن غَنْم. فلمّا قدِموا المدينة ذكروا لقومهم رسولَ الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام، وفشا فيهم ذِكْرُ رسول الله ﷺ، فلمّا كان العام المقبل، وافَى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوا رسولَ الله ﷺ بالعَقَبَة، وهي (العقبة الأولى)، فبايعوا رسولَ الله ﷺ على بيعة النّساء، وذلك قبل أن تُفْتَرَض عليهم الحرب، وهم أسعد بن زُرَارة، وعَوْف، ومُعَوَّذ ابنا الحارث وهما ابنا عَفْراء، وذَكْوَان بن عبد قَيْس، ورافع بن مالك، وعُبادة بن الصّامت، ويزيد بن ثعلبة البَلَوِيّ، وعبّاس بن عُبادة بن نَضْلَة، وقُطْبة بن عامر، وعُقْبة بن عامر، وهم من الخزرج، وأبو الهيثم بن التَّيْهَان، وعُوَيْم بن ساعدة، وهما من الأوس.

---

(١) ابن هشام ١/٤٢٩.

وقال يونس وجماعة، عن ابن إسحاق[1] : حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن مَرْثَد بن عبدالله اليَزَني، عن أبي عبدالله الصُّنابحيّ عبدالرحمن بن عُسَيْلة، قال: حدثني عُبَادة بن الصّامت، قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلةَ العَقَبَة الأولى، ونحن اثنا عشر رجلاً، فبايعناه بيعة النساء، على أن لا نُشْرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتيَ ببُهْتانٍ نَفْتَرِيه بين أيدينا وأرجُلنا، ولا نعصيَهُ في معروف، وذلك قبل أن تُفْتَرَض الحرب، فإنْ وَفَّيتم بذلك فلكم الجنّة، وإن غَشِيتم شيئاً فأمركم إلى الله، إنْ شاء غفر، وإن شاء عذّب.

أخرجاه[2] عن قُتَيْبة، عن اللّيث، عن يزيد بن أبي حبيب. أخبرنا الخَضِر بن عبدالرحمن، وإسماعيل بن أبي عَمْرو، قالا: أخبرنا الحسن ابن عليّ بن الحسين بن الحسن بن البُنّ، قال: أخبرنا جدّي أبو القاسم الحسين، قال: أخبرنا أبو القاسم عليّ بن محمد بن عليّ بن أبي العلاء سنة تسع وسبعين وأربع مئة، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن عثمان المعدَّل، قال: أخبرنا عليّ بن يعقوب، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم القُرَشيّ، قال: أخبرنا محمد بن عائذ، قال: أخبرني إسماعيل بن عيّاش، عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيْم، عن إسماعيل بن عُبَيْد بن رِفاعة، عن عُبَادة بن الصّامت، قال: بايَعْنا رسولَ الله ﷺ على السّمع والطّاعة في النشاط والكسل، وعلى النّفقة في العُسْر واليُسْر، وعلى الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المُنْكَر، وعلى أن نقول في الله عزّ وجلّ، لا تأخذنا فيه لومةُ لائم، وعلى أنْ ننصره إذا قدِم علينا يثربَ، فنمنعه ممّا نمنع أنفسَنا وأزواجَنا، ولنا الجنّة. رواه زُهَيْر بن معاوية، عن ابن خُثَيْم، عن إسماعيل بن عُبَيْد بن رِفاعة، عن أبيه، أنّ عُبادة قال نحوه.

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٣٣.

(٢) البخاري ٥/ ٧٠و٩/ ٤، ومسلم ٥/ ١٢٧.

خالفه داود بن عبدالرحمن العطّار ويحيى بن سُلَيْم، فرويا عن ابن خُثَيْم هذا المتن بإسنادٍ آخر، وهو عن أبي الزُّبَيْر عن جابر. وسيأتي.

وقال البكّائي، عن ابن إسحاق[1]: فلمّا انصرف القوم، بعث رسول الله ﷺ مُصْعَب بن عُمَيْر العَبْدَرِيّ يُقْرئهم القرآن ويفقّههم في الدّين، فنزل على أسعد بن زُرَارة، فحدثني عاصم بن عمر أنّه كان يصلّي بهم، وذلك أنّ الأوْس والخزرج كره بعضهم أنْ يؤمّه بعض.

قال ابن إسحاق: وكان يسمّى مُصْعَب بالمدينة المقرىء.

وحدثني محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيف، عن أبيه، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنتُ قائدَ أبي حين ذهبَ بصره، فكنت إذا خرجتُ به إلى الجمعة، فسمع الأذانَ صلّى على أبي أُمامة أسعد بن زُرارة، واستغفر، فقلت: يا أَبَه ما لَكَ إذا سمعتَ الأذانَ للجُمعة صلّيت على أبي أُمامة! قال: أيْ بُنَيَّ، كان أوّل من جمَّع بنا بالمدينة في هَزْمٍ[2] من حَرَّة بني بياضة يقال له نقيعُ الخَضِمات. قلت: وكم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً[3].

وقال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب، قال: فلمّا حضر الموسم حجّ نفرٌ من الأنصار، منهم مُعاذ بن عَفْراء، وأسعد بن زُرَارة، ورافع بن مالك، وذَكْوان، وعُبادة بن الصّامت، وأبو عبدالرحمن بن تَغْلِب، وأبو الهَيْثم بن التَّيهان، وعُوَيْم بن ساعدة، فأتاهم رسولُ الله ﷺ فأخبرهم خبره، وقرأ عليهم القرآن، فأيقنوا به واطمأنُّوا، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب، فصدّقوه، ثم قالوا: قد علِمْتَ الذي كان بين الأوس والخزرج من سفْك الدماء، ونحن حُرَّاصٌ على ما أرشدك الله

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٣٤.

(٢) الهزم لغة: المطمئن من الأرض.

(٣) ابن هشام ١/ ٤٣٥.

به، مجتهدون لك بالنَّصيحة، وإنّا نُشير عليك برأينا، فامكثْ على اسم الله حتى نرجع إلى قومنا فنذكر لهم شأنك، وندعوهم إلى الله، فلعلّ الله يُصْلح ذات بينهم، ويجمع لهم أمرهم فنواعدك الموسم من قابل. فرضي بذلك رسول الله ﷺ، ورجعوا إلى قومهم فدعوهم سرّاً وتلوا عليهم القرآن، حتّى قلَّ دارٌ من دُور الأنصار إلاّ قد أسلم فيها ناس، ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ مُعاذ بن عَفْراء، ورافع بن مالك أنْ ابعث إلينا رجلاً من قِبَلِك يفقّهنا. فبعث مُصْعبَ بن عُمَير، فنزل في بني تميم على أسعد يدعو النّاس سرّاً، ويفشو فيهم الإسلام ويكثر، ثم أقبل مُصْعب وأسعد، فجلسا عند بئر بني مَرْق، وبعثا إلى رهْطٍ من الأنصار، فأتوهما مُسْتَخْفِين، فأخبر بذلك سعد بن مُعاذ ـ ويقول بعض النّاس: بل أُسَيْد ابن حُضَيْر ـ فأتاهم في لأْمَتِه معه الرُّمْح، حتى وقف عليهم، فقال لأبي أُمامة أسعد: عَلَامَ أَتَيْتَنا في دُورنا بهذا الوحيد الغريب الطّريد، يسفِّه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه، لا أراك بعدها تسيء من جوارنا. فقاموا، ثم إنّهم عادوا مرّةً أخرى لبئر بني مَرْق، أو قريباً منها، فذُكِروا لسعد بن مُعاذ الثانية فجاءهم، فتواعدهم وعيداً دون وعيده الأول، فقال له أسعد: يا ابن خالة، اسمع من قوله، فإنْ سمعت حقّاً فأجِب إليه، وإنْ سمعتَ مُنْكراً فارددْه بأهدى منه، فقال: ماذا يقول؟ فقرأ عليه مُصْعَب: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف] فقال سعد: ما أسمع إلاّ ما أعرفه. فرجع سعد وقد هداه الله، ولم يُظْهِر لهما إسلامه، حتى رجع إلى قومه فدعا بني عبدالأشهل إلى الإسلام، وأظهر لهم إسلامه وقال: من شكّ منكمفيه فلْيأتِ بأهدى منه، فَوَالله لقد جاء أمر لَتُحَزَّنَّ منه الرقابُ. فأسْلَمَتْ بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد بن مُعاذ، إلا من لا يذكر.

ثمّ إنّ بني النّجّار أخرجوا مُصْعَبَ بن عُمَير، واشتدُّوا على أسعد،

فانتقل مُصْعَب إلى سعد بن مُعاذ يدعو آمناً ويهدي الله به. وأسلم عَمْرو ابن الجَمُوح، وكُسِرت أصنامهم، وكان المسلمون أعزّ من بالمدينة، وكان مُصْعَب أوّل من جَمَّع الجمعة بالمدينة، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ. هكذا قال ابن شهاب: إنّ مُصْعَباً أوّل من جَمَّع بالمدينة.

وقال البكّائي، عن ابن إسحاق[1]: وحدثني عبدالله بن المُغِيرة بن مُعَيْقيب، وعبدالله بن أبي بكر بن حزْم، أنّ أسعد بن زُرَارة خرج بمُصْعَب بن عُمَيْر، يريد به دارَ بني عبد الأشهل، ودارَ بني ظفر، وكان سعد بن مُعاذ ابن خالة أسعد بن زُرَارة، فدخل به[2] حائطاً من حوائط بني ظفر، وقالا: على بئر مَرْق، فاجتمع إليهما ناس، وكان سعد وأُسَيْد ابن حُضَيْر سَيِّدي بني عبدالأشهل، فلمّا سمعا به قال سعد لأُسَيْد: انْطَلِق إلى هذين فازجُرْهُما وانْهَهُما عن أن يأتيا دارَيْنا، فلولا أسعد بن زُرارة ابن خالتي كَفَيْتُكَ ذلك. فأخذ أُسَيد حَرْبَتَه، ثم أقبل إليهما، فلمّا رآه أسعد قال: هذا سيّد قومه قد جاءك فاصْدُقِ الله فيه. قال مُصْعَب: إنْ يَجْلِسْ أكلّمه. قال: فوقف عليهما، فقال: ما جاء بكما إلينا تُسَفِّهان ضعفاءنا، اعتزلانا إنْ كان لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مُصْعَب: أو تجلس فتسمعْ، فإنْ رضيتَ أمراً قبِلته، وإنْ كرهته كُفَّ عنك ما تكره. قال: أنصفت. ثم ركز حَرْبَتَه وجلس إليهما، فكلّمه مُصْعَب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما بَلَغَنَا: واللهِ لَعَرَفْنا في وجهه الإسلامَ، قبل أن يتكّلم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدّين؟ قالا: تغتسل وتَطَهَّر وتُطهِّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ، ثم تصلّي. فقام فاغتسل وأَسْلَم وركع رَكْعَتَين ثمّ قال لهما: إنّ ورائي رجلاً إنِ اتَّبَعَكما لم يتخلّف عنه من

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٣٥، وتاريخ الطبري ٢/ ٣٥٧.

(٢) على هامش الأصل كتب المؤلف بخطه: «يعني مصعب: بأسعد».

قومه أحدٌ، وسأرسله إليكما. ثم انصرف إلى سعد بن مُعاذ وقومه، وهم جُلُوس في ناديهم، فلمّا رآه سعد مقبلاً قال: أُقْسِمُ بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذي ولّى به، ثمّ قال له: ما فعلت؟ قال: كلّمتُ الرجلَين، فما رأيت بهما بأساً، وقد تَهَيَّبتهما فقالا: لا نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثْتُ أنّ بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد ليقتلوه، وذلك أنّهم عرفوا أنّه ابن خالتك ليُخْفِروك[1] . فقام سعد مُغْضَباً مبادِراً متخوِّفاً، فأخذ الحَرْبَةَ، وقال: والله ما أراك أغنيت عنّا شيئاً. ثم خرج إليهما، فلمّا رآهما سعد مطمئنّين عرف أنّ أُسَيْداً إنّما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متبسماً. ثمّ قال لأسعد: يا أبا أُمامة، والله لولا ما بيني وبينك من القَرَابة ما رُمْتَ منّي هذا، أَتَغْشَانا في دارَيْنا بما نكره! وقد قال أسعد لمُصْعَب: أيْ مُصْعَب جاءك والله سيّد مَن وراءه، إنْ يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان. فقال: أَوَ تقعد فتسمع، فإنْ رضيتَ أمراً ورغبتَ فيه قَبِلْتَه، وإنْ كرهتَ عزلنا عنك ما تكره. قال: أنصفت. فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فعرفنا في وجهه، والله، الإسلامَ قبل أن يتكلّم به، لإشراقه وتسهُّله. ثم فعل كما عمل أُسَيْد، وأسلم، وأخذ حَرْبته، وأقبل عامداً إلى نادي قومه، ومعه أُسَيْد، فلمّا رآه قومه، قالوا: نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فقال: يا بني عبدالأشهل كيف تعرفون أمري فيكم؟ قالوا: سيِّدُنا وأفضَلُنا رأياً وأَيْمَنُنا نقيبة. قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا. فَوَالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلاّ مسلماً ومسلمة، ورجع مُصْعَب وأسعد إلى منزلهما، ولم تبق دار من دُور الأنصار إلاّ وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون، إلاّ ما كان من دار بني أُمية ابن زيد، وخَطمة، ووائل، وواقف، وتلك أَوْس الله وهم من الأوس بن

---

(١) الإخفار: نقض العهد والغدر.

حارثة، وذلك أنّه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صيْفي، وكان شاعراً لهم وقائداً، يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى مضت أُحُدٌ والخندق[1] .

(١) ابن هشام ١/ ٤٣٥-٤٣٨ .

العقبة الثانية

قال يحيى بن سُلَيْم الطّائفيّ، وداود العطّار ـ وهذا لفظُه ـ: حدثنا ابن خُثَيْم، عن أبي الزُّبَير المكّي، عن جابر بن عبدالله، أنّ رسول الله ﷺ لبِثَ عشْر سنين يتبع الحاجّ في منازلهم في المواسم: مَجَنَّة[1]، وعُكاظ، ومِنَى، يقول: من يُؤْوِيني وينصرني حتى أبلّغ رسالات ربّي وله الجنّة؟ فلا يجد، حتى إنّ الرجل يرحل صاحبُه من مُضَر أو اليمن، فيأتيه قومُه أو ذو رَحِمِه يقولون: احذْر فتى قريش لا يفتنْك، يمشي بين رِحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل، يُشيرون إليه بأصابعهم، حتّى بَعَثَنَا اللهُ له من يثرب، فيأتيه الرجل منّا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيُسْلِمُون بإسلامه، حتى لم يبق دارٌ من يثرب إلاّ وفيها رهْطٌ يُظْهِرون الإسلام. ثم ائتمرنا واجتمعنا سبعين رجلاً منّا، فقلنا: حتّى متى نَذَرُ رسولَ الله ﷺ يطوف في جبال مكة ويخاف. فرحلنا حتى قدِمْنا عليه في الموسم، فواعَدَنا شِعب العَقَبَة، فاجتمعنا فيه من رجلٍ ورجُلَين، حتى توافَيْنا عنده، فقلنا: يا رسول الله عَلاَمَ نُبايعك؟ قال: «على السمع والطاعة في النشاط والكَسَل، وعلى النَّفَقَة في العُسْر واليُسْر، وعلى الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المُنْكَر، وعلى أنْ تقولوا في الله، لا تأخذكم فيه لَوْمَة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدِمْتُ عليكم يثربَ، تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنّة». فقمنا نُبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زُرَارة، وهو أصغر السبعين،

---

(١) على هامش الأصل كتب المؤلف بخطه: «المجنة بالفتح، ويقال بالكسر: مكان على أميال من مكة».

إلاّ أنا، فقال: رُوَيداً يا أهل يثرب، إنّا لم نَضْرب إليه أكبادَ المطيِّ إلاّ ونحن نعلم أنّه رسول الله، إنّ إخراجه اليوم مفارقة العرب كافّة، وقتْلُ خياركم، وأن تَعَضَّكم السيوفُ، فإمّا أنتم قوم تصبرون على عضّ السيوف إذا مسَّتكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مُفارقة العرب كافّة، فخذوه وأجْرُكُم على الله، وإمّا أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فَذَرُوه فهو أعذر لكم عند الله عز وجل. فقلنا: أَمِطْ يدَكَ يا أسعد، فَوَالله لا نَذَرُ هذه البيعةَ ولا نَسْتقيلُها، فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً، يأخذ علينا شرطه، ويعطينا على ذلك الجنّة.

زاد في وسطه يحيى بن سُلَيْم: فقال له عمّه العباس: يا ابن أخي لا أدري ما هذا القوم الذين جاؤوك، إنّي ذو معرفة بأهل يثرب. قال: فاجتمعا عنده من رجل ورجُلَين، فلمّا نظر العبّاس في وجوهنا، قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم أحداث، فقلنا: عَلاَمَ نُبايعك.

وقال أبو نُعَيْم[1]: حدثنا زكريا، عن الشَّعْبي، قال: انطلق النبي ﷺ معه عمّه العباس، إلى السبعين من الأنصار، عند العَقَبَة تحت الشجرة، قال: ليتكلّم متكلّمكم ولا يُطِيل الخطبةَ، فإنّ عليكم من المشركين عَيْناً. فقال أسعد: سَلْ يا محمد لربّك ما شئتَ، ثمّ سلْ لنفسك، ثمّ أخبِرْنا ما لنا على الله. قال: أسألكم لربّي أن تعبدوه ولا تُشْرِكُوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تُؤْوُونا وتنصُرُونا وتمنعونا ممّا منعتم منه أنفسَكم. قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: لكم الجنّة. قالوا: فلك ذلك.

ورواه أحمد بن حنبل[2]، عن يحيى بن زكريّا بن أبي زائدة، قال: أخبرنا مجالد، عن الشَّعْبيّ، عن أبي مسعود الأنصاريّ بنحوه، قال:

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ١٠٩.

(٢) المسند ٤/ ١١٩.

وكان أبو مسعود أصغرهم سنّاً.

وقال ابن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[1]: حدثني عاصم بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر، أنّ العبّاس بن عُبَادة بن نَضْلَة أخا بني سالم قال: يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون رسول الله ﷺ؟ إنّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإنْ كنتم ترون أنّها إذا أنهكت أموالَكُم مصيبةٌ وأشرافَكُم قَتْلٌ، تركتموه وأسلمتموه، فَمِنَ الآن، فهو والله إنْ فعلتم خزيُ الدنيا والآخرة، وإنْ كنتم ترون أنّكم مستضلعون به وافون له، فهو واللهِ خيرُ الدنيا والآخرة. قال عاصم: فَوالله ما قال العباس هذه المقالة إلاّ ليشدَّ لرسول الله ﷺ بها العِقْدَ.

وقال ابن أبي بكر: ما قالها إلاّ ليؤخّر بها أمرَ القوم تلك الليلة، ليشهد أمرهم عبدالله بن أُبيّ، فيكون أقوى. قالوا: فما لنا بذلك يا رسول الله؟ قال: الجنّة. قالوا: ابسُطْ يدك. وبايعوه، فقال عبّاس بن عُبادة: إنْ شئت لَنميلنَّ عليهم غداً بأسيافنا، فقال: لم أؤمر بذلك.

وقال الزُّهْرِيّ ـ ورواه ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوة ـ وقاله موسى ابن عُقْبة، وهذا لفظُه: إنّ[2] العام المقبل حجّ من الأنصار سبعون رجلاً، أربعون من ذوي أسنانهم وثلاثون من شُبَّانهم، أصغرهم أبو مسعود عُقْبة بن عَمْرو، وجابر بن عبدالله، فلقوه بالعَقَبَة، ومع رسول الله ﷺ عمّه العبّاس، فلمّا أخبرهم بما خصّه الله من النُّبوَّة والكرامة، ودعاهم إلى الإسلام وإلى البيعة أجابوه، وقالوا: اشترطْ علينا لربِّكَ ولنفسك ما شِئتَ. فقال: أشترط لربّي أن لا تُشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسَكم وأموالَكم. فلمّا طابت بذلك

(١) انظر ابن هشام ١/٤٤٦، وتاريخ الطبري ٢/٣٦٣ من طريق سلمة، عن ابن إسحاق، به.

(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي البيهقي: ثم حج العام المقبل... (٢/٤٥٤).

أنفسُهم من الشرط أخذ عليهم العبّاس المواثيقَ لرسول الله ﷺ بالوفاء، وعظّم العبّاس الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وذكر أنّ أمّ عبد المطلب سَلْمَى بنت عَمْرو بن زيد بن عَدِيّ بن النّجّار. وذكر الحديث بطوله.

قال عُرْوة: فجميع من شهد العَقَبة من الأنصار سبعون رجلاً وامرأة. وقال ابن إسحاق[1]: سبعون رجلاً وامرأتان، إحداهما أُمّ عمارة وزوجها وابناهما.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[2]: فحدثني مَعْبَد بن كعب ابن مالك بن القَيْن، عن أخيه عُبَيْدالله، عن أبيه كعب رضي الله عنه، قال: خرجنا في الحجّة التي بايعنا فيها رسولَ الله ﷺ بالعَقَبة مع مشركي قومنا، ومعنا البَرَاء بن مَعْرُور كبيرنا وسيّدنا، حتى إذا كنّا بظاهر البَيْداء، قال: يا هؤلاء تَعلمونَ أنّي قد رأيت رأياً، والله ما أدري توافقوني عليه أم لا؟ فقلنا: وما هو يا أبا بِشْر؟ قال: إنّي قد أردت أن أصلّي إلى هذه البَنِيَّة[3] ولا أجعلها منّي بظَهْرٍ. فقلنا: لا والله لا تفعل، والله ما بَلَغَنَا أنّ نبينا ﷺ يصلّي إلاّ إلى الشام. قال: فإنّي والله لَمُصَلٍّ إليها. فكان إذا حضرت الصّلاة توجّه إلى الكعبة، وتوجَّهنا إلى الشام، حتى قدِمنا مكةَ، فقال لي البَرَاء: يا ابن أخي انطلِقْ بنا إلى رسولِ الله ﷺ، حتّى أسأله عمّا صنعتَ، فلقد وجدتُ في نفسي بخلافكم إيّاي. قال: فخرجنا نسألُ عن رسول الله ﷺ، فَلَقِينا رجلاً بالأبطحِ، فقلنا: هل تدلُّنا على محمد؟ قال: وهَلْ تعرفانه إنْ رأيتماهُ؟ قلنا: لا والله. قال: فهل تعرفان العباس؟ فقلنا: نعم، وقد كنّا نعرفه، كان يختلفُ إلينا بالتجارةِ، فقال: إذا دخلتما المسجدَ فانظرا العباس، فهو الرجل الذي معه. قال: فدخلنا

(١) ابن هشام ١/ ٤٤١.
(٢) وانظر ابن هشام ١/ ٤٣٩-٤٤٨.
(٣) يعني: الكعبة.

المسجد، فإذا رسول الله ﷺ والعباس ناحية المسجد جالسَيْن، فسلّمنا، ثمّ جلسنا، فقال رسول الله ﷺ: هل تعرف هذين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البَراء بن مَعْرور سيّد قومه، وهذا كعب بن مالك، فَوَالله ما أنسى قولَ رسول الله ﷺ: (الشاعر)؟ قال: نعم، فقال له البراء: يا رسول الله إنّي قد كنت رأيت في سَفَري هذا رأياً، وقد أحببتُ أنْ أسألك عنه. قال: وما ذاك؟ قال: رأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة منّي بظهرٍ فصلّيت إليها. فقال له رسول الله ﷺ: قد كنت على قِبلةٍ لو صبرتَ عليها. فرجع إلى قِبلة رسول الله ﷺ، وأهله يقولون: قد مات عليها، ونحن أعلم به، قد رجع إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلّى معنا إلى الشام.

ثم واعَدْنا رسولَ الله ﷺ العَقَبَةَ، أوسط أيّام التشريق، ونحن سبعون رجلاً للبيعة، ومعنا عبدالله بن عَمْرو بن حَرَام والد جابر، وإنّه لَعَلَى شِرْكه، فأخذناه فقلنا: يا أبا جابر والله إنّا لنرغبُ بك أنْ تموتَ على ما أنت عليه، فتكون لهذه النّار غداً حطباً، وإنّ الله قد بعث رسولاً يأمر بتوحيده وعبادته، وقد أسلمَ رجالٌ من قومك، وقد واعَدْنا رسولَ الله ﷺ للبيعة. فأسلمَ وطهَّرَ ثيابه، وحضرها معنا فكان نقيباً، فلمّا كانت الليلة التي وعدْنا فيها رسولَ الله ﷺ بِمَنى أوّل اللّيل مع قومنا، فلمّا استثقل النّاس من النّوم تسلّلْنا من فُرُشِنَا تَسَلُّلَ القَطا، حتى اجتمعنا بالعَقَبَة، فأتى رسول الله ﷺ وعمّه العبّاس، ليس معه غيره، أحبَّ أنْ يحضرَ أمرَ ابنِ أخيه، فكان أوّل متكلّم، فقال: يا معشر الخزرج إنّ محمداً منّا حيث قد علمتم، وهو في مَنعة من قومه وبلاده، قد منعناه ممّن هو على مثل رأينا منه، وقد أبى إلاّ الانقطاع إليكم، وإلى ما دعوتموه إليه، فإنْ كنتم ترون أنّكم وافون له بما وعدتموه، فأنتم وما تحمّلتم، وإنْ كنتم تخشون من أنفسكم خِذْلاناً فاتركوه في قومه، فإنّه في مَنعة من عشيرته وقومه. فقلنا: قد سمعنا ما قلت، تكلّم يا رسول

الله. فتكلّم ودعا إلى الله، وتلا القرآن، ورَغَّبَ في الإسلام، فأجبناه بالإيمان والتصديق له، وقلنا له: خذ لربّك ولنفسك. فقال: إنِّي أُبايعكم على أنْ تمنعوني مما منعتم منه أبناءكم ونساءكم. فأجابه البَرَاء ابن مَعرُور فقال: نعم والذي بعثكَ بالحقِّ نمنعك مما نمنعُ منه أُزُرَنَا[1]، فبايعنا يا رسول الله فنحنُ والله أهلُ الحروبِ وأهلُ الحَلقة[2]، ورثناها كابراً عن كابر. فعرض في الحديث أبو الهيثم بن التَّيْهان، فقال: يا رسول الله إنّ بيننا وبين أقوام حِبالاً[3]، وإنّا قاطعوها، فهل عسيتَ إنِ الله أظْهَرَكَ أنْ ترجع إلى قومك وتَدَعَنَا؟ فقال: بل الدَّم الدم والهدْم الهدْم، أنا منكم وأنتم منِّي، أُسالمُ مَنْ سالمتم وأحاربُ من حاربتم. فقال له البَرَاء بن مَعْرُور: ٱبسط يدكَ يا رسولَ الله نبايعك. فقال رسول الله ﷺ: أخْرِجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً، فأخرجوهم له، فكان نقيب بني النّجّار: أسعد بن زُرارة، ونقيب بني سَلِمَة: البَرَاء بن مَعْرُور، وعبدالله بن عَمْرو بن حَرام، ونقيب بني ساعدة: سعد بن عُبادة، والمنذر بن عَمْرو، ونقيب بني زُرَيْق: رافع بن مالك، ونقيب بني الحارث بن الخزرج: عبدالله بن رَوَاحة، وسعد بن الربيع، ونقيب بني عَوْف بن الخزرج: عُبادة بن الصّامت ـ وبعضهم جعل بدل عُبادة بن الصّامت خارجة بن زيد ـ ونقيب بني عَمْرو بن عَوْف: سعد بن خَيْثَمَة، ونقيب بني عبد الأشهل ـ وهم من الأوس ـ أُسَيْد بن حُضَيْر، وأبو الهيثم بن التَّيْهان، قال: فأخذ البَرَاء بيد رسول الله ﷺ فضرب عليها، وكان أول من بايع، وتتابع النّاس فبايعوا، فصرخ الشيطانُ على العَقَبَة بأنفذ[4]، والله، صوتٍ سمعته قطّ، فقال: يا أهلَ

(١) أي: نساءنا. والمرأة قد يكنى لها بالإزار، كما يكنى أيضاً بالإزار عن النفس.
(٢) أي: أهل السلاح.
(٣) أي: مواثيق وعهوداً.
(٤) كتب المؤلف في حاشية نسخته: «خ: بأبعد» أي: هي كذلك في نسخة

الجباجبِ[١] هل لكم في مُذَمّم والصُّباةُ معه قد اجتمعوا على حَرْبِكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا أزبُ[٢] العقَبَة، هذا ابن أزيب، أَمَا والله لأفرغنَّ لك، ارفَضُّوا إلى رِحالكم». فقال العبّاس بن عُبادة أخو بني سالم: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ لئن شئت لنميلنّ على أهل مِنَى غداً بأسيافنا. فقال: «إنّا لم نؤمر بذلك». فرحنا إلى رحالنا فاضطجعنا، فلمّا أصبحنا، أقبلت جِلَّةٌ من قريش فيهم الحارث بن هشام، فتىً شابّ وعليه نعلان له جديدتان، فقالوا: يا معشرَ الخزرج إنّه قد بَلَغَنا أنّكم جئتم إلى صاحبنا لتستخرجوه من بين أظْهُرنا، وإنّه والله ما من العربِ أحدٌ أبغض إلينا أنْ تنشبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم. فانبعث مَنْ هناك من قومنا من المشركين يحلفون لهم بالله، ما كان من هذا من شيءٍ، وما فعلناه. فلمّا تثور القوم لينطلقوا قلتُ كلمةً كأنّي أُشركهم في الكلام: يا أبا جابر ـ يريد عبدالله بن عَمْرو ـ أنت سيّدٌ من سادتنا وكهلٌ من كهولنا، لا تستطيع أنْ تَتَّخذَ مثل نعلَيْ هذا الفتى من قريش. فسمعه الحارثُ، فرمى بهما إليَّ وقال: والله لَتلبَسَنَّهُمَا. فقال أبو جابر: مهلاً أحْفَظتَ لَعَمْر اللهِ الرَّجُلَ ـ يقول: أخجلته ـ ارْدُدْ عليه نعلَيْه. فقلت: لا والله لا أردّهما، فألٌ صالح إنّي لأرجو أنْ أسلبه.

قال ابن إسحاق[٣] : وحدثني عبدالله بن أبي بكر، قال: ثم انصرفوا عنهم فأتوا عبدالله بن أُبَيّ يعني ابن سَلول فسألوه، فقال: إنّ هذا الأمر جسيم وما كان قومي ليتفوَّتُوا عليَّ بمثله. فانصرفوا عنه.

وقال ابن إدريس، عن ابن إسحاق[٤] : حدثني عبدالله بن أبي بكر

= أخرى.

(١) أي: منازل مِنى.

(٢) أي: شيطان.

(٣) ابن هشام ١/٤٤٨.

(٤) ابن هشام ١/٤٤٦.

أنّ رسول الله ﷺ قال لهم: ابعثوا منكم اثني عشر نقيباً كُفَلاءَ على قومهم، ككفالةِ الحوارِيِّينَ لعيسى ابن مريم، فقال أسعدُ بن زُرَارة: نعم يا رسولَ الله، قال: فأنت نقيبٌ على قومك، ثم سمّى النُّقَباء كرواية مَعْبَد بن مالك.

وقال ابن وهْب: حدثني مالك، قال: حدثني شيخ من الأنصار أنّ جبريل عليه السلام كان يشيرُ للنبيِّ ﷺ إلى مَنْ يجعله نقيباً. قال مالك: كنتُ أعجب كيف جاء من قبيلةٍ رجلٌ، ومن قبيلةٍ رجُلان، حتى حدثني هذا الشيخ أنَّ جبريلَ كان يشيرُ إليهم يوم البَيْعَة، قال مالك: وهم تسعة نُقباء من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

وقال: ابن إسحاق[1]:

تسمية من شهد العقبة

قلت: تركتُ النّقباء لأنّهم قد تَقدَّموا.

فمن الأوس: سَلَمَة بن سَلاَمة بن وَقْش.

ومن بني حارثة: ظُهَيْر بن رافع، وأبو بردة بن نِيار، وبهير بن الهيثم.

ومن بني عَمْرو بن عَوْف: رِفاعة بن عبدالمنذر ـ وعَدَّه ابن إسحاق نقيباً عِوَض أبي الهيثم بن التَّيْهان ـ وعبدالله بن جُبَيْر بن النُّعمان أمير الرُّماة يوم أُحُد ويومئذٍ استُشْهِد، ومعَن بن عَدِيّ قُتِل يوم اليمامة، وعُوَيْم بن ساعدة.

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٥٤-٤٦٧.

فجميع من شهد العَقَبَة من الأوس أحد عشر رجلاً.

ومن الخزرج من بني النّجّار: أبو أيّوب خالد بن زيد، ومُعَاذ بن عَفْراء وأخوه عَوْف، وعمارة بن حزْم، وقُتِل يوم اليمامة.

ومن بني عَمْرو بن مَبْذُول: سهل بن عَتِيك، بَدْرِيٌّ.

ومن بني عَمْرو بن النَّجَّار، وهم بنو حُدَيلة: أوس بن ثابت، وأبو طلحة زيد بن سهل.

ومن بني مازن بن النَّجَّار: قيس بن أبي صعصعة، وعَمْرو بن غزيَّة.

ومن بلحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد، استُشْهِد يوم أُحُد، وبشير بن سعد، وعبدالله بن زيد صاحب النِّداء[1]، وخلاد بن سُوَيْد، استُشْهِد يوم قُرَيظة، وأبو مسعود عُقْبة بن عَمْرو.

ومن بني بياضة: زياد بن لَبِيد، وفَرْوة بن عَمْرو، وخالد بن قيس.

ومن بني زُرَيق: ذَكْوان بن عبد قَيْس، وكان خرج إلى مكة، فكان مع رسول الله ﷺ، فكان يقال له: مهاجريٌّ أنصاريٌّ، واستُشْهِد يوم أُحُد، وعَبَّاد[2] بن قيس، والحارث بن قيس.

ومن بني سَلِمَة: بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور ابن أحد النُّقَباء، وسِنَان ابن صَيْفي، والطُّفَيْل بن النُّعمان، واستُشْهِد يوم الخندق، ومَعقِل بن المنذر، ومسعود بن يزيد، والضّحّاك بن حارثة، ويزيد بن حَرام، وجبّار بن صخْر، والطُّفَيل بن مالك.

ومن بني غَنْم بن سَوَاد: سُلَيْم بن عَمْرو، وقُطبة بن عامر، ويزيد بن

---

(١) أي: الذي أُريَ النداء للصلاة، فجاء به إلى رسول الله ﷺ، فأمر به.

(٢) شطح قلم المؤلف فكتب «عبادة»، وإنما عبادة بن قيس هو ابن زيد بن أمية، وهو خزرجيٌّ حارثيٌّ، وليس من بني زريق، كما ذكر المؤلف نفسه في التجريد ١/ ٢٩٤.

عامر، وأبو اليَسَر كعب بن عَمْرو، وصَيْفي بن سَوَاد.

ومن بني نابي بن عَمْرو: ثعلبة بن غَنَمة، وقُتِل بالخندق، وأخوه عَمْرو، وعَبْس بن عامر، وعبدالله بن أُنيس، وخالد بن عَدِيّ.

ومن بني حَرَام: جابر بن عبدالله بن عَمْرو بن حَرام، ومُعاذ بن عَمْرو بن الجَمُوح، وثابت بن الجِذع، استُشْهِد بالطّائف، وعُمَيْر بن الحارث، وخَدِيج بن سَلاَمة، ومُعاذ بن جبل.

ومن بني عَوْف بن الخزرج: العبّاس بن عُبَادة، استُشْهِد يوم أُحُد، وأبو عبدالرحمن يزيد بن ثعلبة البَلَوِيّ حليف لهم، وعَمْرو بن الحارث.

ومن بني سالم بن غَنْم بن عَوْف: رِفاعة بن عَمْرو، وعُقْبة بن وهْب.

ومن بني ساعدة: النَّقيبان سعد بن عُبادة، والمنذر بن عَمْرو الذي كان أميراً يوم بئر مَعُونة فاستُشْهِد.

وأمّا المرأتان: فأمُّ منيع أسماء بنت عَمْرو بن عَدِيّ، وأمّ عُمارة نُسَيْبة بنت كعب، حضرتْ ومعها زوجُها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها حبيب وعبدالله، وحبيب هو الذي مَثَّل به مُسَيْلمة الكذّاب وقَطَّعه عُضْواً عُضْواً.

قال ابن إسحاق[1] : فلمّا تفرّق النّاس عن البيعة، فتّشت قريش من الغد عن الخبر والبَيْعة، فوجدوه حقّاً، فانطلقوا في طلب القوم، فأدركوا سعدَ بنَ عُبادَة، وهرب منذر بن عَمْرو، فَشَدُّوا يَدَيْ سعد إلى عُنُقه بِنِسعة[2] ، وكان ذا شَعرٍ كثير، فطفقوا يَجْبذونه بجُمَّتِه ويصكُّونه ويلْكزونه، إلى أنْ جاء مُطْعِمُ بن عَدِيّ، والحارث بن أُميَّة، وكان سعد

---

(١) ابن هشام ١/٤٤٩-٤٥٣.
(٢) النِّسع: الشِّراك الذي يُشَدُّ به الرَّحْل، أو السَّيْر المضفور.

يُجيرهما إذا قدِما المدينةَ، فأطلقاه من أيديهم وخَلَّيا سبيلَه.

قال: وكان مُعاذ بن عَمْرو بن الجَمُوح قد شهد العَقَبَةَ، وكان أبوه من سادة بني سَلِمة، وقد اتّخذ في داره صَنَماً من خشب يُقال له مَنَاف، فلما أسلم فتيان بني سلِمة: مُعاذ بن جبل، وابنه مُعاذ بن عَمْرو وغيرهما، كانوا يدخلون بالليل على صنمهِ فيأخذونَهُ ويطرحونه في بعض الحُفَر، وفيها عَذِر النّاس، مُنَكَّساً على رأسه، فإذا أصبح عَمْرو قال: وَيْلكم مَن عَدَا على إلهنا في هذه الليلة! ثم يلتمسه حتى إذا وجده غسَله وطَهَّره وطيَّبه، ثم قال: أمَا والله لو أعلمُ مَنْ يصنع بكَ هذا لأخزيته. فإذا أمسى ونام فعلوا به مثل ذلك، وفعل مرّات، وفي الآخر علَّق عليه سيفه، ثم قال: إنِّي والله ما أعلمُ مَنْ يصنع بك ما ترى، فإنْ كان فيك خيرٌ فامتنع، وهذا السيفُ معك. فلمّا كان الليل أخذوا السيفَ من عُنُقِه، ثم أخذوا كلباً مَيْتاً فعلَّقوه وربطوه به وألقوه في جُبّ عَذِرَه، فغدا عَمْرو فلم يجده، فخرج يَتَّبعه حتّى وجدوه في البئر منكَّساً مقروناً بالكلب، فلمّا رآه أبصر شأنه، وكلَّمه مَنْ أسلمَ من قومه فأسلَمَ وحَسُنَ إسلامُه، وقال:

تـالله لـو كنـتَ إلهـاً لـم تكـن ... أنت وكلبٌ وَسْطَ بئرٍ في قَرَن
أُفٍّ لمصـرعـك إلهـاً مُسْتَـدَن ... الآن فَتَّشْنَاك عـن سُوء الغبـن
الحمـد لله العلـيِّ ذي المنـن ... الـواهـب الرِّزْق ودَيَّان الـدِّيَن
هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظُلْمةِ قبرٍ مُرْتَهَن(١)

---

(١) على هامش الأصل: «بلغت قراءة خليل بن أيبك في الميعاد السادس على مؤلفه فسح الله في مدته، ومحصن بن عكَّاشة يسمع».

ذكر أوّل من هَاجَر إلى المدينة

عُقَيْل وغيره، عن الزُّهْرِيّ، عن عُرْوَة، عن عائشة: قال النبي ﷺ للمسلمين بمكة: قد أُرِيتُ دارَ هجرتكم، أُرِيتُ سبخةً ذات نخلٍ بين لابَتَيْن. وهما الحَرَّتَان. فهاجر مَن هاجر قِبَل المدينة عند ذلك، ورجع إلى المدينة بعضُ مَن كان هاجر إلى أرض الحَبَشَة من المسلمين، وتجهّز أبو بكر مهاجراً، فقال له رسول الله ﷺ: على رِسْلك فإنّي أرجو أن يُؤْذَنَ لي، فقال أبو بكر: وترجو ذلك بأبي أنت وأميّ؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسَه على رسول الله ﷺ ليصْحَبَه، وعلف راحلتين عنده ورَقَ السَّمرُ أربعة أشهر. أخرجه البخاريّ[1] .

وقال البكّائي، عن ابن إسحاق[2] ، قال: فلمّا أَذِنَ الله لنبيّه في الحرب وبايعه هذا الحيّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرَة، أمر رسول الله ﷺ قومه بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللُّحُوق بالأنصار، فخرجوا أرسالاً، فكان أوّل من هاجر أبو سَلَمَة بن عبد الأسد إلى المدينة، هاجر إليها قبل العَقَبَة الكبرى بسنة، وقد كان قدِم من الحبشة مكة، فآذته قريش، وبلغه أنّ جماعةً من الأنصار قد أسلموا، فهاجر إلى المدينة.

فعن أمّ سلمة، قالت: لمّا أجمع أبو سَلَمَة الخروج رحَّل لي بعيره، ثمّ حملني وابني عليه، ثمّ خرج بي يقودني. فلمّا رأته رجال بني المغيرة

---

(١) البخاري ٧/ ١٨٧.

(٢) ابن هشام ١/ ٤٦٨-٤٧٠.

قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غَلَبْتَنَا عليها، هذه، عَلاَم نتركُك تسير بها في البلاد! فنزعوا خطامَ البعير من يده، فأخذوني منه، وغضب عند ذلك رهْط أبي سَلَمَة، فقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. فتجاذبوا ابني سَلَمَة حتىخلعوا يده، وانطلق به بنو عبدالأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، فانطلق زوجي إذْ فَرَّقُوا بيننا، فكنت أخرج كلّ غَدَاةٍ فأجلس بالأبطح، فلا أزال أبكي حتى أُمْسِي، سنة أو قريباً منها. حتى مرّ بي رجل من بني عمّي فرحمني، فقال: ألا تَحَرَّجُونَ من هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين ولدها؟ فقالوا لي: إلحَقي بزوجك. قالت: وردّ بنو عبدالأسد إليّ عند ذلك ابني. فارتحلتُ بعيري، ثم وضعتُ سلَمَة في حِجْري، وخرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحدٌ من خلْق الله، قلت: أتبلّغ بمن لَقِيتُ حتى أقدم على زوجي، حتّى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمانَ بنَ طَلْحة العبدريّ، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أُمَيَّة؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أوَ ما معكِ أحد؟ قالت: قلت: لا والله إلاّ الله وبُنَيّ هذا. قال: والله ما لَكِ من مَتْرَك. فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فَوَالله ما صحِبْت رجلاً من العرب، أرى أنّه أكرم منه، كان أبداً إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثمّ استأخر عنّي حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحطّ عنه، ثمّ قيّده في الشجر، ثم تنحّى إلى الشجرة، فاضطّجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فرحله، ثم استأخر عنّي وقال: اركبي، فإذا ركبتُ واستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عَمْرو بن عَوْف بقُباء، قال: زوجُكِ في هذه القرية، ثم انصرف راجعاً.

ثم كان أوّل من قدِمَها بعد أبي سَلَمَة: عامر بن ربيعة حليف بني عَدِيّ بن كعب مع امرأته، ثم عبدالله بن جحش حليف بني أُمَيَّة، مع

امرأته وأخيه أبي أحمد، وكان أبو أحمد ضرير البَصَر، وكان يمشي بمكة بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفرعة بنت أبي سُفْيان بن حرب، وكانت أمّه أُمَيْمَة بنت عبدالمطّلب، فنزل هؤلاء بقُباء على مبشّر ابن عبد المنذر.

وقال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب، قال: فلمّا اشتدّوا على رسول الله ﷺ وأصحابه، أمر رسول الله ﷺ أصحابَه بالهجرة، فخرجوا رَسَلا رَسَلا[1]، فخرج منهم قبل مخرج رسول الله ﷺ: أبو سَلَمَة وامرأتُه، وعامر بن ربيعة، وامرأته أمّ عبدالله بنت أبي حَثْمة، ومُصْعَب ابن عُمَيْر، وعثمان بن مظعون، وأبو حُذَيْفَة بن عُتْبة بن ربيعة، وعبدالله ابن جحش، وعثمان بن الشَّريد، وعمّار بن ياسر. ثم خرج عمر وعيّاش ابن أبي ربيعة وجماعة، فطلب أبو جهل والحارث بن هشام عيَّاشاً، وهو أخوهم لأمّهم، فقدِموا المدينة فذكروا له حزن أمّه، وأنّها حلفت لا يُظلُّها سقف، وكان بها برًّا، فرقَّ لها وصَدَقَهم، فلما خرجا به أوثقاه وقدِما به مكة، فلم يزل بها إلى قبل الفتح.

قلت: وهو الذي كان يدعو له النبي ﷺ في القُنُوت: اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَة بن هشام، وعيّاش بن أبي ربيعة... الحديثَ.

قال ابن شهاب: وخرج عبدالرحمن بن عَوْف، فنزل على سعد بن الربيع، وخرج عثمان، والزُّبَيْر، وطلحة بن عُبَيْدالله، وطائفة، ومكث ناسٌ من الصحابة بمكة، حتى قدِموا المدينةَ بعد مَقْدَمِه، منهم: سعد بن أبي وقّاص، على اختلافٍ فيه.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[2]: حدثني نافع، عن ابن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: لمّا اجتمعنا للهجرة اتَّعَدْتُ أنا وعيّاش بن

---

(١) على هامش الأصل: «هو القطيع من الإبل والغنم، وجمعه: أرسال».

(٢) ابن هشام ١/ ٤٧٤.

أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل، وقلنا: الميعادُ بيننا التَّناضِب من أضاة بني غِفار، فَمن أصبح منكم لم يأتها فقد حُبِس. فأصبحتُ عندها أنا وعيّاش، وحُبس هشام وفُتِنَ فافتتن، وقدِمنا المدينةَ فكنّا نقول: ما الله بقابل من هؤلاء توبة، قوم عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله، ثمّ رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم في الدنيا فأُنزِلت: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، فكتبتُها بيدي كتاباً، ثمّ بعثت بها إلى هشام، فقال هشام بن العاص: فلمّا قدِمت عليّ خرجت بها إلى ذي طُوىً أُصُعِّدُ فيها النَّظر وأُصوِّبُه لأفهمها، فقلتُ: اللَّهُمّ فهِّمْنيها، فعرفت إنّما أُنْزِلَتْ فينا لِما كنّا نقول في أنفُسنا، ويقال فينا، فرجعت فجلست على بعيري، فلحقت برسول الله ﷺ، قال: فقتل هشام بأَجنادين.

وقال عبدالعزيز الدَّرَاوَرْدِيّ، عن عُبَيْد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قدِمنا من مكة فنزلنا العُصْبَةَ[1] عمر بن الخطاب، وأبو عُبَيْدة، وسالم مولى أبي حُذَيْفة، فكان يؤمّهم سالم، لأنّه كان أكثرهم قُرْآناً.

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البَرَاء، قال: أوّل من قدِم علينا مُصْعبَ بن عُمَير، فقلنا له: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو مكانه وأصحابه على أثري. ثم أتى بعده عَمْرو بن أمّ مَكْتُوم الأعمى أخو بني فِهْر، ثم عمّار بن ياسر، وسعد بن أبي وقّاص، وابن مسعود، وبلال، ثم أتانا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، ثم أتانا رسول الله ﷺ وأبو بكر معه، فلم يقدِم علينا رسول الله ﷺ حتى قرأت سُوَراً من المفصَّل. أخرجه مسلم[2].

---

(١) قيدها المؤلف بضم العين وسكون الصاد، وقال في هامش الأصل: وقيل العَصَبة.

(٢) هكذا قال، وهو وهم، فقد أخرجه البخاري ٥/ ٨٣ و ٨٤ و ٦/ ٢٠٨ و ٢٢٨، وأحمد ٤/ ٢٨٤ و ٢٩١، ولم يخرجه مسلم، وإنما أخرج مسلم من حديث أبي إسحاق عن البراء، حديث هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ٦/ ١٠٤.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، قال: ومكث رسول الله ﷺ بعد الحجّ بقيّة ذي الحجة، والمحرَّم، وصَفَر، وإنّ مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومَكْرَهم، على أن يأخذوا رسولَ الله ﷺ، فإمّا أنْ يقتلوه أو يحبسوه أو يُخْرِجوه، فأخبره الله بمكرهم في قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال] الآية، فخرج رسول الله ﷺ وأبو بكر تحت الليل قبل الغار بثَوْر، وعمد عليٌّ فَرَقَدَ على فراش رسول الله ﷺ يواري عنه العيون.

وكذا قال موسى بن عُقبة، وزاد: فباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيُّهم يجثم على صاحب الفراش فيُوثقه، إلى أنْ أصبحوا، فإذا هم بعليّ رضي الله عنه، فسألوه عن النبي ﷺ فأخبرهم أنّه لا عِلْم له به، فعلموا عند ذلك أنّه قد خرج فارّاً منهم، فركبوا في كلّ وجهٍ يطلبونه.

وكذا قال ابن إسحاق[1]، وقال: لمّا أيقنت قريش أنّ محمداً ﷺ قد بُويع، وأمر رسولُ الله ﷺ مَن كان بمكة من أصحابه أن يلحقوا بإخوانهم بالمدينة، توامروا فيما بينهم فقالوا: الآن، فأَجْمِعُوا في أمر محمد فَوَالله لكأنّه قد كرّ عليكم بالرجال، فأَثْبِتُوه أو اقتلوه أو أَخْرِجُوه.

فاجتمعوا له في دار النَّدْوة ليقتلوه، فلمّا دخلوا الدّار اعترضهم الشيطان في صورة رجل جميل في بَتٍّ[2] له فقال: أَأَدْخُل؟ قالوا: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل نجد، سمع بالذي اجتمعتم له، فأراد أن يحضره معكم، فعسى أن لا يعدمكم منه نُصْحٌ ورأي. قالوا: أجل فادخُلْ. فلمّا دخل قال بعضهم لبعض: قد كان من الأمر ما قد علِمْتُم، فأَجْمِعوا رأياً في هذا الرجل، فقال قائل: أرى أن تَحْبسوه. فقال

(١) ابن هشام ١/ ٤٨٠.
(٢) أي: الكساء الغليظ.

النّجديّ: ما ذا برأي، والله لئن فعلتم ليخرجنَّ رأيُه وحديثُه إلى مَنْ وراءه من أصحابه، فأوشكَ أنْ ينتزعوه من أيديكم، ثمّ يغلبوكم على ما في أيديكم من أمركم. فقال قائلٌ منهم: بل نُخرجه فننفيه، فإذا غيَّب عنّا وجهه وحديثه ما نُبالي أين وقع. قال النّجديّ: ما ذا برأي، أما رأيتم حلاوةَ منطقِه، وحُسْنَ حديثه، وغَلَبَتَه على مَن يلقاه، ولئن فعلتم ذلك ليدخل على قبيلة من قبائل العرب فأصفقت[1] معه على رأيه، ثم سار بهم إليكم حتى يطأَكُمْ بهم. فقال أبو جهل: والله إنَّ لي فيه لرأياً، ما أراكم وقعتم عليه، قالوا: وما هو؟ قال: أرى أن تأخذوا من كلّ قبيلة من قريش غلاماً جَلداً نَهْداً نسيباً وسِيطاً، ثم تُعطُوهم شِفَاراً صارمةً، فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحد، فإذا قتلتموه تفرّق دمُه في القبائل، فلم تدر عبدُمَنَاف بعد ذلك ما تصنع، ولم يقووا على حرب قومهم، وإنّما غايتهم عند ذلك أن يأخذوا العَقل فَتَدُونه لهم. قال النّجديّ: لله دَرُّ هذا الفتى، هذا الرأي وإلاّ فلا شيء، فتفرّقوا على ذلك واجتمعوا له، وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ وأُمِر أن لا ينام على فراشه تلك الليلة، فلم يبت موضعه، بل بَيَّتَ عليّاً في مضجعه. رواه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، عن أبيه.

حدثنا ابن إسحاق[2]، عن عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس. (ح). قال ابن إسحاق: وحدثني الكلبي عن باذان[3] مولى أمّ هانيء، عن ابن عباس، فذكر معنى الحديث، وزاد فيه: وأذن الله عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بالمدينة (الأنفال) يذكر نعمته عليه

---

(١) أي: اجتمعت.
(٢) ابن هشام ١/ ٤٨٠.
(٣) ويقال فيه: باذام - بالميم - أيضاً.

وبلاءه عنده ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال] الآية[1] .

---

(١) كُتِبَ على حاشية نسخة المؤلف: «بلغت قراءة في الميعاد الثالث عشر، على مؤلفِه الحافظ أبي عبدالله الذهبي. كتبه عبدالرحمن البعلي».

سياق خُروج النبي ﷺ إلى المدينة مُهاجراً

قال عُقَيْل: قال ابن شهاب: وأخبرني عُرْوة أنّ عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبويَّ إلاّ وهما يدينان الدِّينَ، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلاّ ويأتينا فيه رسول الله ﷺ طَرَفَي النّهار بُكْرَةً وعَشِيّاً، فلمّا ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قِبلَ أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ[1] الغماد، لقيه ابن الدَّغِنَّة وهو سيّد القارةَ، قال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي، فأريد أنْ أسيح في الأرض وأعبد ربّي. قال: إنّ مثلك لا يَخرُج، إنك تُكْسِب المعدوم، وتَصِل الرَّحِمَ، وتحمل الكَلَّ، وتقْري الضَّيف، وتُعين على نوائب الحقّ، وأنا لك جار، فارجعْ فاعبدْ ربَّك ببلادك. وارتحل ابن الدَّغِنة مع أبي بكر، فطاف في أشراف قريش، فقال لهم: إنّ أبا بكر لا يَخرج مثلُهُ ولا يُخْرَج، أَتُخرِجُون رجلاً يُكسِب المعدومَ، ويَصِل الرحِم، ويحمل الكَلّ، ويَقْري الضَّيف، ويُعين على نوائب الحقّ! فأنفَذَتْ قريش جوار ابن الدَّغِنة، وقالوا له: مُرْ أبا بكرٍ يعبد ربّه في داره، فلْيُصَلِّ ولْيقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنّا نخشى أن يُفْتَنَ أبناؤنا ونساؤنا. فقال ذلك لأبي بكر، فلبث يعبد ربَّه ولا يستعلن بالصّلاة ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز، فيصلّي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصّف[2] عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يُعجَبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر لا يكاد يملك دمعه حين يقرأ، فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن

---

(١) وقد تكسر الباء مع سكون الراء المهملة.

(٢) أي: يزدحم.

الدَّغِنة، فقدِم عليهم، فقالوا له: إنّا كنّا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربّه في داره، وإنّه جاوز ذلك، وابتنى مسجداً بفناء داره، وأعلن الصّلاة والقراءة، وإنّا قد خشِينا أن يُفْتَنَ أبناؤنا ونساؤنا، فأْته فإنْ أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل، وإنْ أبَى إلاّ أنْ يُعلن ذلك فسَلْه أن يردّ عليك جِوارَك، فإنّا قد كرِهنا أنْ نُخْفِرَك، ولسنا مُقِرِّين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدَّغِنة أبا بكر فقال: قد عَلِمْتَ الذي عقدتُ لك عليه، فإمّا أن تقتصر على ذلك، وإمّا أن تردَّ إليَّ ذمّتي، فإنّي لا أحبُّ أنْ تسمع العرب أنّي أخفَرْتُ في رجلٍ عقدتُ له. قال أبو بكر: أردّ إليك جِوارَك وأرضَى بجوار الله. ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة، فقال رسول الله ﷺ للمسلمين: قد أُرِيتُ دارَ هجرتكم، أُرِيتُ سَبْخَةً ذات نخلٍ بين لابَتَيْن. وهما الحَرَّتان[1]، فهاجر مَن هاجر قِبلَ المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة بعضُ مَن كان هاجر إلى أرض الحبشة. وتجهّز أبو بكر مهاجراً فقال له رسول الله ﷺ: على رِسْلِكَ، فإنّي أرجو أنْ يُؤذَن لي. قال: هل ترجو بأبي أنت ذلك؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليَصْحَبَه، وعلف راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمُر أربعة أشهر. فبينا نحن جلوس في بيتنا في نحر الظَّهيرة، قيل لأبي بكر: هذا رسول الله مقبلاً متقنّعاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها. فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، أَمَا والله إنْ جاء به في هذه السّاعة إلاّ أمرٌ. قالت: فجاء واستأذن، فأذِن له فدخل، فقال لأبي بكر: أَخْرِجْ مَنْ عندك. قال أبو بكر: إنّما هم أهلُكَ بأبي أنت يا رسول الله. فقال: اخرج فقد أُذِن لي في الخروج. قال: فخذ منّي إحدى راحلتَيَّ. قال: بالثمن. قالت عائشة: فجهّزتُهما أحثَّ[2] الجهاز، فصنعنا لهما

(١) الحَرَّةُ: الأرض ذات الحجارة السود.
(٢) أي: أَسْرَعَهُ.

سُفْرةً في جِراب، فقطعت أسماءُ بنتُ أبي بكر قطعةً من نطاقها فأوكت به الجِراب، فبذلك كانت تُسمَّى «ذات النِّطاقَيْن»، ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبلٍ يقال له ثور، فمكثا فيه ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر، وهو غلامٌ شابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ، فيُدْلجُ من عندهما بسحَرٍ، فيصبح في قريش بمكة كَبَائتٍ، فلا يسمع أمراً يكيدون به إلاّ وعاه، حتّى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظّلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر مِنحةً، ويريح عليهما حين تذهب ساعةٌ من الليل، فيبيتان في رِسْلٍ[1] مِنْحَتِهما حتى ينعق بهما عامر بن فُهَيْرة بغَلَس، يفعل ذلك كلّ ليلةٍ من اللّيالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيل هادياً خِرّيتاً[2]، قد غمس يمين حِلْفٍ في آل العاص بن وائل، وهو على جاهليّته، فدفعا إليه راحلتيهما ووعداه غارَ ثَوْر، فأتاهما براحلتيهما صبيحةَ ثلاثٍ، فارتحلا، وانطلق عامر بن فُهَيْرة والدليل الدِّيليّ، فأخذ بهما في طريق الساحل. أخرجه البخاري[3].

عن عمر رضي الله عنه، قال: والله لَلَيْلَةٌ من أبي بكر ويومٌ خيرٌ من عمر، خرج رسولُ الله ﷺ هارباً من أهل مكة ليلاً، فتبعَهُ أبو بكر، فجعل يمشي مرّةً أمامه، ومرّة خلفه يحرسه، فمشى رسول الله ﷺ ليلته حتى حفيت رِجْلاه، فلمّا رآهما أبو بكر حمله على كاهله، حتى أتى به فَمَ الغار، وكان فيه خَرْقٌ فيه حَيَّات، فخشي أبو بكر أن يخرج منهنّ شيء يُؤذي رسولَ الله ﷺ فألقمه قدمه، فجعلن يضربْنه ويلسعْنه - الحيّات والأفاعي - ودموعه تتحدّر، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿لَا تَحْزَنْ

---

(١) أي: لبن.
(٢) أي: ماهراً.
(٣) البخاري ٥/ ٧٣-٧٨.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة]، وأمّا يومه، فلمّا ارتدّت العرب قلت: يا خليفة رسول الله تألَّف النّاسَ وارْفِقْ بهم، فقال: جبّارٌ في الجاهية خَوَّارٌ في الإسلام، بِمَ أتألّفهم أَبِشِعْرٍ مُفْتَعَلٍ أَمْ بقَوْلٍ مُفْتَرَى! وذكر الحديث.

وهو مُنْكرٌ، سكت عنه البَيْهَقيّ، وساقه من حديث يحيى بن أبي طالب[١]، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبيّ، قال: حدثني فرات بن السّائب، عن ميمون، عن ضَبَّة بن مِحْصَن، عن عمر. وآفته من هذا الراسبيّ فإنّه ليس بثقة، مع كَوْنه مجهولاً، ذكره الخطيب في تاريخه[٢] فغمزه.

وقال الأسود بن عامر: حدثنا إسرائيل، عن الأسود، عن جُنْدب، قال: كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار، فأصاب يدَه حجرٌ فقال:

إنْ أنـتِ إلاّ إصبـعٌ دَمِيْـتِ وفـي سبيـلِ الله مَـا لقِيـتِ

الأسود: هو ابن قيس، سمع من جُنْدب البَجَليّ، واحتجَّا به في الصَّحيحَيْن[٣].

وقال همَّام: حدثنا ثابت، عن أَنَس أنّ أبا بكر حدّثه، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أنّ أحدهم ينظر إلى تحت قدميه لأبصَرَنا، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر ما ظَنُّك باثنين الله ثالثهما. مُتَّفَقٌ عليه[٤].

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة أنّهم ركبوا في كلّ وجهٍ يطلبون النبي ﷺ، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به، ويجعلون لهم الجُعْلَ العظيم إلى أن قال: فأجاز بهما الدليلُ أسفلَ مكة، ثم مضى بهما

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٤٧٦-٤٧٧.
(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٥٥-٢٥٦.
(٣) تهذيب الكمال ٣/ ٢٢٩.
(٤) البخاري ٥/ ٨٣، ومسلم ٧/ ١٠٨.

حتى جاء بهما الساحل أسفل من عُسْفان ثمّ سلك في أمَج، ثمّ أجاز بهما حتىعارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْداً، ثمّ سلك في الخرَّار، ثمّ أجاز على ثنِيّة المَرَة، ثمّ سلك نَقْعاً، مَدْلَجة ثقيف، ثمّ استبطن مَدْلَجَة محاجّ، ثمّ بطن مَرْجح ذي العَصَوين، ثمّ أجاز القاحة، ثم هبط للعرج، ثمّ أجاز في ثَنِيَّة الغابر عن يمين رَكُوبَة، ثمّ هبط بطن رِئْم[1] ثمّ قدِم قُباء من قِبلَ العالية.

وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا عَوْن بن عمرو القَيْسيّ، قال: سمعت أبا مُصْعَب المكيّ، قال: أدركت المغيرةَ بنَ شُعْبة وأَنَسَ بنَ مالك وزيدَ بنَ أرقم، فسمعتهم يتحدثون أنّ النبي ﷺ ليلة الغار أمرَ اللهُ بشجرةٍ فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته، وأمرَ اللهُ العنكبوت فنسجتْ فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيَّتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيانُ قريش بعِصِيِّهم وسُيُوفهم، فجاء رجل ثم رجع إلى الباقين فقال: رأيت حمامتين بفم الغار، فعلمت أنّه ليس فيه أحد.

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البَرَاء، قال: اشترى أبو بكر من عازِب رَحْلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مُرِ البَرَاءَ فلْيحملْهُ إلى رَحْلي، فقال له عازِب: لا حتى تحدِّثْنا كيف صنعتَ أنتَ ورسولُ الله ﷺ حين خرجتما، والمشركون يطلبونكما.

قال: أدلجنا من مكة ليلاً، فأَحْيَيْنا ليلَتَنَا ويومَنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظَّهِيرة، فرميتُ ببَصَرِي هل أرى من ظلٍّ نأوي إليه، فإذا صخرةٌ فانتهيت إليها، فإذا بقيّةُ ظلٍّ لها فسوَّيْتُه، ثمّ فرشتُ لرسول الله ﷺ فَرْوَةً، ثم قلت: اضطجِعْ يا رسول الله. فاضطجَع، ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطّلب أحداً، فإذا براعي غنم يسوق غنمه إلى

---

(١) ضبط المصنف بخطه هذه المواضع ضبطاً متقناً.

الصَّخرة، ويريد منها الذي أريد، يعني الظِّلَّ، فسألته: لمن أنتَ؟ فقال: لرجلٍ من قريش، فسمّاه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالِبٌ لي؟ قال: نعم. فأمرته، فاعتقل شاةً من غنمه، وأمرته أن ينفُض ضَرْعَها من التراب، ثم أمرته أن ينفضَ كفَّيه، فقال هكذا، فضرب إحداهما على الأخرى، فحلب لي كُثْبَةً من لبن، وقد رَوَّيتُ معي لرسول الله ﷺ إداوةً، على فمها خرقة، فَصَبَبْتُ على اللّبن حتى بَرَدَ أسفلُه، فأتيت رسولَ الله ﷺ، فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشربْ يا رسول الله. فشرب حتى رضِيت، ثم قلت: قد آن الرحيل. قال: فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحدٌ منهم غير سُراقة بن مالك بن جُعْشم على فرس له، فقلت: هذا الطّلب قد لحِقَنا يا رسول الله. قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۝٤٠﴾ [التوبة]. فلمّا أنْ دنا منّا، وكان بيننا وبينه قِيْدُ رُمحَيْن أو ثلاثة، قلت: هذا الطّلب قد لحِقَنا يا رسول الله. وبكيت، فقال: ما يُبْكيك؟ قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكنّي إنّما أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللّهُمَّ اكفِناه بما شئت». فساخت به فَرَسُه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، ثم قال: يا محمد قد علمت أنّ هذا عملك، فادع الله أن يُنجيني ممّا أنا فيه، فَوَالله لأُعَمِّيَنَّ على مَن ورائي من الطَّلب، وهذه كِنانتي فخذ منها سهماً، فإنّك ستمرّ بإبلي وغنمي بمكانِ كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في إبلك وغنمك. ودعا له، فانطلق راجعاً إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدِمْنا المدينةَ ليلاً. أخرجاه(١) من حديث زهير بن معاوية، سمعت أبا إسحاق، قال: سمعت البراء. وأخرج البخاري(٢) حديث إسرائيل، عن عبدالله بن

---

(١) البخاري ٥/ ٧٨، ومسلم ٦/ ١٠٤.

(٢) البخاري ٣/ ١٦٦و٥/ ٣.

رجاء، عنه.

وقال عُقَيْل، عن الزُّهرِيّ: أخبرني عبدالرحمن بن مالك المُدْلجيّ أنّ أباه أخبره، أنّه سمع سُراقة بن مالك بن جُعْشُم يقول: جاءنا رُسُلُ كفّار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر ديةَ كلّ واحدٍ منهما في قتْله أو أَسْرِه، فبينا أنا جالس في مجلس قومي بني مُدْلج، أقبل رجلٌ منهم، حتى قام علينا ونحن جُلُوس، فقال: يا سراقة إنّي قد رأيت آنفاً أَسْوِدَةً بالساحل، أُرَاها محمداً وأصحابَه. قال سُراقة: فعرفت أنَّهم هم، فقلتُ: إنَّهم ليسوا بهم، ولكن رأيت فلاناً وفلاناً، انطلقوا باغَين[1]، ثمّ قَلَّ ما لبِثْتُ في المجلس حتى قمتُ فدخلتُ بيتي، فأمرتُ جاريتي أن تخرج بفرسي فتهبطها من وراء أَكَمَةٍ فتحبسها عليَّ، فأخذتُ برمحي[2] وخرجتُ من ظهر البيت، فخطَطتُ بِزُجِّهِ الأرضَ، وخفضت عالية الرمح حتّى أتيتُ فرسي فركبتُها، فَرَفَّعتُهَا تُقَرِّبُ بي[3]، حتّى إذا دنوتُ منهم عَثَرْت بي فرسي فَخَرَرْت، فقمت فأهويتُ بيدي إلى كِنانتي، فاستخرجتُ منها الأزلام، فاستقسمتُ بها أَضُرُّهم أو لا أَضُرُّهم، فخرجَ الذي أكرهُ: لا أضرُّهم، فركبتُ فرسي وعصيت الأزلام، فرفَّعتها تُقَرِّبُ بي، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يُكْثِر التلفُّتَ، ساخَتْ يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتِ الركبتين، فخررْتُ عنها، ثم زجرتها فنهضتْ، فلم تَكَدْ تَخْرُجْ يداها، فلمّا استوت قائمةً إذا لأَثَرِ يديها غُبارٌ ساطعٌ في السماء مثل الدُّخان، فاستقسمتُ بالأزلام، فخرج الذي أكرهُ «لا أضرُّهم»، فناديتهما بالأمان، فوقفا لي وركبتُ

---

(١) هكذا جَوّد المؤلف تقييدها بخطه، وفي البخاري: «بأعيننا»، كأنه يريد: طالبين.

(٢) في البخاري: رمحي.

(٣) كتب المؤلف على هامش الأصل: «التقريب ضَرْبٌ من العَدْوِ».

فرسي حتّى جئتهما، ووقع في نفسي حين لَقِيتُ ما لقيتُ من الحبْس عنهما، أنّه سيظهر رسولُ الله ﷺ، فقلتُ له: إنَّ قومكَ قد جعلوا فيكما الدِّيَة، وأخبرتُهما أخبارَ ما يريد النّاسُ بهم، وعرضتُ عليهم الزّادَ والمتاعَ، فلم يَرْزَؤُوني شيئاً، ولم يسألني، إلاّ أنْ قال: أَخْفِ عنّا. فسألته أنْ يكتبَ لي كتابَ مُوَادعةٍ آمَنُ به، فأمر عامرَ ابن فُهَيْرة، فكتب في رُقعةٍ من أدَم[1] ثم مضى رسول الله ﷺ. أخرجه البخاري[2].

وقال موسى بن عُقْبة: حدثنا ابن شهاب الزُّهْرِي، قال: حدثني عبدالرحمن بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجي أنّ أباه أخبره، أنّ أخاه سُراقة ابن جُعْشُم أخبره، ثم ساق الحديث، وزاد فيه: وأخرجت سلاحي ثمّ لبست لأمتي، وفيه: فكتب لي أبو بكر، ثمّ ألقاه إليَّ فرجعتُ فسكتُّ، فلم أذكر شيئاً ممّا كان حتى فتحَ اللهُ مكة، وفرغَ رسولُ الله ﷺ من حُنَين خرجتُ لألقاه ومعي الكتابُ، فدخلتُ بين كتيبةٍ من كتائب الأنصار، فطفِقوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليكَ إليك، حتى دَنَوْتُ من رسولِ الله ﷺ وهو على ناقته، أنظر إلى ساقه في غرزه كأنّها جُمّارة[3]، فرفعتُ يدي بالكتاب فقلتُ: يا رسولُ الله هذا كتابك. فقال: «يومُ وفاءٍ وبِرٍّ ادنُ». قال: فأسلمتُ، ثمّ ذكرتُ شيئاً أسأل عنه رسولَ الله ﷺ، قال ابن شهاب: سأله عن الضّالّة وشيءٍ آخر، قال: فانصرفتُ وسُقْتُ إلى رسول الله ﷺ صَدَقَتي.

وقال البكّائي، عن ابن إسحاق[4]: حُدِّثتُ عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لمّا خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر، أتى نفرٌ من قريش، فيهم

---

(١) أي: جلد مدبوغ.
(٢) البخاري ٥/٧٣-٧٨.
(٣) الجمارة: قلب النخلة، شَبَّه ساقه بها لبياضها.
(٤) ابن هشام ١/٤٧٨.

أبو جهل، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجتُ إليهم، فقالوا: أين أبوكِ؟ قلتُ: لا أدري واللهِ أين أبي، فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطمني على خَدِّي لطمةً طرح منها قُرْطي.

وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُّبير أنّ أباه حدّثه عن جدّته أسماء بنت أبي بكر قالت: لمّا خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كلَّه معه، خمسة آلاف أو ستة آلاف دِرْهم، فانطلق به معه، فدخل علينا جدّي أبو قُحافة ـ وقد ذهب بَصَره ـ فقال: والله إنّي لأُراه فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلاّ يا أبه، قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: فأخذتُ أحجاراً فوضعتها في كُوَّةٍ من البيتِ كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يدك على هذا المال فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسنَ، وفي هذا بَلاغٌ لكم، قالت: ولا والله ما تركَ لنا شيئاً، ولكنّي أردتُ أن أُسكِّنَ الشيخ(١).

وحدثني الزُّهْرِيّ، أنّ عبدالرحمن بن مالك بن جُعْشُم حدّثه، عن أبيه، عن عمّه سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم، قال: لمّا خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً، جَعلَتْ قريش فيه مئةَ ناقةٍ لِمَنْ ردَّه، قال: فبينا أنا جالسٌ، أقبلَ رجلٌ منّا فقال: والله لقد رأيتُ رَكْباً ثلاثة مرُّوا عليَّ آنفاً، إنّي لأَرَاهم محمداً وأصحابَه، فأومأتُ إليه، يعني أن اسكُتْ، ثم قلتُ: إنّما هم بنو فلان يبتغون ضالَّةً لهم، قال: لعلّه، قال: فمكثتُ قليلاً، ثمّ قمتُ فدخلتُ بيتي، فذكر نحو ما تقدّم(٢).

قال: وحُدِّثْتُ عن أسماء بنت أبي بكر قالت: فمكثنا ثلاثَ ليالٍ ما ندري أين وجَّه رسولُ الله ﷺ، حتى أقبل رجلٌ من الجنّ من أسفل مكة

(١) ابن هشام ١/ ٤٨٨.
(٢) ابن هشام ١/ ٤٨٩.

يتغنّى بأبياتٍ من شِعر غناء العرب، وإنّ النّاس ليتبعونه، ويسمعون صوته، حتى خرج من أعلى مكة، وهو يقول:

جزَى الله رَبُّ النّاسِ خيرَ جزائه   رفيقين حلاَّ خيمَتَيْ أمِّ مَعْبدِ
هما نزلا بالبرِّ ثمّ تروَّحا   فأفلحَ مَن أمسَى رفيقَ محمدِ
ليهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتهم   ومقعدها للمؤمنين بمرصَدِ

قالت: فعرفنا حيث وجَّه رسولُ الله ﷺ وأنَّ وجهه إلى المدينةِ(١).

قلت: قد سقتُ خبرَ أمّ مَعْبَد بطوله في صفته ﷺ، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

وقال يحيى بن زكرّيا بن أبي زائدة: حدثنا محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا عبدالرحمن ابن الأصبهانيّ، قال: سمعتُ عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بكر الصِّدّيق قال: خرجت مع النبي ﷺ من مكة، فانتهينا إلى حيٍّ من أحياء العرب، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيتٍ متنحِّياً، فقصد إليه، فلمّا نزلنا لم يكن فيه إلاّ امرأة، فقالت: يا عبدَي الله إنّما أنا امرأةٌ وليس معي أحد، فعليكما بعظيم الحيِّ إنْ أردتُم القِرَى. قال: فلم يُجبْها، وذلك عند المساء، فجاء ابنٌ لها بأعنُز له يسوقها، فقالت له: يا بُنَيّ انطِلق بهذه العنز والشفرة إليهما فقُلْ: اذبحا هذه وكُلا وأطعِمانا، فلمّا جاء قال له النبي ﷺ: «انطلق بالشَّفرة وجئني بالقدح». قال: إنّها قد عَزبت وليس لها لبنٌ. قال: انطلِق، فانطلقَ فجاء بقدحٍ، فمسح النبيُّ ﷺ ضَرْعَها، ثمّ حلبَ حتى ملأ القدح، ثم قال: انطلِق به إلى أمّك، فشربتْ حتى رَوِيت، ثم جاء به فقال: انطلِقْ بهذه وجئني بأخرى، ففعل بها كذلك، ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى،

(١) ابن هشام ١/٤٨٧-٤٨٨.

ففعل بها كذلك، ثم شربَ ﷺ، قال: فبتنا ليلتَنا ثمّ انطلقنا، فكانت تسمّيه «المبارَك»، وكثُر غَنمُها حتى جلبت جَلَباً إلى المدينة، فمرَّ أبو بكر فرآهُ ابنُها فعرفه فقال: يا أمَه إنَّ هذا الرجلَ الذي كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبدَالله مَن الرجلُ الذي كان معك؟ قال: وما تدرين مَن هُوَ! قالت: لا، قال: هو النبيُّ ﷺ. قالت: فأدخِلْني عليه، فأدخَلَها عليه فأطعمها وأعطاها.

رواه محمد بن عمران بن أبي ليلى، وأسد بن موسى، عن يحيى، وإسناده نظيف لكن مُنقطِع بين أبي بكر، وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

أوس بن عبدالله بن بُرَيْدَة: أخبرنا الحسين بن واقد، عن ابن بُرَيْدة، عن أبيه، أنّ النبي ﷺ كان يتفاءل، وكانت قريش قد جعلت مئة من الإبل لمن يردُّه عليهم، فركب بُرَيْدة في سبعين من بني سهم، فلقي نبيَّ الله ليلاً فقال له: مَنْ أنتَ؟ قال: بُرَيْدة. فالتفتَ إلى أبي بكر فقال: بَرَدَ أمرُنا وصَلُح، ثم قال: ومِمَّنْ؟ قال: مِنْ أسلم. قال لأبي بكر: سَلِمْنا، ثم قال: ممّن؟ قال: من بني سَهْم. قال: خرج سهمُك. فأسلم بُرَيْدَةُ والذين معه جميعاً، فلمّا أصبحوا قال بُرَيْدَةُ للنبيِّ ﷺ: لا تدخل المدينة إلّا ومعك لواء، فحلّ عِمامَته ثم شدّها في رُمْح، ثمّ مشى بين يدي النبيِّ ﷺ وقال: يا نبيّ الله تنزل عليَّ. قال: إنّ ناقتي مأمورة. فسار حتى وقفتْ على بابِ أبي أيّوب فَبَرَكَتْ. قلت: أوْس متروك.

وقال الحافظ أبو الوليد الطّيالسيُّ: حدثنا عُبَيْد الله بن إياد بن لَقِيط، قال: حدثنا أبي، عن قيس بن النُّعْمان، قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مُسْتَخْفِيَيْن مروا بعبدٍ يرعى غنماً فاستسقياه اللَّبن، فقال: ما عندي شاةٌ تحلب، غير أنّ ها هنا عَناقاَ حملت أوّل الشتاء، وقد أخدجت وما بقيَ لها لبن. فقال: ادْعُ بها، فدعا بها، فاعتقلها النبيُّ ﷺ ومسح ضَرْعَها ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجنٍّ فحلب فسقى أبا بكر،

ثم حلب فسقى الرّاعي، ثم حلب فشرب، فقال الرّاعي: باللهِ مَنْ أنتَ، فَوَالله ما رأيتُ مثلكَ قطّ؟ قال: «أتكتمُ عليَّ حتى أُخبرك»؟، قال: نعم، قال: فإنّي محمدٌ رسول الله. فقال: أنتَ الذي تزعمُ قريش أنّه صابىء؟ قال: «إنّهم ليقولون ذلك». قال: فأَشْهَدُ أنّك نبيٌّ، وأشهدُ أنَّ ما جئتَ به حقٌّ، وأنّه لا يفعلُ ما فعلتَ إلاّ نبيٌّ، وأنا مُتَّبِعُك. قال: «إنّك لن تستطيع ذلك يومك، فإذا بَلَغَك أنّي قد ظهرت فائتنا».

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[1]، قال: فحدثني محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن عبدالرحمن بن عُوَيم بن ساعدة، عن رجالٍ من قومه، قالوا: لمّا بَلَغَنا مخرجُ رسولِ الله ﷺ من مكة، كنّا نخرج كُلَّ غَداةٍ فنجلس له بظاهر الحرَّة، نلجأ إلى ظلّ الجُدُر حتى تغلبنا عليه الشمسُ، ثمّ نرجع إلى رِحالنا، حتى إذا كان اليوم الذي جاء فيه رسولُ الله ﷺ، جلسنا كما كنّا نجلس، حتى إذا رجعنا جاء رسولُ الله ﷺ، فرآه رجلٌ من اليهود، فنادى: يا بني قَيْلَة هذا جَدُّكم قد جاء، فخرجنا وَرسول الله ﷺ قد أناخ إلى ظلٍّ هو وأبو بكر، والله ما ندري أيُّهما أسَنُّ، هما في سنٍّ واحدة، حتى رأينا أبا بكرٍ ينحازُ له عن الظِّلِّ، فعرفنا رسول الله ﷺ بذلك، وقد قال قائل منهم: إنّ أبا بكر قام فأظَلَّ رسول الله ﷺ بردائه، فعرفناه.

وقال محمد بن حِمْيَر، عن إبراهيم بن أبي عَبْلة: حدثني عُقْبة بن وسّاج، عن أَنَس بن مالك أنّ النبي ﷺ قدِم، يعني المدينة، وليس في أصحابه أشمطُ[2] غيرُ أبي بكر، فَغَلَّفَها بالحِنّاء والكَتْم. أخرجه البخاري[3]، من حديث محمد بن حِمْيَر.

(١) ابن هشام ١/ ٤٩٢.
(٢) أي: خالط شعره البياض.
(٣) البخاري ٥/ ٨٢.

وقال شُعْبَة: أنبأنا أبو إسحاق، قال: سمعت البَرَاء يقول: أوّل من قدِمَ علينا من الصّحابة مُصْعَب بن عُمَير، وابنُ أمِّ مكتوم، وكانا يُقْرِئان القرآن، ثم جاء عمّار، وبلال، وسعد، ثمّ جاء عمر بن الخطّاب في عشرين راكباً، ثمّ جاء رسولُ الله ﷺ، فما رأيتُ أهلَ المدينة فرحوا بشيءٍ قطّ فَرَحَهُم به، حتى رأيت الولائدَ والصّبيان يسْعَوْن في الطُّرُق يقولون: جاء رسول الله ﷺ، فما قدِم المدينةَ حتى تعلّمت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى] في مثلها من المفصَّل. خ[1].

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البَرَاء، في حديث الرَّحْل، قال أبو بكر: ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه، حتّى قدِمْنا المدينةَ ليلاً، فتنازعه القوم أيُّهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إنّي أنزل اللّيلَة على بني النّجّار أخوال بني عبدالمطّلب أُكْرِمُهم بذلك، وقَدِمَ النّاسُ حين قدِمْنا المدينةَ، في الطّريق وعلى البيوت، والغِلْمان والخَدَم يقولون: جاء رسول الله، جاء رسول الله ﷺ الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء محمد ﷺ، فلمّا أصبح انطلق فنزلَ حيثُ أُمِرَ. مُتّفَقٌ عليه[2].

وقال هاشم بن القاسم: حدثنا سليمان ـ هو ابن المغيرة ـ عن ثابت، عن أَنَس، قال: إنّي لأسعى في الغُلْمان يقولون: (جاء محمد)، وأسعى ولا أرى شيئاً، ثمّ يقولون: (جاء محمد)، فأسعى، حتى جاء النبيُّ ﷺ وصاحبُه أبو بكر فكمَنَا في بعض جدار المدينة، ثمّ بعثا رجلاً من أهل البادية لِيُؤْذِن بهما الأنصار، قال: فاستقبلهما زُهَاء خمس مئة من الأنصار، حتى انتهوا إليهما، فقالوا: انْطَلِقا آمِنَيْن مُطاعَيْن. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبُهُ بين أظْهُرِهم، فخرج أهلُ المدينة، حتّى إنَّ العواتقَ لَفَوْقَ البيوتِ يَتَرَاءَيْنَهُ يقُلْن: أيُّهم هو؟ أيُّهم هُو؟ قال: فما

(١) البخاري ٥/ ٨٤.

(٢) هكذا قال، وإنما تفرد به البخاري دون مسلم، فأخرجه ٥/ ٨٣و٨٤و٦/ ٢٠٨.

رأينا منظراً شبهاً به يومئذٍ. صحيح.

وقال الوليد بن محمد المُوَقَّرِيّ وغيره، عن الزُّهْري، قال: فأخبرني عُرْوة أنّ الزُّبَير كان في رَكْب تجّارٍ بالشام، فقفلوا إلى مكة، فعارضوا رسولَ الله ﷺ وأبا بكر بثياب بياض، وسمع المسلمون بمخرج رسول الله ﷺ، فكانوا يَغْدون كلّ غَداةٍ إلى الحَرَّة فينتظرونه، حتى يَرُدَّهم نحرُ الظَّهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظاره، فلمّا أَوَوْا إلى بيوتهم، أوفى رجلٌ من يهود أُطُماً من آطامهم لشأنه، فبصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مُبيِّضين يزولُ بهم السَّرابُ فلم يملك اليهوديُّ أنْ قال بأعلى صوته: يا معشر العُريب هذا جدُّكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فلقوا رسولَ الله ﷺ بظهر الحَرَّة، فعدل بهم رسولُ الله ﷺ ذات اليمين، حتى نزل في بني عَمْرو بن عَوْف من الأنصار، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر يُذَكِّرُ النّاسَ، وجلس رسولُ الله ﷺ صامتاً، فطفِق مَنْ جاء من الأنصار ممّن لم يَرَ رسولَ الله ﷺ يحسبه أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلّل عليه بردائه، فعرفوا رسولَ الله عند ذلك، فلبِث في بني عَمْرو بن عَوْف بِضْعَ عشرةَ ليلة.

وأَسّس المسجدَ الذي أُسِّس على التَّقْوَى، فصلّى فيه، ثم ركب راحلتَه فسار، فمشى معه النّاسُ، حتى بركت بالمدينة عند مسجدِه ﷺ، وهو يصلّي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين، وكان مِرْبَداً للتَّمْر لسَهْلٍ وسُهَيْل، غلامين يتيمين أخَوَين في حِجْر أسعد بن زُرَارة من بني النّجّار، فقال حين بركت به راحلتُه: «هذا إنْ شاء الله المنزل». ثمّ دعا الغلامين فساومهما المِرْبَد ليتّخذَهُ مسجداً، فقالا: بل نَهبه لكَ. فأبى حتى ابتاعه وبناه[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٧٣-٧٨.

وقال عبدالوارث بن سعيد وغيره: حدثنا أبو التَّيَّاح، عن أَنَس، قال: لما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ نزل في علْو المدينة في بني عَمْرو ابن عَوْف، فأقام فيهم أربعَ عشرة ليلة، ثمّ أرسل إلى ملأ بني النّجار، فجاؤوا متقلِّدين سيوفَهم، فكأنّي أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ وأبو بكر رِدْفَه، وملأُ بني النّجّار حوله، حتى ألقى بِفناء أبي أيّوب. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال عثمان بن عطاء الخُراسانيّ، عن أبيه، عن عِكْرِمَة، عن ابن عباس قال: لمّا دخل النبيُّ ﷺ المدينة مرّ على عبدالله بن أُبَيّ وهو جالس على ظهر الطّريق، فوقف عليه رسول الله ﷺ يَنْظر أنْ يدعوه إلى المنزل، وهو يومئذٍ سيّدُ أهلِ المدينة في أنفسهم، فقال عبدالله: انظر الذين دعوك فَأْتِهم، فعمدَ إلى سعد بن خَيْثَمة، فنزل عليه في بني عَمْرو ابن عَوْف ثلاثَ ليالٍ، واتّخذ مكانه مسجداً فكان يصلّي فيه، ثم بناه بنو عَمْرو، فهو الذي أُسِّس على التَّقْوَى والرِّضوان.

ثم إنّه ركب يوم الجمعة، فمرَّ على بني سالم، فَجَمَّع فيهم، وكانت أول جمعة صلّاها حين قَدِمَ المدينةَ، واستقبل بيتَ المقدس، فلمّا أبصرته اليهودُ صلّى قِبْلَتهم طَمِعُوا فيه لِلَّذي يَجدونَهُ مكتوباً عندهم، ثم ارتحلَ فاجتمعت له الأنصارُ يُعظِّمون دِينَ الله بذلك، يمشون حول ناقة رسول الله ﷺ، لا يزال أحدهم ينازع صاحبَه زِمامَ النّاقة، فقال: خَلُّوا سبيلَ النّاقة، فإنّما أَنزِلُ حيث أَنزلني اللهُ. حتى انتهى إلى دارِ أبي أيّوب في بني غَنْم، فبركتْ على الباب، فنزل، ثمّ دخل دارَ أبي أيّوب، فنزل عليه حتى ابتنى مسجده ومسكنه في بني غَنْم، وكان المسجد موضعاً للتّمر لابنَيْ أخي أسعد بن زُرَارة، فأعطاه رسولَ الله ﷺ، وأعطى ابنيْ

---

(١) البخاري ١/ ١١٧ و٣/ ٢٥ و٤/ ١٤ و١٥ و٥/ ٨٦، ومسلم ٢/ ٦٥ و٥/ ١٨٨.

أخيهِ مكانه نخلاً له في بني بياضة، فقالوا: نُعطيه رسولَ الله ﷺ لا نأخذ له ثمناً، وبنى النبي ﷺ لحمزة ولعليّ ولجعفر، وهم بأرضِ الحبشة، وجعل مسكنهم في مسكنه، وجعل أبوابهم في المسجد مع بابه، ثمّ إنّه بدا له، فصرف بابَ حمزة وجعفر. كذا قال: وهُم بأرض الحبشة، وإنّما كان عليٌّ بمكة. رواه ابن عائذ، عن محمد بن شعيب، عنه.

وقال موسى بن عُقْبة: يقال: لمّا دنا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر من المدينة، وقدِم طلحة بن عُبَيدالله من الشام، خرج طلحة عامداً إلى مكة، لمّا ذُكِر له رسولُ الله ﷺ وأبو بكر، خرج إمّا متلقيّاً لهما، وإمّا عامداً عَمْده بمكة، ومعه ثيابٌ أهداها لأبي بكر من ثياب الشام، فلمّا لَقِيه أعطاه الثيابَ، فلبس رسولُ الله ﷺ وأبو بكر منها.

وقال الوليد بن مسلم، عن عبدالله بن يزيد، عن أبي البَدّاح بن عاصم بن عَدِيّ، عن أبيه: قدِم رسول الله ﷺ المدينةَ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلةٍ خَلَتْ من ربيع الأول، فأقام بالمدينة عشر سنين.

وقال ابن إسحاق(١) : المعروف أنّه قدِم المدينةَ يوم الاثنين لِثْنَتي عشرة ليلة مَضَتْ من ربيع الأول، قال: ومنهم من يقول لليلتين مَضَتا منه. رواه يونس وغيره، عن ابن إسحاق.

وقال عبدالله بن إدريس: حدثنا ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر، عن عُرْوَة، عن عبدالرحمن بن عُوَيْم، قال: أخبرني بعض قومي، قال: قدِم رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مَضَتْ من ربيع الأول، فأقام بقُباء بقيّة يومه وثلاثة أيام، وخرج يوم الجمعة على ناقته القَصْوَاء، وبنو عَمْرو بن عَوْف يزعمون أنّه لبِث فيهم ثماني عشرة ليلة.

وقال زكرّيا بن إسحاق: حدثنا عَمْرو بن دينار، عن ابن عباس،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٢، وتاريخ خليفة ٥٥.

قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة، وتُوُفِّي وهو ابن ثلاثٍ وستّين. مُتَّفَقٌ عليه[1].

وقال سُفْيان بن عُيَيْنَة: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاريّ، عن عجوزٍ لهم، قالت: رأيت ابنَ عباس يختلف إلى صِرْمة بن قيس[2] الأنصاري، كان يروي هذه الأبيات:

ثَوَى في قُرَيشٍ بِضْعَ عشرةَ حِجَّةً ... يُذكِّرُ لو أَلْفى صديقاً مُواتيا
ويَعرِضُ في أهل المواسمِ نفسَهُ ... فلم يَرَ مَنْ يُؤْوِي ولم يَرَ دَاعيا
فلمّا أتانا واطمأنت به النوى ... وأصبحَ مسروراً بطيبةَ راضِيا
وأصبحَ ما يَخْشَى ظُلامةَ ظالمٍ ... بعيدٍ ولا يخشى من النّاس راعيا
بَذَلْنا له الأموالَ من جُلِّ مالِنا ... وأَنْفُسَنا عند الوَغَى والتّآسِيَا
نُعادِي الذي عَادَى من النّاس كلّهم ... جميعاً وإنْ كان الحبيبَ المواسيا
ونَعْلَمُ أنّ الله لا شيءَ غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا[3]

وقال عبدالوارث: حدثنا عبدالعزيز بن صُهَيْب، عن أَنَس قال: أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة، وهو مُرْدِفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعْرَف، ونبيّ الله ﷺ شابٌّ لا يُعْرف ـ يريدُ دخولَ الشَّيْبِ في لِحْيَته دونه لا في السِّنّ ـ قال أنَس: فيلقى الرجلُ أبا بكرٍ فيقول: يا أبا بكر مَنْ هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا رجلٌ يهديني السّبيلَ. فيحسِب الحاسِب أنّه يعني الطّريق، وإنّما يعني طريق الخير. فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لَحِق، فقال: «اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ». فصرعه فرسُه، ثمّ قامت تُحَمْحِم. فقال: يا نبيّ الله مُرني بمَ شئتَ. قال: «تقف مكانَكَ لا تتركنَّ أحداً يلحق بنا». قال: فكان أوّل النّهار جاهداً على

---

(١) البخاري ٥/ ٧٣، ومسلم ٧/ ٨٨.
(٢) انظر الإصابة لابن حجر٣/ ٤٢٢-٤٢٣.
(٣) ابن هشام ١/ ٥١٢.

رسول الله ﷺ وآخر النّهار مَسْلَحَةً له، فنزل رسول الله ﷺ جانب الحَرَّة، وأرسل إلى الأنصار، فجاؤوا رسولَ الله، فسلّموا عليهما. فقالوا: اركبا آمنَيْن مُطاعَيْن. فركِبا وحَفُّوا حولهما بالسّلاح، فقيل في المدينة: جاء رسول الله، جاء رسول الله. وأقبل حتى نزل إلى جانب بيت أبي أيّوب، قال: فإنّه لَيُحَدِّث أهلَه إذْ سمع به عبدالله بنُ سلام وهو في نخْلٍ لأهله، يخترف لهم منه، فعجّل أن يضع التي يَخْتَرِف فيها فجاءه وهي معه، فسمع من نبي الله ﷺ، ثم رجع إلى أهله، فقال رسول الله ﷺ: «أيّ بيوت أهلِنا أَقْرَب»؟ فقال أبو أيّوب: أنا يا نبي الله هذه داري، قال: «اذهب فَهَيِّءْ لنا مَقِيلاً». فذهب فَهيَّأَ لهما مَقِيلاً، ثم جاء فقال: يا نبي الله قد هَيَّأْتُ لكما مَقِيلاً، قُوما على بركة الله فَقِيلا.

فلما جاء نبيّ الله ﷺ، جاء عبدالله بن سَلَام، فقال: أَشْهَدُ أنّك رسول الله حقّاً، وأنّك جئت بحقّ، ولقد علمتْ يهود أنّي سَيِّدُهم وأَعْلَمُهم. وذكر الحديث. أخرجه البخاري(١).

---

(١) البخاري ٥/ ٨٠. كتب المؤلف بعد هذا: «وقد تقدم من سيرته ﷺ ومغازيه في العشر سنين التي لبث فيها بالمدينة ما فيه مغنى إن شاء الله تعالى». ثم كتب في حاشية الأصل: «من شاء من الإخوان أن يُفرد الترجمة النبوية، فليكتب إذا وصل إلى هنا جميع ما تقدم من كتابنا «تاريخ الإسلام» في السفر الأول بلا بد، وليفعل فإن ذلك حسن، ثم يكتب بعد ذلك «فصل في معجزاته» إلى آخر الترجمة النبوية»، واستناداً إلى هذا رتبنا السيرة كما أراد المؤلف. وقد يجد القارىء في الصفحات الآتية بعض الروايات القليلة التي ذُكرت قبل قليل، ولم نر بأساً في ذلك حفاظاً على النص.

السَّنَة الأولى مِنَ الهِجْرَة

روى البخاري في صحيحه[1] من حديث الزُّهْري، عن عُرْوة، عن عائشة أنّ المسلمين بالمدينة سمعوا مَخْرَج رسول الله ﷺ. فكانوا يَغْدُون إلى الحَرّةِ[2] ينتظرونه، حتى يَرُدَّهم حَرُّ الشّمس، فانقلبوا يوماً، فأوْفى يهوديٌّ على أُطُمٍ[3] فَبَصُرَ برسولِ الله ﷺ وأصحابه مُبَيِّضين يَزُولُ بهم السَّراب، فأخبرني عُرْوَةُ أنَّ رسولَ الله ﷺ لقي الزُّبَيْرَ في رَكْبٍ من المسلمين كانوا تُجّاراً قافلين من الشّام. فكسا الزُّبَيْرُ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بياضٍ. قال: فلم يملك اليهوديُّ أنْ صاحَ، يا مَعْشَر العربِ، هذا جدُّكُمُ[4] الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السِّلاح. فتلقَّوه بظهرِ الحَرَّة، فَعَدَلَ بهم ذاتَ اليمين حتى نزل في بني عَمْرو بن عَوْف يوم الإثنين من ربيع الأول. فقام أبو بكر للنَّاس فطفِق مَنْ لم يعرف رسولَ الله ﷺ يسلم على أبي بكر حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ، فأقبل أبو بكر يُظِلُّه بردائِه، فعرفَ الناسُ عند ذلك رسولَ الله ﷺ. فلبِثَ في بني عَمْرو بن عَوْف بضْعَ عشرةَ ليلة، وأسَّس مسجدهم. ثم ركب راحلته وسار حوله النّاسُ يمشون، حتى بركت به مكانَ المسجد، وهو يصلِّي فيه يومئذٍ رجالٌ من المسلمين ـ وكان مِرْبَداً

---

(١) البخاري ٥/ ٧٣-٧٨ بتصرف في النص على عادة المؤلف رحمه الله.
(٢) موضع بقرب المدينة يُعرف بحرَّة واقم.
(٣) أي: حصن.
(٤) أي: حَظُّكم وصاحب دولتكم.

لسَهْلٍ وسُهَيْل - فدعاهما فساومهما بالمِرْبَد ليتَّخذه مسجداً، فقالا: بل نَهَبُهُ لكَ يا رسولَ الله. ثم بناه مسجداً، وكان ينقل اللَّبِنَ معهم ويقول:

هذا الحِمَالُ، لا حِمَالَ خَيْبَرْ   هـذا أَبَـرُّ - ربَّنـا - وأطْهَـرْ

ويقول:

اللَّهُمَّ إنّ الأجْرَ أَجْرُ الآخِرهْ   فارْحَمِ الأنصارَ والمُهاجِرَهْ

وخرّج البخاريُّ من حديث أبي إسحاق عن البَرَاء حديثَ الهِجرة بطُوله[1].

وخرّج من حديث عبدالعزيز بن صُهَيْب عن أنَس قال: أقبل النّبيُّ ﷺ إلى المدينة وهو مُرْدِفٌ أبا بكر. وأبو بكر شيخٌ يُعرَف، والنَّبيُّ ﷺ شابٌّ لا يُعْرَف، فَيَلْقى الرجلُ أبا بكرٍ فيقول: مَنْ هذا بين يديك؟ فيقول: رجلٌ يَهديني الطَّريقَ، وإنّما يعني طريقَ الخير إلى أن قال: فنزل رسولُ الله ﷺ جانب الحَرَّة، ثم بعث إلى الأنصار، فجاؤوا إلى النَّبيِّ ﷺ، فسلَّمُوا عليهما، وقالوا: اركبا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ. فركبا، وحَفُّوا دُونَهما بالسِّلاح. فقيل في المدينة: جاء نبيُّ الله، جاء نبيُّ الله، فأقبل يسيرُ حتى نزلَ إلى جانبِ دارِ أبي أيّوب، وذكر الحديث[2].

ورَوَيْنا بإسنادٍ حَسَنٍ، عن أبي البَدَّاح بن عاصم بن عدِيّ، عن أبيه قال: قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خَلَت من ربيع الأول، فأقام في المدينةِ عشرَ سنين.

وقال محمد بن إسحاق: فقدِم ضُحَى يوم الإثنين لاثنتي عشرة خَلَت من ربيع الأول، فأقام في بني عَمْرو بن عوف؛ فيما قيل؛ يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم ظعن يومَ الجمعة، فأدركته

---

(١) البخاري ٥/ ٧٨.

(٢) البخاري ٥/ ٧٩.

الجمعةُ في بني سالم بن عَوْف، فصلاَّها بمَنْ معه. وكان مكان المسجد؛ مِرْبَداً لغُلامين يتيمين، وهما سَهْلٌ وسُهَيْل ابنا رافع بن عَمْرو من بني النّجّار فيما قال موسى بن عقبة، وكانا في حِجْر أسعد بن زُرارة.

وقال ابن إسحاق[1] : كان المِرْبَد لسَهْلٍ وسُهَيْلٍ ابني عَمْرو، وكانا في حِجْر مُعاذ بن عَفْراء.

وغلط ابن مَنْدَة فقال: كان لسَهْلٍ وسُهَيلٍ ابنَيْ بيضاء، وإنّما ابنا بيضاء من المهاجرين.

وأسّس رسولُ الله ﷺ في إقامته ببني عَمْرو بن عَوْف مسجدَ قُباء. وصلّى الجمعةَ في بني سالم في بطن الوادي. فخرج معه رجال منهم، وهم: العبّاس بن عبادة، وعِتْبان بن مالك، فسألوه أن ينزل عندهم ويقيم فيهم، فقال: خَلُّوا النّاقةَ فإنَّها مأمورة. وسار والأنصارُ حولَهُ حتى أتى بني بياضة، فتلقَّاه زياد بن لَبِيد، وفَرْوَة بن عَمْرو، فَدَعوه إلى النّزول فيهم، فقال: دعوها فإنّها مأمورة. فأتى دُورَ بني عدِيّ بن النَّجّار؛ وهم أخوالُ عبدالمطلب؛ فتلّقاه سَليط بن قيس، ورجالٌ من بني عدِيّ، فدعوه إلى النُّزولِ والبقاء عندهم، فقال: دَعوها فإنّها مأمورة. ومشى حتى أتى دُورَ بني مالك بن النَّجّار، فَبَرَكت النّاقةُ في موضع المسجد، وهو مِرْبَدُ تَمْرٍ لغُلامَيْن يَتيمَيْن. وكان فيه نخلٌ وخِرَب[2] ، وقبور للمشركين. فلم ينزل عن ظهرها، فقامت ومشت قليلاً، وهو ﷺ لا يَهِيجُها، ثم التفت فكرَّتْ إلى مكانها وَبَرَكَتْ فيه، فنزل عنها. فأخذ أبو

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٩٤-٤٩٦.

(٢) في نسخة: «وحرث»، وما أثبتناه من نسخة البشتكي، ويعضده ما في الصحيحين، وقال النووي: «هكذا ضبطناه بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء. قال القاضي: رويناه هكذا، ورويناه بكسر الخاء وفتح الراء، وكلاهما صحيح، وهو ما تَخَرَّبَ من البناء».

أيّوب الأنصاريُّ رَحْلها فحمله إلى داره. ونزل النّبيُّ ﷺ في بيتٍ من دار أبي أيّوب. فلم يزل ساكناً عند أبي أيّوب حتى بنَى مسجدَه وحُجَرَهُ في المِرْبَد. وكان قد طلب شراءه فأبت بنو النَّجّار من بَيْعِه، وبذلوه لله وعَوَّضُوا اليتيمَيْن. فأمر بالقبور فَنُبشتْ، وبالخِرَب فسُوِّيتْ. وبنى عِضَادَتيه بالحجارةِ، وجعل سَوَارِيه من جُذُوع النَّخْل، وسَقَفَهُ بالجَريدِ، وعَمِلَ فيه المسلمون حِسْبَةً.

فمات أبو أُمامة أسعد بن زُرَارة الأنصاريّ تلك الأيام بالذُّبَحَة. وكان من سادة الأنصار ومن نُقَبائهم الأبرار. ووَجَد النبيُّ ﷺ وَجْداً لموته، وكان قد كَوَاهُ. ولم يجعل على بني النَّجّار بعده نقيباً وقال: أنا نقيبكم. فكانوا يَفْخرون بذلك.

وكانت يَثْرِب لم تُمَصَّر، وإنّما كانت قُرىً مُفَرَّقة: بنو مالك بن النّجّار في قرية، وهي مثل المَحِلَّة، وهي دار بني فُلان. كما في الحديث: «خيرُ دُورِ الأنصار دارُ بني النّجّار»[1].

وكان بنو عدِيّ بن النّجّار لهم دارٌ، وبنو مازن بن النَّجّار كذلك، وبنو سالم كذلك، وبنو سَاعدة كذلك، وبنو الحارث بن الخَزْرج كذلك، وبنو عَمْرو بن عَوْف كذلك، وبنو عبدالأشهل كذلك، وسائر بُطُون الأنصار كذلك. قال النَّبيُّ ﷺ: «وفي كلِّ دُور الأنصارِ خيرٌ»[2].

وأمر عليه السّلام بأنْ تُبْنَى المساجدُ في الدُّور. فالدّار ـ كما قلنا ـ هي القرية. ودار بني عَوْف هي قُباء. فوقع بناء مسجده ﷺ في بني مالك ابن النَّجّار، وكانت قريةً صغيرة.

---

(١) طرف من حديث أبي حميد الساعدي، أخرجه أحمد ٥/ ٤٢٤، والدارمي (٢٤٩٨)، والبخاري ٢/ ١٥٤ و ٣/ ٢٦ و ٤/ ١١٩ و ٥/ ٤١ و ٦/ ٩، ومسلم ٤/ ١٢٣ و٧/ ٦١، وأبو داود (٣٠٧٩)، وابن خزيمة (٢٣١٤).

(٢) هو طرف من الحديث السابق.

وخرّج البخاري[1] من حديث أنَس أنَّ النَّبيَّ ﷺ نزل في بني عَمْرو ابن عَوْف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة. ثم أرسل إلى بني النَّجَّار فجاؤوا.

وآخى في هذه المدّة بين المهاجرين والأنصار. ثم فُرضت الزكاة. وأسلم الحَبْر عبدالله بن سلام، وأُناسٌ من اليهود، وكَفَرَ سائرُ اليهود.

(١) البخاري ٥/٨٦.

قصّة إسلام ابن سَلَام

قال عبدالعزيز بن صُهَيْب، عن أنَس، قال: جاء عبدالله بن سلام فقال: أشْهد أنّك رسولُ الله حقّاً. ولقد علمت يهودُ أنّي سيِّدُهُم وابن سيّدِهِم، وأعْلَمُهُم وابنُ أعلمِهِم، فادْعُهم فَسَلْهُمْ عنّي قبل أن يعلموا أنّي قد أسلمتُ. فأرسل إليهم فأتَوْا، فقال لهم، يا مَعْشَرَ يهود، وَيْلَكم اتّقوا الله، فَوَالذي لا إله إلاّ هو إنّكم لَتَعْلَمون أنِّي رسولُ الله فأسْلِمُوا. قالوا: ما نَعْلَمُه، فأعادَ ذلك عليهم ثلاثاً. ثم قال: فأيُّ رجلٍ فيكم عبدالله بن سَلام؟ قالوا: ذاك سيِّدُنا وابن سيِّدِنا، وأعلمُنَا وابن أعلَمِنا. قال: أفرأيتم إنْ أسْلَمَ؟ قالوا: حاش لله، ما كان لِيُسْلمَ. قال: يا ابن سَلام اَخْرُج عليهم فخرجَ عليهم، فقال: ويلكم اتَّقُوا الله، فوَالّذي لا إله إلاّ هو إنّكم لَتَعْلَمون أنّه رسولُ الله حقّاً، قالوا: كَذَبْتَ. فأخرجهم رسولُ الله ﷺ. أخرجه البُخاريُّ بأطْول منه[(١)] .

وأخرج من حديث حُمَيْد عن أنَس[(٢)] ، قال: سمع عبدُالله بن سَلام بقُدُوم رسولِ الله ﷺ، وهو في أرضٍ، فأتى النّبيَّ ﷺ فقال: إنّي سائِلُك عن ثلاثٍ لايعلمهنَّ إلاّ نبيٌّ: ما أولُ أشراطِ السّاعة؟ وما أولُ طعامِ أهلِ الجنّة؟ وما يَنْزَعُ الولَدَ إلى أبيهِ أو إلى أُمّه؟ قال: أَخْبَرَني بهنَّ جِبْريلُ آنفاً. قال: ذاك عدوُّ اليهودِ من الملائكة. قال: ثم قرأ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة]. أمّا أوّلُ أشراط السّاعة، فنارٌ تخرجُ على النّاس من المشرقِ إلى المغرب. وأمّا أوّلُ طعامٍ يأكله أهلُ الجنّة فزيادةُ كبِدِ حُوتٍ. وإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نَزَعَ الولدُ

---

(١) البخاري ٥/ ٧٩-٨٠.

(٢) البخاري ٥/ ٨٨-٨٩.

إلى أبيه، وإذا سبقَ ماءُ المراة نزع إلى أمِّه. فتشهّد وقال: إنَّ اليهود قومٌ بُهْت، وإنّهم إنْ يعلموا بإسلامي قبل أنْ تسألهم عنّي بَهَتُوني. فجاؤوا، فقال: أيُّ رجلٍ عبدُالله بن سَلَام فيكم؟ قالوا: خيرُنا وابنُ خيرنا، وسيّدُنا وابن سيِّدِنا. قال: أرأيتم إنْ أسلم؟ قالوا: أعاذه اللهُ من ذلك. فخرج فقال: أشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله. فقالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنا، وتَنَقَّصُوه. قال: هذا الذي كنت أخافُ يا رسولَ الله.

وقال عَوْف الأعرابيُّ، عن زُرارة بن أوْفَى، عن عبدالله بن سَلام قال: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ انْجَفَل النّاسُ قِبَله، قالوا: قدم رسولُ الله ﷺ. فجئتُ لأنظرَ، فلما رأيتُه عرفتُ أنَّ وجهه ليس بوجهِ كَذَّابٍ. فكان أوّلُ شيءٍ سمعتُه منه أنْ قال: أيُّها النّاس، أطْعِموا الطّعام، وأفْشُوا السّلام، وصِلُوا الأرحامَ، وصَلُّوا بالليّل والنّاسُ نِيام، تدخُلُوا الجنّة بسلام. صحيح[1].

وروى أسباطُ بن نصر، عن السُّدِّيِّ، عن أبي مالك، وأبي صالح، عن ابن عبّاس؛ وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النّبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة]؛ قال: كانت العرب تَمُرُّ باليهود فيُؤْذُونَهم. وكانوا يجدون محمّداً في التَّوْراة، فيسألون اللهَ أن يبعثه فيقاتلون معه العربَ. فلمّا جاءهم ما عَرَفُوا كفروا به حين لم يَكُنْ من بني إسرائيل.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٤٥١، وعبد بن حميد (٤٩٦)، والدارمي (١٤٦٨) و (٢٦٣٥)، وابن ماجة (١٣٣٤) و (٣٢٥١)، والترمذي (٢٤٨٥) وصححه.

قصّة بناء المسجد

قال أبو التّيّاح، عن أَنَس: فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى ملأ بني النَّجَّار فجاؤوا، فقال: يا بني النَّجَّار، ثَامِنوني بحائطكم هذا. قالوا: لا والله، لا نطلبُ ثمنَهُ إلاّ إلى الله. فكان فيه ما أقول لكم: كان فيه قبورُ المشركين، وكان فيه خِرَبٌ ونخلٌ. فأمر رسولُ الله ﷺ بقبور المشركين فَنُبِشَتْ، وبالخِرَب فسُوِّيتْ، وبالنَّخْل فقُطِع. فصَفُّوا النَّخْلَ قِبلةً، وجعلوا عِضَادَتَيْه حجارةً، وجعلوا ينقُلُون الصَّخرَ، وهم يَرتَجِزون، ورسولُ الله ﷺ معهم، ويقولون:

اللَّهُمَّ لا خيرَ إلاّ خيرُ الآخرة   فانصُرِ الأنصارَ والمُهاجِرة.

مُتّفقٌ عليه(١). وفي رواية: فاغفِرْ للأنصار.

وقال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب، في قصّة بناء المسجد: فطفِق هو وأصحابُه ينقلون اللَّبِنَ، ويقول. وهو ينقل اللَّبِنَ معهم:

هذا الحِمال، لا حِمَال خيبرْ   هذا أبرُّ - ربَّنا - وأطْهرْ

ويقول:

اللّهمَّ لا خيرَ إلاّ خيرُ الآخرة   فارْحَمِ الأنصارَ والمُهَاجِرَة

قال ابن شهاب: فتمثَّلَ رسولُ الله ﷺ بشِعْر رجلٍ من المسلمين لم يُسَمَّ في الحديث. ولم يَبْلُغْنِي في الحديثِ أنَّ رسولَ الله ﷺ تمثَّل ببيتِ شِعْرٍ غير هذه الأبيات.

---

(١) البخاري ١/١١٧ و ٣/٢٥ و ٨٣ و ٤/١٤ و ١٥ و ٥/٨٦، ومسلم ٢/٦٥ و٥/١٨٨.

ذكره البخاري في صحيحه[1] .

وقال صالح بن كَيْسان: حدثنا نافع أنّ عبدالله أخبره أنَّ المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مَبْنيّاً باللَّبِن، وسَقْفه الجريدُ، وعُمُدهُ خشب النَّخْل. فلم يزِدْ فيه أبو بكر شيئاً. وزاد فيه عمر، وبناه على بُنْيانه[2] في عهد رسول الله ﷺ باللَّبن والجريد، وأعاد عُمُدَه خَشَباً. وغيَّره عثمان، فزاد فيه زيادةً كبيرة، وبنى جدارَه بالحجارة المنقوشة والقَصَّة، وجعل عُمُدَه من حجارةٍ منقوشةٍ، وسَقَفَهُ بالسَّاج. أخرجه البُخاري[3] .

وقال حمّاد بن سَلمة، عن أبي سِنان، عن يَعْلَى بن شدّاد، عن عُبادة، أنّ الأنصار جمعوا مالاً، فأتوا به النَّبيَّ ﷺ فقالوا: ابْنِ بهذا المسجدَ وزيِّنْهُ، إلى متى نُصلّي تحت هذَا الجريد؟ فقال: ما بي رغبةٌ عن أخي موسى، عريشٌ كَعَريشِ موسى.

ورُوي عن الحَسَن البَصْريِّ في قوله: «كَعَرِيش موسى»؛ قال: إذا رفع يده بلغَ العريشَ، يعني السَّقْفَ.

وقال عبدالله بن بدر، عن قَيْس بن طَلْق بن عليّ، عن أبيه قال: بنيتُ مع النّبيِّ ﷺ مسجدَ المدينة، فكان يقول: قَرِّبوا اليمَامِيَّ من الطِّين، فإنَّه من أحْسَنِكم له بِناءً.

وقال أبو سعيد الخُدْريّ: قال رسول الله ﷺ: المسجد الذي أُسِّس على التَّقْوَى مسجدي هذا. أخرجه مسلم بأطْوَل منه[4] .

---

(١) البخاري ٥/ ٧٨.

(٢) في نسخة البشتكي: «بنائه» وما أثبتناه من النسخ الأخرى والبخاري ١/ ١٢١، وانظر مسند أحمد ٢/ ١٣٠، وأبا داود (٤٥١)، وصحيح ابن خزيمة (١٣٢٤).

(٣) البخاري ١/ ١٢١.

(٤) مسلم ٤/ ١٢٦.

وقال ﷺ: صلاةٌ في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سِواهُ من المساجد إلاّ مسجد الكعبة. صحيح[١].

وقال أبو سعيد: كُنَّا نحمل لَبِنَةً لبنةً، وعَمَّار يحمل لبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْن؛ يعني في بناء المسجد، فرآه النّبيُّ ﷺ، فجعل ينفض عنه التراب ويقول: «وَيْحَ عمّارٍ، تقتُله الفئة الباغيةُ، يَدْعُوهم إلى الجنَّةِ ويدعونه إلى النَّار». أخرجه البخاريُّ[٢] دون قوله: «تقتله الفئة الباغية»، وهي زيادةٌ ثابتةُ الإسناد[٣].

ونافق طائفةٌ من الأوْس والخَزْرَج، فأظهروا الإسلامَ مُداراةً لقومهم. فَمِمَّنْ ذُكِر منهم: من أهل قُباء: الحارث بن سُوَيْد بن الصّامِت، وكان أخوه خَلَّاد رجلاً صالحاً، وأخوه الجُلاَس، دونَ خَلَّادٍ في الصَّلاح.

ومن المنافقين: نَبْتَل بن الحارث، وبِجَاد[٤] بن عثمان، وأبو حَبِيبة ابن الأزْعَر أحدُ مَنْ بَنَى مسجدَ الضِّرار، وجَارِية بن عامر، وابناه: زيدٌ ومُجَمِّع ـ وقيل: لم يصحَّ عن مجمّع النِّفاق، وإنّما ذُكِر فيهم لأنّ قومه جعلوه إمامَ مسجد الضِّرار ـ وعَبّاد بن حُنَيْف، وأخواه سهلٌ وعثمان من فُضَلاء الصَّحابة.

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في الصحيحين: البخاري ٢/ ٧٦، ومسلم ٤/ ١٢٤، وغيرهما.

(٢) البخاري ١/ ١٢١و٤/ ٢٥.

(٣) قال المزي في ترجمة عمار من تهذيب الكمال: «وتواترت الروايات عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» روي ذلك عن عمار بن ياسر، وعثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس في آخرين». (٢١/ ٢٢٤). أما هذه الزيادة من حديث أبي سعيد فهي عند أحمد ٣/ ٢٢ و ٢٨.

(٤) قيده ابن ماكولا بالباء الموحدة وقال: وبجاد بن عثمان من بني ضبيعة بن زيد، وهو ممن بنى مسجد النفاق. الإكمال ١/ ٢٠٥.

ومنهم: بِشْرٌ، ورافعٌ، ابنا زيد، ومِرْبَع، وأوْس، ابنا قَيْظِيّ. وحاطِبُ بن أمّية، ورافع بن وَدِيعه، وزيد بن عَمْرو، وعَمْرو بن قيس؛ ثلاثتهم من بني النّجّار، والجَدّ بن قيس الخزْرَجي؛ من بني جُشَم، وعبدالله بن أُبَيّ بن سَلُول، من بني عَوْف بن الخزْرج، وكان رئيس القوم.

وممّن أظهر الإيمانَ من اليهود ونافق بعدُ: سَعْد بن حُنَيْف، وزيد ابن اللُّصَيْت، ورافع بن حَرْمَلة، ورِفاعة بن زيد بن التّابُوت، وكِنَانة بن صُورِيَا.

ومات فيها: البَرَاء بن مَعْرور السُّلَمِيُّ أحد نُقباء العَقَبَة رضي الله عنه، وهو أول من بايع النَّبيَّ ﷺ ليلةَ العَقَبَة، وكان كبيرَ الشّأن.

وتَلاحق المهاجرون الذين تأخّروا بمكة بالنَّبيِّ ﷺ، فلم يبق إلاّ محبوسٌ أو مَفْتون، ولم يبق دارٌ من دُور الأنصار إلاّ أسلم أهلُها، إلاّ أوْس الله، وهم حيٌّ من الأوس؛ فإنّهم أقاموا على شِرْكهم.

ومات فيها: الوليد بن المُغيرة المَخْزوميّ والد خالد، والعاص بن وائل السَّهْميّ والد عَمْرو بمكة على الكُفْر.

وكذلك: أبو أُحَيْحة سعيد بن العاص الأُموي تُوُفيّ بماله بالطّائف.

وفيها: أُرِيَ الأذانَ عبدُالله بن زيد، وعمرُ بن الخطاب، فشُرع الأذان على ما رأيا.

وفي شهر رمضان عقد النَّبيُّ ﷺ لواءً لحمزة بن عبد المطَّلِب يعترض عِيراً لقُرَيش. وهو أول لواءٍ عُقِد في الإسلام.

وفيها: بعث النَّبيُّ ﷺ حارثة وأبا رافعٍ إلى مكة لينقلا بناته وسَوْدة أمّ المؤمنين.

وفي ذي القِعْدة عَقَد لواءً لسعد بن أبي وقّاص، ليُغير على حيٍّ من

بني كِنانة أو بني جُهَيْنَة. ذكره الواقدي[(١)] .

وقال عبدالرحمن بن أبي الزِّناد، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد ابن رُومان، عن عُروة قال: قدِم النبيُّ ﷺ المدينة، فكان أول رايةٍ عقدها راية عُبيدة بن الحارث.

وفيها: آخى النَّبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، على المواساة والحقّ.

وقد روى أبو داود الطَّيالسي[(٢)] ، عن سليمان بن مُعاذ، عن سِماك، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس قال: آخى رسولُ الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وورَّث بعضَهم من بعض، حتى نزلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ۝٧٥﴾ [الأنفال].

والسبب في قلّة من تُوُفي في هذا العام وما بعده من السّنين، أنّ المسلمين كانوا قليلين بالنّسبة إلى مَن بعدهم، فإنّ الإسلام لم يكن إلاّ ببعض الحجاز، أو مَن هاجر إلى الحَبَشة. وفي خلافة عمر رضي الله عنه ـ بل وقبلها ـ انتشر الإسلام في الأقاليم، فبهذا يظهر لك سببُ قلَّة من تُوُفّي في صدر الإسلام، وسبب كثرة من تُوُفِّي في زمان التّابعين فَمَن بعدَهم.

وكان في هذا القُرب أبو قيس بن الأسْلَت بن جُشَم بن وائل الأوسيّ الشاعر، وكان يُعْدَل بقَيْس بن الخطيم في الشجاعة والشِّعْر، وكان يحضُّ الأوسَ على الإسلام، وكان قبل الهجرة يتألَّه ويدَّعي الحنيفية، ويحضّ قُرَيْشاً على الإسلام، فقال قصيدتَه المشهورة التي أوّلها:

أيا راكباً إمّا عَرَضتَ فبلِّغَنْ　　　مُغَلْغَلةً عنيّ لُؤَيَّ بن غالبِ

---

(١) المغازي ١/ ١١.

(٢) مسنده ٢/ ١٩.

أقيموا لنا دِيناً حنيفاً، فأنتمو لنا قادةٌ، قد يُقْتَدَى بالذَّوائبِ

روى الواقديّ[1] عن رجاله قالوا: خرج ابنُ الأسلت إلى الشام، فتعرَّضَ آلَ جفنةَ فوصلوه، وسأل الرُّهبانَ فدَعوه إلى دينهم فلم يُرِدْه، فقال له راهبٌ: أنت تريد دين الحنيفية، وهذا وراءك من حيث خرجتَ. ثم إنّه قدِم مكةَ مُعْتَمِراً، فلقي زيد بن عمرو بن نُفَيْل، فقصّ عليه أمره، فكان أبو قيس بعدُ يقول: ليس أحدٌ على دين إبراهيم إلاّ أنا وزيد. فلما قدِم رسول الله ﷺ المدينة؛ وقد أسلمت الخزْرجُ والأوْس، إلاّ ما كان من أوسِ الله فإنّها وقفت مع ابن الأسْلَت، وكان فارسَها وخطيبَها، وشهِد يومَ بُعَاث، فقيل له: يا أبا قيس، هذا صاحبُك الذي كنتَ تصِف. قال: رجلٌ قد بُعث بالحقّ. ثم جاء إلى النّبيّ ﷺ فعرض عليه شرائع الإسلام، فقال: ما أحسن هذا وأجمله، أنظرُ في أمري. وكاد أن يُسْلِم، فلقيه عبدُالله بن أُبَيّ، فأخبره بشأنه فقال: كرِهتَ والله حرَب الخزْرج. فغضب وقال: والله لا أُسلم سنةً. فمات قبل السَّنة.

فروى الواقديّ[2] عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحُصَيْن، عن أشياخه أنّهم كانوا يقولون: لقد سُمع يُوَحِّد عند الموت، والله أعلم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٨٤.

(٢) نفسه ٤/ ٣٨٥.

سنة اثنتين

غـــزوة الأبـــواء

في صَفَرِها غَزْوة الأبواء، فخرج النَّبيُّ ﷺ من المدينة غازياً، واستعمل على المدينة سعدَ بن عُبَادة حتى بلغ وَدَّان يريدُ قُرَيْشاً وبني ضمرة، فوادَع بني ضمرة بن عبدمَنَاة بن كِنانة، وعقد ذلك معه سيّدُهم مَخْشِيّ بن عَمْرو، ثم رجع إلى المدينة. ووَدَّان على أربع مراحل.

بَعْثُ حَمْزة

ثمّ في أحد الرَّبِيعَين بعث عمَّه حمزة في ثلاثين راكباً من المهاجرين إلى سِيْف البحر من ناحية العِيص، فلقي أبا جهلٍ في ثلاث مئة. وقال الزُّهري: في مئة وثلاثين راكباً. وكان مَجْدِيُّ بن عمرو الجُهنيّ وقومُه حلفاء الفريقين جميعاً، فحجز بينهم مَجْدِيّ بن عَمْرو الجُهَنيّ.

بَعْثُ عُبيدة

وبعث في هذه المدَّة عُبَيْدَةَ بن الحارث بن المطَّلب بن عبدمَناف، في ستّين راكباً أو نحوِهم من المهاجرين، فنهض حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثَنِيّة المِرَّة، فلقي بها جمعاً من قُريش، عليهم عِكْرمة بن أبي جَهْل، وقيل مِكْرز بن حفص، فلم يكن بينهم قتال. إلاّ أنّ سعد بن أبي

وقّاص كان في ذلك البَعْث، فَرَمى بسهمٍ، فكان أوّل سهمٍ رُمِيَ به في سبيل الله.

وفرّ من الكُفَّار يومئذٍ إلى المسلمين: المِقْداد بن عَمْرو البَهْرانيّ حليف بني زُهْرة، وعُتْبة بن غَزْوان المازنيّ حليف بني عبدمَناف، وكانا مسلمَيْن، ولكنّهما خرجا ليتوصَّلا بالمشركين.

غزوة بُوَاط

وخرج النَّبيُّ ﷺ في ربيع الأول غازياً، فاستعملَ على المدينة السّائبَ أخا[1] عثمان بن مَظْعون، حتى بلغ بُوَاط من ناحية رَضْوى ثم رجع ولم يلق حرباً.

غزوة العُشَيرة

وخرج غازياً في جُمادى الأولى، واستخلف على المدينة أبا سَلَمَة ابن عبدالأسد، حتى بلغ العُشَيْرة، فأقام هناك أياماً، ووادع بني مُدْلج. ثم رجع فأقام بالمدينة أياماً. والعُشَيْرة من بطن يَنْبُع.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن محمد بن خُثَيْم عن محمد بن كعب القُرَظِيّ قال: حدثني أبوك محمد بن خُثَيْم المُحَاربيّ، عن عمّار بن ياسر قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشَيْرة من بطن يَنْبُع. فلما نزلها رسولُ الله ﷺ أقام بها شهراً، فصالح

---

(١) هكذا مجودة في الأصل، والسائب بن مظعون من المهاجرين الأولين، وترجمته في الاستيعاب ٢/ ٥٧٥. وذكر ابن هشام أن الذي استعمل على المدينة هو السائب بن عثمان بن مظعون (١/ ٥٩٨).

بها بني مُدْلِج، فقال لي عليّ: هل لك يا أبا اليقظان أنْ نأتي هؤلاء؛ نفراً من بني مُدْلج يعملون في عينٍ لهم؛ ننظرْ كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعةً، ثم غَشِيَنا النَّومُ فنمنا، فَوَالله ما أهبَّنا إلاّ رسول الله ﷺ بقَدَمِه، فجلسنا، فيومئذٍ قال لعليّ: يا أبا تُراب، لِما عليه من التُّراب.

بدر الأولى

وخرج في جُمَادَى الآخرة في طلب كُرْز بن جابر الفِهْرِيّ، وكان قد أغار عَلَى سَرْح المدينة، فبلغ ﷺ وادي سَفَوان من ناحية بدر، فلم يلق حرباً، وسُمِّيت بدراً الأولى، ولم يدرِك كُرزاً.

[سريّة سعد بن أبي وقّاص]

وبعث سعد بن أبي وقّاص في ثمانيةٍ من المهاجرين، فبلغ الخُوَار، ثم رجع إلى المدينة.

[بعث عبدالله بن جَحْش]

قال عُرْوة: ثم بعث النَّبيُّ ﷺ - في رجب - عبدَالله بنَ جَحْش الأسَدِيّ، ومعه ثمانية، وكتب معه كتاباً، وأمره أن لا ينظرَ فيه حتى يسير يومين. فلمّا قرأ الكتاب وجده: إذا نظرتَ في كتابي هذا فامْضِ حتى تنزل بين نخلة والطائف، فَتَرَصَّد لنا قُرَيْشاً، وتَعَلَّم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبدالله في الكتاب قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله [ﷺ أن

أمضي][1] إلى نخلة، ونهاني أنْ أسْتكْرِه أحداً منكم. فمن كان يريد الشهادة فلينطلقْ، ومن كره الموتَ فليرجعْ، فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله. فمضى ومضى معه الثمانية، وهم: أبو حُذَيفة بن عُتبة، وعُكَّاشة بن مِحْصن، وعُتْبَة بن غَزْوان، وسعد بن أبي وقّاص، وعامر بن ربيعة، ووَاقِد بن عبدالله التَّمِيمِيّ، وسُهَيْل بن بيضاء الفِهْرِيّ، وخالد بن البُكَيْر.

فسلك بهم على الحجاز، حتى إذا كان بمَعْدِنٍ فوق الفُرْع[2] يقال له بُحْران، أضلّ سعدُ بن أبي وقّاص، وعُتْبة بن غَزْوان بعيراً لهما، فتخلّفا في طلبه. ومضى عبدالله بمن بقي حتى نزل بنَخْلَة. فمرّت بهم عِيرٌ لقُرَيشٍ تحمل زبيباً وأُدْماً، وفيها عَمْرو بن الحَضرَميّ وجماعة. فلما رآهم القوم هابوهم. فأشرف لهم عُكَّاشة؛ وكان قد حَلَق رأسه؛ فلّما رأوه أمِنوا، وقالوا: عُمّارٌ[3] لا بأس عليكم منهم.

وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر رجب، فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخُلُنَّ الحَرَم فليمتنعُنَّ منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتُلُنَّهُم في الشهر الحرام. وتردّدوا، ثم أجْمَعوا على قَتْلهم وأخْذِ تجارتهم، فرمى واقد بن عبدالله عَمْرو بن الحَضْرَميّ فقتله، واستأسروا عثمانَ بن عبدالله، والحَكَم بن كَيْسان. وأفلت نَوْفَلُ بن عبدالله.

وأقبل ابن جَحْشٍ وأصحابه بالعِير والأسيرَيْن، حتى قدِموا المدينة. وعزلوا خُمْسَ ما غنِموا للنّبيِّ ﷺ، فنزل القرآن كذلك. وأنكر النَّبيُّ ﷺ قَتل ابن الحَضْرَمِيّ، فنزلت: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة] الآية، وقَبِلَ النَّبيُّ ﷺ الفِداءَ في الأسيرَيْن. فأمّا

---

(١) ما بين المعقوفتين من نسخة (ع).
(٢) بضم الفاء وسكون الراء، وقد تُضم.
(٣) أي: أُناسٌ معتمرون.

عثمان فمات بمكة كافراً، وأمّا الحَكَم فأسلم واستُشهد ببئر مَعُونة[١].

وصُرِفت القبلة في رجب، أو قريباً منه، والله أعلم.

غزوة بدر الكبرى

من السّيرة لابن إسحاق، رواية البكّائيّ.

قال ابن إسحاق[٢]: سمع النَّبيُّ ﷺ أبا أنّ سُفيان بن حرب قد أقبل من الشام في عِيرٍ لقريش وتجارةٍ عظيمة، فيها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش، منهم: مَخْرمة بن نَوفل، وعَمْرو بن العاص. فقال النَّبيُّ ﷺ: هذه عِير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله يُنفلكُمُوها. فانتدب النّاس، فخفّ بعضُهم، وثَقُلَ بعضٌ، ظنّاً منهم أنّ النَّبيَّ ﷺ لا يلقى حرباً. واستشعر أبو سفيان فجهّز مُنْذِراً إلى قُرَيْش يستنفرهم إلى أموالهم. فأسرعوا الخروج، ولم يتخلّف من أشرافهم أحد، إلاّ أنّ أبا لهبٍ قد بعث مكانه العاص أخا أبي جهل. ولم يخرج أحدٌ من بني عَدِيّ ابن كعب. وكان أُميّة بن خَلَف شيخاً جسيماً فأجمع القُعود. فأتاه عُقْبة ابن أبي مُعَيْط - وهو في المسجد - بِمجْمَرةٍ وبخورٍ فوضعها بين يديه، وقال: أبا عليّ، استَجْمِر! فإنّما أنت من النّساء. قال: قَبَّحَك اللهُ، ثم تَجَهَّزَ وخرج معهم. وخرج النَّبيُّ ﷺ في ثامن رمضان، واستعمل على المدينة عَمْرو ابن أمّ مَكْتوم على الصّلاة. ثم ردّ أبا لُبابة من الرَّوْحاء واستعمله على المدينة. ودفع اللواءَ إلى مُصعب بن عُمَيْر. وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان؛ إحداهما مع عليّ، والأخرى مع رجلٍ أنصاريّ. وكانت راية الأنصار مع سعد بن مُعاذ.

---

(١) ابن هشام ١/ ٦٠١-٦٠٦.

(٢) ابن هشام ١/ ٦٠٦ فما بعدها.

فكان مع المسلمين سبعون بعيراً يعتقبونها، وكانوا يوم بدر ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً. وكان رسول الله ﷺ، وعليّ، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد يعتقبون بعيراً. وكان أبو بكر، وعمر، وعبدالرحمن بن عَوْف يعتقبون بعيراً. فلما قَرُب النّبيّ ﷺ من الصَّفْراء بعث اثنين يتجسسان أمرَ أبي سفيان. وأتاه الخبر بخروج نفير قُرَيش، فاستشار النّاسَ، فقالوا خيراً. وقال المِقْدَاد بن عمرو: يا رسول الله، إمْضِ لِما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فقاتلا إنَّا هاهنا قَاعِدُونَ»، ولكن اذْهب أنت وربُّك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون، فَوَالذي بَعَثَكَ بالحقّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْك الغِمَاد لجالَدْنا معك مَنْ دونه حتى تبلُغَه. فقال النَّبيُّ ﷺ له خيراً ودعا له.

وقال سعد بن مُعاذ: يا رسول الله، والله لو استعرَضْتَ بنا هذا البحر لخُضْناه معك. فسَرَّ رسولَ الله ﷺ قولُهُ، وقال: سِيروا وأبشِروا، فإنّ ربِّي قد وعدني إحدى الطّائفتين: إمّا العِير وإمّا النَّفير.

وسار حتى نزل قريباً من بدر. فلما أمسى بعث عليّاً والزُّبَيْر وسعداً في نَفَرٍ إلى بدر يلتمسون الخبر. فأصابوا راويةً لقُرَيْش فيها أسلم وأبو يَسَار من مَواليهم، فأتوا بهما النَّبيَّ ﷺ. فسألوهما فقالا: نحنُ سُقَاةُ لقُرَيش. فكره الصّحابةُ هذا الخبرَ ورجوا أن يكونوا سُقاةً للعِير. فجعلوا يضربونهما، فإذا آلمهما الضَّرب قالا: نحن من عِير أبي سُفيان. وكان النَّبيُّ ﷺ يصلِّي، فلما سلّم قال: إذا صدقا ضربتموهما، وإذا كذبا تركتموهما. ثم قال: أخبراني أين قُرَيش؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب. فسألهما: كم ينحرون كلّ يوم؟ قالا: عَشْراً من الإبل أو تسعاً: فقال: القوم ما بين التسع مئة إلى الألف.

وأما اللّذان بعثهما النَّبيُّ ﷺ يتجسّسان، فأناخا بقرب ماء بدر واستقيا في شَنِّهما، ومَجْديّ بن عَمْرو بقربهما لم يفطنا به، فسمعا

جاريتين من جواري الحيّ تقول إحداهما للأخرى: إنّما تأتي العِير غداً أو بعد غد، فأعمل لهم ثمّ أقضيك. فصرفهما مَجْدِيّ، وكان عَيْناً لأبي سُفيان. فرجعا إلى النّبيِّ ﷺ فأخبراه. ولما قرُب أبو سُفيان من بدر تقدّم وحده حتى أتى ماءَ بدر فقال لمجديّ: هل أحسست أحداً؟ فذكر له الراكبَيْن، فأتى أبو سُفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعِيرَيْهما ففتّه، فإذا فيه النَّوَى، فقال: هذه والله علائف يثْرب. فرجع سريعاً فصرف العِير عن طريقها، وأخذ طريقَ الساحل فنجى، وأرسل يخبر قريشاً أنّه قد نجا فارجِعوا. فأبى أبو جهْل، وقال: والله لا نرجِع حتى نَرِد ماءَ بدر، ونُقيم عليه ثلاثاً، فتهابُنا العربُ أبداً.

ورجع الأخْنَس بن شَرِيق الثقفي حليفُ بني زُهرة ببني زُهْرة كلّهم، وكان فيهم مُطاعاً. ثم نزلتْ قُرَيش بالعُدْوة القُصْوى من الوادي.

وسبق النَّبيُّ ﷺ إلى ماء بدر، ومنع قريشاً من السَّبَق إلى الماء مطرٌ عظيم لم يُصِب المسلمين منه إلاّ ما لَبَّد لهم الأرض. فنزل النَّبيُّ ﷺ على أدنى ماءٍ من مياه بدر إلى المدينة. فقال الحُباب بن المنذر بن عَمْرو بن الجَمُوح: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمَنْزِلٌ أنزلَكَه الله فليس لنا أن نتقدَّمه أو نتأخّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله، إنّ هذا ليس لك بمنزِل، فانهضْ بنا حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزله ونُغَوِّرَ ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماءً، فنشرب ولا يشربون. فاستحسن النَّبيُّ ﷺ ذلك من رأيه، وفعل ما أشار به، وأمر بالقُلُب فغُوّرت، وبنى حوضاً وملأه ماءً. وبُني لرسول الله ﷺ عريشٌ يكون فيه، ومشى النبي ﷺ على موضع الوقعة، فأرى أصحابَه مَصَارِعَ قُرِيش، يقول: هذا مَصْرع فلان، وهذا مَصْرع فلان. قال: فما عدا واحدٌ منهم مصرعه ذلك.

ثم بعثت قُرَيش فَحَزَرُوا المسلمين، وكان فيهم فارسان: المِقداد والزُّبير. وأراد عُتبة بن ربيعة، وحكيم بن حِزام قُريشاً على الرجوع فأبَوْا، وكان الذي صمّم على القتال أبو جهل. فارتحلوا من الغد قاصدين نحو الماء، فلما رآهم رسول الله ﷺ مُقْبلين قال: اللهم هذه قُريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخْرها تُحَادُّك وتكذِّب رسولَك، اللهم فنصْرك الذي وعدتني، اللّهمَّ أحْتِفْهم الغَدَاة. وقال ﷺ - وقد رأى عُتْبة ابن ربيعة في القوم على جملٍ أحمر - إنْ يكن في أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر، إنْ يُطيعوه يَرْشُدُوا.

وكان خُفَاف بن إيماء بن رَحَضة الغِفاريّ بعث إلى قُرَيش، حين مَرّوا به، ابناً بجزائر[1] هديّة، وقال: إنْ أحببتم أن نمدّكم بسلاحٍ ورجالٍ فَعَلْنا. فأرسلوا إليه: أنْ وصلتك رَحِمٌ، قد قضيتَ الذي ينبغي، فَلَعَمْري لئنْ كنّا إنّما نقاتل النّاسَ فما بنا ضَعْفٌ، وإنْ كنّا إنّما نقاتل الله، كما يزعُمُ محمدٌ، ما لأحدٍ بالله من طاقة.

فلمّا نزل النّاس أقبل نفرٌ من قُرَيش حتى وردوا حوْضَ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: دَعُوهم. فما شرب رجلٌ يومئذٍ إلاّ قُتل، إلاّ ما كان من حكيم بن حزام، ثم إنّه أسلم بعد ذلك، وكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نَجّاني يوم بدر.

ثم بعثتْ قُريشٌ عُمَيْر بن وهب الجُمَحي ليَحْزر المسلمين، فجال بفرسه حول العسكر، ثم رجع فقال: هم ثلاث مئة يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر لِلقَومِ كمينٌ أو مَدَد؟ وضرب في الوادي، فلم ير شيئاً. فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكني قد رأيتُ - يا معشر قريش - البلايا تحملُ المنايا، نواضحُ يثرب تحملُ

(١) جمع جزور.

الموتَ النّاقع، قومٌ ليس لهم منعة ولا ملجأ إلاّ سيوفهم، والله ما أرى أنْ يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خيرُ العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم. فلما سمع حكيم بن حِزام ذلك مشى في النّاس، فأتى عُتْبة بن رَبيعة فقال: يا أبا الوليد إنّك كبير قريش وسيّدها والمُطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر بخيرٍ إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالنّاس، وتحمل أمرَ حليفِك عمرو بن الحَضْرَميّ. قال: قد فعلتُ، أنت عليّ بذلك، إنّما هو حليفي فعَلَيّ عَقْلُه وما أصيب من ماله، فَأْتِ ابنَ الحنظليّة ـ والحنظليّة أمّ أبي جهل ـ فإنّي لا أخشى أنْ يَشْجُر أمرَ النّاس غيره. ثم قام عُتبة خطيباً فقال: يا معشر قُريش، إنّكم والله ما تصنعون بأن تَلْقَوْا محمداً وأصحابَه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه الرجل يكره النّظر إليه، قتل ابن عمّه وابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلُّوا بين محمدٍ وبين سائر العرب، فإنْ أصابوه فذاك، وإنْ كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون.

قال حكيم: فأتيتُ أبا جهلٍ فوجدته قد شدّ درعاً من جرابها فهو يهيِّؤها فقلت له: يا أبَا الحَكَم، إنّ عُتْبة قد أرسلني بكذا وكذا. فقال: انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابَه. كلاّ، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعُتبة ما قال، ولكنّه قد رأى محمداً وأصحابَه أكَلَة جَزُور، وفيهم ابنهُ قد تخوَّفكم عليه. ثم بعث إلى عامر ابن الحَضْرَمِيّ فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالنّاس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خُفْرَتَكَ ومَقْتَلَ أخيك. فقام عامر فكشف رأسه وصرخ: واعمراه، واعمراه. فحميتِ الحربُ وحَقِبَ أمرُ النّاس واستوسقوا على ما هم عليه من الشّر، وأفسد على النّاس رأيَ عُتبة الذي دعاهم إليه.

فلما بلغ عُتبةَ قولُ أبي جهل: انتفخ والله سَحْرُه، قال: سيعلم مُصَفِّرُ اسْتِهِ مَنِ انتفخ سَحْرُه. ثم التمس عُتبةُ بيضةً لرأسه، فما وجد في الجيش بيضة تَسَعُهُ من عِظَم هامته، فاعتجر على رأسه ببُرْدٍ له.

وخرج الأسود بن عبدالأسد المخزوميّ ـ وكان شرساً سيءّ الخُلُق ـ فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حَوْضهم أو لأهدِمنّه أو لأموتنَّ دُونه. وأتاه فخرج إليه حمزة بن عبدالمطَّلب رضي الله عنه، فالتقيا فضربه حمزة فقطع ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تَشْخَبُ رِجْلُهُ دماً. ثم جاء إلى الحوض حتى اقتحم فيه ليبرَّ يمينَه، واتَّبعه حمزة فقتله في الحوض.

ثم إنّ عُتْبة بن ربيعة خرج للمبارزة بين أخيه شَيْبة، وابنه الوليد بن عُتبة، ودَعوا للمبارزة، فخرج إليه عَوْف ومُعَوَّذ ابنا عَفْراء وآخرُ من الأنصار. فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عُبَيْدة ابن الحارث، ويا حمزة، ويا عليّ. فلما دَنَوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فتسمَّوا لهم. فقال: أكفاء كِرام. فبارز عُبَيْدة ـ وكان أسنّ القوم ـ عُتْبة، وبارز حمزة شَيْبة، وبارز عليّ الوليد. فأما حمزة فلم يُمْهِلِ شَيبةَ أن قتله. وأمّا عليّ فلم يمهل الوليد أنّ قتله. واختلف عُتبة وعُبيدة بينهما ضربتين: كلاهما أثبتَ[١] صاحبَه. وكرّ عليٌّ وحمزة على عُتبة فدفَّفا[٢] عليه. واحتملا عُبَيْدة إلى أصحابهما.

والصحيح كما سياتي إنما بارز حمزة عتبة، وعليٌّ شيبة، والله أعلم.

ثم تزاحف الجَمْعان. وقد أمر النَّبيُّ ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى

---

(١) أي: أصابه بجرح بحيث لا يتحرك.

(٢) أي: أجهزا عليه.

يأمرهم وقال: انْضَحُوهم عنكم بالنَّبْل. وهو ﷺ في العريش، ومعه أبو بكر، وذلك يوم الجمعة صبيحة سبْعَ عَشرة رمضان.

قال سفيان، عن قتادة: إن وقعة بدر صبيحة يوم الجمعة سابع عشر رمضان. وقال قرة بن خالد: سألت عبدالرحمن بن القاسم عن ليلة القدر، فقال: كان زيد بن ثابت يعظم سابع عشره ويقول: هي وقعة بدر. وكذلك قال إسماعيل السُّدي وغيره في تاريخ يوم بدر، وقاله عروة بن الزبير، ورواه خالد بن عبدالله الواسطي عن عمرو بن يحيى عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال: كانت صبيحة بدر سبع عشرة من رمضان؛ لكنْ روى قتيبة عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود في ليلة القدر قال: تَحرُّوها لإحدى عشرة بقين، صبيحتها يوم بدر، كذا قال ابن مسعود[1]، والمشهور ما قبله.

ثم عدَّل رسول الله ﷺ الصفوف بنفسه، ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر فقط، فجعل يناشد ربَّه ويقول: يا ربّ إنْ تَهْلِكَ هذه العصابةُ اليوم لا تُعْبد في الأرض. وأبو بكر يقول: يا نبيَّ الله، بعضَ مُناشدتك ربّك، فإنَّ الله منجزٌ لك ما وعدك. ثم خفق ﷺ، فانتبه وقال: أبشِر يا أبا بكر، أتاك النَّصْر، هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النَّقْعُ.

فرُميَ مِهْجع - مولى عمر - بسهم، فكان أوّل قتيلٍ في سبيل الله. ثم رُمي حارثة بن سُراقة النَّجّاريّ بسهمٍ وهو يشرب من الحوض، فقُتل.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى النّاس يحرّضهم على القتال، فقاتل

---

(١) لكن أخرج أبو داود (١٣٨٤) من طريق الأسود، عن ابن مسعود، أنه قال: «قال لنا رسول الله ﷺ: اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان، وليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين. ثم سكت» وهذا موافق للمشهور.

عُميْر بن الحُمام حتى قُتل، ثم قاتل عَوْف بن عَفْراء ـ وهي أمّه ـ حتى قُتل.

ثم إنّ رسول الله ﷺ رمى المشركين بحفْنةٍ من الحَصْباء وقال: شاهت الوجوه، وقال لأصحابه: شُدُّوا عليهم. فكانت الهزيمة، وقَتَلَ الله مَن قَتَل من صناديد الكُفْر: فقُتل سبعون وأُسر مثلهم.

ورجع النَّبيُّ ﷺ إلى العريش، وقام سعد بن مُعَاذ على الباب بالَّسيف في نَفَرٍ من الأنصار، يخافون على رسول الله ﷺ كَرَّةَ العدوّ.

ثم قال النَّبيُّ ﷺ لأصحابه: إنّي قد عرفت أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخْرِجوا كُرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا، فمن لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البَخْتَرِي بن هشام بن الحارث فلا يقتله، ومن لقي العبّاس فلا يقتله فإنَّه إنّما خرج مُسْتكرهاً. فقال أبو حذَيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العبّاس، والله لئن لقيته لأُلْجمَنَّه بالسيف. فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر: يا أبا حفص، أيُضْرَبُ وجْهُ عمِّ رسول الله ﷺ بالسيف؟ فقال عمر: دعني فلأَضرِبْ عُنُقَ هذا المنافق. فكان أبو حُذَيْفة يقول: ما أنا آمِنٌ من تلك الكلمةِ التي قلتُ يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً، إلاّ أنْ تُكفّرها عنّي الشهادة. فاستُشهد يوم اليمامة(١).

وكان أبو البَخْتَريّ أكَفَّ القوم عن رسول الله ﷺ، وقام في نقض الصَّحيفة، فلقيه المُجذَّر بن ذياد البَلَوي حليف الأنصار، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قد نهانا عن قَتْلِكَ. فقال: وزميلي جُنادة الليثيّ؟ فقال المجذَّر: لا والله ما أمَرَنا إلاَّ بك وحدك. فقال: لأموتنَّ أنا وهو، لا يتحدّث عنِّي نساءُ مكة أنّي تركت زميلي حِرْصاً على الحياة. فاقتتلا،

---

(١) وأخرجه ابن سعد ٤/ ١٠، والحاكم ٣/ ٢٢٣ من طريق ابن عباس.

فقتله المجذَّر. ثم أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: والذي بعثك بالحقِّ لقد جهدت عليه أنْ يستأسرَ، فآتيك به، فأبى إلا أنْ يقاتلني.

وعن عبدالرحمن بن عَوف: كان أُمَيّة بن خَلَفَ صديقاً لي بمكة، قال: فمررت به ومعي أدْراعٌ قد استلبتُها، فقال لي: هل لك فِيَّ، فأنا خيرٌ لك من الأدراع؟ قلت: نعم، ها الله إذاً. وطرحت الأدراعَ، فأخذتُ بيده ويدِ ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ. أمَا لكم حاجةٌ في اللَّبَنِ؟ يعني: مَن أسَرَني افتديتُ منه بإبلٍ كثيرةِ اللّبن. ثم جئت أمشي بهما، فقال لي أُمَّية: من الرجل المُعلم بريشة نَعَامة في صدره؟ قلت: حمزة. قال: ذاك الذي فعلَ بنا الأفاعيلَ. فَوَالله إنّي لأقودهما، إذْ رآه بلال؛ وكان يُعَذِّبُ بلالاً بمكة، فلما رآه قال: رأسُ الكُفر أميّة بن خَلَف؟ لا نجوتُ إنْ نجا. قلتُ: أي بلال، أبأسيريَّ؟ قال: لا نجوتُ إن نجا. قال: أتسمع يا ابْنَ السَّوداء ما تقولُ؟ ثم صرخ بلال بأعلى صوته: يا أنصارَ الله، رأس الكُفر أُميّة بن خَلَف، لا نجوتُ إن نجا. قال: فأحاطوا بنا، وأنا أذُبُّ عنه. فأخلف رجل السَّيف، فضرب رجل ابنه فوقع، فصاح أُمَيَّة صيحةً عظيمة، فقلت: انْجُ بنفسك، ولا نجاء، فَوَالله ما أُغني عنك شيئاً. فهبروهما بأسيافهم، فكان يقول: رحِم الله بلالاً، ذهبت أدراعي، وفجعني بأسيرَيّ(١).

وعن ابن عباس، عن رجلٍ من غِفار، قال: أقبلت أنا وابن عمٍّ لي حتى أصعدْنا في جبلٍ يُشرف بنا على بدر، ونحن مُشْركان، ننتظر الدائرة على مَن تكون، فننتهب مع مَنْ ينتهب. فبينا نحن في الجبل، إذ دَنَتْ منا سحابةٌ، فسمعتُ فيها حمحمة الخَيْل، فسمعت قائلاً يقول: أقْدِم حَيْزُوم(٢)، فأمّا ابن عمّي فانكشفَ قناعُ قلبه فمات مكانه، وأما أنا

---

(١) أصل الحديث في البخاري ٣/١٢٩ و٥/٩٦ بمعناه.

(٢) هو اسم فرس جبريل عليه السلام، وقيل: هو اسم فرس من خيل الملائكة.

فكِدت أهلك، ثم تماسكت.

رواه عبدالله بن أبي بكر بن حزْم، عمّن حدّثه، عن ابن عبّاس.

وروى الذي بعده ابن حزم عمّن حدّثه من بني ساعدة عن أبي أُسَيْد مالك بن ربيعة قال: لو كان معي بَصَري وكنت ببدر لأريتكُم الشِّعْبَ الذي خرجت منه الملائكة.

قال ابن إسحاق[1] : فحدّثني أبي، عن رجال، عن أبي داود المازني، قال: إنّي لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه بالسيف، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنّه قتله غيري.

وعن ابن عبّاس قال: لم تقاتل الملائكة إلاّ يومَ بدر.

وأمّا أبو جهل بن هشام فاحتمى في مثل الحَرَجة ـ وهو الشجر الملتفّ ـ، وبقي أصحابه يقولون: أبو الحَكَم لا يُوصَل إليه. قال مُعَاذ ابن عَمْرو بن الجَمُوح: فلمّا سمعتها جعلته من شأني، فصمدتُ نحوه، فلما أمكنني حملتُ عليه فضربته ضربة أطَنَّتْ[2] قدمه بنصف ساقه. فَوَالله ما أشبهها حين طاحت إلاّ بالنَّواة تطيح من تحت مِرْضخة النَّوى حين يُضْرَبُ بها. فضربني ابنه عكْرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلّقت بجلدةٍ من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامّةَ يومي، وإنّي لأسْحَبُها خلفي. فلما آذَتْني وضعتُ عليها قدمي، ثم تمطَّيتُ بها عليها حتى طرحتُها. قال: ثم عاش بعد ذلك إلى زمن عثمان.

ثم مرَّ بأبي جهل مُعَوَّذ بن عَفْراء، فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق، وقاتل مُعَوَّذ حتى قُتِل، وقُتِل أخوه عَوْف قبله. واسم أبيهما: الحارث بن رفاعة بن الحارث الزُّرَقي.

---

(١) ابن هشام ١/ ٦٣٣-٦٣٦.

(٢) أي: أطارتها.

ثم مرّ عبدالله بن مسعود بأبي جهل حين أمر النبيُّ ﷺ بالتماسِه، وقال فيما بلغنا: إنْ خَفِيَ عليكم في القتلى فانظروا إلى أثر جرحٍ في رُكبته، فإنّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدبةٍ لعبدالله بن جُدْعان، ونحن غلامان؛ وكنت أشفَّ[1] منه بيسير، فَدَفَعتُهُ، فوقع على رُكْبته فجُحِش[2] فيها. قال ابن مسعود: فوجدْتُه بآخر رَمَقٍ، فوضعت رِجلي على عُنُقِهِ. وقد كان ضَبَثَ[3] بي مرَّةً بمكة، فآذاني ولَكَزني. فقلتُ له: هل أخزاكَ اللهُ يا عدوَّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني، وهل فوق رجلٍ قتلتموه؟ أخبِرني لِمَنْ الدائرةُ اليوم؟ قلت: لله ولرسوله، ثم قال: لقد ارتقيتَ، يا رُوَيعي الغنم مُرتَقىً صعْباً. قال: فاحتززْتُ رأسه وجئت به رسولَ الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، هذا رأسُ عدوِّ الله أبي جهل. قال: آلله الذي لا إله غيره؟ قلت: نعم. وألقيت رأسه بين يدي النَّبيِّ ﷺ[4].

ثم أمر بالقتلى أنْ يُطْرَحُوا في قَلِيبٍ هناك. فطُرِحوا فيه إلاّ ما كان من أُميّةَ بن خلَف، فإنّه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا ليُخْرجوه فتزايل، فأقرّوه به، وألقوا عليه الترابَ فغيّبوه.

فلما أُلْقوا في القَلِيب، وقف عليهم النَّبيُّ ﷺ فقال: «يا أهل القَلِيب هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقّاً فإنّي وجدتُ ما وعَدَني ربِّي حقّاً». فقالوا: يا رسول الله أتُنادي قوماً قد جَيَّفوا؟ فقال: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، ولكن لايستطيعون أن يُجيبوا»[5].

---

(١) أشَفَّ عليه: فَاقَهُ، والشَّفَفُ: الرِّقَّةُ والنُّحولُ والخِفَّةُ.
(٢) أي: خُدش، وبقي بها أثر جرح.
(٣) كتب على هامش الأصل: «أي: قبض عليَّ».
(٤) أخرجه أحمد ١/ ٤٠٣ و٤٠٦ و٤٢٢ و٤٤٤، وأبو داود (٢٧٠٩).
(٥) ابن هشام ١/ ٦٣٨-٦٣٩. وهو من حديث أنس عند أحمد ٣/ ١٠٤ و١٨٢ و٢٦٣، وعبد بن حميد (١٢١١) و(١٤٠٥)، والنسائي ٤/ ١٠٩.

وفي رواية: فناداهم في جَوْفِ اللَّيل: يا عُتبة بن ربيعة، ويا شَيْبة بن ربيعة، ويا أُمَيَّة بن خَلَف، ويا أبا جهل بن هشام. فَعَدَّدَ مَنْ كان في القَلِيب.

زاد ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهل العِلم أنّه ﷺ قال: يا أهل القَلِيب، بئس عشيرة النّبي كنتم لنبيّكم؛ كذّبتموني وصدّقني النّاس، وأخرجتموني وآواني النّاس، وقاتلتموني ونصرني الناس.

وعن أنس: لما سُحب عُتبة بن ربيعة إلى القَلِيب نظر رسول الله ﷺ في وجه أبي حُذَيفة ابنه، فإذا هو كئيب متغيّر. فقال: لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟ قال: لا والله ما شككت في أبي ولا في مَصْرَعه، ولكنّي كنت أعرف منه رأياً وحِلْماً، فكنت أرجو أنْ يُسلم، فلما رأيتُ ما أصابه وما مات عليه أحزنني ذلك. فدعا له النَّبيُّ ﷺ وقال له خيراً.

وكان الحارث بن ربيعة بن الأسْود، وأبو قيس بن الفَاكِه بن المُغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن المُغِيرة، وعليّ بن أُمَّية بن خَلَف، والعاص بن مُنَبِّه بن الحَجَّاج قد أسلموا، فلما هاجر النبي ﷺ حبسهم آباؤهم وعشائرهم، وفتنوهم عن الدّين فافتتنوا ـ نعوذ بالله من فتنة الدّين ـ ثم ساروا مع قومهم يوم بدر، فقتلوا جميعاً. وفيهم نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴿٩٧﴾﴾ [النساء] الآية.

وعن عُبادة بن الصَّامت، قال: فينا أهلَ بدرٍ نزلت الأنفالُ حين تنازَعْنا في الغنيمة وساءت فيها أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسوله، فقسمه بين المسلمين على السَّواء[1].

ثم بعث النّبي ﷺ عَبدالله بن رَوَاحَة، وزيد بن حارثة، بشيرَين إلى

---

(١) ابن هشام ١/ ٦٤٢.

المدينة. قال أسامة: أتانا الخبر حين سوّينا على رُقيّة بنت رسول الله ﷺ قبرَها، كان رسول الله ﷺ خَلَّفَني عليها مع عثمان.

ثم قفل رسول الله ﷺ ومعه الأسارى؛ فيهم: عُقبة بن أبي مُعَيْط والنَّضْر بن الحارث. فلما خرج من مَضِيق الصَّفْراء قسم النَّفْل، فلما أتى الرَّوحاء لقِيه المسلمون يهنئونه بالفتح، فقال لهم سَلمة بن سَلامة: ما الذي تُهنِّئونا به؟ فَوَالله إنْ لقينا إلاّ عجائز صُلَّعاً كالبُدن المُعْقَلَة فنحرناها. فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: أي ابنَ أخي، أولئك الملأ. يعني الأشراف والرؤساء.

ثم قَتل النَّضرَ بن الحارث العَبْدَرِي بالصَّفْراء، وقتل بعِرق الظُّبْيَة عُقْبة بنَ أبي مُعيط، فقال عُقْبة حين أمر النبيُّ ﷺ بقتله: فَمَنْ للصِّبْيَة يا محمد؟ قال: النّار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح، وقيل: عليٌّ[1].

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن عطاء بن السّائب، عن الشَّعْبِيّ، قال: لما أمر النَّبيُّ ﷺ بقتل عُقْبة قال: أتَقْتلني يا محمد من بين قُريش؟ قال: نعم، أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجدٌ خلْف المقام فوضع رِجْله على عُنُقي وغمزها، فما رفع حتى ظننتُ أنّ عَيْنَيَّ ستندُران، وجاء مرَّةً أخرى بسَلَى شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فَغَسَلَتْه عن رأسي.

واستشهد يومَ بدر:

مِهْجع، وذو الشَّمالَيْن عُمَيْر بن عبد عمرو الخُزاعي، وعاقل بن البُكَيْر، وصَفْوان بن بَيْضاء، وعُمَيْر بن أبي وقّاص أخو سعد، وعُبَيْدة بن

(١) ابن هشام ١/ ٦٤٤-٦٤٥.

الحارث بن المطَّلب بن عبدمَناف المطَّلبيّ الذي قطع رِجلَه عُتبة، مات بعد يومين بالصَّفراء. وهؤلاء من المهاجرين.

وعُمير بن الحُمام، وابنا عَفْراء، وحارثة بن سُراقة، ويزيد بن الحارث فُسْحُم[1]، ورافع بن المُعَلّى الزُّرَقي، وسعد بن خيثمة الأوْسي، ومُبشِّر بن عبدالمنذر أخو أبي لُبابة.

فالجملة أربعة عشر رجلاً.

وقُتل عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة، وهما ابنا أربعين ومئة سنة. وكان شَيْبة أكبر بثلاث سنين.

قال ابن إسحاق[2]: وكان أوّلُ من قدِم مكّة بمصاب قريش: الحيسُمان بن عبدالله الخُزَاعي. فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عتبة، وشَيْبة، وأبو جهل، وأُميَّة، وزَمعة بن الأسود، ونُبَيْه، ومُنَبِّه، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام. فلما جعل يعدّد أشرافَ قُرَيش قال صَفْوان بن أُمَّية وهو قاعد في الحِجْر: والله إنْ يَعْقِل هذا فسلوه عنّي: فقالوا: ما فعل صَفْوان؟ قال: ها هو ذاك جالساً، قد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا.

وعن أبي رافع مولى النَّبيِّ ﷺ قال: كنت غلاماً للعبّاس وكان الإسلام قد دَخَلنا أهلَ البيت، فأسلم العبّاس وأسلمتُ، وكان العبّاس يهاب قومه ويكره الخلاف ويكتم إسلامَهُ، وكان ذا مالٍ كثير متفرِّق في قومه. وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فلما جاءه الخبر بمُصَاب قُريش كَبَتَهُ الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوَّة وعِزَّةً، وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أنْحَتُ الأقداح[3] في حُجْرة زَمْزَم، فإنّي لَجَالسٌ أنْحَت

---

(١) فسحم: اسم أمه.

(٢) ابن هشام ١/ ٦٤٦.

(٣) كتب المؤلف عل الهامش: «خ السهام» أي: في نسخة أخرى: السهام.

أقداحي، وعندي أمّ الفضل، وقد سَرَّنا الخَبَرُ، إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رِجْليه بشرٍّ، حتى جلس على طُنُب[١] الحُجْرة، فكان ظهره إلى ظهري. فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب قد قدِم. فقال أبو لهب: إليّ، فعندك الخبر. قال: فجلس إليه، والناس قيامٌ عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبِرني كيف كان أمرُ النّاس؟ قال: والله ما هو إلاّ أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسرونا، وايْم الله ما لُمْتُ النّاسَ، لَقِينَا رجالٌ بيضٌ على خَيْلٍ بُلْق[٢] بين السماء والأرض، ، والله ما تُليق[٣] شيئاً ولا يقومُ لها شيءٌ.

قال أبو رافع: فرفعت طُنُب الحُجْرة بيدي، ثم قلتُ: تلك والله الملائكةُ. فرفع أبو لهبٍ يده فضرب وجهي ضربةً شديدة. قال: وثاوَرْتُهُ، فحملني وضربَ بي الأرضَ، ثم برك عَلَيَّ يضربني، وكنتُ رجلاً ضعيفاً. فقامت أمّ الفضْل إلى عمود من عُمُد الحُجْرة، فأخذته فضربته به ضربةً، فَلَقَتْ في رأسِه شجَّةً مُنْكَرَة، وقالت: استضْعَفْتَهُ أنْ غاب عنه سَيِّدُهُ؟ فقام مُوَلِّياً ذليلاً، فواللهِ ما عاش إلاّ سبعَ ليالٍ، حتى رماه الله بالعَدَسة[٤] فقتلته. وكانت قريش تَتَّقي هذه العدسة كما يُتَّقى الطّاعون، حتى قال رجل من قريش لابنَيْهِ: وَيْحكما؟ ألا تستحيانِ أنّ أباكما قد أنْتَنَ في بيتِهِ ألا تدفنانه؟ فقالا: نخشى عَدْوى هذه القُرْحَة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما فَوَالله ما غسَّلوه إلاّ قَذْفاً بالماء عليه من بعيد. ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدارٍ، ثم رضموا عليه

---

(١) الطنب: حبل الخباء والسرادق، ويقال: الوتد.

(٢) ما اجتمع فيها البياض والسواد.

(٣) أي: ما تمسك.

(٤) قرحة قاتلة كالطاعون، وقد عَدَس الرجل: إذا أصابه ذلك.

الحجارة[1].

رواه محمد بن إسحاق من طريق يونس بن بُكَيْر عنه بمعناه. قال: حدّثني الحسين بن عبدالله بن عُبَيْدالله بن عبّاس، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: حدثني أبو رافع مولى النّبيِّ ﷺ.

وروى عبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، عن أبيه، قال: ناحت قريش على قتلاها ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابَه فيَشْمتوا بكم.

وكان الأسود بن المُطَّلب قد أُصيب له ثلاثة من ولده: زَمْعَة، وعَقيل، والحارث. فكان يحبُّ أنْ يبكي عليهم[2].

قال ابن إسحاق[3]: ثم بعثت قُريش في فِداء الأسارى، فقدِم مِكْرَز بن حفص في فداء سُهَيْل بن عَمْرو، فقال عمر: دعني يا رسول الله أنزع ثَنِيَّتَيْ سُهَيْل يدلع لسانه فلا يقوم عليكَ خطيباً في مَوْطِن أبداً، فقال: لا أمثِّلُ به فيمثِّلَ اللهُ بي، وعسى أنْ يقومَ مقاماً لا تذمَّه. فقام في أهل مكة بعد وفاة النّبيِّ ﷺ بنحوٍ من خُطْبة أبي بكر الصديق، وحَسُن إسلامه.

وانسلَّ المطَّلب بن أبي وَدَاعة، فَفَدَى أباه بأربعة آلاف دِرْهم، وانطلق به.

وبعثت زينب بنتُ رسول الله ﷺ في فِداء زوجها أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، بمالٍ، وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت خديجة

---

(١) ابن هشام ١/ ٦٤٦-٦٤٧، وانظر الروض الأنف ٣/ ٦٧.

(٢) كتب على هامش الأصل: «هذه الحكاية رواها ابن إسحاق عن يحيى بن عباد ابن عبدالله عن أبيه عن عائشة أخصر مما هنا». وانظر ابن هشام ١/ ٦٤٧-٦٤٨.

(٣) ابن هشام ١/ ٦٤٩.

أدخلتها بها على أبي العاص. فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها، وقال: إنْ رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها[1] . قالوا: نعم، يا رسول الله. وأطلقوه.

فأخذ عليه النَّبيُّ ﷺ أن يُخلِّي سبيلَ زينب، وكانت من المستَضْعَفِين من النّساء، واستكتمه النّبيّ ﷺ ذلك، وبعث زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال: كونا ببطْن يَأْجَج حتى تمرّ بكما زينب فتصحبانها حتى تأتياني بها. وذلك بعد بدرٍ بشهر[2] .

فلمّا قدِم أبو العاص مكّة أمَرَها باللُّحوقِ بأبيها، فتجهَّزت. فَقَدَّمَ أخو زوجها كِنانة بن الربيع بعيراً، فركبته وأخذ قوسه وكِنانته، ثم خرج بها نهاراً يقودها. فتحدّث بذلك رجالٌ، فخرجوا في طلبها، فبرك كنانة ونثر كنانته لمّا أدركوها لذي طُوى، فروَّعَها هبَّارُ بن الأسود بالرُّمْح. فقال كِنانة: والله لا يدنو منّي رجل إلاّ وضعت فيه سهماً. فتكركر النّاسُ عنه. وأتى أبو سفيان في جلَّةٍ من قريش، فقال: أيّها الرجل كُفَّ عنّا نَبْلكَ حتى نُكلِّمكَ. فكفَّ، فوقف عليه أبو سفيان فقال: إنّك لم تُصِبْ، خرجتَ بالمرأةِ على رؤوسِ النّاسِ علانية، وقد عرفتَ مُصيبتنا وَنَكْبَتَنَا وما دخل علينا من محمد، فيظن النّاسُ إذا خرجتَ بابنته إليه علانيةً أنَّ ذلك على ذُلٍّ أصابنا، وأنَّ ذلك منّا وهنٌ وضعف، ولَعَمْري ما بنا بحَبْسها عن أبيها من حاجةٍ، ولكن ارجع بالمرأة، حتّى إذا هدأتِ الأصواتُ، وتحدّث النّاسُ أنَّا رَدَدْناها، فَسُلَّها سِرًّا وألْحِقْها بأبيها. قال: ففعل، ثم خرج بها ليلاً، بعد ليالٍ، فسلَّمها إلى زيد وصاحبه، فقدِما بها على النّبيِّ ﷺ فأقامت عنده[3] .

(١) أي: مالها.

(٢) ابن هشام ١/ ٦٥٣.

(٣) ابن هشام ٢/ ٦٥٤-٦٥٥.

فلما كان قبل الفتح، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بماله، وبمالٍ كثير لقُرَيش، فلما رجع لقِيَتْه سرِيّة فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فقدِموا بما أصابوا. وأقبل أبو العاص في الليل، حتى دخل على زينب، فاستجار بها فأجارته، وجاء في طلب ماله. فلما خرج ﷺ إلى الصُّبْحِ وكَبَّرَ وكبَّر الناس معه، صرخت زينب من صُفَّة النّساء: أيّها النّاس إنّي قد أجَرْتُ أبا العاص بن الربيع.

وبعث النَّبيُّ ﷺ إلى السّرِيّة الذين أصابوا ماله فقال: «إنَّ هذا الرجل منّا حيثُ قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإنْ تُحسِنوا وتردّوا عليه الذي له، فإنَّا نُحبُّ ذلك، وإنْ أبيتم فهو فَيْءُ الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقُّ به». قالوا: بل نردُّه، فردّوه كلَّه. ثم ذهب به إلى مكة، فأدّى إلى كلّ ذي مالٍ مالَه. ثم قال: يا مَعْشَر قُريش، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفيّاً كريماً. قال: فإنّي أشهد أنّ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلاّ تخوّف أن تظنُّوا أنّي إنّما أردت أكْلَ أموالكم.

ثم قدِم على رسولِ الله ﷺ، فعن ابن عبّاس قال: ردَّ عليه النّبيُّ ﷺ زينبَ على النّكاحِ الأول، لم يُحْدِثْ شيئاً[1].

ومن الأسارى: الوليد بن الوليد بن المُغِيرة المخزوميّ، أسره عبدالله بن جَحْش، وقيل: سَلِيط المازِني.

وقدِم في فدائه أخواه: خالد بن الوليد، وهشام بن الوليد، فافتكّاه بأربعة آلاف دِرْهم، وذهبا به.

فلما افتُدي أسلم، فقيل له في ذلك فقال: كرِهتُ أنْ يَظنُّوا بي أنيِّ

(١) ابن هشام ١/٦٥٧-٦٥٨.

جزِعْتُ من الأسر، فحبسوه بمكة، وكان رسول الله ﷺ يدعو له في القُنُوت، ثم هرب ولحِق برسول الله ﷺ بعد الحُدَيْبية، وتُوُفِّي قديماً؛ لعلّ في حياة النّبيّ ﷺ؛ فَبَكَتْه أمّ سَلَمة، وهي بنت عمّه:

يـا عيـن فـابكـي للـوليـ ـدِ بن الـوليـدِ بـن المغيـرهْ
قـد كـان غَيْثـاً فـي السنيـ ـن ورحمـةً فينـا ومِيـرَه
ضَخْـم الـدَّسيعـة مـاجِـداً يسمـو إلـى طلـب الـوَتيـره
مثـل الـوليـد بـن الـوليـد أبي الوليد كَفَى العَشيره[1]

ومن الأسرى: أبو عَزَّة عَمْرو بن عبدالله الجُمَحِيّ. كان محتاجاً ذا بناتٍ، قال للنّبيِّ ﷺ: قد عرفتَ أنّي لا مالَ لي، وأنّي ذو حاجةٍ وعِيالٍ، فامنُن عَلَيَّ. فَمَنَّ عليه، وشرط عليه أن لا يُظاهر عليه أحداً[2].

وقال عُروة بن الزُّبير: جلس عُمَيْر بن وهب الجُمَحِي مع صَفْوان بن أُميَّة، بعد مُصاب أهل بدر بيسير، في الحِجْر، وكان عُمَيْر من شياطين قريش، وممّن يُؤذي المسلمين، وكان ابنه وُهَيب في الأسرى، فذكر أصحابَ القَلِيب ومُصابهم، فقال صَفْوان: والله إنّ في العيش بعدهم لخير، فقال عُمَيْر: صدقت، والله لولا دَيْنٌ عَلَيَّ ليس عندي له قضاءٌ، وعيال أخشَى عليهم، لركبت إلى محمدٍ حتى أقتُلَه، فإنّ لي فيهم عِلَّة؛ ابني أسيرٌ في أيديهم. فاغتنَمَها صَفْوان فقال: عَلَيَّ دَيْنُك وعيالُك. قال: فاكتمْ عَلَيَّ. ثم شحذ سيفه وسمّه، ومضى إلى المدينة.

فبينا عمر في نفرٍ من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، إذ نظر عُمر إلى عُمَيْر حين أناخ على باب المسجد متوشّحاً بالسّيف. فقال: هذا الكلب عدوّ الله عُمَيْر، قال: وهو الذي حَزَرَنا يوم بدر. ثم دخل على

---

(١) الميرة: الطعام، والدسيعة: العَطيّةُ الجزيلة، والوتيرة: الثأر.
(٢) ابن هشام ١/ ٦٦٠.

النبيِّ ﷺ فقال: هذا عُمَيْر. قال: أدخِلْه عليّ. فأقبل عمر حتى أخذ بحمّالة سيفه في عُنُقه، فلَبَّبه به[1]، وقال لرجال ممّن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله فاجلِسُوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيثَ. ثم دخل به فقال عليه السلام: أرْسِلْه يا عمر، ادْنُ يا عُمَيْر. فدنا، ثم قال: أنْعِموا صباحاً، قال: فما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم. قال: فما بال السيف في عُنُقِكَ؟ قال: قَبَّحها الله من سيوفٍ، وهل أغنَتْ شيئاً؟ قال: اصْدقْني ما الذي جئتَ له؟ قال: ما جئت إلاّ لذلك. قال: بلى، قعدتَ أنت وصَفْوان في الحِجْر، وقَصَّ له ما قالا. فقال: أشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وأنّك رسوله، قد كنّا يا رسول الله نكذِّبك بما تأتينا به من خبر السّماء، وهذا أمرٌ لم يحضُرْه إلاّ أنا وصَفْوان فوَالله لأعلم ما أتاك به إلاّ الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام. فقال النَّبيُّ ﷺ: فَقِّهوا أخاكم في دِينه، وأقْرئوه القرآن وأطلقوا له أسيرَه. ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله إنّي كنتُ جاهداً على إطفاءِ نورِ الله، شديد الأذى لمن كان على دينِ الله، وأنا أحبُّ أنْ تأذَنَ لي فأقدم مكةَ فأدعوهم إلى اللهِ ورسولِه، لعلَّ الله أنْ يهديهم، وإلاّ آذيتهم في دينهم. فأذِنَ له ولحِقَ بمكة. وكان صفوان يَعِدُ قُريشاً يقول: أبشِروا بوقعةٍ تأتيكم الآن تُنْسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتىقدِم راكباً فأخبره عن إسلامه، فحلف لا يكلِّمه أبداً ولا ينفعه بشيء أبداً. ثم أقام يدعو إلى الإسلام، ويؤذي المشركين، فأسلم على يديه ناسٌ كثير[2].

(١) أي: جمع ثوبه عند نحره وقبضه إليه.
(٢) ابن هشام ١/ ٦٦١-٦٦٣.

بقيّة أحاديث غزوة بدر

وهي كالشَّرْحِ لِما قدّمناه، منها:

قال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عَمْرو بن ميمون، عن عبدالله ابن مسعود، قال: انطلق سعدُ بن مُعاذ معتمراً: فنزل على أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ ـ وكان أميَّة ينزل عليه إذا سافر إلى الشام ـ فقال لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل النّاسُ فَطُفْ. قال: فبينما هو يطوف إذ أتاه أبو جَهْل فقال: من أنتَ. قال: سعد. قال: أتطوفُ آمناً وقد آويتم محمَّداً وأصحابه، وتلاحَيَا. فقال أُميّة لسعد: لا ترفع صوتكَ على أبي الحَكَم فإنّه سيّدُ أهلِ الوادي. فقال: واللهِ لئن منعتني أنْ أطوفَ بالبيتِ لأقطعنَّ عليكَ متْجرَكَ بالشّام. وجعل أُميّة يقول: لا ترفع صوتكَ. فغضب وقال: دعنا منكم، فإنّي سمعتُ محمداً ﷺ يزعم أنه قاتِلُكَ، قال: إيَّايَ؟ قال: نعم. قال: واللهِ ما يكذبُ محمد. فكاد أن يُحْدِث، فرجع فقال لامرأته: أتعلمين ما قال أخي اليَثْربيُّ؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنَّ محمداً يزعم أنّه قاتِلي. قالت: فواللهِ ما يكذبُ. فلما خرجوا لبدْرٍ وجاء الصَّريخُ قالت له امرأته: أما علِمْتَ ما قال اليَثْرِبيُّ. قال: فإنّي إذنْ لا أخرج. فقال له أبو جَهْلٍ: إنّكَ من أشرافِ أهلِ الوادي فسِرْ معنا يوماً أو يومين. فسار معهم، فَقُتِل. أخرجه البخاري[1].

وأخرجه أيضاً من حديث إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق السَّبِيعي، عن أبيه، عن جدّه، وفيه: فلما استنفر أبو جهل النّاس وقال:

---

(١) البخاري ٤/ ٢٤٩-٢٥٠.

أدرِكوا عِيرَكم، كَرِه أُميَّةُ أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صَفْوان إنّك متى يراك النّاس تخلَّفتَ ـ وأنت سيّد أهل الوادي ـ تخلّفوا معكَ. فلم يزل به حتى قال: إذْ غلبتني فوَالله لأشترينَّ أجْوَدَ بعيرٍ بمكة. ثم قال: يا أمّ صَفْوان جهِّزيني فما أريد أن أجوز معهم إلاّ قريباً. فلما خرج أخذ لا ينزل منزلاً إلاّ عَقَلَ بعيره، فلم يزل بذاك حتى قتله الله ببدر. البخاري[1].

وذكر الزُّهْري قال: إنّما خرج رسول الله ﷺ بمن خرج من أصحابه يريدون عِير قُرَيش التي قدِم بها أبو سُفْيان من الشام، حتى جمع الله بين الفئتين من غير ميعاد. قال الله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ (٤٢) ﴾ [الأنفال].

رُؤْيا عاتكة

قال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق، حدّثني حسين بن عبدالله بن عُبَيْدالله بن عبّاس، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس.

(ح) قال ابن إسحاق[2]: وحدّثني يزيد بن رُومان، عن عُرْوَة، قالا:

رأت عاتكةُ بنت عبدالمطَّلب فيما يرى النّائمُ قبل مَقْدِم ضمضم بن عَمْرو الغِفاريّ على قُرَيش مكة بثلاث ليالٍ، رؤيا، فأصبحت عاتكةُ فأعظَمَتْها، فبعثت إلى أخيها العبّاس فقالت له: يا أخي لقد رأيت الليلةَ

---

(١) البخاري ٥/ ٩١-٩٢.

(٢) ابن هشام ١/ ٦٠٧.

رؤيا لَيَدْخُلَنّ منها على قومك شرٌّ وبلاء. فقال: وما هي؟ قالت: رأيت فيما يرى النّائم أنّ رجلاً أقبل على بعيرٍ له فوقف بالأبطح فقال: انفروا يا آل غُدَر[1] لمَصَارِعكم في ثلاثٍ، فاجتمعوا إليه، ثم أرى بعيرَه دخل به المسجد واجتمع النَّاسُ إليه. ثم مَثَلَ به بعيرُهُ فإذا هو على رأس الكعبة، فقال: انفِروا يا آل غُدَرٍ لمَصَارِعكم في ثلاث. ثم أرى بعيرَه مَثَلَ به على رأس أبي قبيس، فقال: انفروا يا آل غُدَرٍ لمَصَارِعكم في ثلاث. ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل فأقبلتْ تهوي، حتى إذا كانت في أسفله ارْفضَّتْ[2] فما بقيت دارٌ من دُور قومِكَ ولا بيتٌ إلاّ دخل فيه بعضُها.

فقال العبّاس: والله إنّ هذه لرؤْيا، فاكتُميها. فقالت: وأنتَ فاكتمها، لئن بَلَغَتْ هذه قريشاً لَيُؤْذُنَّنَا. فخرج العبّاس من عندها، فلقي الوليدَ بن عُتْبة ـ وكان له صديقاً ـ فذكرها له واستكتمه، فذكرها الوليد لأبيه، فتحدّث بها، ففشا الحديث، فقال العبّاس: والله إنّي لَغَادٍ إلى الكعبة لأطوفَ بها، فإذا أبو جهلٍ في نفرٍ يتحدّثون عن رؤيا عاتكة، فقال أبو جهل: يا أبا الفضل تعال. فجلست إليه فقال: متى حَدَثَتْ هذه النبيّةُ فيكم؟ ما رضيتم يا بني عبدالمطّلب أنْ يُنَبَّأَ رجالُكم حتى تَنَبَّأَ نساؤكم، سنتربّص بكم هذه الثلاث التي ذكرت عاتكة، فإنْ كان حقّاً فسيكون، وإلاّ كتبنا عليكم كتاباً أنّكم أكذبُ أهلِ بيتٍ في العرَب.

قال: فوالله ما كان إليه مني من كبير، إلاّ أنّي أنكرتُ ما قالت، وقلت: ما رأتْ شيئاً ولا سمعتُ بهذا، فلمّا أمسيتُ لم تبق امرأةٌ من بني عبدالمطّلب إلاّ أتتني فقُلْن: صبرتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في

---

(١) جَوّد البشتكي فتح الدال من «غدر»، وانظر بعد تعليق السُّهيلي في «الروض الأنف».
(٢) أي: تَفرَّقت.

رجالكم، ثم قد تناول النّساءَ وأنت تسمع، فلم يكن عندك في ذلك غِيَر. فقلت: قد والله صَدَقْتُنَّ وما كان عندي في ذلك من غِيَر إلاّ أنّي أنكرتُ، ولا تَعْرضُنَّ[1] له، فإنْ عاد لأكفينَّه[2].

فغدوتُ في اليوم الثالث أتعرَّض له ليقول شيئاً فأشاتمه، فَوَالله إنّي لَمُقْبِلٌ نحوه، وكان رجلاً حديد الوجه، حديد النَّظر، حديد اللِّسان، إذْ ولّى نحو باب المسجد يشتد، فقلت في نفسي: اللَّهُمَّ الْعَنْه، كل هذا فَرَقاً أن أُشاتمه. وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عَمْرو، وهو واقفٌ بعيرَه بالأبطح؛ قد حَوَّل رَحْلَه وشقَّ قميصه وجَدَّع بعيره؛ يقول: يا معشر قريش، اللَّطِيمَةَ[3] اللَّطيمة! أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد، فالغَوْثَ الغَوْثَ! فشغله ذلك عنّي، وشغلني عنه، فلم يكن إلاَّ الجهاز حتى خرجنا، فأصاب قريشاً ما أصابها يوم بدر، فقالت عاتكة:

ألم تكن الرؤيا بحقٍّ وجاءكم بتصديقها فَلٌّ[4] من القوم هاربُ
فقلتم ولم أكذِب: كذبتِ وإنّما يكذِّبنا بالصِّدْق مَنْ هو كاذبُ

وقال أبو إسحاق: سمعت البَرَاء يقول: استُصْغِرْتُ أنا وابن عمر يوم بدر. وكنّا ـ أصحابَ محمّدٍ ـ نتحدّث أنَّ عدَّة أهلِ بدرٍ ثلاث مئة وبِضْعةَ عشرَ، كعِدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النّهر، وما جازه إلاّ مؤمن. أخرجه البُخاري[5].

وقال: سمعت البراء يقول: كان المهاجرون يوم بدر نيِّفاً وثمانين.

---

(١) جَوّدها البشتكي عن المؤلف، وفي ابن هشام: لأتعرَّضن.
(٢) في ابن هشام: لأكفيَّكُنّه، وما هنا مجود في النسخ.
(٣) أي: الإبل التي تحمل البزَّ والطِّيب.
(٤) أي: القوم المنهزمون.
(٥) البخاري ٥/٩٣-٩٤.

أخرجه البخاري[1] .

وقال ابن لَهِيعة: حدثني يزيد بن أبي حبيب، حدّثني أسلم أبو عِمْران أنّه سمع أبا أيّوب الأنصاريّ يقول: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: هل لكم أنْ نخرج فنلقَى العِيرَ لعلّ الله يغنِّمنا؟ قلنا: نعم. فخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين أمرنا أن نَتعادَّ، ففعلنا، فإذا نحن ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرناه بعِدَّتنا، فسُرَّ بذلك وحمد الله، وقال: عدّة أصحاب طالوت.

وقال ابن وَهْب: حدثني حُييّ بن عبدالله، عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي، عن عبدالله بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ خرج يوم بدر بثلاث مئة وخمسة عشر من المُقاتِلَة كما خرج طالوت فدعا لهم رسول الله ﷺ حين خرج فقال: اللّهُمَّ إنّهم حُفَاةٌ فاحملهم، اللّهُمَّ إنّهم عُراةٌ فاكسُهم، اللّهُمّ إنّهم جِياع فأشبِعْهم. ففتح الله لهم، فانقلبوا وما منهم رجل إلاّ وقد رجع بجَمَلٍ أو جَمَلَيْن، واكتسوا وشبعوا.

وقال أبو إسحاق عن البَرَاء، قال: لم يكن يوم بدر فارس غير المِقْداد.

وقال أبو إسحاق، عن حارثة بن مُضَرِّب: إنَّ علياً قال: لقد رأيتنا ليلةَ بدرٍ وما منّا أحدٌ إلاّ وهو نائم إلاّ رسول الله ﷺ، فإنّه يصلّي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح، ولقد رأيتنا وما منّا أحد فارس يومئذ إلا المِقْداد. رواه شُعْبة عنه.

ومن وجهٍ آخر عن عليٍّ، قال: ما كان معنا إلاّ فَرَسَان. فرسٌ للزُبَيْر وفرس للمِقْداد بن الأسود.

---

(١) البخاري ٥/ ٩٣، وفيها: «نيفاً على ستين».

وعن إسماعيل بن أبي خالد، عن البهيّ، قال: كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان، الزُبَيْر على المَيْمَنَة، والمِقْداد على المَيْسَرة.

وقال عُرْوَة: كان على الزُبَيْر يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيما الزُّبَيْر.

وقال حَمَّاد بن سَلَمَة، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبدالله، قال: كنّا يوم بدر نَتعاقبُ ثلاثة على بعير، فكان عليٌّ وأبو لُبَابة زميلَيْ رسولِ الله ﷺ. فكان إذا حانت عُقْبَةُ رسول الله ﷺ يقولان له: اركب حتى نمشي. فيقول: إنّي لستُ بأغنى عن الأجرِ منكما، ولا أنتما بأقوى على المَشْي منِّي.

المشهور عند أهل المغازي: مرثد بن أبي مرثد الغَنَوي بدل أبي لُبَابة، فإنّ أبا لُبَابة ردَّهُ النَّبيُّ ﷺ واستخلفه على المدينة.

وقال مَعْمَر: سمعت الزُّهْرِيَّ يقول: لم يشهد بدراً إلاّ قُرَشِيٌّ أو أنصاريٌّ أو حليفٌ لهما.

وعن الحَسَنَ، قال: كان فيهم اثنا عشر من الموالي.

وقال عَمْرو العَنْقَزيّ: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة ابن مضرِّب، عن عليّ عنه قال: أخذْنا رجُلَين يوم بدر، أحدهما عربيٌّ والآخر مَوْلى، فأفْلَتَ العربيُّ وأخذْنا المولى؛ مولى لعُقْبة بن أبي مُعَيْط؛ فقلنا: كم هم؟ قال: كثيرٌ عَدَدُهُم شديدٌ بأسُهم، فجعلنا نضربه، حتى انتهينا به إلى رسول الله ﷺ، فأبى أنْ يُخبره، فقال رسول الله ﷺ: كم ينحرون من الجزُر؟ فقال: في كلِّ يومٍ عَشْراً. فقال رسول الله ﷺ: القوم ألْف، لكلّ جَزُور مئة.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[1] : حدثنا عبدالله بن أبي بكر، أن

(١) ابن هشام ١/ ٦٢٠-٦٢١.

سعد بن مُعَاذ قال لرسول الله ﷺ: ألا نبني لك عَرِيشاً، فتكون فيه، ونُنِيخ لك ركائبك ونَلْقَى عدوَّنا، فإنْ أظْهَرَنا الله عليهم فذاك، وإنْ تكنِ الأخرى فتجلس على ركائبك وتَلْحق بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلَّف عنك أقوامٌ ما نحن بأشدّ لك حُبّاً منهم، ولو عَلِمُوا أنّك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك، ويُوَادُّونك وينصرونك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له. فبُني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه وأبو بكر ما معهما غيرهما.

وقال البخاري[1] : حدثنا أبو نُعَيْم، قال: حدثنا إسرائيل، عن مُخارق، عن طارق بن شهاب، سمع ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد مشهداً لأنْ أكونَ صاحَبه كانَ أحبّ إليَّ ممّا عُدِل به: أتى النّبيَّ ﷺ، وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقولُ لك كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة]، ولكنْ نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك، قال: فرأيت رسولَ الله ﷺ أشرق لذلك، وسَرَّهُ.

وقال مسلم[2] وأبو داود[3] : حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت، عن أَنَس أنّ رسول الله ﷺ ندب أصحابه فانطلق إلى بدر، فإذا هم بروايا قُرَيش، فيها عبد أسود لبني الحَجّاج، فأخذه أصحاب النّبيِّ ﷺ فجعلوا يسألونه: أين أبو سفيان؟ فيقول: والله ما لي بشيءٍ من أمره عِلْم، ولكنْ هذه قُرَيش قد جاءت، فيهم أبو جَهْل، وعُتْبة، وشَيْبة ابنا ربيعة، وأُمَيَّة ابن خَلَف. قال: فإذا قال لهم ذلك ضربوه، فيقول: دَعُوني دَعُوني

(١) البخاري ٥/ ٩٣.
(٢) مسلم ٥/ ١٧٠ و٨/ ١٦٣.
(٣) أبو داود (٢٦٨١). وانظر المسند الجامع، حديث (١٢٦٢).

أخبركم. فإذا تركوه قال كقوله سَوَاء، والنَّبيُّ ﷺ يصلّي وهو يسمع ذلك. فلما انصرف، قال: والذي نفسي بيده إنّكم لَتَضْربونه إذا صَدَقَكُم وتَدَعُونَه إذا كَذَبَكم، هذه قريش قد أقبلت لتمنع أبا سفيان.

قال أنَس: وقال رسول الله ﷺ: هذا مصرع فُلانٍ غداً؛ ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلانٍ ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلانٍ، ووضع يده على الأرض.

قال: والذي نفسي بيده ما جاوز أحدٌ منهم عن موضع يده ﷺ. قال: فأمر بهم رسول الله ﷺ، فأُخِذ بأرجُلهم، فسُحِبوا فأُلْقوا في قلِيب بدر. صحيح.

وقال حمّاد أيضاً، عن ثابت، عن أنَس؛ أنّ رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبالُ أبي سفيان، فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عُبادة ـ كذا قال، والمعروف ابن مُعاذ ـ فقال: إيّانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمَرْتَنَا أنْ نُخيضهَا البحرَ لأخَضْناها، ولو أمرْتَنا أنْ نضرب أكبادَها إلى بَرْك الغِماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله ﷺ النّاسَ، فانطلقوا حتى نزلوا بدراً. وساق الحديث المذكور قبل هذا. أخرجه مسلم[1].

ورواه أيضاً[2] من حديث سليمان بن المُغيرة أخصر منه عن ثابت، عن أنَس: حدّثنا عمر، قال: إنّ رسول الله ﷺ لَيُخْبِرُنا عن مَصَارِع القوم بالأمس: هذا مَصْرع فلانٍ إنْ شاء الله غداً، هذا مَصْرع فلانٍ إنْ شاء الله غداً. فَوَالذي بعثه بالحقّ، ما أخطأوا تلك الحدود، وجعلوا يُصْرعون حولها، ثم أُلْقوا في القَلِيب.

---

(١) مسلم ٥/ ١٧٠ و ٨/ ١٦٣.

(٢) مسلم ٨/ ١٦٣.

وجاء النّبيُّ ﷺ فقال: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وَعَدكم ربُّكم حقّاً؟ فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقّاً. فقلت: يا رسول الله أتُكَلِّمُ أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمَعَ لما أقول منهم، ولكنّهم لايستطيعون أن يردّوا عليّ.

وقال شُعبة، عن أبي إسحاق، عن حارثة، عن عليّ، قال: ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المِقداد على فَرَسٍ أبْلَق، ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائم إلاّ رسول الله ﷺ تحت سَمُرةٍ يصلّي ويبكي، حتى أصبح.

وقال أبو عليّ عُبَيْدالله بن عبدالمجيد الحنفي: حدّثنا عُبَيْدالله بن عبدالرحمن بن مَوْهب، قال: أخبرني إسماعيل بن عَوْن[1] بن عُبَيْدالله ابن أبي رافع، عن عبدالله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ، قال: لما كان يوم بدر قاتلتُ شيئاً من قتال، ثم جئتُ لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل، فجئتُ فإذا هو ساجد يقول: يا حيُّ يا قيّوم، يا حيّ يا قيّوم؛ لا يزيد عليها. فرجعت إلى القتالِ، ثم جئتُ وهو ساجد يقول أيضاً. غريب.

وقال الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيْدة، عن عبدالله، قال: ما سمعتُ مناشداً ينشدُ حقّاً أشدَّ من مناشدةِ محمدٍ ﷺ يومَ بدر: جعلَ يقول: اللّهُمَّ أنشدك عهدَك ووعدَك، اللّهُمَّ إنْ تَهْلِك هذه العصابة لا تُعبد، ثم التفت وكأنّ شِقَّ وجهه القمر؛ فقال: كأنّما أنظر إلى مَصَارع القوم عشيةً[2].

وقال خالد، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، أنّ النّبيَّ ﷺ قال وهو في

---

(١) ويقال فيه: إسماعيل بن عون بن علي بن عبيدالله، ويقال فيه أيضاً، كما هنا، (وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٦٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (الورقة ١١٥)، وفي عمل اليوم والليلة (٦٠٦).

قُبَّته يومَ بدر: اللَّهُمَّ إنّي أنشدك عهدَك ووعدَك، اللَّهُمَّ إنْ شئتَ لم تُعبد بعد اليوم أبداً. فأخذ أبو بكر بيده فقال: حَسْبُك حَسْبُك يا رسول الله فقد ألْححت على ربّك؛ وهو في الدرع. فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر]. أخرجه البخاري[١].

وقال عِكْرِمة بن عمّار: حدّثني أبو زُمَيْل سِمَاك الحنفي، قال: حدثني ابن عبّاس، عن عمر، قال: لما كان يوم بدرٍ نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابُهُ ثلاث مئة وتسعةَ عَشَرَ رجُلاً. فاستقبل القبلةَ ثمّ مدّ يديه فجعل يهتف بربّه، مادّاً يديه مستقبلَ القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على مَنْكِبَيْه، ثم التزمه من ورائه فقال: يا نبيَّ الله كفاك مناشدتُك ربّك فإنّه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال] فأمدّه الله بالملائكة. فحدّثني ابن عبّاس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في أثر رجلٍ من المشركين أمامه، إذْ سمع ضربةً بالسَّوْط فوقه وصوتَ الفارس: أقدِمْ حَيْزوم. إذْ نظر إلى المُشْرك أمامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِياً، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِم[٢] أنفُه وشُقّ وجهُهُ كضربةِ السوط، فاخْضَرَّ ذلك أجمع. فجاء الأنصاريُّ، فحدّث ذاك رسولَ الله ﷺ فقال: صدقتَ، ذلك من مدد السماء الثالثة. فقتلوا يومئذٍ سبعين، وأسروا سبعين. أخرجه مسلم[٣].

وقال سَلامة بن رَوْح، عن عُقَيْل، حدثني ابن شِهاب قال: قال أبو

---

(١) البخاري ٦/ ١٧٩.

(٢) الخطم: الأثر على الأنف من الضربة.

(٣) مسلم ٥/ ١٥٦، وانظر المسند الجامع ١٤/ ١٨-٢٠ (١٠٦١٢).

حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال أبو أسيد السّاعديُّ بعدما ذهب بصرُه: يا ابن أخي، والله لو كنتُ أنا وأنتَ ببدرٍ، ثمّ أطلق الله لي بَصَري لأريتُكَ الشِّعْبَ الذي خَرَجَتْ علينا منه الملائكة، غير شكٍّ ولا تمار.

وقال الواقديّ[1]: حدثنا ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحُصَيْن، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس. وحدّثنا موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال: يا أبا بكر أبْشِرْ هذا جبريل مُعْتَجِرٌ بعمامةٍ صفراء آخذ بعِنانِ فَرَسِه بين السماء والأرض. فلما نزل إلى الأرض، تغيّب عنّي ساعةً ثم طلع، على ثناياه النَّقْع يقول: «أتاك نصرُ الله إذْ دَعَوْته».

وقال عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال يوم بدر: هذا جبريل آخذٌ برأس فرسِه، عليه أداة الحرب. أخرجه البخاري[2].

وقال موسى بن يعقوب الزَّمْعي: حدّثني أبو الحُوَيْرِث، قال: حدثني محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم أنّه سمع علياً رضي الله عنه، خَطَبَ النّاسَ فقال: بينما أنا أمْتَحُ[3] من قَلِيب بدْرٍ إذْ جاءت ريحٌ شديدة لم أر مثلها ثم ذَهَبَتْ، ثم جاءت ريحٌ شديدة كالتي قبلها، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفٍ من الملائكة، وكانت الثانية ميكائيل نزل في ألفٍ من الملائكة، وجاءت ريحٌ ثالثة كان فيها إسرافيل في ألفٍ. فلما هزم الله أعداءه حملني رسولُ الله ﷺ على فَرَسِه، فَجَرَتْ بي، فوقعتُ على عَقِبي، فدعوتُ الله فأمْسَكَتْ، فلما استويتُ عليها طعنتُ بيدي هذه في القوم حتى اختضب هذا، وأشار إلى إبْطِه. غريب، وموسى فيه

---

(١) المغازي ١/ ٨١.
(٢) البخاري ٥/ ١٠٣.
(٣) أي: أنزع الماء من البئر.

ضعْف.

وقوله: «حملني على فرسه» لا يُعْرَفُ إلاّ من هذا الوجه.

وقال يحيى بن بُكَيْر: حدثني محمد بن يحيى بن زكريّا الحِمْيرِي، قال: حدثنا العلاء بن كثير، قال: حدثني أبو بكر بن عبدالرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَة، قال: حدثني أبو أُمامة بن سهل، قال: قال أبي: يا بُنيّ لقد رأيتنا يوم بدرٍ وإنّ أحدَنا ليُشير بسيفه إلى رأس المُشْرِك فيقع رأسُه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف[1] .

وقال ابن إسحاق[2] : حدثني مَن لا أتّهم، عن مِقْسَم، عن ابن عبّاس، قال: كان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضاً قد أرسلوها في ظهورهم ويوم حُنَيْن عمائم حُمْراً، ولم تقاتل الملائكة في يومٍ سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً.

وجاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال]؛ ذكر الواقدي[3] ، عن إبراهيم بن أبي حبيبة؛ حدّثه عن داود بن الحُصَيْن، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: كان المَلَكُ يتصوَّر في صورة من يُعْرَفون من النّاس، يثبّتونهم، فيقول: إنّي قد دَنَوْت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا. إلى غير ذلك من القول.

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة، عن عليّ، قال: لمّا قدِمنا المدينة، أصبْنا من ثمارها فاجْتَوَيْناها وأصابنا بها وَعْك، فكان النَّبيُّ ﷺ يتخبَّر عن بدر. فلما بَلَغَنا أنّ المشركين قد أقبلوا، سار رسولُ الله ﷺ إلى بدر - وهي بئر - فسَبَقْنا المشركينَ إليها، فوجدنا فيها

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٢٨٠.

(٢) ابن هشام ١/ ٦٣٣.

(٣) المغازي ١/ ٧٩.

رَجُلَين: رجلاً من قريش ومولَى لعُقْبة بن أبي مُعَيْط. فأما القُرَشيُّ فانفلت، وأمّا مولى عُقْبة فأخذناه فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثيرٌ عددُهُم شديدٌ بأسُهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النّبيِّ ﷺ فقال له: كم القوم؟ قال: هم والله كثيرٌ عددهم شديدٌ بأسُهم، فجهد أن يُخْبِره كم هم فأبى، ثم سأله: كم ينحرون كلَّ يومٍ من الجَزُور؟ فقال: عشرة. فقال نبيُّ الله ﷺ: القوم ألْفٌ، كلُّ جَزُورٍ بمئةٍ وتَبَعِها.

ثم إنّه أصابنا من الليل طَشٌّ[1] من مطرٍ، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف[2] نستظلُّ تحتها. وبات رسول الله ﷺ يدعو ربّه ويقول: «اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض». فلما طلع الفجر نادى رسول الله ﷺ: الصلاةُ جامعة. فجاء النّاس من تحت الشجر والحَجَف والجرف[3] فصلّى بنا رسولُ الله ﷺ وحضَّ على القتالِ، ثم قال: إنّ جَمْع قُرَيْشٍ عند هذه الضِّلَع الحمراء من الجبل. فلما دنا القوم منّا وضايقناهم إذا رجل منهم يسير في القوم على جملٍ أحمر، فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ نادِ لي حمزة ـ وكان أقربهم من المشركين[4] ـ مَنْ صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟ ثم قال رسول الله ﷺ: إنْ يَكُ في القوم أحدٌ يأمر بخيرٍ فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر، فجاء حمزة فقال: هو عُتْبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال ويقول: يا قوم إنّي أرى أقواماً مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوها اليوم برأسي وقولوا جَبُن عُتْبة، وقد تعلمون أنّي لستُ

---

(١) أي: مطر خفيف.
(٢) جمع حجفة، وهي الترس من الجلد خاصة.
(٣) الجُرْف: شِقُّ الوادي إذا حفر الماء في أسفله.
(٤) بعد هذا كلمة غير واضحة في الأصل وكتب فوقها «كذا» وعلى هامش الأصل: «لعله: لأستخبره».

بأجبنكم. فسمع بذلك أبو جَهْل فقال: أنت تقولُ هذا؟ والله لو غيركَ يقولُ هذا لأعضضته. قد مُلِئَتْ جوفُك رُعْباً، فقال: إياي تعني يا مصفرٍّ اسْته؟ ستعلم اليوم أيُّنا أجْبن؟

فبرز عُتْبة وابنُه الوليد وأخوه حَمِيَّةً، فقال: مَنْ يبارز؟ فخرج من الأنصار شَبَبَةٌ، فقال عُتبة: لا نريدُ هؤلاء، ولكنْ يبارزنا من بني عمِّنا. فقال رسول الله ﷺ: قُم يا عليّ، قم يا حمزة، قم يا عبيدة بن الحارث. فقتل الله عُتْبَةَ، وشَيْبَةَ ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وجُرح عُبَيْدة. فقتلنا منهم سبعين وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصيرٌ برجلٍ من بني هاشم أسيراً فقال الرجلُ: إنَّ هذا والله ما أسَرني، ولقد أسرني رجلٌ أجلحُ من أحسنِ النّاس وجهاً على فَرَس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاريُّ: أنا أسرته يا رسولَ الله. فقال: «اسكتْ، فقد أيَّدكَ الله بمَلَكٍ كريم». قال: فأُسِر من بني عبدالمطلب: العبّاس، وعقيل، ونَوْفل بن الحارث[1].

وقال إسحاق بن منصور السَّلُولي: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيْدة، عن عبدالله، قال: لقد قَلُّوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجلٍ إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة. فأسَرْنا رجلاً فقلت: كم كنتم؟ قال: ألفاً.

وقال سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنَس، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم بدر: قوموا إلى جنَّةٍ عرضُها السّموات والأرض. قال: يقول عُمَيْر بن الحُمَام الأنصاريّ: يا رسول الله عرضُها السموات والأرض؟ فقال: نعم. قال: بَخٍ بَخٍ! قال: ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلاَّ رجاء أنْ أكون من أهلها. قال: فإنّك من أهلها.

---

(١) ابن هشام ١/ ٦٢٥، والمسند الجامع ١٣/ ٣٦٣-٣٦٥ (١٠٢٧٨).

فأخرج تُمَيْرَات من قَرَنه[1] فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حَييتُ حتى آكل تَمَراتي هذه إنّها لحياةٌ طويلة. فرمى بهنّ، ثم قاتل حتى قُتل. أخرجه مسلم[2].

وقال عبدالرحمن بن الغَسِيل، عن حمزة بن أبي أُسَيْد، عن أبيه؛ قال: قال رسول الله ﷺ حين اصْطففنا يوم بدر: إذا أكْثَبُوكم؛ يعني: إذا غَشَوْكم، فارْمُوهم بالنَّبل، واستبقوا نَبْلَكم. أخرجه البخاري[3].

وروى عمر بن عبدالله بن عُرْوة، عن عُرْوة بن الزُّبَير، قال: جعل رسولُ الله ﷺ شعارَ المهاجرين يوم بدر: يا بني عبدالرحمن، وشعارَ الخَزْرَج: يا بني عبدالله، وشعار الأوس: يا بني عُبَيْدالله. وسمّى خيله: خيلَ الله.

أخبرنا أبو محمد عبدالخالق بن عبدالسلام، وابنة عمّه ستّ الأهل بنت علوان ـ سنةَ ثلاثٍ وتسعين[4] ـ وآخرون قالوا: حدّثنا عبدالرحمن ابن إبراهيم الفقيه، قال: أنبأتنا شُهْدَة بنت أحمد، قالت: أخبرنا الحسين بن طلْحة، قال: أخبرنا أبو عمر عبدالواحد بن مهديّ، قال: حدثنا الحسين بن إسماعيل، قال: حدثنا محمود بن خداش، قال: حدثنا هُشَيْم، قال: أخبرنا أبو هاشم، عن أبي مِجْلَز، عن قيس بن عُبَاد، قال: سمعت أبا ذَرٍّ رضي الله عنه يُقسِم قَسَماً: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحج]؛ أنّها نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعليّ، وعُبَيْدة بن الحارث رضي الله عنهم، وعُتْبة، وشَيْبة ابنا ربيعة، والوليد بن عُتْبة.

---

(١) أي: جُعبته.

(٢) مسلم ٦/ ٤٤، وانظر المسند الجامع حديث (١٢٦٦).

(٣) البخاري ٥/ ٩٩-١٠٠.

(٤) أي: سنة ثلاث وتسعين وست مئة.

أخرجه البخاري[1] عن يعقوب الدَّوْرَقيّ وغيره، ومسلم[2] عن عَمْرو بن زُرَارة، عن هُشَيْم، عن أبي هاشم يحيى بن دينار الرُّمّاني الواسطي، عن أبي مِجْلَز لاحق بن حُمَيْد السَّدُوسي البصْري. وهو من الأبدال العوالي.

وعُبَيْدة بن الحارث بن المُطَّلب بن عبد مَناف بن قُصَيّ المطّلبي، أمّه ثَقَفِيّة، وكان أسنَّ من النَّبيِّ ﷺ بعشر سنين، أسلم هو وأبو سَلَمَة بن عبدالأسد وعثمان بن مظعون في وقتٍ. وهاجر هو وأخواه الطُّفَيْل والحُصَيْن. وكان عُبَيْدة كبيرَ المنزلةِ عند النَّبيِّ ﷺ، وكان مربوعاً مليحاً، تُوُفّي بالصَّفراء. وهو الذي بارز عُتْبَة بن ربيعة، فاختلفا ضربتَيْن، كلاهما أثبت صاحَبه، كما تقدّم. وقد جَهَّزه النَّبيُّ ﷺ في ستّين راكباً من المهاجرين أمَّره عليهم؛ فكان أوّل لواءٍ عقده النَّبيُّ ﷺ لواء عُبَيْدة، فالتقى بقُريش وعليهم أبو سُفْيان عند ثنيّة المرة، فكان أول قتالٍ في الإسلام. قاله محمد بن إسحاق[3].

وقال ابن إسحاق[4] وغيره عن الزُّهْرِي، عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعَير أنّ المستفتح يوم بدر أبو جَهْل، قال لما التقى الجمعان: اللَّهُمَّ أقْطَعَنَا للرّحم وآتانا بما لا نعرف[5]، فأَحِنْه[6] الغَداةَ. فقتل، ففيه أنزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ١٩﴾ [الأنفال].

وقال مُعَاذ بن مُعاذ: حدثنا شُعبة، عن عبدالحميد صاحب الزّيادي، سمع أنساً يقول: قال أبو جَهْل: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ

---

(١) البخاري ٥/ ٩٥ و ٩٦ و ٦/ ١٢٣.
(٢) مسلم ٨/ ٢٤٥ و ٢٤٦، وانظر المسند الجامع حديث (١٢٣٣٩).
(٣) ابن هشام ١/ ٥٩١-٥٩٥.
(٤) ابن هشام ١/ ٦٢٨.
(٥) في ابن هشام: يُعرف. وقد جودها البشتكي.
(٦) أحنه: أهلكه.

﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال]، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال]. مُتَّفقٌ عليه[1].

وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ٣٤﴾ [الأنفال]، قال: يوم بدرٍ بالسيف. قاله عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عنه.

وبه عنه في قوله: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ ٧﴾ [الأنفال] قال: أقبلت عِير أهل مكة تريد الشامَ ـ كذا قال ـ فبلغ أهلَ المدينة ذلك، فخرجوا ومعهم رسولُ الله ﷺ يريدون العِير. فبلغ ذلك أهلَ مكة فأسرعوا السَّيْر، فسبقت العِير رسولَ الله ﷺ، وكان الله وَعَدَهم إحدى الطّائفتين. وكانوا أنْ يلقوا العِير أحبّ إليهم، وأيسر شوكة وأحضر مغنماً.

فسار رسول الله ﷺ يريد القوم، فكره المسلمون مسيرَهم لشوكة القوم، فنزل رسول الله ﷺ والمسلمون، وبينهم وبين الماء رملة دَعْصة، فأصاب المسلمين ضَعْفٌ شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم القَنَط يوسوسهم: تزعمون أنّكم أولياءُ الله وفيكم رسولُه، وقد غَلَبَكُم المشركون على الماء، وأنتم كذا. فأنزل الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهَّروا، فأذهب الله عنهم رِجْزَ الشيطان، وصار الرمل؛ يعني ملبداً. وأمدَّهم الله بألفٍ من الملائكة. وجاء إبليس في جُنْدٍ من الشياطين، معه رايته في صورة رجال بني مُدْلج، والشيطانُ في صورة سُرَاقة بن مالك بن جُعْشم، فقال للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ ٤٨﴾ [الأنفال] فلما اصطفَّ القوم قال أبو جَهْل:

---

(١) البخاري ٦/ ٧٨، ومسلم ٨/ ١٢٩، وانظر المسند الجامع حديث (١١٩٣).

اللَّهُمَّ أوْلانا بالحقِّ فانصره.

ورفع رسول الله ﷺ يده فقال: ياربِّ إنّك إنْ تَهْلِك هذه العصابة فلن تُعبدَ في الأرض أبداً. فقال له جبريل: خذ قبضةً من التراب. فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم، فما من المشركينَ من أحدٍ إلاّ أصاب عينيه ومِنْخَرَيْه وفمه، فَوَلوا مُدْبِرين، وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجلٍ من المشركين نزع يده وولّى مُدْبِراً وشيعته. فقال الرجل: يا سُراقة، أما زعمتَ أنّك لنا جارٌ؟ قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ (٤٨)﴾ [الأنفال].

وقال يوسف بن الماجشون: أخبرنا صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده، قال: إنّي لَوَاقفٌ يوم بدرٍ في الصّفِّ، فنظرتُ عن يميني وشِمالي، فإذا أنا بين غُلامَين من الأنصار حديثةٌ أسنانهُما. فتمنَّيتُ أنْ أكونَ بين أضْلَعَ[1] منهما. فغمزني أحدُهما فقال: يا عمّ أتعرفُ أبا جهل؟ قلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أُخبِرتُ أنّه يَسُبُّ رسولَ الله ﷺ، والذي نفسي بيده إنْ رأيته لايفارق سوادي سوادُه حتى يموتَ الأعجلُ منّا. فتعجَّبتُ لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلَها. فلم أنْشب أنْ نظرتُ إلى أبي جهلٍ وهو يجول في النّاس، فقلت: ألا تَرَيان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النَّبيِّ ﷺ فأخبراه، فقال: أيّكُما قَتَلَه؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: هل مَسَحتما سيفيكما؟ قالا: لا. قال: فنظر في السَّيفين، فقال: كلاهما قتله. وقضى بِسَلبِه لمُعاذ بن عَمْرو، والآخر مُعَاذ بن عَفراء. مُتَّفقٌ عليه[2].

(١) على هامش الأصل: «أي: أقوى».
(٢) البخاري ٤/١١١، ومسلم ٥/١٤٨.

وقال زُهير بن مُعاوية: حدثنا سليمان التَّيْمي، قال: حدثني أنَس، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: أنت أبو جهل؟ فأخذ بلحيته. فقال: هل فوق رجلٍ قتلتموه، أو قتله قومُه؟. أخرجه البخاري ومسلم[١].

وقال إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن عبدالله أنّه أتى أبا جهلٍ فقال: قد أخزاكَ الله. فقال: هل أعْمدُ[٢] من رجلٍ قتلتموه؟ أخرجه البخاري[٣].

وقال عَثَّام بن عليّ: حدثنا الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيْدة، عن عبدالله، قال: انتهيتُ إلى أبي جهلٍ وهو صريع، وعليه بيضةٌ، ومعه سيفٌ جيّد، ومعي سيف رَثٌّ. فجعلت أنقفُ[٤] رأسه بسيفي، وأذكر نَقفاً كان يَنْقُف رأسي بمكة، حتى ضَعُفَتْ يده، فأخذتُ سيفه، فرفع رأسه فقال: على مَنْ كانت الدَّبَرَةُ، لنا أو علينا؟ ألستَ رُوَيْعِينَا بمكةَ؟ قال: فقتلته. ثم أتيتُ النّبيَّ ﷺ فقلت: قتلتُ أبا جهل. فقال: آللهِ الذي لا إله إلاّ هو؟ فاستحْلَفني ثلاث مِرار[٥]. ثم قام معي إليهم، فدعا عليهم[٦].

ورُوي نحوه عن سُفْيان الثَّوري، عن أبي إسحاق وفيه: فاستحلفني

---

(١) البخاري ٥/ ٩٤ و ٩٥ و ١٠٩، ومسلم ٥/ ١٨٣ و ١٨٤، وانظر المسند الجامع حديث (١٢٦٧).

(٢) أي: أشرفُ.

(٣) البخاري ٥/ ٩٤.

(٤) أي: أضربه حتى يخرج دماغه.

(٥) كتب في هامش الأصل: «لعله استحلفه لكون المذكورين أخبرا النبيَّ ﷺ بقتله فقضى لهما بسلبه. كذا بخط المؤلف».

(٦) ابن هشام ١/ ٦٣٥.

وقال: الله أكبر، الحمد لله الذي صَدَق وعْدَه، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلِقْ فأرِنيه. فانطلقتُ فأريتُه. فقال: هذا فِرْعونُ هذه الأُمّة.

ورُوِي عن أبي إسحاق أنَّ النَّبيَّ ﷺ لما بلغه قتْلُهُ خرّ ساجداً.

وقال الواقديّ[1]: وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابنَيْ عَفْراء فقال: يرحم الله ابنَي عَفْراء، فهما شركاء في قتْل فِرْعون هذه الأمّة ورأسِ أئمّة الكُفْر. فقيل: يا رسول الله، ومَن قتله معهما؟ قال: الملائكة، وابن مسعود قد شُرِك في قتله.

وقال أبو نُعَيْم: حدثنا سَلَمَة بن رجاء، عن الشَّعثاء؛ امرأة من بني أسد، قالت: دخلتُ على عبدالله بن أبي أوْفَى، فرأيته صلَّى الضُّحَى رَكْعَتَين، فقالت له امراته: إنّك صلَّيتَ رَكْعَتَين. فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ صلّى الضُّحَى رَكْعتين حين بُشِّرَ بالفتح، وحين جِيءَ برأسِ أبي جَهْلٍ.

وقال مُجالِد، عن الشَّعبيِّ أنّ رجلاً قال للنَّبيِّ ﷺ: إنّي مررتُ ببدر، فرأيتُ رجلاً يخرج من الأرض، فيضربه رجلٌ بمِقْمَعة حتى يغيب في الأرض، ثم يخرج، فيفعل به مثل ذلك مراراً. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أبو جهل بن هشام يُعذَّب إلى يوم القيامة».

وقال البخاري ومسلم[2] من حديث ابن أبي عَرُوبة، عن قَتَادة قال: ذكر لنا أنَسٌ، عن أبي طلحة أنّ رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صناديد قُرَيْش، فقُذِفوا في طَوِيٍّ من أطواء بدرٍ خبيثٍ مُخْبِثٍ. وكان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعَرصة ثلاث ليالٍ. فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث، أمر براحلته فشُدّ عليها، ثم مشى ما تَبِعَهُ أصحابُه، فقالوا:

---

(١) المغازي ١/ ٩١.
(٢) البخاري ٥/ ٩٧، ومسلم ٣/ ٢٩٣.

ما نراه إلّا ينطلق لبعضِ حاجته، حتى قام على شَفَة الرَّكِيّ[1] فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيَسُرّكُم أنّكم أطعتم الله ورسولَه، فإنّا قد وجدنا ما وَعَدَنا ربُّنا حقّاً، فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟ فقال عمر: يا رسول الله، ما تُكَلِّمُ من أجسادٍ لا أرواح لها؟ فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم.

قال قَتَادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قولَه توبيخاً وتصغيراً ونَقِمةً وحسرةً وندامة. صحيح[2].

وقال هشام، عن أبيه، عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ وقف على قَلِيب بدرٍ فقال: إنّهم لَيَسْمعون ما أقول. قال عُرْوَة: فبلغ عائشةَ فقالت: ليس هكذا قال رسول الله ﷺ، إنّما قال: إنّهم لَيَعْلَمون أنّ ما كنتُ أقول لهم حقٌّ، إنّهم قد تبوَّؤوا مقاعدَهم من جهنّم، إنّ الله يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر] أخرجه البخاري[3].

ما روت عائشة لا ينافي ما روى ابن عمر وغيره، فإنّ عِلْمهم لا يمنع من سماعهم قولَه عليه السلام، وأمّا إنك لا تُسْمعُ الموتى، فحَقٌّ لأنَّ الله أحياهم ذلك الوقت كما يُحيي الميتَ لسؤال مُنْكر ونكير.

وقال عَمْرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عبّاس في قوله: ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم]؛ قال: هم كُفّار قريش. ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم]؛ قال: النّار يوم بدر. أخرجه البخاري[4].

---

(١) أي: البئر.

(٢) لا معنى لقول المؤلف هذا، فهذا حديث اتفق عليه الشيخان كما ذكر هو في أوله!

(٣) البخاري ٥/ ٩٨.

(٤) البخاري ٥/ ٩٨.

وقال إسرائيل، عن سِمَاك، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: لمّا فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قيل له: عليك العِير ليس دونها شيء. فناداه العبّاس وهو في الوثاق: إنّه لا يصلح لك. قال: لِمَ؟ قال: لأنّ الله عزَّ وجلَّ وعدك إحدى الطّائفتين، وقد أنجز لك ما وعدك. هذا إسناد صحيح[1]، رواه جعفر بن محمد بن شاكر، عن أبي نُعَيم، عنه.

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق: حدّثني خُبَيْب بن عبدالرحمن قال: ضُرِب خُبَيْب بن عَدِيّ يوم بدرٍ فمال شقُّه، فَتَفَلَ عليه رسولُ الله ﷺ، ولأمَه وردَّه، فانطبق.

أحمد بن الأزهر: حدثنا عبدالرزّاق، عن جعفر بن سليمان، عن أبي عِمران الجوني، عن أنَس أو غيره قال: شهد عُمَيْر بن وهب الجُمَحِي بدْراً كافراً، وكان في القتلى. فمرَّ به رجلٌ فوضع سيفه في بطنه، فخرج من ظهره. فلما برد عليه اللّيل لحِق بمكة فصَحَّ. فاجتمع هو وصَفْوان بن أُميّة فقال: لولا عيالي ودَيْني لَكُنْتُ الذي أقتل محمداً. فقال صَفْوان: وكيف تقتله؟ قال: أنا رجلٌ جريء الصدْر جواد لا أُلْحَقُ، فأضربه وألحق بالجبل فلا أُدْرَك. قال: عيالك في عيالي ودَيْنك عليَّ. فانطلق فشحذ سيفه وسَمَّه، وأتَى المدينة، فرآه عمر فقال للصّحابة: احفظوا أنفسَكم فإنّي أخاف عُمَيْراً إنّه رجلٌ فاتك، ولا أدري ما جاء به. فأطاف المسلمون برسول الله ﷺ، وجاء عُمَيْر، متقلِّداً سيفه، إلى النّبيِّ ﷺ فقال: أنْعِمْ صباحاً. قال: ما جاء بك يا عُمَيْر؟ قال: حاجة. قال: فما بال السّيف؟ قال: قد حملناها يوم بدرٍ فما أفلحت ولا أنْجَحَتْ. قال: فما قولك لصَفْوان وأنت في الحِجْر؟ وأخبره بالقصّة. فقال عُمَير: قد كنتَ تحدّثنا عن خبر السماء فنُكَذّبك،

(١) هكذا قال، وفيه نظر، فإن رواية سماك عن عكرمة مضطربة لا تُصحح.

وأراك تعلم خبرَ الأرض. أشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وأنّك رسولُ الله، بأبي أنت وأُمي، أعطني منك علماً يعلمُ أهلُ مكة أنّي أسلمتُ. فأعطاه، فقال عمر: لقد جاء عُمَير وإنّه لأَضَلُّ من خنزير، ثم رجع وهو أحبُّ إليَّ من ولدي[1].

وقال يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثنا عُكَّاشة الذي قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جِذْلاً من حطب، فقال: قاتلْ بهذا. فلما أخذه هزّه فعاد سيفاً في يده، طويل القامة شديد المتْن أبيض الحديدة. فقاتل بها، حتى فتح الله على رسوله، ثم لم يزل عنده يشهدُ به المشاهدَ مع رسول الله ﷺ، حتى قُتل في قتال أهل الرِّدة وهو عنده، وكان ذلك السيف يسمَّى القوي.

هكذا ذكره ابن إسحاق بلا سندٍ.

وقد رواه الواقديّ[2]، قال: حدّثني عمر بن عثمان الجحشيّ، عن أبيه، عن عمَّته، قالت: قال عكَّاشة بن مِحْصَن: انقطع سيفي يوم بدرٍ، فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً، فإذا هو سيفٌ أبيض طويل. فقاتلتُ به.

وقال الواقدي[3]: حدّثني أسامة بن زيد اللَّيْثي، عن داود بن الحُصَيْن، عن جماعةٍ، قالوا: انكسر سيفُ سَلَمَة بن أسلم يوم بدر، فبقي أعْزَلَ لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين، فقال: اضربْ به. فإذا هو سيفٌ جيِّد. فلم يزل عنده حتى قُتل يوم جسر أبي عُبَيْد.

---

(١) ابن هشام ١/ ٦٦١-٦٦٢.
(٢) المغازي ١/ ٩٣.
(٣) المغازي ١/ ٩٣-٩٤.

ذكر غَزوة بدر

«من مغازي موسى بن عقبة فإنها من أصحّ المغازي»[1]

قد قال إبراهيم بن المنذر الحِزامي: حدّثني مُطَرِّف ومَعْن وغيرهما أنّ مالكاً كان إذا سُئل عن المغازي قال: عليك بمغازي الرجل الصّالح موسى بن عُقْبة، فإنّه أصحّ المغازي.

قال محمد بن فُلَيْح، عن موسى بن عُقْبة قال: قال ابن شهاب. (ح) وقال إسماعيل بن أبي أُوَيْس: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُقْبة ـ وهذا لفظه ـ عن عمّه موسى بن عُقْبة، قال: مكث رسول الله ﷺ بعد قتل ابن الحَضْرَمِيّ شهرين، ثم أقبل أبو سفيان في عِيرٍ لقُرَيش، ومعه سبعون راكباً من بطون قُرَيش؛ منهم: مَخْرَمة بن نَوفَل وعَمْرو بن العاص، وكانوا تُجّاراً بالشام، ومعهم خزائن أهلِ مكة، ويقال: كانت عِيرهُم ألف بعير. ولم يكن لقُريش أُوقِيّةٌ فما فوقها إلاّ بعثوا بها مع أبي سفيان؛ إلاّ حُوَيطب بن عبدالعُزّى، فلذلك تخلّف عن بدرٍ فلم يشهدها. فذكروا لرسول الله ﷺ وأصحابه، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذاك، فبعث عَدِيّ بن أبي الزَّغْباء الأنصاريّ، وبَسْبَسَ بن عَمْرو، إلى العِير، عَيْناً له، فسارا، حتى أتيا حيّاً من جُهَيْنة، قريباً من ساحل البحر، فسألوهم عن العِير، فأخبروهما بخبر القوم. فرجعا إلى رسول الله ﷺ

---

(١) وجدت قطعة منها في المكتبة البروسية وترجمها الأستاذ إدوارد سخاو إلى الألمانية سنة ١٩٠٤، وقد وصف الإمام مالك، مغازيَ موسى بأنها أصح المغازي (تهذيب الكمال ٢٩/١١٩، والسخاوي: الإعلان ص٥٢٥) وقد سمعها الذهبي بالمزة على شيخه أبي نصر الفارسي (تذكرة ج١ص١٤٨) وذكر أنها في مجلد صغير (تاريخ السلام ج٦ ص١٣٣) وقد سلخها الذهبي تقريباً.

فأخبراه. فاستنفر المسلمينَ للعِير، في رمضان.

وقدِم أبو سُفيان على الجُهَنِيِّين وهو متخوِّفٌ من المسلمين، فسألهم فأخبروه خبر الراكبَيْن، فقال أبو سُفيان: خُذُوا من بَعْر بعيريهما. ففتَّه فوجد النَّوَى فقال: هذه علائفُ أهلِ يثرب. فأسرع وبعث رجلاً من بني غِفار يقال له، ضَمْضم بن عَمْرو، إلى قريش أنِ انفِرُوا فاحْمُوا عِيرَكم من محمدٍ وأصحابه. وكانت عاتكةُ قد رأت قبل قُدُوم ضمضم؛ فذكر رؤيا عاتكة، إلى أن قال: فقدِم ضمضمٌ فصاح: يا آل غالب بن فِهْر انفروا فقد خرج محمدٌ وأهلُ يثرِب يعترضون لأبي سفيان. ففزعوا، وأشفقوا من رؤيا عاتكة، ونفروا على كل صَعْبٍ وذَلولٍ، وقال أبو جهل: أيَظُنُّ محمدٌ أنْ يصيبَ مثلَ ما أصاب بنخلة؟ سيعلم أنَمْنَعُ عِيرَنا أم لا؟

فخرجوا بخمسين وتسع مئة مقاتل، وساقوا مئة فرس، ولم يتركوا كارهاً للخروج. فأشخصوا العبّاسَ بن عبدالمطّلب، ونَوْفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب، وأخاه عقيلاً، إلى أن نزلوا الجُحفة.

فوضع جُهَيْم بن الصَّلْت بن مَخْرمة المطّلبي رأسَه فأغفى، ثم نزع فقال لأصحابه: هل رأيتم الفارسَ الذي وقف عليَّ آنفاً. قالوا: لا، إنَّك مجنون. فقال: قد وقف عليَّ فارسٌ فقال: قُتل أبو جَهْل، وعُتْبة، وشَيْبة، وزَمْعة، وأبو البَخْتَرِيّ، وأُمَيَّة بن خَلَف، فعَدَّ جماعةً. فقالوا: إنّما لَعِبَ بك الشّيطانُ. فرُفع حديثُهُ إلى أبي جهل، فقال: قد جئتمونا بكذِب بني المُطَّلب مع كذِبِ بني هاشم، ستَرَوْن غداً من يُقتل.

وخرج رسول الله ﷺ في طلب العِير، فسلك على نَقْب[1] بني دينار، ورجع حين رجع من ثنيَّة الوداع، فنفر في ثلاث مئة وثلاثة عشر

---

(١) أي: طريق.

رجلاً، وأبطأ عنه كثير من أصحابه وتربَّصوا. وكانت أوّل وقعةٍ أعزَّ الله فيها الإسلام.

فخرج في رمضان ومعه المسلمون على النَّواضح يَعْتَقِب النَّفرُ منهم على البعيرِ الواحد. وكان زميلَ رسولِ الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ حليف حمزة بن عبدالمطّلب، ليس مع الثلاثة إلاَّ بعيرٌ واحد. فساروا، حتى إذا كانوا بعِرْق الظُّبْية[1] لقيهم راكبٌ من قِبَل تِهامة، فسألوه عن أبي سفيان فقال: لا عِلمَ لي به. فقالوا: سلِّمْ على رسول الله ﷺ. قال: وفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم. وأشاروا إليه. فقال له: أنتَ رسولُ الله؟ قال: نعم. قال: إنْ كنتَ رسول الله فحدِّثْني بما في بطن ناقتي هذه. فغضب سلَمة بن سلامة بن وَقْش الأنصاري، فقال: وقعتَ على ناقتك فَحَمَلَتْ منك. فكره رسولُ الله ﷺ ما قال سَلَمَةُ فأعرض عنه.

ثم سار لا يلقاهُ خبر ولا يعلمُ بنَفْرةِ قُرَيش، فقال رسولُ الله ﷺ: أشيروا علينا. فقال أبو بكر: أنا أعلمُ بمسافة الأرض، أخبرنا عدِيّ بن أبي الزَّغْباء: أنّ العِيرَ كانت بوادي كذا[2].

وقال عمر: يا رسول الله، إنّها قريش وعِزُّها، والله ما ذلَّت منذ عزَّت ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلَنَّك، فتأهَّبْ لذلك.

فقال: أشيروا عليَّ.

قال المِقْدادُ بن عَمْرو: إنّا لا نقول لك كما قال أصحاب موسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة]، ولكن اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكم متّبِعون.

---

(١) موضع بين مكة والمدينة قرب الروحاء.

(٢) جَوّد البشتكي نقطة الذال، فهو من باب الإشارة إلى الشيء.

فقال: أشيروا عليَّ.

فلما رأى سعد بن مُعَاذ كثرةَ استشارته ظَنَّ سعد أنّه يستنطقُ الأنصارَ شَفَقَاً أنْ لا يستحوذوا معه، أو قال: أنْ لا يستجلبوا معه على ما يريد، فقال: لعلّك يا رسولَ الله تخشى أنْ لا تكون الأنصارُ يريدون مواساتك، ولا يرونها حقّاً عليهم، إلاّ بأنْ يروا عدُوّاً في بيوتهم وأولادهم ونسائهم، وإنّي أقولُ عن الأنصار وأجيب عنهم، فاظعنْ حيثُ شئتَ، وصِلْ حبلَ مَن شئت، وخُذ من أموالنا ما شئتَ، وأعطِنا ماشئتَ، وما أخَذْتَه منّا أحبّ إلينا مما تركته علينا، فَوَالله لو سرتَ حتى تبلغَ البِرْكَ من غِمد ذي يَمَن لَسرْنا معك.

فقال رسول الله ﷺ: سِيروا على اسم الله عزّ وجلّ فإنّي قد أُريتُ مَصَارِعَ القوم. فعمد لبدر.

وخفض[١] أبو سُفيان فلصق بساحل البحر، وأحرزَ ما معه، فأرسل إلى قريش، فأتاهم الخبرُ بالجُحْفَة. فقال أبو جهل: والله لا نرجعُ حتى نقدم بدراً فنقيم بها. فكره ذلك الأخنسُ بن شريق وأشار بالرَّجْعةِ، فأبوا وعصوه، فرجع ببني زُهْرة فلم يحضر أحدٌ منهم بدراً. وأرادت بنو هاشم الرجوعَ فمنعهم أبو جهل.

ونزل رسول الله ﷺ على أدنى شيءٍ من بدر، ثم بعث عليّاً والزُّبَيْرَ وجماعةً يكشفون الخبر، فوجدوا واردَ قُرَيش عند القَلِيب، فوجدوا غلامَين فأخذوهما فسألوهما عن العِير، فطفقا يُحَدِّثانِهم عن قُرَيش، فضربوهما. وذكر الحديث، إلى أنْ قال: فقام رسولُ الله ﷺ فقال: أشيروا عليَّ في المنزل.

فقام الحُباب بن المنذر السَّلمي: أنا يا رسول الله عالمٌ بها وبقُلُبِهَا؛

---

(١) أي: جمع الإبل وساقها.

إنْ رأيتَ أنْ تسيرَ إلى قَلِيبٍ منها قد عرفتها كثيرةَ الماء عذْبة، فتنزل عليها وتسبق القوم إليها ونُغَوِّر ما سَواها.

فقال: سِيروا، فإنّ الله قد وعدكم إحدى الطّائفتين.

فوقع في قلوب ناس كثير الخوف. فتسارع المسلمون والمشركون إلى الماء، فأنزل الله تلك الليلة مطراً واحداً؛ فكان على المشركين بلاءً شديداً منعهم أن يسيروا، وكان على المسلمين دِيمةً خفيفةً لَبَّدَ لهم الأرض، فسبقوا إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل، فاقتحم القوم في القَلِيب فماحوها[١] حتى كثر ماؤها، وصنعوا حوضاً عظيماً، ثم غوَّرُوا ما سواه من المياه.

ويقال: كان مع رسول الله ﷺ فَرَسان؛ على أحدهما: مُصْعَب بن عُمَيْر، وعلى الآخر: سَعْدُ بن خَيْثَمَة. ومرّة الزُّبَيْرُ بن العَوّام، والمِقْداد.

ثم صفَّ رسولُ الله ﷺ على الحياض، فلما طلع المشركون قال رسول الله ﷺ - فيما زعموا -: «اللَّهُمَّ هذه قريش قد جاءت بخُيَلائها وفَخْرِها تُحَادُّك وتكذّب رسولَك». واستنصر المسلمونَ اللهَ واستغاثُوه، فاستجابَ اللهُ لهم.

فنزل المشركون وتَعَبَّأوا للقتال، ومعهم إبليس في صورة سُراقة المُدْلِجي يحدّثهم أنّ بني كِنانة وراءه قد أقبلوا لنَصْرِهم.

قال: فسعى حكيم بن حِزام إلى عُتْبة بن ربيعة فقال: هل لكَ أن تكونَ سيّدَ قُرَيش ما عشتَ؟ قال: فأفعلُ ماذا؟ قال: تُجيرُ بين الناس وتحملُ دِيَةَ ابن الحَضْرَمِيِّ، وبما أصاب محمدٌ في تلك العِير، فإنّهم لا يطلبون من محمدٍ غير هذا. قال عُتْبة: نعم قد فعلتُ، ونِعمَّا قلتَ،

---

(١) أي: نزلوا إلى قرار البئر ليملؤوا الدلاء لقلة مائها، وماح أصحابَهُ: استسقى لهم.

فاسْعَ في عشيرتكَ فأنا أتحمَّلُ بها. فسعى حكيمٌ في أشراف قريشٍ بذلك.

وركب عُتْبة جَمَلاً له، فسار عليه في صفوف المشركين فقال: يا قوم أطيعوني ودعوا هذا الرجل؛ فإنْ كان كاذباً وَلِيَ قَتْلَهُ غَيْرُكم من العربِ فإنَّ فيهم رجالاً لكم فيهم قَرابةٌ قريبة، وإنّكم إنْ تقتلوهم لا يزال الرجلُ ينظر إلى قاتلِ أخيه أو ابنه أو ابن أخيه أو ابن عمّه، فيورث ذلك فيكم إحناً وضغائن. وإنْ كان هذا الرجل مَلِكاً كنتم في مُلْك أخيكم. وإن كان نبيّاً لم تقتلوا النّبيَّ فتُسَبُّوا به. ولن تخلصوا إليهم حتى يصيبوا أعدادكم، ولا آمنُ أنْ تكونَ لهم الدبرة عليكم.

فحسده أبو جهلٍ على مقالته: وأبى الله إلاّ أنْ ينفذ أمره، وعُتْبة يومئذٍ سيّدُ المشركين.

فعمد أبو جهل إلى ابن الحَضْرَميّ ـ وهو أخو المقتول ـ فقال: هذا عُتبة يخذِّل بين النّاس، وقد تَحمَّلَ بدِيةِ أخيكَ، يزعمُ أنّك قَابِلُهَا، أفلا تستحْيُون من ذلك أنْ تقبلوا الدِّيَة؟ وقال لقريش: إنَّ عُتْبَةَ قد علم أنّكم ظاهرون على هذا الرجلِ ومَنْ معه، وفيهم ابنه وبنو عمّه، وهو يكره صلاحكم. وقال لعُتْبة: انتفخ سَحْرُك[1]. وأمر النّساء أن يُعْوِلْنَ عَمراً، فقمن يَصِحْن: واعَمراه واعَمراه؛ تحريضاً على القتال[2].

وقام رجال فتكشَّفُوا؛ يُعيِّرون بذلك قُرَيشاً، فأخذت قريش مَصَافَّها للقتال. فذكر الحديث إلى أن قال: فأُسر نفرٌ ممّن أوصى بهم رسولُ الله ﷺ أنْ لا يقتلوهم إلاّ أبا البَخْتَرِيّ، فإنّه أبى أنْ يستأسِرَ، فذكروا له أنَّ رسولَ الله ﷺ قد أمرهم أن لا يقتلوه إنِ استأسرَ، فأبى. ويزعم ناسٌ أنّ

(١) السَّحْر: الرئة، ويقال للجبان الذي ملأ الخوفُ جوفه: انتفخ سحرك.
(٢) قارن سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٢-٦٢٤.

أبا اليَسَر قتلَ أبا البَخْتَرِيّ، ويأبى عُظْم النّاس إلاّ أنَّ المجذّر هو الذي قتله. بل قتله أبو داود المازِني.

قال: ووجد ابنُ مسعود أبا جهلٍ مصروعاً، بينه وبين المعركة غير كثير، مُقَنَّعاً في الحديد واضعاً سيفَه على فخذَيْه ليس به جرح، ولا يستطيع أن يحرِّكَ منه عُضْواً، وهو مُنْكَبٌّ ينظر إلى الأرض. فلما رآه ابن مسعود أطافَ حوله ليقتله وهو خائفٌ أنْ يثورَ إليه، وأبو جهلٍ مُقنَّع بالحديد، فلما أبصره لا يتحرّك ظنَّ أنّه مثبت جراحاً، فأراد أنْ يضربه بسيفه، فخشيَ أن لا يغني سيفُه شيئاً، فأتاه من ورائه، فتناول قائمَ سيفه فاستلَّه وهو مُنْكَبٌّ، فرفع عبدالله سابغةَ البيضةِ عن قفاه فضربه، فوقع رأسه بين يديه ثم سلبه. فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح، وأبصر في عنقه خدراً[1] ، وفي يديه وفي كتفَيه كهيئة آثار السّياط، فأتى النّبيَّ ﷺ فأخبره، فقال النّبيُّ ﷺ: ذلك ضرْب الملائكة.

قال: وأذلَّ الله بوقعةِ بدر رِقابَ المشركينَ والمنافقين، فلم يبق بالمدينة منافقٌ ولا يهوديّ إلاّ وهو خاضع عنقه لوقعة بدر. وكان ذلك يوم الفُرْقان؛ يوم فرّق الله بين الشّرْك والإيمان.

وقالت اليهود: تَيَقَّنّا أنّه النّبيّ الذي نجد نَعْتَه في التوراة، والله لا يرفعُ رايةً بعد اليوم إلاّ ظهرتْ.

وأقام أهلُ مكّة على قَتْلاهم النَّوْحَ بمكةَ شهراً.

ثم رجع النّبيُّ ﷺ إلى المدينة، فدخل من ثَنِيّة الوداع.

ونزل القرآن فَعَرَّفهم الله نِعمتَه فيما كرِهوا من خروج رسول الله ﷺ إلى بدر، فقال: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنفال]، وثلاث آيات معها.

---

(١) جَوّد البشتكي وغيره ضبطها بالخاء المعجمة.

ثم ذكر موسى بن عُقْبة الآيات التي نزلت في سورة الأنفال في هذه الغزوة وآخرها.

وقال رجال ممّن أُسِر: يا رسولَ الله، إنّا كنّا مسلمين، وإنّما أُخْرِجنا كرْهاً، فَعَلامَ يؤخذ منّا الفِداء؟ فنزلت: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال].

حذفتُ من هذه القصّة كثيراً ممّا سلف من الأحاديث الصحيحة استغناءً بما تقدّم[١].

وقد ذكر هذه القصة ـ بنحو قول موسى بن عُقْبة ـ ابنُ لَهيعة عن أبي الأسود، عن عُرْوة، ولم يذكر أبا داود المازني في قتْل أبي البَخْتَرِيّ، وزاد يسيراً.

وقال هو وابن عُقْبة: إنّ عدد من قُتِل من المسلمين ستّةٌ من قُرَيْش، وثمانية من الأنصار. وقُتل من المشركين تسعة وأربعون رجلاً، وأُسر تسعة وثلاثون رجلاً. كذا قالا.

وقال ابن إسحاق: استشهد أربعة من قريش وسبعة من الأنصار. وقُتل من المشركين بضعةٌ وأربعون، وكانت الأسارى أربعة وأربعين أسيراً.

وقال الزُّهري عن عُرْوَة: هُزِم المشركون وقُتل منهم زيادة على سبعين، وأُسِر مثل ذلك.

ويشهد لهذا القول حديث البراء الذي في البخاري[٢]؛ قال:

---

(١) كتب على هامش الأصل: «هذه القصة في مغازي ابن عقبة في اثنتي عشرة ورقة في مسطرة ستة عشر. بخط مؤلفه».

(٢) البخاري ٥/ ١٠٠.

أصاب النّبيُّ ﷺ وأصحابُه من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومئة؛ سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، وأصابوا منّا يوم أُحُدٍ سبعين.

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن أُسامة بن زيد، أنَّ النَّبيَّ ﷺ خلَّف عثمانَ وأسامَة بن زيد على بنته رُقَيَّة أيام بدر. فجاء زيد بن حارثة على العَضْباء، ناقةِ رسول الله ﷺ بالبشارة. قال أسامة: فسمعتُ الهَيْعَةَ، فخرجتُ فإذا أبي قد جاء بالبشارةِ، فَوَالله ما صدَّقْتُ حتى رأينا الأسارى، فضرب رسولُ الله ﷺ لعثمانَ بسهمه.

وقال عبدان بن عثمان: حدثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن عبدالرحمن ـ رجل من أهل صنعاء ـ قال: أرسل النَّجَاشِيُّ إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت، عليه خُلقان جالسٌ على التراب. قال جعفر: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال. فقال: أُبشّركم بما يسُرّكم؛ إنّه جاءني من نحو أرضكم عينٌ لي فأخبرني أنّ الله قد نصر نبيَّه ﷺ وأهلك عدوَّه، وأُسر فلانٌ وفلانٌ، التقوا بِوَادٍ يقال له بدْر، كثير الأراك، كأنّي أنظرُ إليه، كنت أرعى به لسيّدي ـ رجل من بني ضَمْرة ـ إبلَه. فقال له جعفر: ما بالك جالسٌ على التراب، ليس تحتكَ بساط، وعليك هذه الأخلاقُ[1]؟ قال: إنّا نجدُ فيما أنزل اللهُ على عيسى عليه السّلام أنّ حقّاً على عباد الله أنْ يُحْدِثُوا تواضعاً عندما أحدث لهم من نعمته. فلما أحدث الله لي نَصْرَ نبيّه أحدثتُ له هذا التواضع.

ذكر مثلَ هذه الحكاية الواقديُّ في مَغَازِيه بلا سَنَد[2].

---

(١) أي: الثياب البالية.

(٢) المغازي ١/ ١٢٠-١٢١.

فصل

في غنائم بدر والأسرى

قال خالد الطّحّان، عن داود، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: مَنْ فعل كذا وكذا، فله من النَّفْل كذا وكذا. قال: فتقدّم الفِتْيان، ولزِم المَشْيَخَةُ الرايات. فلما فتح الله عليهم قالت المشيخة: كنّا رِدْءاً لكم، لو انهزمتم، فِئْتُم إلينا، فلا تذهبوا بالمَغْنَم ونبقى. فأبى الفِتْيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا. فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الأنفال]. يقول: فكان ذلك خيراً لهم. فكذلك أيضاً: أطيعوني فإنّي أعلمُ بعاقبةِ هذا منكم. أخرجه أبو داود[1].

ثم ساقه من وجهٍ آخر عن داود بإسناده. وقال: فقسمها رسول الله ﷺ بالسّواء.

وقال عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عُبَيْد الله بن عبدالله، عن ابن عبّاس، أنّ النّبيَّ ﷺ تَنفَّل سيفَه ذا الفِقار يوم بدر.

وقال عمر بن يونس: حدّثني عِكْرِمة بن عمّار، قال: حدثني أبو زميل، قال: حدثني ابن عبّاس، قال: حدثني عمر قال: لما كان يوم بدر، فذكر القصّة.

قال ابن عبّاس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ: ما ترون في هؤلاء؟ فقال أبو بكر: هم بنو العمّ والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٣٧) و (٢٧٣٨) و (٢٧٣٩)، وانظر المسند الجامع حديث (٦٩٣٩).

فِدْيةً فتكون لنا قوّةً على الكُفّار، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا والله يارسول الله لا أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تُمَكِّنَّا فنضرب أعناقَهم؛ فَتُمَكِّنْ عليّاً من عقيل فيضرب عُنُقَه، وتُمَكِّنّي من فُلان؛ نسيب لعمر؛ فأضرب عُنُقَه، فإنّ هؤلاء أئمّة الكُفْر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلتُ. فلما كان من الغد جئتُ، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر يبكيان. قلتُ: يا رسولُ الله أخبرني من أيِّ شيءٍ تبكيان، فإنْ وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإلاّ تباكيتُ لبكائكما. فقال: أبكي لِلَّذي عَرَض على أصحابك من أخْذِهم الفداء، لقد عُرِض عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة؛ شجرة قريبة من نبيِّ الله ﷺ. وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴿٦٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال]، فأحلَّ اللهُ لهم الغنيمة. أخرجه مسلم[1].

وقال جرير، عن الأعمش، عن عَمْرو بن مُرّة، عن أبي عُبَيْدة بن عبدالله، عن أبيه قال: لما كان يومُ بدر قال لهم رسولُ الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ فقال عبدالله بن رواحة: أنتَ في وادٍ كثيرِ الحطب فأضرم ناراً ثم ألْقِهم فيها. فقال العبّاس: قَطَعَ اللهُ رَحِمَك. فقال عمر: قادتُهم ورؤوسُهم قاتلوكَ وكذَّبوكَ، فاضْرِبْ أعناقهم. فقال أبو بكر: عشيرتُك وقومُك.

ثم دخل رسول الله ﷺ لبعضِ حاجته. فقالت طائفة: القولُ ما قال عمر. فخرج رسولُ الله ﷺ فقال: ما تقولون في هؤلاء؟ إنّ مَثَلَ هؤلاء كمَثَل إخوةٍ لهم كانوا من قبلهم؛ قال نوح: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ

---

(١) مسلم ٥/١٥٦، وانظر المسند الجامع حديث (١٠٦١٢).

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح]، وقال موسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس]، وقال إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة] الآية. وأنتم قوم بكم عَيْلَة، فلا يَنفلتنَّ أحدٌ منهم إلا بفداءٍ أو بضربة عُنق. فقلت: إلاّ سُهَيْل بن بيضاء فإنّه لا يُقتل، قد سمعته يتكلّم بالإسلام. فسكت. فما كان يومٌ أخْوَفُ عندي أنْ يُلْقي الله عليَّ حجارةً من السماء من يومي ذلك، حتى قال رسول الله ﷺ: إلاّ سُهَيْل بن بيضاء[1].

وقال أبو إسحاق، عن البَرَاء أو غيره، قال: جاء رجلٌ من الأنصار بالعبّاس قد أسره إلى رسولِ الله ﷺ، فقال العبّاس: ليس هذا أسرني، فقال رسولُ الله ﷺ: لقد آزرك الله بمَلَكٍ كريم.

وقال ابن إسحاق: حدثني مَن سمع عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: كان الذي أسر العبَّاسَ أبو اليَسَر كعب بن عَمْرو السَّلَمِيّ، فقال النّبيُّ ﷺ: كيف أسرته؟ فقال: لقد أغلق[2] عليه رجلٌ ما رأيته قَبْلُ ولا بَعْدُ، هيئته كذا وكذا. فقال: لقد أعانكَ عليه مَلَكٌ كريم. وقال للعبّاس: افْدِ نفسَك وابنَ أخيك عقيل ابن أبي طالب، ونوفل بن الحارث. فأبَى وقال: إنّي كنتُ مسلماً وإنّما استكرهوني. قال: الله أعلمُ بشأنك إنْ يَكُ ما تَدَّعي حقّاً فاللهُ يجزيك بذلك، وأما ظاهرُ أمرك فقد كان علينا، فافْدِ نفسَكَ.

وكان قد أُخذ معه عشرون أوقية ذَهَباً، فقال: يا رسولَ الله احسبها لي من فدائي. قال: لا، ذاك شيءٌ أعطانا الله منك.

وقال عبدالعزيز بن عمران الزُّهري، وهو ضعيف: حدثني محمد بن

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٨٣و٣٨٤، والترمذي (١٧١٤) و(٣٠٨٤)، والحاكم ٣/ ٢١، وإسناده ضعيف لانقطاعه، فإن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبدالله.

(٢) انظر «غلق» في «أساس البلاغة» للزمخشري.

موسى، عن عمارة بن عمّار بن أبي اليَسَر، عن أبيه، عن جدّه قال: نظرت إلى العبّاسِ يومَ بدر، وهو قائمٌ كأنّه صنمٌ وعيناه تذرفان، فقلتُ: جزاكَ الله من ذي رَحِم شرّاً، تقاتلُ ابنَ أخيكَ مع عدوِّه؟ قال: ما فعل، أقُتِلَ؟ قلتُ: الله أعزُّ له وأنصَرُ من ذلك. قال: ما تريدُ إليَّ؟ قلت: إسار، فإنَّ رسول الله ﷺ نهى عن قَتْلك. قال: ليست بأوّل صِلَتِه. فأسَرْتُه.

وروى ابن إسحاق، عن رجل، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: فبَعَثَتْ قريش في فِداء أسراهم. وقال العبّاس: إنّي كنت مسلماً. فنزل فيه ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ٧٠﴾ [الأنفال]، قال العبّاس: فأعطاني الله مكان العشرين أوقيّة عشرين عبداً كلّهم في يده مالٌ يضرب به، مع ما أرجو من المغفرة.

وقال أزهر السّمّان، عن ابن عَوْن، عن محمد، عن عَبِيدة، عن عليّ، وبعضهم يرسِلُهُ، قال: قال النّبيّ ﷺ في الأسارى يوم بدر: إنْ شئتم قتلتموهم، وإنْ شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالفداء، واستشهد منكم بعدّتهم.

وكان آخر السبعين ثابت بن قيس، قُتِل يوم اليمامة.

هذا الحديث داخلٌ في معجزاته ﷺ، وإخباره عن حُكْم الله فيمن يُسْتَشْهَد، فكان كما قال.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق: حدثني نُبَيْه بن وهب العَبْدَري، قال: لما أقبل رسول الله ﷺ بالأسارى فرّقهم على المسلمين، وقال: استوصُوا بهم خيراً. قال نُبَيْه: فسمعتُ من يذكر عن أبي عزيز، قال: كنت في الأسارى يوم بدر، فسمعت رسولَ الله ﷺ يقول: استوصوا بالأسارى خيراً. فإنْ كان لَيُقَدَّمُ إليهم الطّعامُ فما تقع

بيد أحدهم كَسْرَةٌ إلاّ رمى بها إلى أسيره، ويأكلون التمر. فكنت أستحي فآخذ الكسرةَ فأرمي بها إلى الذي رمى بها إليّ، فيرمي بها إليّ.

أبو عزيز هو أخو مُصْعَب بن عُمَيْر، يقال: إنّه أسلمَ. وقال ابن الكلبي وغيره: إنّه قُتِل يوم أُحُد كافراً.

وعن ابن عبّاس، قال: جعل النّبيّ ﷺ فداءَ أهلِ الجاهلية يوم بدر أربع مئة.

أخرجه أبو داود من حديث شُعْبة، عن أبي العَنْبَس، عن أبي الشعثاء عنه[1].

وقال أسباط، عن إسماعيل السُّدِّي: كان فداء أهل بدر: العبّاس، وعَقِيل ابن أخيه، ونَوْفل، كل رجل أربع مئة دينار.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدّثني العبّاس بن عبدالله بن مَعْبَد، عن بعض أهله، عن ابن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ قال يوم بدر: إنّي قد عرفت أنّ ناساً من بني هاشم وغيرهم قد أُخْرِجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتُلْه، ومَنْ لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس فلا يقتله، فإنّه إنّما أُخْرِج مستكرهاً. فقال أبو حُذَيْفَة بن عُتْبة: أنقتل آباءنا وإخواننا ونترك العبّاس؟ والله لئن لقيتُه لألحمنّه بالسيف. فبلغت رسولَ الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، أيُضْرَب وجهُ عمِّ رسولِ الله بالسَّيف؟ فقال عمر: يا رسول الله ائذنْ لي فأضرب عُنُقَه، فَوَالله لقد نافق.

فكان أبو حُذَيْفة بعدُ يقول: والله ما آمنُ من تلك الكلمةِ التي قلتُ، ولا أزالُ منها خائفاً، إلاّ أنْ يكفِّرَها الله عنّي بشهادة. فاستُشهد يوم اليمامة.

---

(١) أبو داود (٢٦٩١)، وانظر المسند الجامع حديث (٦٩٢٩).

قال ابن إسحاق: إنّما نهى رسولُ الله ﷺ عن قتْل أبي البَخْتَرِيّ لأنّه كان أكَفّ القومَ عن رسولِ الله ﷺ وهو بمكة[1].

وكان العبّاس أكثر الأسرى فداءً لكونه مُوسراً، فافتدى نفسه بمئة أوقية ذهب.

وقال ابن شهاب: حدّثني أنَس أنّ رجالاً من الأنصار استأذنوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: ائذَنْ لنا فلنتركْ لابن أختنا فِداءَه. فقال: لا والله لا تَذَرُنَّ دِرْهماً. أخرجه البخاري[2].

وقال إسرائيل، عن سِماك، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قالوا: يا رسول الله، بعدما فرغ من بدر، عليك بالعِير ليس دونها شيء. فقال العبّاس وهو في وِثاقه: لا يصلُح. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّ الله وَعَدَكَ إحدى الطائفتين، وقد أعطاكَ ما وعدك.

وقد ذُكر إرسال زينب بنت رسول الله ﷺ بقلادتها في فداء أبي العاص زوجِها رضي الله عنهما.

وقال سعيد بن أبي مريم: حدثنا يحيى بن أيّوب، قال: حدثنا ابن الهاد، قال: حدثني عمر بن عبدالله بن عُرْوة بن الزُّبَيْر، عن عُرْوَة، عن عائشة: أنّ رسول الله ﷺ لما قدِم المدينةَ خرجت ابنتُه زينب من مكة مع كِنانة ـ أو ابن كِنانة ـ فخرجوا في أثرها. فأدركها هَبَّار بن الأسود، فلم يزل يطعنُ بعيرها برمحه حتى صَرَعها، وألقتْ ما في بطنها وأهريقت دماً. فتحمَّلت. فاشتجر فيها بنو هاشم وبنو أُميّة. فقالت بنو أُميّة: نحنُ أحقُّ بها. وكانت تحت أبي العاص، فكانت عند هند بنت عُتْبة بن ربيعة، وكانت تقول لها هند: هذا من سببِ أبيك. قالت: فقال رسولُ

(١) ابن هشام ١/٦٢٨-٦٢٩.
(٢) البخاري ٤/ ٨٤.

الله ﷺ لزيد بن حارثة: ألا تنطلق فتأتي بزينب! فقال: بلى يا رسولَ الله. قال: فخذ خاتمي فأعطها إياه. فانطلق زيد، فلم يزل يتلطَّف حتى لقيَ راعياً فقال له: لِمَنْ تَرعى؟ قال: لأبي العاص. قال: فلمن هذه الغنم؟ قال: لزينب بنت محمد. فسار معه شيئاً ثم قال له: هل لكَ أنْ أعطيكَ شيئاً تُعْطيها إيّاهُ، ولا تذكره لأحدٍ؟ قال: نعم. فأعطاه الخاتم. وانطلق الراعي حتى دخل فأدخل غنمه وأعطاها الخاتمَ، فعرفته، فقالت: مَنْ أعطاك هذا؟ قال: رجل. قالت: فأين تركته؟ قال: بمكانِ كذا وكذا. فسكتت، حتى إذا كان الليل خرجَتْ إليه، فقال لها: اركبي بين يديّ على بعيره. فقالت: لا، ولكن اركب أنت بين يديّ. وركبت وراءه حتى أتت المدينةَ.

فكان رسول الله ﷺ يقول: هي أفضلُ بناتي، أصيبت فيَّ.

قال: فبلغ ذلك عليَّ بن الحسين، فانطلق إلى عُرْوة فقال: ما حديثٌ بلغني عنك أنّك تحدّثه تتنقَّص به فاطمة؟ فقال عُرْوَة: والله ما أحبُّ أنَّ لي ما بين المشرقِ والمغربِ وأنّي أتنقَّصُ فاطمةَ حقّاً هو لها، وأما بعد فَلَكَ أنْ لا أُحدِّثه أبداً.

أسماء من شهد بدراً

جمعها الحافظ ضياء الدين محمد بن عبدالواحد في جزء كبير[1]. فذكر من أُجمع عليه ومن اختُلِف فيه من البدريّين، ورتّبهم على حروف المعجم. فبلغ عددهم ثلاث مئةٍ وبضعة وثلاثين رجلاً. وإنّما وقعت هذه الزيادة في عددهم من جهة الاختلاف في بعضهم.

---

(١) هو المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ.

وقد جاء في فضلهم حديث سعد بن عُبَيْدة، عن أبي عبدالرحمن السُّلَمي، عن عليّ، قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مَرْثَد الغَنَوي، والزُّبَير، والمِقداد، وكلّنا فارس، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، وهو موضع بين مكة والمدينة. فذكر الحديث، ومكاتبةَ حاطب بن أبي بَلْتَعَة قريشاً. فقال عمر: دعني أضرب عُنُقَه فقد خان الله ورسولَه. فقال: أليس هو من أهل بدر؟ وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنّة. أو قد غفرتُ لكم. فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال الليث، عن أبي الزُّبير، عن جابر، أنّ عبداً لحاطب بن أبي بَلْتَعَة جاء يشكوه فقال: يا رسول الله ليدخلنّ حاطبٌ النّارَ. فقال: كذبتَ لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحُدَيْبِيَة. أخرجه مسلم[2].

وقال يحيى بن سعيد الأنصاريّ، عن مُعَاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرَقي ـ وكان أبوه بدْرِيّاً ـ أنّه كان يقول لابنه: ما أُحبّ أنّي شهدت بدراً ولم أشهد العَقَبَة. قال: سألَ جبريلُ النبيَّ ﷺ: كيف أهلُ بدرٍ فيكم؟ قال: خيارُنا. قال: وكذلك مَن شهد بدراً من الملائكة هم خيار الملائكة. أخرجه البخاري[3].

ذكر طائفة من أعيان البدريّين

أبو بكر، وعمر، وعليّ، واحْتُبِسَ عنها عثمان يُمَرِّض زوجته رُقَيَّة

---

(١) البخاري ٤/ ٩٢ و ٥/ ٩٩ و ٨/ ٧١، ومسلم ٧/ ١٦٨، وانظر المسند الجامع حديث (١٠٢٨٤).

(٢) مسلم ٧/ ١٦٩، وانظر المسند الجامع حديث (٢٨٩٩).

(٣) البخاري ٥/ ١٠٣، وانظر المسند الجامع حديث (٣٧٣٦).

بنت النّبيّ ﷺ فتُوُفِّيَت في العَشْر الأخير من رمضان يوم قدوم المسلمين المدينة من بدر، وضرب له النَّبيُّ ﷺ بسهمه وأجره.

ومن البدريّين: سعد بن أبي وقّاص. وأمّا سعيد بن زيد، وطلحة ابن عُبَيْد الله، فكانا بالشام، فقدما بعد بدر وأسهم لهما النّبيّ ﷺ.

الزُّبَير بن العوّام، أبو عَبَيْدة بن الجرّاح، عبدالرحمن بن عَوْف، حمزة بن عبدالمطّلب، زيد بن حارثة، عُبيدة بن الحارث بن المطّلب، وأخواه: الطُّفَيْل، والحُصَيْن، وابن عَمّه: مِسْطح بن أُثَاثة بن عبّاد بن المطّلب، وأربعتهم لم يُعقبوا، مُصْعَب بن عُمَيْر العَبْدَرِي، المِقْداد بن الأسود، عبدالله بن مسعود، صُهَيْب بن سِنان، أبو سَلَمَةَ بن عبدالأسد، عمّار بن ياسر، زيد بن الخطّاب أخو عمر.

ومن أعيان الأنصار، من الأوْس: سعد بن مُعَاذ.

ومن بني عبدالأشهل: عبّاد بن بِشْر، محمد بن مسلمة، أبو الهيثم ابن التَّيْهان.

ومن بني ظفر: قَتَادة بن النُّعمان.

ومن بني عَمْرو بن عَوْف: مبشِّر بن عبدالمنذر، وأخوه: رِفاعة. ولم يحضرها أخوهما أبو لُبَابة، لأنّ النّبيّ ﷺ ردّه فاستعمله على المدينة، وضرب له بسهمه وأجره.

ومن بني النّجّار:

أبو أيوب خالد بن زيد، عَوْف[1]، ومُعَوِّذ، ومُعاذ، بنو الحارث ابن رِفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غَنْم بن عَوْف، وهم بنو عفراء، أُبَيُّ بن كعب، أبو طلحة زيد بن سهل، بلال مولى أبي بكر، عُبَادة بن الصّامت، مُعَاذ بن جبل الخَزْرَجي، عاصم بن ثابت بن أبي

(١) وهم الناسخ فأضاف «بن» بين عوف ومعوذ.

الأقلح، عِتْبان بن مالك الخزرجي، عُكاشة بن مِحْصَن، كعب بن عَمْرو أبو اليَسَر السَّلَمي، مُعَاذ بن عَمْرو بن الجَمُوح. حَشَرَنَا الله في زُمْرتهم. وقد ذكرنا من استُشهد منهم.

وقُتِل من المشركين:

حنظلة بن أبي سُفيان بن حرب، وعُبيد بن سعيد بن العاص، وأخوه: العاص، وعُتبة، وشَيْبة، ابنا ربيعة، وولد عُتبة: الوليد، وعُقْبة ابن أبي مُعَيْط، قُتِل صبْراً، والحارث بن عامر النَّوْفَلي، وابن عمّه طُعَيْمَة ابن عدِيّ، وزَمعة بن الأسود، وابنه: الحارث، وأخوه: عقيل، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث بن أسد ـ واسمه العاص ـ ونوفل بن خُوَيْلد أخو خديجة، والنَّضْر بن الحارث، قُتِل صبْراً بعد يومين، وعُمَيْر ابن عثمان التَّيمي عمّ طلحة بن عُبَيدالله، وأبو جهل، وأخوه: العاص بن هشام، ومسعود بن أبي أُميّة المخزومي أخو أمّ سَلَمَة، وأبو قيس أخو خالد بن الوليد، والسّائب بن أبي السائب المخزومي، وقيل لم يُقْتَل، بل أسلم بعد ذلك، وقيس بن الفاكه بن المغيرة، ومنبّه ونُبَيْه: ابنا الحَجّاج بن عامر السَّهمي، وولدا مُنبِّه: الحارث[١]، والعاص، وأُميَّة بن خَلَف الجُمَحي، وابنه: عليّ.

وذكر ابن إسحاق[٢] وغيرُه سائرَ المقتولين، وكذا سمَّى الذين أُسروا. تركتُهُم خوفاً من التطويل.

وفي رمضان: فرض الله صومَ رمضان، ونسخ فرضية يوم عاشوراء. وفي آخره: فُرِضت الفِطْرة.

وفي شوّال: دخل النّبيُّ ﷺ بعائشة، وهي بنت تسع سنين.

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق الحارث بن منبه ضمن القتلى من بني سهم (١/٧١٢-٧١٣).

(٢) ابن هشام ١/٧٠٨-٧١٥.

وفي صفر: تُوُفِّي أبو جُبَيْر المُطْعم بن عَدِيّ بن نَوْفَل ـ ونوفل هو أخو هاشم بن عبدمَناف بن قُصَيّ ـ تُوُفّي مشرِكاً عن سنٍّ عالية، وكان من عقلاء قُريش وأشرافهم. وهو الذي قال رسول الله ﷺ: لو كان المُطْعم ابن عَدِيّ حيّاً وكلّمني في هؤلاء النَّتْنَى لأجبتُهُ. وكانت له عند النّبيّ ﷺ يد، لأنّه قام في نقض الصحيفة.

وفيها: تُوُفِّي أبو السّائب عثمان بن مظعون رضي الله عنه ابن حبيب ابن وهب بن حُذَافة بن جُمَح الجُمَحِي، بعد بدر بيسير. وقد شهدها هو وأخواه: قُدامة، وعبدالله.

وعثمان هذا أحد السابقين، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة الهجرةَ الأولى، ولما قدم أجاره الوليد بن المغيرة أياماً. ثم ردّ على الوليد جواره. وكان صوَّاماً قوّاماً قانتاً لله.

وفيها: تُوُفِّي أبو سَلَمَةَ (ت ق)[1] عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم رضي الله عنه، مَرْجِعَ رسول الله ﷺ من بدر. وهو ابن عمَّة النّبيّ ﷺ وأخوه من الرضاعة، وأمّه بَرَّةُ بنت عبدالمطّلب. من السابقين الأوّلين، شهد بدراً، وتزوَّجت أمّ سَلَمَة بعده بالنّبيّ ﷺ، وروت عنه القول عند المصيبة، وقيل تُوُفِّي سنة ثلاثٍ بعد أُحُدٍ أو قبلها.

وفيها: وُلد عبدالله بن الزُّبَيْر، بالمدينة، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة، ومروان بن الحَكَم: بمكة.

---

(١) يعني: أخرج حديثه الترمذي وابن ماجة.

قصَّة النَّجاشي

«من السِّيرة»[1]

ثم إنَّ قُريشاً قالوا: إنَّ ثأرَنا بأرض الحبشة، فانتُدب إليها عَمْرو بن العاص، وابن أبي ربيعة.

قال الزُّهْري: بلغني أنّ مخرجَهما كان بعد وقعة بدر.

فلما بلغ النّبيَّ ﷺ مخرجهُما، بعث عَمْرو بن أُميَّة الضَّمري بكتابه إلى النَّجَاشِيّ.

وَقال سعيد بن المسيّب وغيره: فبعث الكفّار مع عَمْرو بن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة للنَّجاشي، ولعُظماء الحبشة هدايا. فلما قدِما على النجاشي قبل الهدايا، وأجلس عَمْرو بن العاص على سريره. فكلّم النّجاشيّ فقال: إنّ بأرضكم رجالاً منّا ليسوا على دينك ولا على ديننا، فادفعهم إلينا. فقال عُظماء الحبشة للنجاشيِّ: صدق، فادفعهم إليه. فقال: حتى أكلّمهم.

قال الزُّهْرِي، عن أبي بكر بن عبدالرحمن، عن أمّ سَلَمَة، قالت: نزلنا الحبشةَ، فجاورنا بها خيرَ جارٍ، النّجَاشيّ، أمِنَّا على ديننا وعَبَدْنا الله عَزَّ وجلَّ، لا نؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهُه. فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النّجاشيّ مع رجلين بما يُسْتَطْرَف من مكة. وكان من أعجب ما يأتيه منها: الأدم. فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا بطْرِيقاً عنده إلاّ أَهْدوا له. وبعثوا عبدَالله بنَ أبي ربيعة، وعَمْرو بنَ العاص وقالوا: ادفعا إلى كل بَطْرِيقٍ هديَّتَه قبل أنْ تُكَلِّما النَّجاشِيَّ.

---

(١) ابن هشام ١/ ٣٣٢-٣٤١.

فقدِما، وقالا لكل بطْريقٍ: إنّه قد ضوى[1] إلى بلد الملك منّا غِلْمان سُفَهاء، خالفوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينكم. وقد بَعَثَنَا أشرافُنا إلى الملك ليردَّهم، فإذا كلّمناه فأشيروا عليه أن يسلِّمهم إلينا. فقالوا: نعم.

ثم قرّبا هداياهما إلى النَّجاشيّ فقبِلها، فكلّماه. فقالت بطارقتُه: صَدَقَا أيُّها الملك، قومهم أعلى بهم عَيْناً، وأعلم بما عابوا عليهم. فغضب النَّجاشيُّ، ثم قال: لاها الله أبداً، لا أرسلهم إليهم. قوم جاوروني ونزلوا بلادي، واختاروني على سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عمّا يقولون.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ. فلما جاء رسوله اجتمعوا، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما عَلَّمَنَا اللهُ، وأمرنا به نبيُّنا، كائن في ذلك ما كان. فلما جاؤوه وقد دعا النَّجاشيُّ أساقفتَهُ، ونشروا مصاحفهم حوله، سألهم: ما هذا الدّين الذي فارقتم فيه قومَكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحدٍ من المِلَل.

قالت: فكلَّمه جعفرُ بن أبي طالب، فقال: أُيّها الملكُ: كُنَّا قوماً أهلَ جاهليّة نعبد الأصنام ونأكل المَيْتَة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونُسيء إلى الجار ويأكل القويُّ منّا الضعيف. كنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نَسَبَه وصِدْقه وأمانته وعفافه، فدعا إلى الله لنعبده وحده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصِدْق الحديثِ، وأداءِ الأمانة، وصلة الرَّحِم وحُسْن الجوار، والكَفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكلِ مال اليتيم، وقذف المُحْصنات، وأمرنا أنْ نعبدَ الله ولا نُشْرِكَ به شيئاً،

---

(١) أي: لجأ وأوى.

وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. وعَدَّ أمورَ الإسلام. قال: فصدَّقناهُ واتَّبعناه، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، وآثرناك على مَنْ سِواكَ فرغبنا في جوارك، ورجَوْنا أن لا نُظلَمَ عندك.

قال: فهل معك شيء ممّا جاء به عن الله؟ قال جعفر: نعم. فقرأ: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم].

قالت: فبكى النَّجاشيُّ وأساقفته حتى أخضَلوا لحاهم، حين سمعوا القرآن.

فقال النَّجاشيُّ: إنّ هذا والذي جاء به موسى لَيَخْرُجُ من مشكاةٍ واحدة. انطلقا، فوالله لا أُسلّمهم إليكما أبداً.

قالت: فلما خرجنا من عنده، قال عَمْرو بن العاص: واللهِ لآتيَنّهُ غداً بما أستأصلُ به خضراءَهُم. فقال له ابن أبي ربيعة؛ وكان أتقى الرجُلَين فينا: لا تفعلْ، فإنَّ لهم أرحاماً، وإنْ كانوا قد خالفونا. قال: فَوَالله لأخبرنَّه أنّهم يزعمون أنّ عيسى عبد.

قالت: ثم غدا عليه، فقال: أيّها الملك، إنّهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً. فأرسَلَ إلينا ليسألنا. قالت: ولم ينزل بنا مثلها.

فقال: ما تقولون في عيسى؟

فقال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا: عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النّجاشيُّ بيده إلى الأرض، وأخذ منها عوداً، وقال: ما عَدَا عيسى بن مريم ما قُلْتَ هذا المقدار.

قال: فتناخرت[١] بطارقته حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم

---

(١) أي: تكلموا بغضب ونفور.

والله. ثم قال لجعفر وأصحابه: اذهبوا آمنين. ما أحبّ أنّ لي دَبْر ذهب، وأنّي آذيت واحداً منكم ـ والدبر بلسان الحبشة: الجبل ـ رُدُّوا عليهما هديتهما، فلا حاجة لنا فيها، فَوَالله ما أخذ الله فِيَّ الرشوة فآخُذَ الرشوةَ فيه، وما أطاع النّاسَ فِيَّ فأطيعهم فيه. فخرجا من عنده مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به.

قالت: فوالله إنّا لعلى ذلك، إذْ نزلَ به رجلٌ من الحبشة ينازعه في مُلْكه، فَوَالله ما علمنا حُزْنّا قطّ أشدّ من حُزْنٍ حزنّاه عند ذلك، تَخَوُّفاً أنْ يظهر عليه مَنْ لا يعرف حقّنا. فسار إليه النجاشي، وبينهما عرض النيل.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من يخرج حتى يحضر الوقعة ويخبرنا؟ فقال الزُّبير بن العوّام: أنا أخرج. وكان من أحدثِ القوم سِنّاً. فنفخوا له قِرْبةً فجعلها في صدره، وسبح عليها إلى النّاحية التي فيها الوقعة، ودعونا الله للنّجاشيِّ، فَوَالله إنّا لعلى ذلك، متوقّعون لما هو كائن، إذْ طلعَ علينا الزُّبير يسعى ويلوِّحُ بثوبه: ألا أبشروا، فقد ظهر النّجاشيُّ، وأهلك الله عدوَّه. فَوَالله ما علمنا فرحة مثلها قطّ.

ورجع النّجاشيُّ سالماً، واستَوْسقَ له أمرُ الحبشة. فكنّا عنده في خيرِ منزلٍ، حتى قدِمْنا على رسول الله ﷺ بمكة.

أخرجه أبو داود[1] من حديث ابن إسحاق عن الزُّهْري.

وهؤلاء قدِموا مكةَ، ثم هاجروا إلى المدينة، وبقي جعفر وطائفة بالحبشة إلى عام خَيْبر.

وقد قيل إنّ إرسال قُريش إلى النَّجاشيّ كان مرَّتين، وأنّ المرَّة الثانية كان مع عَمْرو: عمارة بن الوليد المخزومي أخو خالد. ذكر ذلك

(١) كذا قال، ولم نقف عليه عند أبي داود، ولكن أخرجه أحمد ١/ ٢٠١ و٥/ ٢٩٠، وابن خزيمة (٢٢٦٠)، وانظر المسند الجامع حديث (٣١٩١).

ابن إسحاق أيضاً. وذكر ما دار لعَمْرو بن العاص مع عمارة بن الوليد من رمْيِه إيّاه في البحر، وسَعْي عَمْرٍو به إلى النَّجَاشيِّ في وصوله إلى بعض حُرَمه أو خَدَمه، وأنّه ظهر ذلك في ظهور طيب الملك عليه، وأنّ الملك دعا بسحرةٍ فسحروه ونفخوا في إحليله. فتبرّر[1] ولزم البرّيّةَ، وهام، حتى وصل إلى موضع رام أهله أخذه فيه، فلما قَرُبُوا منه فاضت نفسُه فمات.

وقال ابن إسحاق[2] ، قال الزُّهري: حدّثت عُرْوَةَ بن الزُّبَير حديث أبي بكر عن أمّ سَلَمَة، فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله منّي الرّشوَة حين رَدَّ عليَّ مُلْكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع النّاسَ فيّ فأطيعهم فيه؟ قلت: لا. قال: فإنّ عائشة حدّثتني أنّ أباه كان ملك قومه، لم يكن له ولد إلاّ النّجاشيّ. وكان للنّجاشيّ عمّ، له من صُلْبه اثنا عشر رجلاً، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة. فقالت الحبشة: لوأنّا قتلنا أبا النَّجاشيّ وملّكْنا أخاه لتوارث بنوه مُلْكَه بعده، ولَبَقِيَت الحبشةُ دهراً. قالت: فقتلوه وملكوا أخاه. فنشأ النَّجاشيُّ مع عمّه. وكان لبيباً حازماً، فغلب على أمر عمّه. فلما رأت الحبشة ذلك قالت: إنّا نتخوّف أنْ يملّكه بعده، ولئن مُلِّك ليقتُلَنا بأبيه. فمشوا إلى عمّه فقالوا: إمّا أنْ تقتل هذا الفتى، وإمّا أنْ تخرجه من بين أظهُرِنا. فقال: وَيْلكم! قتلتُ أباه بالأمس، وأقتلُه اليوم؟ بل أُخْرِجه. قال: فخرجوا به فباعوه من تاجر بست مئة دِرْهَم. فانطلق به في سفينة. فلما كان العَشِيُّ، هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمُّه يستمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته. ففزعت الحبشةُ إلى ولده، فإذا هو مُحَمَّقٌ[3] ليس في ولده خير. فَمَرَجَ

(١) سلك طريق الطاعة.

(٢) ابن هشام ١/ ٣٣٩.

(٣) أي: مَنْ خرج نسله حمقى أو حمق.

على الحبشة أمرُهم وضاق عليهم ما هُمْ فيه. فقال بعضهم لبعض: تعلَّموا، والله، أنّ ملككم الذي لا يقيم أمرَكم غيرُه لَلّذِي بِعْتُم. قال: فخرجوا في طلبه وطلب الذي باعوه منه، حتى أدركوه فأخذوه منه. ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التّاجَ وأجلسوه على سرير المُلْك. فجاء التاجر فقال: إمّا أن تُعطوني مالي وإمّا أنْ أكلّمه في ذلك. فقالوا: لا نُعطيك شيئاً. قال: إذن والله أكلّمه. قالوا: فَدُونك. فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيّها الملك، ابتعت غلاماً من قومٍ بالسّوق بست مئة دِرْهم، حتى إذا سرت به أدركوني، فأخذوه ومنعوني دراهمي. فقال النّجاشيّ: لَتُعْطُنَّه غلامه أو دراهمه. قالوا: بل نُعطيه دراهمه.

قالت: فلذلك يقول: ما أخذَ اللهُ منّي رشوةً حين ردّ عليَّ مُلْكي، فآخذ الرشوةَ فيه. وكان ذلك أوّل ما خُبر مِنْ صَلابتِه في دينه وعَدْله.

قال ابن إسحاق[١]: وحدّثني يزيد بن رومان، عن عُرْوة، عن عائشة، قالت: لما مات النّجاشيُّ كان يُتَحَدَّثُ أنّه لا يزال على قبره نور.

قال: وحدّثني جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنّجاشيّ: إنّك فارقتَ ديننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيّأ لهم سُفُناً، وقال: اركبوا فيها، وكونوا كما أنتم، فإنْ هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإنْ ظفرتُ فاثبُتُوا. ثم عمد إلى كتابٍ فكتب: هو يشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، ويشهدُ أنّ عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته.

ثم جعله في قبائه[٢] وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له، فقال: يا

(١) ابن هشام ١/ ٣٤٠.
(٢) نوع من الثياب تجتمع أطرافه، وهو من لباس الأعاجم.

معشر الحبشة، ألستُ أحقّ النّاس بكم؟ قالوا: بلى. قال: فكيف رأيتم سِيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقتَ دينَنا وزعمتَ أنّ عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم؟ قالوا: هو ابن الله. فوضع يده على صدره، على قبائه، وقال: هو يشهد أنّ عيسى بن مريم. لم يزد على هذا شيئاً، وإنّما يعني على ما كتب. فرضوا وانصرفوا.

فبلغ ذلك النّبيَّ ﷺ، فلما مات صلّى عليه واستغفر له، رضي الله عنه، وإنّما ذكرنا هذا بعد بدرٍ استطراداً[(١)] ، والله أعلم.

سريّة عُمَيْر بن عَدِيّ الخَطْميّ

ذكر الواقدي[(٢)] أن رسول الله ﷺ بعثه لخمس بقين من رمضان، إلى عصماء بنت مروان، من بني أُميّة بن زيد، وكانت تعيبُ الإسلامَ، وتُحرِّضُ على النّبيِّ ﷺ، وتقول الشعر، فجاءها عُمَيْر بالليل فقتلها غيلة.

غزوة بني سُلَيم

قال ابن إسحاق[(٣)] : لم يُقِم رسول الله ﷺ، مُنْصَرَفَه عن بدر بالمدينة، إلاّ سبعة أيام. ثم خرج بنفسه يريد بني سُلَيْم، واستخلف على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطَة الغِفاريّ، وقيل: ابنَ أمّ مكتوم. فبلغ ماءً يقال له: الكُدْر، فأقام عليه ثلاثاً، ثم انصرف، ولم يَلْقَ أحداً.

---

(١) وقد تقدم خبر النجاشي قبل الهجرة أيضاً.

(٢) المغازي ١/ ١٧٢-١٧٤.

(٣) ابن هشام ٢/ ٤٣-٤٤.

[سرِيّة سالم بن عُمَيْر لقتل أبي عَفَك][1]

وذكر الواقدي[2] أنّ أبا عَفَك اليهوديّ، كان قد بلغ مئة وعشرين سنة، وهو من بني عَمْرو بن عَوْف، كان يؤذي النّبيَّ ﷺ، ويقول الشِّعر، ويحرّض عليه. فانتدب له سالم بن عُمَيْر، فقتله غِيلةً، في شوّال منها.

غزوة السّوِيق

في ذي الحِجَّة

قال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب: كان أبوسُفيان بن حرب، حين بلغه وقعةُ بدر، نَذَرَ أنْ لا يمسّ رأسَه دهنٌ ولا غُسْلٌ، ولا يقرب أهلَه، حتى يغزو محمداً ويحرق في طوائف المدينة. فخرج من مكة سرّاً خائفاً، في ثلاثين فارساً، ليحلّ يمينه. حتى نزل بجبلٍ من جبال المدينة يقال له: نبت[3] . فبعث رجلاً أو رجلين من أصحابه، وأمرهما أنْ يحرِّقا أدنى نَخْلٍ يأتيانه من نخل المدينة. فوجدا صَوْراً[4] من صِيران نخل العُرَيْض. فأحرقا فيها وانطلقا، وانطلق أبو سُفيان مسرعاً.

وخرج رسول الله ﷺ، حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُدْر[5] ففاته أبو سُفيان،

---

(١) هذا العنوان ليس في الأصل وضع للتوضيح.

(٢) المغازي ١/ ١٧٤-١٧٥.

(٣) هكذا مجودة في الأصول، وفي سيرة ابن هشام: «ثيب»، وفي تاريخ الطبري ٢/ ٤٨٤: «تيت».

(٤) الصَّوْرُ: جماعة النخل الصغار.

(٥) موضع قرب المدينة. والقرقرة: أرض ملساء. والكدر: طير في ألوانها كدر عُرف بها ذلك الموضع.

فرجع[1].

وذكر مثلَ هذا ابنُ لَهِيعة عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، وقال: وركب المسلمون في آثارهم، فأعجزوهم وتركوا أزوادهم، فسُمِّيتْ غزوةُ أبي سفيان: غزوة السَّوِيق.

وقال ابن إسحاق[2]: حدثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، ويزيد بن رومان، وحدّثني من لا أتّهم، عن عُبَيدالله بن كعب بن مالك، قالوا:

لما رجع أبو سفيان إلى مكة، ورجع فَلُّ قريش من يوم بدر، نذر أن لا يمسّ رأسَه ماءٌ من جَنابة حتى يغزوَ محمداً. فخرج في مئتي راكب، إلى أن نزل بجبل يقال له: نبت، على نحو بريد من المدينة. ثم خرج من اللّيل حتى أتى حُيَيّ بن أخطب، فضرب عليه بابه، فلم يفتح له وخافه. فانصرف إلى سلاّم بن مِشْكَم، وكان سيّد بني النَّضير، فأذِن له وقَراه، وأبطن له من خبر النّاس. ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابَه، فبعث رجالاً، فأتوا ناحية العُرَيْض، فوجدوا رجلَين من المسلمين، فقتلوهما وردُّوا ونذر بهم النّاس.

فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم، حتى بلغ قَرْقَرَة الكُدْر، ثم انصرف، وقد فاته أبو سُفيان وأصحابُه، قد رَمُوا زاداً لهم في جُرُبٍ، وسويقاً كثيراً، يتخفَّفون منها للنَّجاء. فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة؟ فقال: نعم. قال: وذلك بعد بدر بشهرين.

وفي هذه السنة: تزوّج عثمان بأم كلثوم، رضي الله عنهم.

وفيها تزوّج عليّ رضي الله عنه بفاطمة الزهراء رضي الله عنها.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٤٤.

(٢) ابن هشام ٢/ ٤٤.

قال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[١] : حدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن[٢] عليّ رضي الله عنه، قال: خُطِبَتْ فاطمةُ إلى رسول الله ﷺ، فقالت لي مولاةٌ لي: علمتَ أنَّ فاطمةَ خُطِبتْ إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا. قالت: فما يمنعك أن تأتيه فيزوِّجك؟ فقلتُ: وعندي شيء أتزوّج به؟ قالت: إنَّك إنْ جئته زوَّجك. قال: فَوَالله ما زالت تُرجِّيني، حتى دخلت على رسول الله ﷺ، وكان لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة، فأُفحِمْتُ، فَوَالله ما استطعت أنْ أتكلّم. فقال: ما حاجتك، أَلَك حاجة؟ فسكتُّ. ثم قال: لعلّكَ جئتَ تخطب فاطمة؟ قلت: نعم. قال: وهل عندك من شيء تستحلّها به؟ فقلت: لا والله. فقال: ما فعلت درعُ سلّحْتُكَها؟ فَوَالذي نفسُ عليٍّ بيده إنّها لحُطَمِيَّة ما ثمنها أربعة دراهم. فقلت: عندي. فقال: قد زوَّجْتُكَها، فابعث إليّ بها. فإنْ كانت لَصَدَاق فاطمة رضي الله عنها.

وقال أيّوب، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: لما تزوّج عليٌّ فاطمة رضي الله عنهما، قال له النّبيُّ ﷺ: أعطِها شيئاً. قال: ما عندي شيء. قال: أين درعك الحُطَمِيَّة؟. أخرجه أبو داود[٣] .

وقال عطاء بن السّائب، عن أبيه، عن عليّ رضي الله عنه، قال: جهَّز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل، وقربة، ووِسادة أَدَمٍ حَشْوُها إذْخِر[٤] .

---

(١) انظر: النسائي ٦/ ١٢٩، وأحمد ١/ ٨٠، والطبقات الكبرى ٨/ ٢٠ و ٢١.
(٢) ضبب المؤلف في هذا الموضع لأن مجاهداً لم يلق علياً رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد ١ / ٧٩، و أبو داود (٢١٢٥) و (٢١٢٧)، والنسائي ٦/ ١٣٠، وانظر المسند الجامع حديث (٦٤٥٣).
(٤) أخرجه الحميدي (٤٤)، وأحمد ١/ ٨٤ و ٩٣ و ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٨، وابن ماجة (٤١٥٢)، والنسائي ٦/ ١٣٥، وانظر المسند الجامع حديث (١٠١٣٥).

وفيها: تُوُفِّي سعد بن مالك بن خالد بن ثَعلبة الخزْرجيّ السّاعدي، والد سهل بن سعد. وكان تجهّز إلى بدر فمات قبلها في رمضان. فيقال: إنّ النّبيّ ﷺ ضرب له بسهمه، وردَّه على وَرَثَتِه.

وفيها: بعد بدر، تُوُفِّي خُنَيْس بن حُذَافة السَّهْمي، أحدُ المهاجرين، شهد بدراً. وَتأيَّمَتْ منه حفصة بنت عمر بن الخطّاب.

وفي شوّال: بَنَى النّبيُّ ﷺ بعائشة رضي الله عنها، وعُمْرُها تِسْعُ سنين.

ثُمَّ دَخَلَت سَنَةُ ثلاث

«غزوة ذي أَمَر»

في المحرَّم، غزا النّبيّ ﷺ نَجْداً، يريد غَطَفان، واستعمل على المدينة عثمان، فأقام بنجْد صَفَراً كلَّه، ورجع من غير حرب. قاله ابن إسحاق[1] .

وأمّا الواقدي[2] فقال: كانت في ربيع الأول، وأنَّ غيبته أحدَ عشرَ يوماً. ثم روى عن أشياخه، عن التّابعين: عبدالله بن أبي بكر بن حزم، وغيره، قالوا: بلغ النّبيَّ ﷺ أنّ جمعاً من غَطفان، من بني ثعلبة، بذِي أمَر، قد تجمَّعوا يريدون أن يُصيبوا من أطراف المسلمين، والله أعلم.

غزوة بُحْران

قال ابن إسحاق[3] : أقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ربيع الأول. ثم غزا يريد قريشاً.

قال عبدالملك بن هشام: فبلغ بُحْرانَ، مَعْدناً بالحجاز، فأقام هناك ربيع الآخر كلَّه، وجُمادَى الأولى.

وبُحْران من ناحية الفُرْع. ثم رجع ولم يلق كيداً.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٤٦.
(٢) المغازي ١/ ١٩٣.
(٣) ابن هشام ٢/ ١٤٦.

وقال الواقدي[1] : غزا النبيّ ﷺ بني سُلَيْم ببُحْران، لِستٍّ خَلَوْن من جُمادَى الأولى. وبُحْران من ناحية الفُرْع بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد. فغاب عشرَ ليالٍ. وكان بلغه أنّ بها جمعاً من بني سُلَيْم، فخرج في ثلاث مئة، واستخلف ابنَ أمِّ مكتوم. الفُرْع: بضم الفاء وسكون الراء بين مكة والمدينة.

غزوة بني قَيْنُقَاع

- مثلث النون-

ذكرها ابن إسحاق[2] هكذا، بعد غزوة الفُرْع.

وأما الواقديّ، فقال[3] : كانت يوم السبت نصف شوّال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة. فحاصرهم إلى هلال ذي القعدة.

وقال البكّائي: قال ابن إسحاق[4] : ومن حديثهم أنّ رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قَيْنُقاع، ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النِّقمة، وأسْلِموا فإنّكم قد عرفتم أنّي نبيٌّ مُرْسَل، تجدون ذلك في كتابكم وعَهْدِ الله إليكم. قالوا: يا محمد، إنّك تُرَى[5] أنّا كقومك؟ لا يغرَّنَّك أنّك لقيت قوماً لا عِلْمَ لهم بالحرب، فأصبتَ منهم فرصة. إنّا والله لو حاربتنا لتعلمنَّ أنّا نحنُ الرجال.

عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلّا فيهم ﴿ قُل لِّلَّذِينَ

(١) المغازي ١/ ١٩٦.
(٢) ابن هشام ٢/ ٤٧.
(٣) المغازي ١/ ١٧٦.
(٤) ابن هشام ٢/ ٤٧.
(٥) هكذا جَوّد البشتكي ضبطها عن المؤلف، وفي المطبوع من السيرة: تَرَى.

كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران] الآيتين.

وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة: أنّ بني قَيْنُقاع كانوا أوّل يهودٍ نقضوا وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد.

قال: وعن أبي عَوْن، قال: كان أمر بني قَيْنُقَاع أنَّ امرأةً من العرب قدمت بجَلَبٍ لها فباعته بسُوقهم، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشْف وجهها، فلم تفعل، فعمد الصّائغ إلى طَرَف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سَوْءتُها فضحكوا، فصاحت، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصّائغ فقتله، فشدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فأغضَبَ المسلمين ووقع الشَّرُّ.

وحدّثني عاصم، قال: فحاصرهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حُكْمه. فقام إليه عبدالله بن أُبَيّ بن سَلُول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مَوَاليَّ. فأعرض عنه، فأدخل يده في جَيْبِ درعِ رسولِ الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أرسِلْني، وغضب، أرسلني، وَيْحَك. قال: والله لا أرسلك حتى تحسن في مَوَاليَّ: أربع مئة حاسر، وثلاث مئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداةٍ واحدة، إنّي والله امرؤٌ أخشى الدوائر. فقال رسول الله ﷺ: هم لك.

وحدّثني أبي إسحاقُ[(١)]، عن عُبَادة بن الوليد، قال: لما حاربتْ بنو قَيْنُقَاع رسولَ الله ﷺ، تشبّث بأمرهم ابنُ سَلُول وقام دونَهم.

قال: ومشى عُبَادةُ بن الصّامت إلى رسولِ الله ﷺ، وكان أحدَ بني عَوْف، لهم من حِلْفه مِثْلُ الذي لابن سَلُول، فجعلهم إلى رسولِ الله ﷺ، وتبرّأ إلى الله ورسوله من حِلْفِهم، وقال: أتولّى الله ورسولَه والمؤمنين، فنزلت فيه وفي ابن سَلُول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ

---

(١) ابن هشام ٢/ ٤٩.

﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة]، وذلك لتولّي عبادة اللهَ ورسولَه[1].

وذكر الواقديّ[2]: أنّ النّبيّ ﷺ حاصرهم خمسَ عشرةَ ليلةً، إلى هلال ذي القِعدة. وكانوا أوّل من غدر من اليهود، وحاربوا حتى قذف الله في قلوبهم الرُّعْب، ونزلوا على حُكْمه، وأنّ له أموالهم. فأمر ﷺ بهم فكُتِّفُوا، واستعمل على كتافهم المنذر بن قُدامة السَّلْمي، من بني السَّلْم، فكلّم عبدالله بن أُبَيّ فيهم رسولَ الله ﷺ، وألحَ عليه. فقال: خُذْهم. وَأمر بهم أن يُجْلوا من المدينة، ووليَ إخراجَهم منها عُبادةُ بن الصّامت، فلحقُوا بأذْرِعات، فما كان أقلّ من بقائهم فيها. وتولّى قبضَ أموالهم محمدُ بن مَسْلَمة، ثم خُمِّسَتْ، وأخذ النّبيّ ﷺ من سلاحهم ثلاثةَ أسياف، ودِرْعَين، وغيرَ ذلك.

غزوة بني النَّضِير

قال مَعْمَر، عن الزُّهْرِي، عن عُرْوَة: كانت غزوة بني النَّضير، وهم طائفة من اليهود، على رأس ستّة أشهر من وقعة بدر. وكانت منازلهم ونخْلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أنَّ لهم ما أقلّت الإبلُ إلاّ السّلاح، فأُنزلتْ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر] الآيات.

فأجلاهم إلى الشّام، وكانوا من سِبْط لم يُصِبهم جلاء. وكان الله قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لَعذَّبهم في الدنيا بالقتْل والسَّبي.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٤٩-٥٠.

(٢) المغازي ١/ ١٧٦-١٨٠.

وقوله: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾، فكان جلاؤهم ذلك أوّلَ حشرٍ في الدنيا إلى الشام.

ويرويه عُقَيْل عن الزُّهْري، قوله. وأسنده زيد بن المبارك الصَّنَعاني، قال: حدثنا محمد بن ثَوْر، عن مَعْمر، عن الزُّهْري، عن عُرْوة، عن عائشة. وذِكْرُ عائشةَ فيه غيرُ محفوظ.

وقال ابن جُرَيْج، عن موسى بن عُقبة، عن نافع، عن ابن عمر: أنَّ يهود بني النَّضير، وقُرَيْظَة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى بني النَّضير، وأقرَّ قُرَيْظة ومَنَّ عليهم، حتى حاربوا بعد ذلك. أخرجه البخاري(١).

وقال مَعْمَر، عن الزُّهْري، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن رجلٍ من أصحاب النّبيِّ ﷺ، أنّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كتبوا إلى ابن أُبَيّ ومَن كان يعبد معه الأوثانَ من الأوس والخزرج قبلَ وقعة بدر: إنّكم آويتم صاحبَنَا، وإنّا نُقسم بالله لتقاتلُنَّه أو لَتُخْرِجُنَّه أو لَنَسيرنَّ إليكم بجمْعنا حتى نقتلَ مقاتلكم ونَستبيحَ نساءكم. فلما بلغ ذلك عبدالله بن أُبَيّ وأصحابه، اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ، فبلغه ذلك فلقيهم فقال: لقد بلغ وعيدُ قريش منكم المبالغَ، ما كانت تكيدكم بأكثر ممّا تريدون أنْ تكيدوا به أنفُسَكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟ فلما سمعوا ذلك تفرَّقوا. فبلغ ذلك كفَّارَ قُريشٍ فكتبوا، بعد بدر، إلى اليهود: إنّكم أهل الحَلْقَة(٢) والحِصْن وإنّكم لتقاتلُنَّ صاحَبنا أو لَنَفْعَلَنَّ كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خَدَم نسائكم شيء. وهي الخلاخيل.

فلما بلغ كتابُهُم للنبي ﷺ، أجمعت بنو النَّضِير بالغدر، وأرسلوا إلى النَّبيّ ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولْيَخْرُجْ منّا

(١) البخاري ٥/ ١١٢.
(٢) أي: أهل السلاح.

ثلاثون حَبْراً، حتى نلتقي بمكان المَنْصَف[1]، فيسمعوا منك، فإنْ صدَّقوا وَآمنوا بك آمنّا بك. فقصّ خبرَهم.

فلمّا كان الغد، غدا عليهم رسولُ الله ﷺ بالكتائبِ فَحَصَرهم، فقال لهم: إنّكم والله لا تأمنونَ عندي إلاّ بعهدٍ تُعاهدوني عليه. فأبوا أنْ يُعطوه عهداً، فقاتَلَهم يومهم ذلك.

ثم غدا على بني قُرَيْظة بالكتائب، وترك بني النَّضِير، ودعاهم إلى أنْ يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم.

وغدا إلى بني النَّضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء. فجلت بنو النَّضير، واحتملوا ما أقلّت الإبلُ من أمتعتهم وأبوابهم وخشبهم. فكان نخل بني النَّضير لرسول الله ﷺ خاصّة، أعطاه الله إيّاها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴿٦﴾﴾ [الحشر]، يقول: بغير قتال. فأعطى النّبيُّ ﷺ أكثرهَا المهاجرينَ وقسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار كانوا[2] ذوي حاجة. وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها.

وذهب موسى بن عُقبة، وابنُ إسحاق إلى أنّ غزوة بني النَّضِير كانت بعد أُحد، وكذلك قال غيرهما. ورواه ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة. وهذا حديث موسى وحديث عُرْوة: إنّ رسول الله ﷺ خرج إلى بني النَّضير يستعينهم في عَقل الكلابيّين. وكانوا ـ يزعمون ـ قد دَسّوا إلى قريش حين نزلوا بأُحُدٍ لقتال رسول الله ﷺ، فحضُّوهم على القتال ودلُّوهم على العَوْرة. فلما كلَّمهم رسولُ الله ﷺ في عقل الكلابيّين،

(١) كتب على هامش الأصل: «أي: نصف الطريق».
(٢) هكذا في النسخ.

قالوا: اجلس يا أبا القاسم حتى تَطْعَم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور. فجلس بأصحابه، فلما خَلَوْا والشَّيطانُ معهم، ائتمروا بقتل رسول الله ﷺ وقالوا: لن تجدوه أقرب منه الآن، فاستريحوا منه تَأْمَنُوا. فقال رجل: إنْ شئتم ظهرتُ فوق البيت الذي هو تحته فدلَّيتُ عليه حجراً فقتلته. فأوحى الله إليه فأخبره بشأنهم وعَصَمَه، فقام كأنّه يقضي حاجة. وانتظره أعداء الله، فراث عليه. فأقبل رجل من المدينة فسألوه عنه فقال: لقيته قد دخل أزقَّة المدينة. فقالوا لأصحابه: عَجِلَ أبو القاسم أنْ نقيم أمرَنا في حاجته. ثم قام أصحابُ رسول الله ﷺ فرجعوا ونزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [المائدة] الآية.

وأمر رسول الله ﷺ بإجلائهم، وأن يسيروا حيث شاؤوا. وكان النِّفاق قد كثُر بالمدينة. فقالوا: أين تخرجنا؟ قال: أُخرجكم إلى الحشْر. فلما سمع المنافقون ما يُراد بأوليائهم أرسلوا إليهم: إنّا معكم مَحيانا ومماتُنا، إنْ قُوتلتم فلكم علينا النّصر، وإنْ أُخرجتم لم نتخلّف عنكم. وسيّد اليهود أبو صَفية حُيَيُّ بن أخْطَب. فلما وثِقُوا بأمانيِّ المنافقين عظُمَتْ غَرَّتُهم ومَنَّاهم الشّيطانُ الظُّهورَ، فنادوا النبي ﷺ وأصحابَه: إنّا، والله، لا نخرج ولئنْ قاتلْتَنا لنقاتلنَّك.

فمضى النّبيّ ﷺ لأمر الله فيهم، وأمر أصحابَه فأخذوا السّلاح ثم مضى إليهم، وتحصّنت اليهود في دُورهم وحصونهم. فلما انتهى النّبيّ ﷺ إلى أزِقّتهم وحُصونهم كره أن يُمكِّنَهم من القتال في دُورهم وحصونهم، وحفظ الله له أمره وعزم له على رُشْده، فأمر أن يهدم الأدنى فالأدنى من دُورهم، وبالنَّخل أن تُحرَّق وتُقطع، وكفَّ الله أيديَهُم وأيدي المنافقين فلم ينصروهم، وألقى في قلوب الفريقيْن الرُّعب. ثم جعلت اليهود كلّما خلص رسولُ الله ﷺ من هَدْمِ ما يَلِي مدينتهم، ألقى اللهُ في

قلوبهم الرُّعبَ، فهدموا الدُّور التي هُمْ فيها من أدبارها، ولم يستطيعوا أن يخرجوا على النّبيِّ ﷺ، وأصحابُه يهدمون شيئاً فشيئاً. فلما كادت اليهود أن يبلغ آخر دُورها، وهم ينتظرون المنافقينَ وما كانوا مَنَّوْهم، فلما يئسوا ممّا عندهم، سألوا النّبيَّ ﷺ الذي كان عَرَض عليهم قبل ذلك، فقاضاهم على أن يُجْلِيَهم، ولهم أنْ يحملوا ما استقلَّتْ به الإبلُ إلّا السّلاح. وطاروا كل مَطِير، وذهبوا كُلَّ مذهب. ولحق بنو أبي الحقيق بخَيْبر ومعهم آنية كثيرة من فضّة، فرآها النّبيّ ﷺ والمسلمون. وعمد حُيَيُّ بنُ أخْطب حتى قَدِمَ مكةَ على قُريش، فاستغواهم على رسولِ الله ﷺ. وبيَّن الله لرسوله حديثَ أهلِ النّفاق، وما بينهم وبين اليهود، وكانوا قد عَيَّرُوا المسلمينَ حين قطعوا النَّخل وهدموا. فقالوا: ما ذنبُ الشجرة وَأنتم تزعمون أنّكم مصلحون؟ فأنزلَ اللهُ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ سورة الحشر. ثم جعلها نَفْلاً لرسوله، فقسمها فيمن أراهُ اللهُ من المهاجرين. وأعطى منها أبا دُجَانَة سِماك بن خَرَشَة، وسهل بن حُنَيْف، الأنصاريَّيْن. وأعطى ـ زعموا ـ سعد بن مُعاذ سيفَ ابن أبي الحقيق[1].

وكان إجلاء بني النّضير في المحرَّم سنة ثلاث.

وأقامت بنو قُرَيْظة في المدينة في مساكنهم، لم يؤمر فيهم النّبيُّ ﷺ بقتلٍ[2] ولا إخراجٍ حتى فضحهم الله بحُيَيّ بن أخطب وبجمُوع الأحزاب.

هذا لفظ موسى بن عُقبة، وحديث عُرْوة بمعناه، إلى إعطاء سعدٍ السّيف.

وقال موسى بن عُقبة وغيرُه، عن نافع، عن عبدالله أنّ رسول الله ﷺ

---

(١) الطبقات لابن سعد ٢/ ٥٧، وتاريخ الطبري ٢/ ٥٥٠-٥٥٥، وابن هشام ٢/ ٢٧٣.

(٢) في نسخة البشتكي: «بقتالٍ» وما هنا أصوب.

قطع نخْل بني النّضير وحرَّق، ولها يقول حسّان بن ثابت:

وهانَ على سراةِ بني لُؤيٍّ حريقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِير

وفي ذلك نزلت هذه الآية: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ۝﴾ [الحشر]. مُتَّفقٌ عليه[١].

وقال عَمْرو بن دينار، عن الزُّهْري، عن مالك بن أوس، عن عمر، أنّ أموال بني النَّضير كانت ممّا أفاءَ الله على رسوله ﷺ ممّا لم يوجِف المسلمون عليه بخيلٍ ولا رِكاب، فكانت لرسولِ الله ﷺ خالصةً يُنفق منها على أهلِه نفقةَ سنة، وما بقي جعله في الكراعِ والسّلاحِ عُدّةً في سبيلِ الله. أخرجاه[٢].

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة

قال ابن إسحاق[٣]: وسَرِيّةُ زيدٍ التي بعثه رسول الله ﷺ فيها، حين أصاب عير قُريش، وفيها أبو سُفيان، على القَرَدَة، ماءٍ من مياه نجد.

وكان من حديثها أنّ قُريشاً خافوا طريقَهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين جرت وقعة بدر، فسلكوا طريقَ العراق. فخرج منهم تُجّار فيهم أبو سُفيان، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل يقال له: فرات ابن حَيَّان يدلُّهم. فبعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة، فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العِير وما فيها، وأعجزهم الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ.

---

(١) البخاري ٣/ ١٣٦ و ٤/ ٧٦ و ٥/ ١١٣ و ٦/ ١٨٤، ومسلم ٥/ ١٤٥، وانظر المسند الجامع حديث (٨١٣٠).

(٢) البخاري ٤/ ٤٦، و٦/ ١٨٤، ومسلم ٥/ ١٥١.

(٣) ابن هشام ٢/ ١٥٠.

غزوة قَرْقَرَة الكُدْر

قال الواقدي[١] : إنّها في المحرَّم سنة ثلاثٍ. وهي ناحية معدن بني سُلَيْم. واستخلف على المدينة ابنَ أمّ مكتوم.

وكان ﷺ بلغه أنَّ بهذا الموضع جمعاً من سُلَيْم وغَطَفان. فلم يجد في المَحالّ[٢] أحداً، ووجد رعاءً منهم غلام يقال له يسار، فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر بالنَّعم، فانحدر به إلى المدينة فاقتسموها بصِرار، على ثلاثة أميالٍ من المدينة، وكانت النَّعم خمس مئة بعير، وأسلم يسار.

القرقرة أرض ملساء، والكُدْر طير في ألوانها كُدْرة، ومنهم من يقول: قرارة الكُدْر[٣] ، يعني أنها مُسْتَقَرُّ هذا الطير.

مقْتَل كعب بن الأشرَف

قال ابن إسحاق[٤] من طريق يونس بن بُكَيْر: حدّثني عبدالله بن أبي بكر، وصالح بن أبي أُمامة بن سهل، قالا: بعث رسول الله ﷺ حين فرغ من بدر بشيرَيْن إلى أهل المدينة، فبعث زيد بن حارثة إلى أهل السّافلة،

(١) المغازي ١/ ١٨٢ والذي فيه: «للنصف من المحرم على رأس ثلاث وعشرين شهراً»، وإنما قال الذهبي «سنة ثلاث» لأن المحرم صار سنة ثلاث بعد اعتبار التوريخ بالهجرة منه، والذهبي كثير التصرف في مثل هذه الأمور، رحمه الله.

(٢) جَوّد البشتكي ضبطها عن المؤلف، فوضع حاء مهملة تحت الحاء علامة الإهمال، وشدَّد اللام.

(٣) هكذا ذكرها الواقدي في مغازيه.

(٤) ابن هشام ٢/ ٥١-٥٨.

وبعث عبدالله بن رواحة إلى أهل العالية، فبشَّروا ونعوا أبا جهل وعُتْبة والملأ من قريش. فلما بلغ ذلك كَعبَ بنَ الأشرف لعنه الله قال: ويْلَكم، أحَقٌّ هذا؟ هؤلاء ملوك العرب وسادة النّاس. ثم خرج إلى مكة، فنزل على عاتكة بنت أَسِيد بن أبي العيص، وكانت عند المطّلب ابن أبي وداعة، فجعل يبكي على قتلى قُرَيْش، ويحرّض على رسول الله ﷺ، فقال:

طَحَنَتْ رَحى بدرٍ لمَهْلِك أهلها ... ولمثـل بَـدْر تستهـلُّ وتَـدْمَـعُ
قُتِلَت سُراةُ النَّاسِ حول حِياضِهم ... لا تَبْعَـدوا إنّ الملـوكَ تُصَـرَّعُ
كم قد أُصيب بها من أبيضَ ماجدٍ ... ذي بهجـةٍ تـأوي إليـه الضُّيَّـعُ
ويقــول أقــوامٌ أذلّ بسخطهــم ... إنّ ابنَ الاشرف ظلّ كعباً يَجْزَعُ
صَدَقُوا، فليتَ الأرضَ ساعةَ قُتِّلوا ... ظلَّـت تَسـوخُ بـأهلها وصَـدَّعُ
نُبِّئْـتُ أنّ بنـي كِنـانَـة كلَّهـم ... خشعوا لقتل أبي الوليد وجُدِّعوا

قال ابن إسحاق[1] : ثم رجع إلى المدينة فشبَّب بأمّ الفضل بنت الحارث، فقال:

أراحِلٌ أنـتَ لـم تَحْلُلْ بمَنْقَبةٍ ... وتاركٌ أنت أمَّ الفضْل بالحَرَمِ؟

في كلامٍ له. ثم شبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

وقال موسى بنُ عُقْبة: كان ابن الأشرف قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء، وركب إلى قريش فقدم عليهم فاستغواهم على رسول الله ﷺ، فقال له أبو سفيان: أناشدك الله، أدِينُنا أحب إلى الله أم دِين محمد وأصحابه؟ قال: أنتم أهدى منهم سبيلاً. ثم خرج مقبلاً وقد أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله ﷺ معلناً بعداوته وهجائه.

وقال محمد بن يونس الجمّال المُخَرِّميُّ ـ الذي قال فيه ابن

(١) ابن هشام ٢/ ٥٤.

عديّ[١] : كان عندي ممّن يسرق الحديث. قلتُ: لكن روى عنه مسلم[٢] ـ حدثنا ابن عُيَيْنَة، قال: حدثنا عَمْرو، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس قال: قدِم حُيَيُّ بنُ أخطب، وكعب بن الأشرف مكة على قريش فحالَفُوهم على قتال رسول الله ﷺ. فقالوا لهم: أنتم أهلُ العِلْمِ القديم وأهلُ الكتاب، فأخْبِرُونا عنّا وعن محمد، قالوا: ما أنتم وما محمد؟ قالوا: نحن ننحرُ الكوماء[٣] ، ونَسقي اللَّبنَ على الماءِ، ونَفُكُّ العُنَاة، ونسقي الحَجيج، ونَصِلُ الأرحام. قالوا: فما محمد؟ قالوا: صُنْبُور[٤] قطع أرحامَنا واتَّبعه سُرَّاقُ الحجيج بنو غفار. قالوا: لا، بل أنتم خيرٌ منه وأهدى سبيلاً. فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴿٥١﴾﴾ [النساء] الآية.

قال سُفيان: كانت غفار سَرَقَةً في الجاهليّة.

وقال إبراهيم بن جعفر بن محمود بن مَسْلَمَة، عن أبيه، عن جابر ابن عبدالله، قال: ولحق كعب بن الأشرف بمكة إلى أنْ قدِم المدينةَ مُعلِناً بمعاداةِ النّبيِّ ﷺ وهجائه، فكان أوّل ما خرج منه قوله:

اذَاهِبٌ أنتَ لم تَحْلُلْ بمَنقَبةٍ ... وتاركٌ أنتَ أمَّ الفضلِ بالحَرَمِ!
صفراءُ رادعةٌ لو تُعْصَرُ ٱنْعَصَرَتْ ... من ذي البوارير والحنَّاءِ والكَتَمِ
إحْدَى بني عامرٍ هَامَ الفُؤادُ بها ... ولو تشاءُ شَفَتْ كَعْباً من السَّقَمِ
. . .[٥] لم أرَ شمساً قبلها طَلَعَتْ ... حتى تبدَّتْ لنا في ليلةِ الظُّلَمِ

---

(١) الكامل في الضعفاء: ٦/ ٢٢٨٣.
(٢) لكن لم يثبت أن مسلماً روى عنه، ذكر ذلك المزي في «تهذيب الكمال».
(٣) أي: الناقة العظيمة السنام الطويلته.
(٤) على هامش الأصل: «الصنبور: الفرد الذي لا ولد له ولا أخ».
(٥) على هامش الأصل كتب: «لعلَّه: أقسمتُ»، وكتب البشتكي: «بيَّضَ له المصنف».

وقال: * طحنتْ رَحى بدرٍ لمهلِك أهلها* الأبيات.

فقال النَّبيُّ ﷺ يوماً: مَن لكعب بن الأشرف؟ فقد آذانا بالشِّعر وقوَّى المشركين علينا. فقال محمد بن مَسْلَمَة: أنا يا رسول الله. قال: فأنت. فقام فمشى ثم رجع فقال: إنّي قائل، فقال: قل فأنت في حِلّ: فخرج محمد، بعد يوم أو يومين، حتى أتى كعباً وهو في حائط فقال: يا كعب، جئتُ لحاجةٍ، الحديث[1].

وقال ابن عُيَيْنَة: قال عَمْرو بن دينار: سمعت جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ: من لكعب بن الأشرف فإنّه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد بن مَسْلَمَة فقال: يا رسول الله، أعجب إليك أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فَأْذَنْ لي أنْ أقول شيئاً. قال: قل. فأتاه محمد بن مَسْلَمَةَ فقال: إنّ هذا الرجل قد سألنا صَدَقَةً، وقد عَنَّانا، وإنّي قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضاً لَتَمَلُّنَّهُ. قال: إنّا قد اتّبعناه فنكْرَه أنْ ندعَهُ حتى ننظرَ إلى أيِّ شيء يصير شأنُهُ، وقد أردنا أن تُسْلِفنا. قال: ارهنوني نساءكم. قال: نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قال: كيف نرهنك أبناءنا فيقال رُهِنَ بوَسْقٍ أو وَسْقَين؟ قال: فأيُّ شيء؟ قال: نرهنك اللَّأْمَةَ. فواعده أن يأتيه ليلاً، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاه من الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ قال: إنّما هو أخي أبو نائلة ومحمد بن مَسْلَمَة، إنّ الكريم لو دُعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب. قال محمد: إذا ما جاء فإني قائل بشَعْرِه[2] فَأَشُمُّهُ ثم أشمُّكم، فإذا رأيتموني أثبَتُّ يدي فدونكم. فنزل إليهم متوشِّحاً، وهو ينفح منه ريح الطِّيب،

---

(١) البخاري ٣/١٨٦ و ٤/٧٨ و ٥/١١٥، ومسلم ٥/١٨٤؟ وانظر المسند الجامع ٤/٣٣٦ حديث (٢٩٠٩).

(٢) أي: آخذُ به.

فقال محمد: ما رأيتُ كاليوم ريحاً، أي: أطيبُ، أتأذن لي أن أشُمَّ رأسَكَ؟ قال: نعم. فشمَّه ثم شمَّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ يعني ثانياً. قال: نعم. فلما استمكنَ منه قال: دونكم. فضربوه فقتلوه. وأتوا النَّبيَّ ﷺ فأخبروه. أخرجه البخاري[1].

وقال شُعيب بن أبي حمزة، عن الزُّهري، عن عبدالرحمن بن عبدالله ابن كعب بن مالك، عن أبيه، أنّ كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرّض عليه كُفّار قريش في شعره. وكان رسول الله ﷺ قدِم المدينة وأهلُها أخلاطٌ، منهم المسلمون، ومنهم عَبَدَة الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحَلْقة والحصون، وهو حُلَفاء الأوس والخزرَج، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرِك أو أخوه، وكان المشركون واليهود حين قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة يؤذونه أشدَّ الأذى، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر والعفو، فقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة].

فأمر رسول الله ﷺ سعدَ بن مُعاذ أنْ يبعثَ رَهْطاً ليقتلوا كعباً، فبعث إليه سَعْدٌ محمدَ بن مَسْلَمَة وأبا عَبْس، والحارث ابن أخي سعد بن مُعَاذ في خمسة رَهْطٍ أتوه عشيَّةً، وهو في مجلسهم بالعوالي. فلما رآهم كعب أنكرهم وكاد يُذعَر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءت بنا إليك حاجةٌ. قال: فليدْنُ إليَّ بعضُكم فليحدّثني بها. فدنا إليه

(١) سبق تخريجه.

بعضُهم فقال: جئناك لنبيعك أدراعاً لنا لنستنفق أثمانها. فقال: والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدْتُم، قد نزل بكم هذا الرجل. فواعدهم أن يأتوه عشاءً حين يهدأ عنهم الناس. فجاؤوا فناداه رجل منهم، فقام ليخرج فقالت امرأته: ما طرقوك ساعتهم هذه لشيء تُحبُّ. فقال: بل إنّهم قد حدّثوني حديثهم. فاعتنقه أبو عبس، وضربه محمدُ بن مَسْلَمة بالسَّيف، وطعنه بعضُهم بالسيف في خاصرته. فلما قتلوه فزعتِ اليهودُ ومَن كان معهم من المشركين. فَغَدَوْا على رسولِ الله ﷺ حين أصبحوا فقالوا: إنَّهُ طُرِق صاحبُنا الليلة وهو سيّد من ساداتنا فقُتِل، فذَكر لهم رسولُ الله ﷺ الذي كان يقولُ في أشعاره، ودعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً، فكتب بينهم صحيفة. وكانت تلك الصحيفة بعده عند عليٍّ. أخرجه أبو داود[1].

وذكر موسى بن عُقْبة وغيره أنّ عَبّاد بن بِشْر كان معهم، فأصيب في وجهه بالسيف أو رِجْله.

وقال يونس بن بُكَيْر، عَن ابن إسحاق: حدّثني ثور بن زيد، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس قال: ومشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغَرْقَد، ثم وجَّههم وقال: انطلقوا على اسمِ الله، اللهُمَّ أعِنْهم.

وذكر البكّائيّ، عن ابن إسحاق[2] هذه القصّة بأطول ممّا هنا وَأحسن عبارة، وفيه: فاجتمع في قتله محمد، وسِلْكان بن سلامة بن وَقْش، وهو أبو نائلة الأشهليّ، وعَبَّاد بن بِشْر، وأبو عَبْس بن جبر الحارثي. فقدّموا إلى ابن الأشرف سِلْكان، فجاءه فتحدّث معه ساعةً وتناشدا شِعْراً، ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف، إنّي قد جئت لحاجةٍ أريد ذِكْرَها لك فاكتم عنّي. قال: أَفْعَلُ. قال: كان قدوم هذا الرجل

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠٠)، وانظر المسند الجامع حديث (١١٢٦٣).
(٢) ابن هشام ٢/ ٥٤-٥٨.

علينا بلاءً من البلاء، عادَتْنا العربُ ورمونا عن قوسٍ واحدةٍ، وقُطِعَتْ عنا السُّبُل حتى ضاع العِيال وجُهِدْنا. فقال: أنا ابنُ الأشرف! أما والله لقد أخبرتُك يا ابنَ سلامة أنَّ الأمر سيصير إلى ما أقول. فقال: إنّي أردت أن تبيعنا طعاماً ونَرْهَنُك ونُوثّق لك، وتُحسن في ذلك. فقال: أتَرْهَنُوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتَ أن تفضحنا، إنَّ معي أصحاباً لي على مثل رأيي، وقد أردتُ أن آتيك بهم فتبيعهم، وتُحسن في ذلك، ونَرْهَنُك من الحَلْقَة ما فيه وفاء. قال: فرجع سِلْكان إلى أصحابه فأخبرهم خَبَرَه، وأمرهم أن يأخذوا السّلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه. واجتمعوا، وساق القصّة.

قال ابن إسحاق[1] : وأطلق رسولُ الله ﷺ قتلَ اليهود، وقال: مَنْ ظفرتم به من اليهود فاقتلوه. وحينئذٍ أسلم حُوَيّصة بن مسعود، وكان قد أسلم قبله أخوه مُحَيِّصة. فقتل مُحَيِّصَة ابنَ سُنَيْنَة اليهودي التّاجر، فقال حويصة قبل أن يُسلم وجعل يضرب أخاه ويقول: أيْ عدُوَّ الله قَتَلْتَه؟ أما والله لَرُبَّ شَحْمٍ في بطنك من ماله. فقال: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلكَ لضربتُ عنقك. قال: والله إنّ دِيناً بلغ بك هذا لَعَجب. فأسلم حُوَيِّصة.

وفي رمضان: وُلد السيد أبو محمد الحسن بن علي، رضي الله عنهما.

وتزوج النّبيّ ﷺ بحفصة بنت عمر.

وفي هذه السنة: تزوّج أيضاً بزينب بنت خُزَيْمة، من بني عامر بن صَعْصَعَة، وهي أمُّ المساكين، فعاشت عنده شهرين أو ثلاثة، وتُوُفِّيَتْ. وقيل: أقامت عنده ثمانية أشهر، فالله أعلم.

---

(١) ابن هشام ٢/٥٨-٥٩.

غزْوة أُحُد

«وكانت في شوال»

قال شَيْبان، عن قَتَادَة: واقَعَ نبيُّ الله ﷺ يومَ أُحُدٍ من العام المقبل بعد بدر في شوّال، يوم السبت لإحدى عشرة ليلةً مضت من شوّال. وكان أصحابه يومئذٍ سبع مئة، والمشركون ألفَيْن أو ما شاء الله من ذلك.

وقال ابن إسحاق: للنصف من شوّال.

وقال مالك: كان القتال يومئذٍ في أول النّهار.

وقال بُرَيْد بن عبدالله، عن أبي بُرْدَة، عن أبي موسى، عن النّبي ﷺ، قال: رأيت أنّي قد هززت سيفاً فانقطع صدرُه، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أُحُد، ثم هززته أخرى فعاد أحسنَ ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت في رُؤياي بقراً، واللهُ خيرٌ، فإذا هم النَّفر من المؤمنين يوم أُحُد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصِّدق الذي آتانا يوم بدر. أخرجاه(١).

وقال ابن وهب: أخبرني ابن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن عُبَيْدالله بن عبدالله، عن ابن عبّاس قال: تنفَّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفَقار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرُؤْيا يوم أُحُد. وذلك أنّه لما جاءه المشركون يوم أُحُد كان رأيُ رسولِ الله ﷺ أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها، فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً: تخرج بنا يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأُحُد،

---

(١) البخاري ٤/٢٤٧ و ٥/١٠٠ و ١٣١ و ٩/٥٢ و ٥٣، ومسلم ٧/٥٧، وانظر المسند الجامع حديث (٨٨٨٨).

ورجوا من الفضيلة أنْ يصيبوا ما أصاب أهلُ بدر. فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته، ثم ندِموا وقالوا: يا رسول الله، أقم فالرأيُ رأيُك. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما ينبغي لنبيٍّ أنْ يضع أداته بعد أن لبِسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوِّه. قالوا: وكان ما قال لهم رسول الله ﷺ قبل أنْ يلبس أداته: إنّي رأيت أنّي في دِرْع حصينةٍ فأوّلْتُها المدينة، وأنّي مُرْدِفٌ كَبْشاً فأوّلته كَبْش الكتيبة، ورأيت أنّ سيفي ذا الفَقَار فُلَّ فأوّلتُه فَلاًّ فيكم، ورأيت بقراً تُذْبح، فَبَقْرٌ واللهُ خيرٌ، فَبَقرٌ واللهُ خيرٌ[1].

وقال يونس، عن الزُّهْريّ في خروج النّبي ﷺ إلى أُحُد، قال: حتى إذا كان بالشوط من الجنانة، انخزل عبدالله بن أُبَيّ بقريبٍ من ثُلُث الجيش. ومضى النّبي ﷺ وأصحابه وهم في سبع مئة. وتعبَّأت قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مئتا فَرَس قد جنَّبوها، وجعلوا على ميمنة الخيل خالدَ بنَ الوليد، وعلى مَيْسَرتها عِكْرِمة بن أبي جَهْل.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة قال: فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون وهم ألف، والمشركون ثلاثة آلاف. فنزل رسول الله ﷺ أُحُداً، ورجع عنه عبدالله بن أُبَيّ في ثلاث مئة، فسُقِط في أيدي الطائفتين، وهمَّتا أنْ تفشلا، والطائفتان: بنو سَلِمَة وبنو حارثة.

وقال ابن عُيَيْنَة، عن عَمْرو، عن جابر: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران]، بنو سَلِمَةَ وبنو حارثة، ما أحبُّ أنّها لم تنزل لقوله ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران]. مُتَّفقٌ عليه[2].

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢٧١، وابن ماجة (٢٨٠٨)، والترمذي (١٥٦١)، وانظر المسند الجامع ٩/٤٩٩ (٦٩٤١)، وانظر الفتح ٧/٣٧٧ في ضبط «فبقر واللهُ خيرٌ».

(٢) البخاري ٥/١٢٣ و ٦/٤٧، ومسلم ٧/١٧٣، وانظر المسند الجامع حديث (٢٨٧٣).

وقال شُعْبَة، عن عَدي بن ثابت، سمع عبدالله بن يزيد يحدّث، عن زيد بن ثابت، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد، رجع ناسٌ خرجوا معه. فكان أصحابُ رسول الله ﷺ فِرْقَتين، فِرْقة تقول: نقاتلهم، وفِرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴿٨٨﴾﴾ [النساء]، فقال رسول الله ﷺ: إنّها طَيْبَةُ تنفي الخَبَثَ كما تنفي النّار خَبَثَ الفِضَّة. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران]، قال ميَّزهم يوم أُحُد.

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[2] قال: كان من حديث أُحُد، كما حدّثني الزُّهري، ومحمد بن يحيى بن حَبّان، وعاصم بن عمر، والحُصَيْن بن عبدالرحمن، وغيرهم، كلٌّ قد حدّث بعضَ الحديث، وقد اجتمع حديثُهم كلُّه فيما سُقت من هذا الحديث عن يوم أُحُد، أنّ كُفَّار قريش لما أصيب منهم أصحاب القَلِيب، ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بالعِير، مشى عبدالله بن أبي ربيعة، وعكْرِمة بن أبي جهل، وصَفْوان بن أُميَّة، في رجالٍ من قريش ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم، فكلّموا أبا سُفيان ومَن كان له في تلك العِير تجارةٌ، فقالوا: يا معشر قريش، إنّ محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلّنا ندرك منه ثأراً بمن أصابَ منّا. فاجتمعوا لحربِ رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحابُ العِير بأحابيشها ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة.

(١) البخاري ٣/٢٩ و ٥/١٢٢-١٢٣ و ٦/٥٩، ومسلم ٤/١٢١ و ٨/١٢١، وانظر المسند الجامع حديث (٣٨٨٠).
(٢) ابن هشام ٢/٦٠.

وكان أبو عَزَّة الجُمَحِي قد منَّ عليه رسول الله ﷺ، وكان ذا عيال وحاجة، فقال: يا رسول الله، إنّي فقيرٌ ذو عيالٍ وحاجة، فامنُنْ عليّ. فقال له صَفْوان: يا أبا عزَّة، إنّك أمرؤٌ شاعر، فأعِنّا بلسانك فاخرج معنا، فقال: إنَّ محمداً قد مَنَّ عليَّ فلا أريدُ أنْ أظاهر عليه. قالوا: بلى، فأعِنّا بنفسك، فلك الله عليّ إنْ رجعتُ أن أُعينك، وإن أُصِبتَ أن أجعل بناتَكَ مع بناتي يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسْر ويُسْر. فخرج أبو عَزَّة يسير في تِهامة ويدعو بني كِنانة، ويقول:

إيهاً بني عبد مَناة الرِّزام[1] أنتم حُماةٌ وأبوكم حامْ
لا تَعِدُوني نصركم بعد العام لا تُسْلِموني لا يحلّ إسلامْ

وخرج مُسافع بن عبد مَنَاف الجُمَحِي إلى بني مالك بن كِنانة يدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، ويقول شِعراً. ودعا جُبَيْر بن مُطْعم غلاماً له حبشياً يقال له وَحْشيّ، يقذف بِحَرْبة له قَذْفَ الحبشة قلّما يُخطىء بها، فقال له: اخرج مع النّاس فإنْ أنتَ قتلت حمزَة بعمّي طُعيْمَة بن عَدِيّ فأنت عتيق. فخرجت قريشٌ بحدّها وحديدها وأحابيشها ومَن تابعها، وخرجوا معهم بالظُّعُن التماس الحفيظة وأنْ لا يفِرّوا. وخرج أبو سُفيان، وهو قائد النّاس، بهند بنت عُتْبة، وخرج عِكْرِمة بأمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، حتى نزلوا بعَيْنَيْن بجبلِ أُحُد ببطنِ السَّبخة من قناةٍ على شفير الوادي مقابل المدينة. فقال رسول الله ﷺ: إنْ رأيتم أنْ تقيموا بالمدينة وَتَدَعَوهم حيث نزلوا، فإنْ أقاموا أقاموا بشرِّ مقام، وإنْ هُمْ دخلوا علينا قاتلناهم فيها. وكان يكره الخروجَ إليهم. فقال رجال ممّن فاته يومُ بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إليهم لا يرون أنّا جَبُنّا عنهم. فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمَتَه، وذلك يوم

(١) الرزام من الرجال: الصعب المتشدد، وساق ابن منظور البيتين في «اللسان» باختلاف، ولم ينسبهما.

الجمعة حين فرغ النّاسُ من الصّلاة. فذكر خروجه وانخزال ابن أُبَيّ بثُلُث النّاس، فاتّبعهم عبدُالله والدُ جابر، يقول: أذكركم الله أنْ تَخْذلوا قومَكم ونبيَّكم. قالوا: لو نعلم أنّكم تقاتلون لمَا أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أنّه يكون قتال. وقالت الأنصار: يا رسول الله، ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ قال: لا حاجة لنا فيهم. ومضى حتى نزل الشِّعْبَ من أُحُد في عُدْوَة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد، وقال: لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال. وتعبّأ للقتال وهو في سبع مئة، وأمَّر على الرُّماة عبدالله بن جُبَيْر وهم خمسون رجلاً، فقال: انضحوا عنّا الخيل بالنَّبل، لا يأتونا من خلفنا، إنْ كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نُؤتَينَّ من قِبَلِك وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين، ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمَيْر. وتعبَّأت قُرَيش وهم ثلاثة آلاف معهم مئتا فرس قد جَنَّبوها فجعلوا على الميمنة خالداً، وعلى الميسرة عِكْرِمة[1].

وقال سلاّم بن مِسكين، عن قَتَادة، عن سعيد بن المسيّب، قال: كانت راية رسول الله ﷺ يوم أُحُد مِرْطاً أسود كان لعائشة، وراية الأنصار يقال لها العُقاب، وعلى ميمنته عليّ، وعلى مَيْسَرته المنذر بن عَمْرو السّاعديّ، والزُّبير بن العوّام كان على الرجال، ويقال المِقداد بن الأسود، وكان حمزة على القلب، واللواء مع مُصْعَب بن عُمَيْر، فقُتِلَ، فأعطاه النّبيّ ﷺ عليّاً، قال: ويقال: كانت له ثلاثة ألوية، لواء إلى مُصْعَب بن عُمَيْر للمهاجرين، ولواء إلى عليّ، ولواء إلى المنذر.

وقال ثابت، عن أَنَس أنّ رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحُد فقال: من يأخذ مني هذا السيف بحقّه؟ فبسطوا أيديهم كلّ إنسانٍ منهم يقول: أنا، أنا. فقال: مَنْ يأخذه بحقّه؟ فأحجم القومُ، فقال له أبو دُجانة

---

(١) ابن هشام ٢/ ٦٢-٦٣.

سِمَاك: أنا آخذه بحقِّه. قال: فأخذه ففلق به هامَ المشركين. أخرجه مسلم[١].

وقال ابن إسحاق: حتى قام إليه أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقُّه؟ قال: أنْ تضرب به في العدوّ حتى ينحني. قال: فأنا آخذه يا رسول الله. فأعطاه إيّاه، وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وكان إذا قاتل علَّم بعصابة له حمراء فاعتصب بها على رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصَّفَّين. فبلغنا أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين رآه يتبختر: إنّها لمِشْيَة يُبغضها الله إلاّ في مثل هذا الموطن[٢].

وقال عَمْرو بن عاصم الكِلابيّ: حدّثني عُبَيْدالله بن الوازع، قال: حدّثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن الزُّبير بن العوّام، قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أُحُد فقال: من يأخذه بحقّه؟ فقمتُ فقلت: أنا يا رسول الله. فأعرض عنّي، ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقّه؟ فقام أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة فقال: أنا يا رسول الله، فما حقّه؟ قال: أنْ لا تقتل به مسلماً ولا تفرَّ به عن كافر. قال: فدفعه إليه، وكان إذا أراد القتال أعلم بعصابة، فقلت: لأنظرنّ إليه كيف يصنع. قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلاّ هتكه وأفراه، حتى انتهى إلى نِسْوةٍ في سفح جبل معهنّ دفوف لهنّ، فيهنّ امرأة وهي تقول:

نحـــنُ بنـــاتُ طـــارقْ   نمشي على النَّمـارِقْ[٣]
إنْ تُقْبِلـــوا نُعـــانِـــقْ   أو تُـــدْبِـــرُوا نُفـــارقْ
فِراق غيرِ وامِقْ[٤]

(١) مسلم ٧/ ١٥١، وانظر المسند الجامع حديث (١٤٧٩).
(٢) ابن هشام ٢/ ٦٦-٦٧.
(٣) جمع نمرقة وهي الوسادة أو الطُّنْفُسة.
(٤) أي: المُحِبُّ.

قال: فاهوى بالسّيف إلى امرأةٍ ليضربها، ثم كفَّ عنها. فلما انكشف القتال قلت له: كلّ عملكَ قد رأيتُ ما خلا رفْعَك السّيف على المرأة ثم لم تضربها. قال أكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة.

وروى جعفر بن عبدالله بن أسلم، مولى عمر، عن معاوية بن مَعْبَد ابن كعب بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال حين رأى أبا دُجانة يتبختر: إنّها لمِشْيَةٌ يبغضُها الله إلاّ في مثل هذا الموطن[1].

وقال ابن إسحاق، عن الزُّهري وغيره: إنّ رجلاً من المشركين خرج يوم أُحُد، فدعا إلى البراز، فأحجم النّاس عنه حتى دعا ثلاثاً، وهو على جَمَلٍ له، فقام إليه الزُّبير فوثب حتى استوى معه على بعِيره، ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير جميعاً، فقال رسول الله ﷺ: الذي يلي حضيضَ الأرض مقتولٌ. فوقع المشرك ووقع عليه الزُّبير فذبحه. ثم إنّ النّبيّ ﷺ قرّب الزُّبير فأجلسه على فخذه وقال: إنّ لكلّ نبيٍّ حواريّاً والزُّبير حَوَارِيَّ[2].

قال ابن إسحاق[3]: واقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في النّاس، وحمزة بن عبدالمطّلب، وعليّ بن أبي طالب، وآخرون.

وقال زُهير بن معاوية: حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت البراء يحدّث، قال: جعل رسول الله ﷺ على الرُّماة يوم أُحُد، وكانوا خمسين، عبدالله بن جُبَيْر، وقال: إذا رأيتمونا تخطَّفنا الطَّيرُ فلا تبرحُوا حتى أرسل إليكم، وإنْ رأيتمونا هزمنا القومَ وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسلَ إليكم، قال: فهزمهم. فأنا واللهِ رأيت النّساءَ يشتددْنَ على الجبل

(١) ابن هشام ٢/ ٦٧-٦٩.
(٢) المغازي ٢/ ٤٥٧، والبخاري ٥/ ٢٧.
(٣) ابن هشام ٢/ ٦٨.

قد بدت خلاخيلهنّ وسوقهنّ رافعات ثيابهنّ. فقال أصحاب عبدالله بن جُبَيْر: الغنيمة، أيْ قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكُم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله لهم: أنَسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: لنأتينّ النّاسَ فلنصيبنّ من الغنيمة: فأتوهم فصُرِفَتْ وجوهُهُم فأقبلوا منهزمين. فذلك إذ يدعوهم الرسول في أُخْراهم. فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلاّ اثنا عشر رجلاً. فأصابوا منّا سبعين.

فقال أبو سُفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرّات. فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قُحَافة، أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثم قال: أفي القوم ابن الخطّاب؟ ثلاثاً. ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتِلوا. فما ملك عمرُ نفسَه أن قال: كذبْتَ يا عدوَّ الله، إنّ الذين عَدَدْتَ لأحياء كلّهم، وقد بقي لك ما يسوؤك. فقال: يومٌ بيوم بدر والحرب سِجال، إنّكم ستجدون مُثْلَةً لم آمُرْ بها ولم تَسُؤْني. ثم أخذ يرتجز: أُعْلُ هُبَل، أُعْلُ هُبَل.

فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا : ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجلُّ.

ثم قال: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال رسول الله ﷺ. ألا تجيبوه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. أخرجه البخاري[١] .

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[٢] : فحدّثني الحُصَيْن بن عبدالرحمن، عن محمود بن عَمْرو بن يزيد بن السَّكَن، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم أُحُد حين غَشِيه القوم: من رجل يشري لنا نفسه؟ فقام زياد

(١) البخاري ٤/ ٧٩ و٥/ ١٠٠ و١٢٠ و١٢٦ و٦/ ٤٨، وهو عند أحمد ٤/ ٢٩٣ و٢٩٤، وأبي داود (٢٦٦٢).
(٢) ابن هشام ٢/ ٨١.

ابن السَّكَن في خمسةٍ من الأنصار، وبعض النّاس يقول: هو عمارة بن زياد بن السَّكَن، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلٌ ثم رجلٌ يُقْتَلون دونه، حتى كان آخرهم زياداً أو عِمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. ثم فاءت من المسلمين فئةٌ فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: أَدْنُوه منّي. فأَدنوه منه، فوسَّده قَدَمَه، فمات وخدُّه على قدم رسول الله ﷺ.

وَترَّس دونَ رسولِ الله ﷺ أبو دُجَانة بنفسه، يقع النَّبْلُ في ظهرِه، وهو مُنْحَنٍ على رسول الله ﷺ حتى كثُرت فيه النَّبل(١).

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت، وغيره، عن أنس، أنّ رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحُدٍ في سبعةٍ من الأنصار ورجُلَين من قريش، فلما رَهِقُوه قال: مَنْ يَردُّهم عنَّا وله الجنّة، أو هو رفيقي في الجنّة؟ فتقدّم رجلٌ من الأنصار فقاتل حتى قُتل، وتقدّم آخر فقاتل حتى قُتِل. فلم يزل كذلك حتى قُتِل السَّبعة، فقال لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا. رواه مسلم(٢).

وقال سُليمان التَّيْمي، عن أبي عثمان، قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ، في بعض تلك الأيام التي قاتَلَ فيهن غير طلحة بن عُبَيْدالله وسعد، عن حديثهما. مُتَّفقٌ عليه(٣).

وقال قيس بن أبي حازم: رأيت يد طلحة شلاّء وَقَى بها النّبيَّ ﷺ، يعني يوم أُحُد. أخرجه البخاري(٤).

وقال عبدالله بن صالح: حدّثني يحيى بن أيّوب، عن عمارة بن غَزِيّة، عن أبي الزُّبَيْر مولى حكيم بن حِزام، عن جابر قال: انهزم النّاس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار،

---

(١) ابن هشام ٢/ ٨٢.
(٢) مسلم ٥/ ١٧٨، وانظر المسند الجامع حديث (١٢٧١).
(٣) البخاري ٥/ ٢٧و١٢٤، ومسلم (٢٤١٤).
(٤) البخاري ٥/ ١٢٥.

وطلحة بن عُبَيْدالله، وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون. فقال: ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة: أنا يارسول الله. قال: كما أنت يا طلحة. فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله. فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن معه، ثم قُتِل الأنصاريّ فلحقوه فقال: ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة مثل قوله، وقال رسول الله ﷺ مثل قوله ،فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فأذِن له فقاتل ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون، ثم قُتِل فلحقوه. فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله ويقول طلحة: أنا فيحبسه. ويستأْذنه رجل من الأنصار فيأذن له، حتى لم يبق معه إلاّ طلحة، فغشوهما، فقال النّبيّ ﷺ: مَن لهؤلاء؟ فقال طلحة: أنا. فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله، فقال: حَسِّ[١] . فقال رسول الله ﷺ: لو قلتَ بسم الله أو ذكرتَ اسمَ الله لَرَفَعَتْكَ الملائكةُ والنّاس ينظرون إليك حتى تلج بك في جوّ السماء. ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون.

وقال عبدالوارث: حدثنا عبدالعزيز، عن أنَس، قال: لما كان يوم أُحُد انهزم النّاس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ يُجَوِّبُ[٢] عنه بِحَجَفَةٍ معه. وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النَّزْع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة. وكان الرجل يمرّ بالجَعْبة فيها النَّبل فينثرها لأبي طلحة. ويشرفُ نبيّ الله ﷺ فينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبيَّ الله، بأبي أنتَ وأمّي، لا تُشْرِفْ يُصيبُك[٣] سهمٌ من سهام القوم، نحري دون نَحْرِكَ. ولقد رأيتُ عائشةَ بنتَ أبي بكر، وأمَّ سُلَيْم وإنّهما

(١) كلمة تقال عند الألم.
(٢) أي: يُتَرِّسُ عليه.
(٣) هكذا في الأصول والبخاري في رواية، وهو جائز على تقدير: كأنه قال مثلاً لا تشرف فإنه يصيبك، وإلا فإن الجادة «يُصِبْك» بسكون الموحدة على أنه جواب النهي، كما في رواية أبي ذر للبخاري.

مشمِّرتان أرى خَدَمَ سوقهما، تنقلان القِرَبَ على متونهما ثم تُفْرِغانه في أفواه القوم[1] .

ولقد وقع السيف من يَدِ أبي طلحة من النُّعاس إمّا مرَّتين أو ثلاثةً. مُتَّفقٌ عليه[2] .

وقال ابن إسحاق[3] : وقاتل مُصْعَب بن عُمَيْر دون رسول الله ﷺ حتى قُتِل، قتله ابن قميئة اللَّيْثي، وهو يظنّه رسولَ الله ﷺ. فرجع إلى قريش فقال: قتلتُ محمداً.

ولما قُتِل مُصْعَب أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بنَ أبي طالب ورجالاً من المسلمين[4] .

وقال موسى بن عُقْبة: واستجلبتْ قُريشُ من شاؤوا من مشركي العرب، وسار أبو سُفيان في جَمْع قُريش. ثم ذكر نحو ما تقدّم، وفيه: فأصابوا وجهه، يعني النّبيَّ ﷺ وقصموا رَبَاعِيَتَه، وخرقوا شَفَتَه. يزعمون أنّ الذي رماه عُتْبة بن أبي وقّاص.

وعنده ـ يعني عند ابن عقبة ـ المنام، وفيه: فأوّلتُ الدّرْعَ الحصينة المدينة، فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام، فإنْ دخلوا علينا في الأزقّة قاتلناهم ورُمُوا من فوق البيوت. وكانوا قد سكُّوا أزقَّة المدينة بالبنيان حتى كانت كالحصن. فأبى كثير من النّاس إلاّ الخروج، وعامّتهم لم يشهدوا بدراً. قال: وليس مع المسلمين فَرَس.

وكان حامل لواء المشركين طلْحة بن عثمان، أخو شَيْبة العبدَرِي،

---

(١) على هامش الأصل: «كان عمر عائشة حينئذٍ عشر سنين».
(٢) البخاري ٤/ ٤٠و ٥/ ١٢٥، ومسلم ٥/ ١٩٦، وانظر المسند الجامع ٢/ ٣١٥ حديث(١٢٧٦).
(٣) ابن هشام ٢/ ٧٣.
(٤) ابن هشام ٢/ ٧٣.

وحامل لواء المسلمين رجل من المهاجرين، فقال: أنا عاصم إنْ شاء الله لِما معي، فقال له طلحة بن عثمان: هل لك في المبارزة؟ فقال: نعم فبدره ذلك الرجل فضرب بالسيف على رأسه حتى وقع السيف في لحيته.

فكان قَتْلُ صاحبِ المشركين تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ في قوله أراني أنّي مُرْدِفٌ كَبْشاً.

فلما صُرِع انتشر النّبيّ ﷺ وأصحابه، وصاروا كتائب متفرّقة، فجاسوا[1] العدو ضرباً حتى أجهضوهم عن أثقالهم. وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرّات، كلّ ذلك تُنْضَحُ بالنّبل فترجع مفلولة. وحمل المسلمون فنهكوهم قتلاً، فلما أبصر الرُّماةُ الخمسون أنّ الله قد فتح، قالوا: واللهِ ما نجلس ها هنا لشيء. فتركوا منازلهم التي عهِد إليهم النّبيّ ﷺ أنْ لا يتركوها، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول ﷺ، فأوجفت الخيل فيهم قتلاً، وكان عامّتهم في العسكر. فلما أبصر ذلك المسلمون اجتمعوا، وصرخ صارخ: أُخْراكم أُخْراكم، قُتِل رسول الله ﷺ. فسُقِط في أيديهم، فقُتِل منهم من قُتِل، وأكرمهم الله بالشهادة. وأصعد النّاس في الشِّعْب لا يلوون على أحدٍ، وثبّت الله نبيَّه، وأقبل يدعو أصحابه مُصَعِّداً في الشِّعْب، والمشركون على طريقه، ومعه عصابة منهم طلحة بن عُبَيْدالله والزُّبَيْر، وجعلوا يسترونه حتى قُتِلوا إلاّ ستة أو سبعة.

ويقال: كان كعب بن مالك أول مَن عرف عينيْ رسول الله ﷺ، حين فُقِد، من وراء المِغْفَر. فنادى بصوته الأعلى: الله أكبر، هذا رسول الله، فأشار إليه ـ زعموا ـ رسول الله ﷺ أنِ اسكتْ. وجُرح رسول

---

(١) جوّد النُّسّاخ الجيم عن المؤلف.

الله ﷺ في وجهه وكُسِرت رَبَاعِيَتُه[1].

وكان أُبَيُّ بنُ خَلَف قال حين افتُدِي: واللهِ إنّ عندي لَفَرَساً أعلِفها كلّ يوم فَرْقَ ذرَة، ولأقتلنّ عليها محمداً. فبلغ قولُه رسولَ الله ﷺ فقال: بل أنا أقتله إنْ شاء الله. فأقبل أُبَيُّ مقنّعاً في الحديد على فرسه تلك يقول: لا نجوتُ إنْ نجا محمد. فحمل على رسول الله ﷺ. قال موسى: قال سعيد بن المسيّب: فاعترض له رجالٌ، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلّوا طريقه، واستقبله مُصْعَب بن عُمَيْر يقي رسولَ الله ﷺ، فقتل مصعباً. وأبصر رسول الله ﷺ ترقُوَةَ أُبَيّ من فُرْجَةٍ بين سابغة البَيْضة والدِّرْع، فطعنه فيها بحربته، فوقع أُبَيُّ عن فَرَسَه، ولم يخرج من طعنته دم[2].

قال سعيد: فكُسِر ضِلْعٌ من أضلاعه، ففي ذلك نزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال]. فأتاه أصحابه وهو يخور خُوار الثَّور فقالوا: ما جَزَعُكَ؟ إنّما هو خَدْش. فذكر لهم قولَ رسول الله ﷺ: بل أنا أقتُلُ أُبَيّاً. ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعون. فمات قبل أن يقدم مكة[3].

وقال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بنُ عَبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن جدّه، أنّ الزُّبَير قال: واللهِ لقد رأيتُني أنظر إلى خَدَم سوق هندٍ وصواحباتها مشمِّراتٍ هَوَارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرُّماةْ إلى العسكر حين كشفنا القومَ عنه يريدون النَّهْبَ، وخَلَّوا ظهورَنا للخيل، فأُتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إنّ محمداً قد قُتِل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحابَ لوائهم، حتى ما يدنو

---

(١) ابن هشام ٢/ ٧٩-٨٠.

(٢) ابن هشام ٢/ ٨٤.

(٣) كتب على هامش الأصل: «في رابغ كما سيأتي مصرحاً به».

منه أحد من القوم.

قال ابن إسحاق: لم يزل لواؤهم صريعاً حتى أخذَتْه عَمْرةُ بنتُ علقمة الحارثيّة، فرفعته لقُريش فلاذوا به.

وقال ورقاء، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴿١٥٢﴾﴾ أي: تقتلونهم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم ﴿١٥٢﴾﴾ يعني: إقبالُ مَن أقبل منهم على الغنيمة، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴿١٥٣﴾﴾، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران] يعني النصر. ثم أُديل للمشركين عليهم بمعصيتهم الرسولَ حتى حصبهم النّبيُّ ﷺ.

وروى السُّدّيّ، عن عبد خير، عن عبدالله، قال: ما كنت أرى أنّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نَزَلَتْ فينا: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة: هُزِم المشركون يوم أُحُد هزيمة بيِّنَة، فصرخ إبليس: أي عبادَ الله أخراكم، فرجعت أُولاهم واجتلدوا هم وأخراهم. فنظر حُذَيْفَة فإذا هو بأبيه اليَمَان، فقال: أبي، أبي، فَوَالله ما انحجزوا عنه حتى قتلوه. فقال حُذَيفة: غفر الله لكم. قال عُرْوة: فَوَالله ما زالت في حُذَيفة بقيّة خيرٍ حتى لقي الله. أخرجه البخاري(١).

وقال ابن عَوْن، عن عُمَير بن إسحاق، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: كان حمزة يقاتل يوم أُحُد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين، ويقول: أنا أسد الله. رواه يونس بن بُكَيْر، عن ابن عَوْن، عن عُمَيْر مُرْسلاً، وزاد: فعثر فصُرِع مستلقياً وانكشفت الدّرع عن بطنه، فزرقه الحَبَشِيُّ

---

(١) البخاري ٥/ ١٢٥.

العبدُ، فَبَقَرَه.

وقال عبدالعزيز بن أبي سَلَمَةَ، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، عن سليمان بن يَسار، عن جعفر بن عمرو بن أُميَّةَ الضَّمري، قال: خرجت مع عُبَيْدالله بن عدِيّ بن الخيار إلى الشّام. فلما أن قدِمنا حمصَ قال لي عُبَيْدالله: هل لك في وحشيّ نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم. وكان وحشيٌّ يسكن حمصَ، فسألنا عنه، فقيل لنا: هو ذاك في ظلِّ قصره كأنّه حَميت[1]. فجئنا حتى وقفنا عليه يسيراً فسلَّمنا، فردّ علينا السلام. وكان عُبَيْدالله معتجراً بعمامته، ما يرى وحشيٌّ إلاّ عينيه ورِجْليه. فقال عُبَيْدالله: يا وحشيّ، تعرفني؟ فنظر إليه فقال: لا واللهِ إلا أنّي أعلم أنّ عدِيَّ بن الخيار تزوّج امرأةً يقال لها أمّ قِتال[2] بنت أبي العيص، فولدت غلاماً بمكّةَ فاسترضعته، فحملتُ ذلك الغلامَ مع أمّه فناولتُها إيّاه، لكأنّي نظرتُ إلى قَدَميك. قال: فكشف عُبَيْدالله عن وجهه، ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم. إنّ حمزة قتل طُعَيْمَة بن عَدِيّ ابن الخيار ببدر. فقال لي مولاي جُبَيْر بن مُطْعم: إنْ قتلت حمزةَ بعمّي فأنت حرّ. فلمّا خرج الناس عن عَيْنَيْن ـ وعينون[3] جبل تحت أُحُد، بينه وبين أُحُد وادٍ ـ خرجتُ مع النّاس إلى القتال. فلما أنِ اصْطفُّوا للقتال خرج سباع، فقال: هل من مبارزٍ؟ فخرج إليه حمزة، فقال: ياسباع يا ابن مُقَطِّعة البُظُور، تُحادّ اللهَ ورسولَه؟ ثم شدّ عليه، فكان كأمس الذاهب. قال فَكَمَنْتُ لحمزة تحت صخرةٍ حتى مرّ عليَّ، فرميته بحربتي فأضعها في ثُنَّتِه حتى خرجت من وَرِكه، فكان ذاك العهدَ به.

---

(١) الحميت: الزق الصغير.

(٢) جَوّد البشتكي الضبط عن المؤلف، وهي كذلك في رواية البخاري، انظر الفتح ٧/ ٤٦٨.

(٣) هكذا في النسخ، وفي البخاري: عينين.

فلما رجع النّاس رجعت معهم، فأقمتُ بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجتُ إلى الطّائف. قال: وأرسلوا إلى رسولِ الله ﷺ رُسُلاً، وقيل: إنّه لا يَهِيجُ الرُّسُل، فخرجتُ معهم. فلما رآني قال: أنت وَحْشِيٌّ؟ قلت: نعم. قال: الذي قتل حمزة؟ قلت: نعم، قد كان الأمر الذي بَلَغَك. قال: ما تستطيع أنْ تغيِّب عنّي وجهَك؟ قال: فرجعت. فلما تُوُفّي رسولُ الله ﷺ وخرج مُسَيْلمة، قلت: لأخرجنّ إليه لعلّي أقتله فأكافئَ به حمزة. فخرجت مع النّاس وكان من أمرهم ما كان، فإذا رجلٌ قائم في ثَلْمة جدارٍ كأنّه جَمَل أورق ثائرٌ رأسُه. قال: فأرميه بحربتي فأضعها بين ثدْيَيْه حتى خرجت من بين كتفيه، ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسّيف على هامته.

قال سليمان بن يَسار: فسمعتُ ابنَ عمر يقول: قالت جارية على ظهر بيت: وا أميرَ المؤمنين، قتله العبدُ الأسود. أخرجه البخاري[١].

وقال ابن إسحاق[٢]: ذكر الزُّهري، قال: كان أوّل من عرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة وقول النّاس: قُتل رسول الله ﷺ، كعب بن مالك. قال: عرفت عينيه تزْهَران من تحت المِغْفَر، فنَاديت: يا معشر المسلمين. أبشِروا، هذا رسول الله ﷺ. فأشار إليّ أن انصتْ، ومَعه جماعة. فلما أسند في الشِّعْب أدركه أُبَيُّ بنُ خلف وَهو يقول: يا محمد، لا نجوتُ إنْ نجوتَ. . . الحديثَ.

وقال هاشم بن هاشم الزُّهْري: سمعت سعيد بن المسيّب، سمع سعداً يقول: نثل لي رسولُ الله ﷺ كنانته يوم أُحُد، وقال: ارمِ، فداك أبي وأمّي. أخرجه البخاري[٣].

---

(١) البخاري ٥/ ١٢٨-١٢٩.
(٢) ابن هشام ٢/ ٨٣.
(٣) البخاري ٥/ ١٢٤.

وقال ابن إسحاق[1] : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، عن الزُّبَيْر، قال: فرأيتُ رسولَ الله ﷺ قد ظاهر بين درعين يومئذٍ، فلم يستطع أن ينهض إليها، يعني إلى صخرةٍ في الجبل، فجلس تحته طلحة بن عُبَيْدالله فنهض رسول الله ﷺ حتى استوى عليها. فقال رسول الله ﷺ: أوجب طلحة.

وقال حُمَيْد وغيره، عن أَنَس، قال: غاب أَنَس بن النَّضْر، عمُّ أَنَس ابن مالك، عن قتال بدر، فقال: غبتُ عن أوّل قتال رسولِ الله ﷺ المشركين، لئِنِ اللهُ أشهدَني قتالاً ليَرَيَنّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أُحُد انكشف المسلمون فقال: اللَّهُمَّ إنّي أبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء، يعني المشركين، وأعتذِر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين من الهزيمة. فمشى بسيفه فلقيه سعد بن مُعاذ، فقال: أي سعد، إنّي لأجِدُ ريحَ الجنة دون أُحُد، واهاً لريح الجنّة! فقال: سعد يا رسول الله فما استطعتُ أن أصنعَ كما صنع. قال أَنَس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضْعٌ وثمانون جراحةً من ضربةٍ بسيفٍ وطعنةٍ برم ورَمْيةٍ بسهم، فما عرفناه، حتى عرفَتْهُ أختُه ببَنَانِه، فكنّا نتحدث أن هذه الآية ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۝٢٣﴾ [الأحزاب]، نزلت فيه وفي أصحابه. مُتّفقٌ عليه[2] ، لكنْ مسلم من حديث ثابت البُناني، عن أَنَس.

وقال محمد بن عَمْرو، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة، أنّ عَمْرو بن أُقَيْش كان له رِباً في الجاهلية، فكره أن يُسْلِم حتى يأخذه. فجاء يوم أُحُد فقال: أين بنو عمّي؟ قالوا: بأُحُد. فلبس لأْمته وركب فرسَه ثم توجّه قِبَلَهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنّا. قال: إنّي قد آمنت.

(١) ابن هشام ٢/ ٨٦.
(٢) البخاري ٤/ ٢٣ و ٥/ ١٢٢، ومسلم ٦/ ٤٥، وانظر المسند الجامع حديث (١٢٧٢) و(١٢٧٣).

فقاتل حتى جُرح، فحُمل جريحاً، فجاءه سعد بن مُعاذ فقال لأخته: سَلِيه، حَمِيَّةً لقومك أو غَضَباً لله؟ قال: بل غَضَباً لله ورسوله. فمات فدخل الجنّة وما صلّى صلاةً. أخرجه أبو داود(١).

وقال حَيوَة بن شُرَيْح المصري: حدّثني أبو صخر حُمَيْد بن زياد، أنّ يحيى بن النَّضْر حدّثه عن أبي قَتَادة، قال: أتى عَمْرو بن الجَمُوح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إنْ قاتلتُ في سبيل الله حتى أُقتَل، أمشي برِجلي هذه صحيحة في الجنّة؟ وكان أعرج، فقال رسول الله ﷺ: نعم، فقُتِل يوم أُحُد هو وابنُ أخيه ومولىً لهم، فمرّ رسول الله ﷺ فقال: كأنّي أراك تمشي برجْلك هذه صحيحة في الجنة. وأمر بهما وبمولاهما فَجُعِلُوا في قبرٍ واحد.

وقال ابن عُيَيْنَة، عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيّب قال: قال عبدالله ابن جَحش: اللهمَّ إنّي أُقسم عليك أنْ ألقى العدوَّ غداً فيقتلوني ثم يبقروا بَطْني ويجدعوا أنفي وأُذُني، ثم تسألني بمَ ذاك، فأقول: فيك. قال سعيد بن المسيّب: إنّي لأرجو أنْ يبرَّ الله آخر قَسَمه كما أبرَّ أوله.

وروى الزُّبَيْر بن بكّار في «المُوَفَّقيّات»(٢)، أنَّ عبدالله بن جَحْش، انقطع سيفه، قال: فأعطاه النبيّ ﷺ عُرْجوناً فصار في يده سيفاً. فكان يُسمَّى العُرْجون، ولم يزل يُتَنَاوَل حتى بِيع من بُغَا التُركي بمئتي دينار.

وكان عبدالله من السابقين، أسلم قبل دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة هو وإخوتُه وشهِد بدْراً.

وقال مَعْمَر، عن سعيد بن عبدالرحمن الجَحْشي: حدثنا أشياخنا أنّ عبدالله بن جَحْش جاء إلى رسول الله ﷺ يوم أُحُد وقد ذهب سيفُه،

---

(١) أبو داود (٢٥٣٧).

(٢) الأخبار الموفقيات ص ٣٩٠ و ٦٢٣.

فأعطاه النّبيّ ﷺ عسيباً من نخْلٍ، فرجع في يد عبدالله سيفاً. مُرْسَل.

عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: بعثني النّبيُّ ﷺ يوم أُحُد لطلبِ سعدِ بن الربيع، وقال لي: إنْ رأيتَه فأقرِه منِّي السَّلامَ وقُلْ له: يقولُ لكَ رسولُ الله كيف تجدُك؟ فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبتُه وهو في آخر رَمَقٍ وبه سبعون ضربة، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السّلامَ ويقول لك: خبّرني كيف تجدُكَ؟ قال: على رسول الله السّلام وعليك، قل له: يا رسول الله أجدُ رِيحَ الجنّة، وقل لقومي الأنصار: لا عُذْر لكم عند الله إنْ خُلِصَ إلى رسولِ الله ﷺ وفيكم شُفْرٌ يَطْرِفُ[1]. قال: وفاضت نفسُه. أخرجه البيهقي[2]، ثم ساقه فيما بعد من حديث محمد بن إسحاق[3]، عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن المازني، منقطِعاً، فهو شاهدٌ لِما رواه خارجة.

وقال موسى بن عُقْبة: ثم انكفأ المشركون إلى أثقالهم، لا يدري المسلمون ما يريدون. فقال النّبيّ ﷺ: إنْ رأيتموهم ركبوا وجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل، فهم يريدون أن يدنوا من البيوتِ والآطام التي فيها الذَّراري، وأُقْسِمُ بالله لئِنْ فعلوا لأواقعنَّهم في جوفها، وإنْ كانوا ركبوا الأثقالَ وجَنَّبوا الخيلَ فهم يُريدون الفرارَ. فلما أدبروا بعث رسول الله ﷺ سعدَ بنَ أبي وقَّاص في آثارهم. فلما رجع قال: رأيتهم سائرين على أثقالهم والخيل مجنوبة. قال: فطابت أنفُسُ القوم، وانتشروا يبتغون قَتْلاهم. فلم يجدوا قتيلاً إلاّ وقد مَثَّلُوا به، إلاّ حنظلة بن أبي عامر، وكان أبوه مع المشركين فتُرِكَ لأجله. وزعموا أنّ أباه وَقف عليه قتيلاً فدفع صدره برِجْله ثم قال: ذَنْبان أصبْتَهُما، قد تقدَّمتُ إليك في

(١) الشفر: أصل منبت الشعر في الجفن.
(٢) دلائل النبوة ٣/ ٢٤٨.
(٣) ابن هشام ٢/ ٩٤.

مصرعك هذا يا دُبيس[1]، ولَعَمْرِ اللهِ إنْ كنتَ لواصلاً للرَّحِم برّاً بالوالد.

ووجدوا حمزةَ بنَ عبدالمطّلب قد بُقر بطنُه وحُمِلَت كبدُهُ، احتملها وحْشِيٌّ وهو قتله، فذهب بكَبِدِه إلى هند بنت عُتبة في نَذْرٍ نَذَرَتْه حين قتل أباها يوم بدر. فدُفن في نَمِرَةٍ كانت عليه، إذا رُفعت إلى رأسه بَدَتْ قَدَماه، فغطَّوا قدمَيْه بشيءٍ من الشجر[2].

وقال الزُّهْري: فقال النّبيّ ﷺ: زمِّلُوهم بدمائهم، فإنّه ليس أحدٌ يُكْلَمُ في الله إلاّ وهو يأتي يومَ القيامةِ وجرحه يَدْمَى، لونُه لونُ الدّم وريحه ريحُ المِسْك.

وقال: إنّ المشركين لن يصيبوا منّا مثلَها. وقد كان أبو سُفيان ناداهم حين ارتحل المشركون: إنَّ موعدكمُ الموسمُ، موسم بدر. وهي سوقٌ كانت تقوم ببدرٍ كلّ عام. فقال رسول الله ﷺ: قولوا له: نعم[3].

قال: وَدخل النّبيّ ﷺ المدينة، وإذَا النَّوْحُ في الدُّور. قال: ما هذا؟ قالوا: نساءُ الأنصار يَبكينَ قتلاهم. وأقبلت امرأةٌ تحملُ ابنَها وزوجَها على بعير، قد ربطتهما بحبلٍ ثم ركبتْ بينهما، وحُمِلَ قتلى، فدُفِنوا في مقابر المدينة، فنهاهم عن ذلك وقال: وَارُوهُمْ حيث أُصيبوا[4].

وقال لما سمع البُكاء: لكنَّ حمزةَ لا بواكي له. واستغفرَ له، فسمع ذلك سعدُ بن مُعاذ وابنُ رَوَاحة وغيرُهما، فجمعوا كلَّ نائحةٍ وباكيةٍ بالمدينة، فقالوا: واللهِ لا تبكين قتلى الأنصارِ حتى تبكينَ عمَّ رسولِ الله

---

(١) الدبيس: عسل التمر.
(٢) ابن هشام ٢/ ٩٥.
(٣) ابن هشام ٢/ ٩٤.
(٤) ابن هشام ٢/ ٩٩.

ﷺ، فلما سمع رسول الله بالبكاء، قال: ما هذا؟ قال: فأُخبر، فاستغفر لهم وقال لهم خيراً، وقال: ما هذا أردت وما أحبّ البكاء، ونهى عنه[1].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[2]: حدّثني القاسم بن عبدالرحمن ابن نافع الأنصاريّ، قال: انتهى أنَس بن النَّضْر إلى عمر، وطلحة، ورجال قد ألقوا بأيديهم فقال: ما يُجْلِسكُم؟ فقالوا: قُتِل رسول الله ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القومَ فقاتل حتى قُتِل.

قال ابن إسحاق[3]: وقد كان حنظلة بن أبي عامر التَقَى هو وأبو سُفيان بن حرب، فلما استعلاه حنظلةُ رآه شدّاد بن الأسود. فضرب حنظلةَ بالسيف فقتله. وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة، أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ صاحبكم لَتُغَسِّلُهُ الملائكةُ، يعني حنظلة، فسألوا أهلَه ما شأنه؟ فسُئلت صاحبتُه قالت: خرج وهو جُنُب حين سمع الهَيْعَة. فقال النّبيّ ﷺ: لذلك غسّلته الملائكة.

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[4]: وخَلَصَ العدوُّ إلى رسول الله ﷺ فدُثَّ[5] بالحجارة حتى وقع لشقّه فأُصيبت رَبَاعِيَتُه، وشُجَّ في وجهه، وكُلِمتْ شَفَتُه. وكان الذي أصابه عُتْبة بن أبي وقّاص. فحدّثني حُمَيْد الطويل، عن أنَس، قال: كُسِرت رَباعِيَة النّبيّ ﷺ يوم أُحُد، وشُجَّ في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: كيف يفلح

(١) ابن هشام ٢/ ٩٩.
(٢) ابن هشام ٢/ ٨٣.
(٣) ابن هشام ٢/ ٧٥.
(٤) ابن هشام ٢/ ٧٩-٨٠.
(٥) أي: رُمي بالحجارة من قريب.

قوم خَضَبُوا وجهَ نبيّهم وهو يدعوهم إلى ربّهم؟ فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد، قال: جُرِح رسول الله ﷺ، وكُسِرت رَباعيَتُه، وهُشِمتْ البَيْضَة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وعليٌّ يسكب الماءَ عليه بالمِجَنّ. فلما رأت فاطمة أنَّ الماء لا يزيد الدمَ إلاّ كثرة، أخذت قطعة حصيرٍ أحرقته، حتى إذا صار رماداً ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم. أخرجاه(١).

ورواه مسلم من حديث سعيد بن أبي هلال، عن أبي حازم، عن سهل، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يوم أُحُد أُصيبت رَبَاعيَته وَهُشِمت بيضته. وذكر باقي الحديث.

وقال مَعْمَر، عن همّام، عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: اشتدّ غضب الله على قوم فعلوا برسول الله، وَهو يشير إلى رَبَاعيَته، اشتدّ غضب الله على رجلٍ يقتُلُه رسولُ الله في سبيل الله. مُتَّفقٌ عليه(٢).

وللبخاري مثله من حديث عِكْرِمة، عن ابن عبّاس. لكن فيه: دَمَّوا وجهَ رسولِ الله، بَدَلِ ذِكْر رَبَاعيَته(٣).

وقال ابن المبارك، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عُبَيْدالله: أخبرني عيسى بن طلحة، عن عائشة، قالت: كان أبو بكر إذا ذُكِر يوم أُحُد بكى ثم قال: ذاك يوم كان كلّه يوم طلحة. ثم أنشأ يحدّث، قال:

---

(١) البخاري ١/ ٧٠ و ٤/ ٤٨ و ٧٩ و ٥/ ١٢٩-١٣٠ و ٧/ ٥١ و ١٦٧، ومسلم ٥/ ١٧٨، وانظر المسند الجامع حديث (٥١٢٢).

(٢) البخاري ٥/ ١٢٩، ومسلم ٥/ ١٧٩، وانظر المسند الجامع حديث (١٤٦٢٥).

(٣) البخاري ٥/ ١٢٩ و ١٣٠، وانظر المسند الجامع حديث(٦٩٣٤).

كنت أوّلَ من فاء يوم أُحُد، فرأيتُ رجلاً يقاتلُ مع رسولِ الله ﷺ دونه. وأراه قال: يحميه، فقلت: كُنْ طلحة، حيث فاتني ما فاتني، قلتُ: يكون رجلاً من قومي أحبّ إليّ، وبَيني وبين المشرق رجل لا أعرفه، وأنا أقربُ إلى رسولِ الله ﷺ منه، وهو يخطفُ المشي خطْفاً لا أخطفه. فإذا هو أبو عُبَيْدة. فانتهينا إلى رسولِ الله ﷺ وقد كُسِرت رَبَاعيَته وشُجَّ في وجهه، وقد دخل في وجهه حَلَقَتان من حلق المِغْفر. قال رسولُ الله ﷺ: عليكما صاحبكما، يريدُ طلحةَ وقد نُزِفَ. فلم نلتفتْ إلى قوله، وذهبتُ لأنزعَ ذلك من وجهه. فقال أبو عُبَيْدة: أقسمتُ عليك بحقِّي لما تركتني. فتركته. فكره أن يتناولها بيده فيؤذي النّبيَّ، فأزمَّ عليهما بفِيه، فاستخرج إحدى الحلقتين. ووقعت ثنيَّتُه مع الحلقة. وذهبتُ لأصنع ما صنع، فقال: أقسمتُ عليك بحقّي لما تركتني. ففعل ما فعل في المرّة الأولى، فوقعت ثنيّتُه الأخرى مع الحلقة. فكان أبو عُبَيْدة من أحسنِ النّاس هَتْماً، فأصلحنا من شأنِ النّبيِّ ﷺ، ثم أتينا طلحةَ في بعض تلك الجِفار[1]، فإذا بضعٌ وسبعون، أقلّ أو أكثر، من بين طعنةٍ ورميةٍ وضربة، وإذا قد قُطعت إصبعُه. فأصلحنا من شأنه.

وروى الواقديُّ[2] عن ابن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، عن أبي الحُوَيْرِث، عن نافع بن جُبَيْر، قال: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول: شهدتُ أُحُداً، فنظرت إلى النَّبْل يأتي من كلّ ناحية، ورسول الله ﷺ وسطها، كل ذلك يُصْرَف عنه. ولقد رأيت عبدالله بنَ شهاب الزُّهْريّ يقول يومئذٍ: دلّوني على محمدٍ، فلا نجوتُ إنْ نجا. ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحدٌ، ثم تجاوزه فعاتبه في ذلك صَفوان، فقال: واللهِ ما رأيتُه، أحلفُ باللهِ أنّه مِنَّا ممنوعٌ، خرجنا أربعةٌ

(١) أي: الآبار الواسعة.
(٢) المغازي ١/ ٢٣٧-٢٣٨.

فتعاهدْنا وتعاقدنا على قتْله، فلم نخلص إلى ذلك.

قال الواقديّ: الثَّبْتُ عندنا أنّ الذي رمى رسولَ الله ﷺ في وجنتيه: ابن قَمِئَة، والذي رمى شَفَتَيْه وأصابَ رَبَاعيَته: عُتْبة بن أبي وقّاص.

وقال ابن إسحاق[1] : حدّثني صالح بن كَيْسان، عمّن حدّثه، عن سعد بن أبيّ وقاص، قال: واللهِ ما حَرَصْت على قتْل أحدٍ قطّ ما حَرَصْت على قتْل عُتْبَة بن أبي وقّاص، وإنْ كان ما علمته لسيّء الخُلُق مُبَغَّضاً في قومه، ولقد كفاني منه قولُ رسول الله ﷺ: «اشتدّ غضبُ اللهِ على من دَمَّى وجهَ رسولِ الله».

وقال مَعْمَر، عن الزُّهْريّ، عن عثمان الجَزَرِي، عن مِقْسَم أنّ النّبيَّ ﷺ دعا على عُتْبَة حين كسر رباعيته: اللَّهُمَّ لا تُحِلْ عليه الحَوْل حتى يموتَ كافراً. فما حال عليه الحَوْلُ حتى مات كافراً إلى النّار. مُرْسَل.

ابن وهب: أخبرنا عَمْرو بن الحارث، قال: حدّثني عمر بن السّائب، أنّه بلغه أنّ والد أبي سعيد الخُدْرِيّ لما جُرح النّبيّ ﷺ يوم أُحُد، مَصَّ جرحَه حتى أنقاه ولاح أبيضَ، فقيل له: مُجَّه. فقال: لا واللهِ لا أمُجُّه أبداً. ثم أدبر فقاتَل، فقال النّبيّ ﷺ: «مَنْ أراد أنْ ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة، فلينظر إلى هذا». فاستُشْهِد.

قال ابن إسحاق[2] : قال حسّان بن ثابت:

إذا اللهُ جازَى مَعْشَراً بفِعَالهمْ ... ونَصْرِهم الرَّحمنَ ربَّ المشارق
فأخزاك ربّي يا عُتَيْب بن مالكٍ ... ولَقَّاك قبلَ الموتِ إحدى الصَّواعق
بَسَطْتَ يميناً للنّبيّ تَعَمُّداً ... فادميْتَ فاهُ، قُطِّعْتْ بالبَوارق
فَهَلاّ ذكرتَ اللهَ والمنزِلَ الذي ... تصيرُ إليه عند إحدى البَوَائق

---

(١) ابن هشام ٢/ ٧٩.

(٢) ابن هشام ٢/ ٨١.

قال ابن إسحاق[١] : وعن أبي سعيد الخُدْرِيّ، أنّ عُتْبة كسر رَباعيَةَ النّبيّ ﷺ اليمنى السُّفْلى، وجرح شَفَتَه السُّفْلى، وأنّ عبدالله بن شهاب شجَّه في جبهته، وأنّ ابن قمئة جرح وجنَتَه، فدخلت حلقتان من حلق المِغْفَر في وجنته، ووقع ﷺ في حُفْرة من الحُفَر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ عليٌّ بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طلحة حتى استوى قائماً. ومصّ مالك بن سِنان، أبو أبي سعيد، الدَّمَ عن وجهه ثم ازْدَرَدَه، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ مسَّ دمَه دمي لم تمسّه النّار. مُنْقَطع.

قال البكّائيّ: قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني عاصم بن عمر، أنّ رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقَّت سِيَتُها[٣] ، فأخذها قَتَادة بن النُّعمان، فكانت عنده. وأصيبتْ يومئذٍ عينُ قَتَادة، حتى وقعت على وجنته. فحدّثني عاصم بن عمر أنّ رسول الله ﷺ ردّها بيده، وكانت أحسن عينيه وأحَدَّهما.

وقال الواقديّ[٤] : حدثنا موسى بن يعقوب الزّمعي، عن عمّته، عن أُمّها، عن المِقْداد بن عَمْرو قال: فربَّما رأيت رسول الله ﷺ قائماً يوم أُحُد يرمي عن قوسِهِ، ويرمي بالحجر، حتى تحاجزوا، وثبت رسول الله ﷺ كما هو في عصابةٍ صبروا معه.

هذان الحديثان ضعيفان، وفيهما أنّه رمى بالقوس.

وقال سليمان بن أحمد نزيل واسط: حدثنا محمد بن شُعَيْب، قال: سمعت إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، يحدّث عن عِياض بن عبدالله بن سعد بن أبي سرح، عن أبي سعيد الخُدْرِي، عن قَتَادَة بن النُّعمان، وكان

---

(١) ابن هشام ٢/ ٨٠.
(٢) ابن هشام ٢/ ٨٢.
(٣) أي: طرف القوس.
(٤) المغازي ١/ ٢٣٩-٢٤٠.

أخا أبي سعيد لأُمّه، أنّ عينه ذهبت يوم أُحُد، فجاء بها إلى النّبيّ ﷺ فردَّها، فاستقامت.

وقال يحيى الحِمّاني: حدثنا عبدالرحمن بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتَادَة، عن أبيه، عن قَتَادَة بن النُّعمان، أنّه أصيبت عينُه يوم بدر، فسالت حَدَقَتُه على وجنته، فأرادوا أنْ يقطعوها، فسألوا النّبيَّ ﷺ فقال: لا. فدعا به فغمز حَدَقَتَه براحته. فكان لا يدري أيَّ عينيه أُصيبت.

كذا قال ابن الغسيل: يوم بدر.

وَقال موسى بن عُقْبة: إنّ أبا حُذَيْفة بن اليمان، واسمه حُسَيل بن جُبَيْر حليف للأنصار، أصابه المسلمون، زعموا، في المعركة لا يدرون من أصابه. فتصدّق حُذَيْفة بدمه على من أصابه.

قال موسى: وجميع من استُشهد من المسلمين تسعة وأربعون رجلاً.

وقُتِل من المشركين ستّة عشر رجلاً.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، قال: حمل أُبَيُّ بن خَلَف على النّبيّ ﷺ يريد قتله، فاستقبله مُصْعَب بن عُمَيْر، فقتل مصعباً. وأبصر رسول الله ﷺ تَرْقُوَةَ أُبَيٍّ فطعنه بحربتِهِ فوقع عن فرسِه، ولم يخرج منها دَمٌ فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور.

وروى نحوه الزُّهْرِيّ، عن ابن المسيّب.

وذكره الواقدي، عن يونس بن محمد، عن عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبدالله بن كعب بن مالك، عن أبيه.

قال الواقدي(١): وكان ابن عمر يقول: مات أُبيٌّ ببطنِ رابغ، فإنّي

---

(١) المغازي ١/ ٢٥٢.

لأسير ببطن رابغ بعد هَوِيٍّ من الليل إذا نار تأجَّج لي فهِبْتُها، فإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح: العطش. ورجل يقول: لا تَسْقِه، فإنَّ هذا قتيل رسولِ الله ﷺ، هذا أُبَيُّ بن خَلَف[1].

وقال عبدالرحمن بن أبي الزّناد، عن أبيه، عن عُبَيْدالله بن عبدالله بن عُتبة، عن ابن عبّاس، قال: ما نُصِر النّبيُّ ﷺ في موطنٍ كما نُصِر يوم أُحُد. فأنكرنا ذلك، فقال ابن عبّاس: بيني وبين مَن أنكر ذلك كتابُ الله، إنّ الله تعالى يقول في يوم أُحُد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ والحَسُّ: القتلُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران] الآية. وإنّما عنى بهذا الرُّماة. وذلك أنّ النّبيَّ ﷺ أقامهم في موضع. وقال: احموا ظُهورَنا، فإنْ رأيتمونا نُقْتَل فلا تَنْصُرُونا، وإنْ رأيتمونا قد غنِمْنا فلا تَشْرَكونا. فلما غنم رسول الله ﷺ وانكفأ عسكر المشركين، نزلت الرُّمَاة فدخلوا في العسكر ينتهبون، وقد التفَّتْ صفوفُ أصحابِ رسول الله ﷺ فهم هكذا، وشبَّك أصابعه، والتبسوا. فلما خلَّى الرُّماة تلك الخَلَّةَ[2] التي كانوا فيها، دخلت الخيلُ من ذلك الموضع على أصحاب النّبيّ ﷺ، فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا. وقُتِل من المسلمين ناسٌ كثير. وقد كان لرسولِ الله ﷺ وأصحابه أوَّلُ النهار، حتى قُتِل من أصحاب لواء المشركين سبعةٌ أو تسعة، وجال المسلمون جولةً نحو الجبل، وصاح الشَّيطان: قُتِلَ محمد. فلم يُشَكَّ فيه أنّه حقٌّ. وساق الحديث.

وقال سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قَتَادة، عن أَنَس، عن أبي طلحة، قال: كنت ممّن تَغَشّاهُ النُّعاس يوم أُحُد، حتى سقطَ سيفي من يدي

---

(١) كتب على هامش الأصل: «تقدم قتل أُبي بأبسط مما هنا».
(٢) أي: الهضبة.

مِراراً. أخرجه البخاري[1].

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي طلحة، قال: رفعت رأسي يوم أُحُد، فجعلت أنظر، وما منهم أحدٌ إلاّ وهو يَمِيد تحت حَجَفَتِه من النُّعَاس. فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران] الآية.

وقال يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُّبَيْر، عن أبيه، عن جدّه، عن الزُّبير، قال: واللهِ لَكَأنّي أسمع قولَ مُعَتِّب بن قُشَيْر، وإنّ النُّعاس لَيَغْشاني ما أسمعها منه إلاّ كالحُلُم، وهو يقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران].

وروى الزُّهْري، عن عبدالرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة، عن أبيه، عن أبيه[2]، قال: أُلْقي علينا النَّومُ يوم أُحُد.

وقال ابن إسحاق[3]، عن عاصم بن عمر، والزُّهْري وجماعة، قالوا: كان يوم أُحُد يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومَحَقَ به المنافقين ممّن كان يُظْهِر إسلامَه بلسانه، ويوم أكرم الله فيه بالشهادة غير واحد، وكان ممّا نزل من القرآن في يوم أُحُد ستُّون آيةً من آل عمران.

وقال المدائني، عن سَلاّم بن مسكين، عن قَتَادَة، عن سعيد بن المسيّب، قال: كانت راية رسول الله ﷺ يوم أحد مرطاً أسود كان

(١) البخاري ٥/١٢٦-١٢٧.

(٢) قوله: «عن أبيه» الثانية حذفها بعض من نشر الكتاب، وهي ثابتة في الأصول، بل صحح عليها البشتكي، والمسور بن مخرمة كان عمره ثماني سنوات عند وفاة رسول الله ﷺ كما في تهذيب الكمال ٢٧/٥٨٢. فراوي الحديث هو مخرمة بن نوفل بن أُهيب أبو المسور الزهري، من مسلمة الفتح، وكان مع المشركين يوم أُحد (الإصابة ٦/ ٥٠).

(٣) ابن هشام ٢/ ١٠٥.

لعائشة، وراية الأنصار يقال لها العُقاب، وعلى الميمنة عليّ، وعلى الميسرة المنذر بن عَمْرو السّاعدِي، والزُّبَيْر بن العوّام على الرجال، ويقال المِقْداد بن عَمْرو، وحمزة بن عبد المطّلب على القلب.

ولواء قريش مع طلحة بن أبي طلحة فقتله عليّ رضي الله عنه، فأخذ اللواء سعد بن أبي طلحة فقتله سعدُ بن مالك، فأخذه عثمان بن أبي طلحة[١]، فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فأخذه الجُلاَس بن طلحة، فقتله ابن أبي الأقلح أيضاً، ثم كلاب والحارث ابنا طلحة، فقتلهما قُزْمان حليف بني ظفر، وأرطاة بن عبد شُرَحْبِيل العَبْدَرِي قتله مُصْعَب بن عُمَيْر، وأخذه أبو يزيد بن عُمَير العبدري، وقيل عبد حبشيٌّ لبني عبدالدار، قتله قُزْمان.

قال ابن إسحاق[٢]: وبقي اللواء ما يأخذه أحدٌ،وكانت الهزيمةُ على قريش.

وقال مروان بن معاوية الفَزَاري: حدثنا عبدالواحد بن أيمن، قال: حدثنا عُبَيْد بن رفاعة الزُّرقي، عن أبيه، قال: لما كان يوم أُحُد انكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: استووا حتى أثني على ربّي. فصاروا خلفه صفوفاً فقال: «اللَّهُمَّ لك الحمد كلّه،اللَّهُمَّ لا قابضَ لِما بَسَطْتَ، ولا مُقَرِّبَ لِما باعدْتَ، ولا مُباعد لِما قَرَّبْتَ، ولا مانع لِما أعطيت، ولا مُعطي لِما منعت. اللَّهُمَّ ابسُطْ علينا من بركاتك، أسألكَ النَّعيمَ المُقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللَّهُمَّ عائذاً بك من سوء ما أعطيتنا وشرّ ما منعت منّا، اللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنْه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكُفْرَ والفُسُوق والعِصْيان، واجْعلنا من الراشدين، اللَّهُمَّ تَوَفَّنا مسلمين وأحْيِنا

(١) كتب على هامش الأصل: «اسم أبي طلحة أبيهم عبدالله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار».

(٢) ابن هشام ٢/١٢٧.

مسلمين وألحِقْنا بالصَّالحين غيرَ خَزَايا ولا مفتونين. اللَّهُمَّ قاتل الكفرة الذين يَصدُّون عن سبيلكَ، ويكذبون رسلك، واجعلْ عليهم رِجْزكَ وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إلهَ الحقّ».

هذا حديث غريب مُنْكر، رواه البخاري في الأدب[1]، عن عليّ بن المَدِيني، عن مروان.

عدد الشهداء

قد مرَّ أنَّ البخاريَّ أخرج من حديث البَرَاء، أنّ المشركين أصابوا منّا سبعين.

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت، عن أنس، قال: ياربّ السّبعين من الأنصار، سبعين يوم أُحُد، وسبعين يوم بئر مَعُونَة، وسبعين يوم مُؤْتَة، وسبعين يوم اليَمامة.

وقال عبدالرحمن بن حَرْمَلَة، عن سعيد بن المسيّب، قال: قُتِل من الأنصار في ثلاثة مَوَاطنَ سبعون سبعون: يوم أُحُد، ويوم اليَمامة، ويوم جسر أبي عُبَيْد.

وقال ابن جُرَيْج: أخبرني عمر بن عطاء، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران]، قال: قتل المسلمون من المشركين يوم بدرٍ سبعين وَأسروا سبعين، وقتل المشركون يوم أُحُد من المسلمين سبعين.

وأما ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، فقال: جميع من قُتِل مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد، من قُريش والأنصار: أربعةٌ، أو قال: سبعة

---

(١) الأدب المفرد ص ٢٤٣.

وأربعون رجلاً. وجميع من قُتل يوم أُحُد، يعني من المشركين تسعة عشر رجلاً[(١)].

وقال موسى بن عقبة: جميع من استشهد من المسلمين، من قريش والأنصار سبعة[(٢)] وأربعون رجلاً.

وقال ابن إسحاق[(٣)]: جميع من استُشهد من المسلمين، من المهاجرين والأنصار، يوم أُحُد، خمسةٌ وستّون رجلاً. وجميع قتلى المشركين اثنان وعشرون.

قلت: قولُ مَن قال سبعين أصحّ. ويُحمل قولُ أصحابِ المغازي هذا على عدد من عُرِف اسمُه من الشُّهداء، فإنّهم عدُّوا أسماءَ الشهداء بأنسابهم.

قال ابن إسحاق[(٤)]: استُشهد من المهاجرين:

حمزة، وعبدالله بن جحش بن رئاب الأسَدي، حليف بني عبد شمس، وهو ابن عمّة رسول الله ﷺ، وقد دُفن مع حمزة في قبرٍ واحد، ومُصْعَب بن عُمَيْر، وعثمان بن عثمان، ولقبه شماس، وهو عثمان بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيْد بن هرمي[(٥)] بن عامر بن مخزوم القُرَشي المخزومي، ابن أخت عُتْبة بن ربيعة، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً، ولُقّب شماساً لملاحته.

---

(١) كتب على هامش نسخة البشتكي: «وتقدم قبل هذا أن المقتول من المشركين ستة عشر فراجعه».

(٢) كتب على هامش نسخة البشتكي: «وتقدم عن موسى بدل سبعة تسعة، بتقديم التاء».

(٣) ابن هشام ٢/١٢٨.

(٤) ابن هشام ٢/١٢٦.

(٥) في نشخة البشتكي: «هرمز» خطأ.

ومن الأنصار: عَمْرو بن مُعاذ بن النُّعمان الأوْسي، أخو سعد، وابن أخيه الحارث بن أوس بن مُعاذ، والحارث بن أُنَيْس بن رافع، وعمارة ابن زياد بن السَّكَن، وسَلَمَة، وعَمْرو، ابنا ثابت بن وَقْش، وعمّهما: رفاعة بن وَقْش، وصَيْفي بن قَيْظي، وأخوه: حُباب، وعَبّاد بن سهل، وعُبَيْد بن التَّيْهان، وحبيب بن زيد، وإياس بن أوس، الأشْهَليُّون، واليَمان أبو حُذَيْفة، حليفٌ لهم، ويزيد بن حاطب بن أُميَّة الظَّفَرِيّ، وَأبو سُفيان بن الحارث بن قيس، وغسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر الرّاهب، ومالك بن أُميَّة؛ وعَوْف بن عَمْرو، وأبو حيّة بن عَمْرو بن ثابت، وعبدالله بن جُبَيْر بن النُّعمان، أميرُ الرُّماة، وأنس بن قَتَادَة، وخَيْثَمة والد سعد بن خَيْثَمة، وحليفه: عبدالله بن سَلَمَة العَجْلاني، وسُبيع بن حاطب بن الحارث، وحليفه: مالك بن أوس، وعُمَيْر بن عدِيّ الخطمي. وكلُّهم من الأوْس.

واستُشهد من الخَزْرَج: عَمْرو بن قيس النَّجّاري، وابنه: قيس، وثابت بن عَمْرو بن زيد، وعامر بن مخْلَد، وأبو هُبَيْرة بن الحارث بن علقمة، وعَمْرو بن مُطَرِّف، وإياس بن عَدِيّ، وأوس، أخو حسّان بن ثابت، وهو والد شدّاد بن أوس، وأنس بن النَّضر بن ضمضم، وقيس ابن مَخْلَد، وعَشَرَتُهُم من بني النَّجّار، وعبدٌ لهم اسمه: كَيْسان، وسليم ابن الحارث، ونعمان بن عبد عَمْرو، وهما من بني دينار بن الحارث.

ومن بني الحارث بن الخَزْرَج: خارجة بن زيد بن أبي زُهير، وسعد ابن الربيع بن عَمْرو بن أبي زُهير، وأوس ابن أرقم بن زيد، أخو زيد بن أرقم.

ومن بني خُدْرَة: مالك بن سِنان، وسعيد بن سُوَيْد، وعُتْبة بن ربيع.

ومن بني ساعدة: ثعلبة بن سعد بن مالك، وثقف بن فروة، وعبدالله بن عَمْرو بن وهب، وضَمْرة، حليف لهم من جُهَيْنَة.

ومن بني عَوْف بن الخَزْرَج، ثم من بني سالم: عَمْرو بن إياس، ونَوْفل بن عبدالله، وعُبادة بن الحسحاس[1]، والعبّاس بن عُبادة بن نَضْلة، والنُّعمان بن مالك، والمُجَذّر بن ذياد البَلَوِي، حليفٌ لهم.

ومن بني الحُبْلَى: رِفاعة بن عَمْرو.

ومن بني سواد بن مالك: مالك بن إياس.

ومن بني سَلِمة: عبدالله بن عَمْرو بن حرام، وعَمْرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، وكانا متواخيين وصِهْرَيْن، فدُفِنا في قبرٍ واحد، وخَلَّاد ابن عَمْرو بن الجَمُوح، ومولاه أُسَيْر، أبو أيمن، مولى عَمْرو.

ومن بني سواد بن غُنْم: سُلَيْم ابن عَمْرو بن حديدة، ومولاه عَنْتَرة، وسُهَيْل بن قيس.

ومن بني زُرَيْق: ذكوان بن عبد قَيْس، وعُبَيْد بن المُعَلَّى بن لوذان.

قال ابن إسحاق[2]: وَزعم عاصم بن عمر بن قَتَادَة أنّ ثابت بن وَقْش قُتِل يومئذٍ مع ابنَيه.

وذكر الواقديُّ جماعةً قُتِلوا سِوى مَن ذَكَرْنا.

وقال البكّائي: قال ابن إسحاق، عن محمود بن لَبيد، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد رُفِعَ حُسَيْل بن جابر -والد حُذَيْفة بن اليمان- وثابت بن وَقْش في الآطام مع النّساء والصّبيان، فقال أحدُهما لصاحبه -وهما شيخان كبيران-: «لا أبالَك، ما ننتظر؟ فَوَالله ما بقيَ

(١) بحاءين مهملتين بينهما سين مهملة.
(٢) ابن هشام ٢/١٢٦.

لواحدٍ منّا من عمره إلاّ ظمء حمار[١] ، إنّما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعلّ الله يرزقنا الشهادةَ مع رسوله؟ فخرجا حتى دخلا في النّاس، ولَم يُعْلَم بهما. فأمّا ثابت فقتله المشركون، وأما حُسَيْل فقتله المسلمون ولا يعرفونه[٢] .

قال: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، قال: كان فينا رجل أَتِيٌّ[٣] لا يُدْرَى ممَّن هو، يقال له قُزْمان، وكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذُكِر له: إنّه لمن أهل النّار. فلما كان يوم أُحُد قتل وحده ثمانيةً أو سبعةً من المشركين وكَان ذا بأس، فأثْبَتَتْه الجراحةُ، فاحتُمل إلى دار بني ظَفَر، فجعلوا يقولون له: والله لقد أبليتَ اليوم يا قُزْمان، فأبْشِر. قال: بماذا أبشر؟ والله إنْ قاتلتُ إلاّ عن أحساب قومي، ولولا ذلك لمَا قاتَلْتُ. فلما اشتدّت عليه جراحتُه أخذ سهماً فقتل به نفسه.

قال ابن إسحاق[٤] : وكان ممّن قُتِل يومئذ مُخَيْرِيق، وكان أحدَ بني ثعلبة بن العيطون[٥] ، قال لما كان يوم أُحُد: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أنّ نصر محمدٍ عليكم لَحَقٌّ. قالوا: إنّ اليوم يوم السّبت. قال: لا سبْتَ. فأخذ سيفه وعدَّتَه وقال: إنْ أُصِبْتُ فمالي لمحمدٍ يصنع فيه ما شاء. ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتِل. فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: مُخَيْرِيق خيرُ يهود.

ووقعتْ هند بنت عُتْبة والنِّسْوةُ اللاّتي معها يمثِّلْنَ بالقتلى، يَجْدَعْنَ الآذانَ والآنُفَ، حتى اتّخذت هند من آذان الرجال وآنُفِهم خَدَمَاً[٦] ،

---

(١) أي: ما بقي من عمره إلا مقدار يسير بقدر شربة أو شربتين.
(٢) ابن هشام ٢/ ٨٧-٨٨.
(٣) أي: لا يُعرف من أين أتى.
(٤) ابن هشام ٢/ ٨٨.
(٥) هكذا في النسخ، وفي السيرة: الفِطْيون.
(٦) اي: خلخالاً.

وَبقرت عن كبِد حمزة فَلاَكَتْها، فلم تستطيع أن تُسيغها فَلَفَظَتْها. ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها:

نحنُ جَزَيْناكم بيومِ بدر والحربُ بعد الحربِ ذاتُ سُعْرِ
ما كان عن عُتْبة لي من صبْر ولا أخي، وعمّه وبكري
شفيتُ صدري وقضيتُ نذْري شفَيْتَ وَحْشِيُّ غليلَ صدْري

وقُتِل من المشركين ـ على ما ذكر ابن إسحاق ـ أحد عشر رجلاً من بني عبد الدّار، وهم:

طلحة، وأبو سعيد، وعثمان: بنو أبي طلحة عبدالله بن عبدالعُزَّى. ومولاهم: صُؤاب[1]، وبنو طلحة المذكور: مُسافع، والحارث، والجُلاس، وكلاب، وأبو زيد[2] بن عُمَيْر أخو مُصْعَب بن عُمَيْر، وابن عمّه: أرطاة بنشرَحْبِيل بن هاشم، وابن عمّهم: قاسط بن شُرَيْح.

ومن بني أسد: عبدالله بن حُمَيْد بن زُهير الأسدي، وسباع بن عبدالعُزَّى الخُزاعيّ حليف بني أسد.

وأربعة من بني مخزوم: أخو أمّ سَلَمَة: هشام بن أبي أُميّة بن المُغِيرة، والوليد بن العاص بن هشام بن المُغِيرة، وأبو أُميَّة بن أبي حُذَيْفة بن المُغِيرة، وحليفهُم خالد بن الأعلم.

ومن بني زُهْرة: أبو الحَكَم بن الأخنس بن شريق، حليفٌ لهم.

ومن بني جُمَح: أُبَيُّ بن خَلَف، وأبو عَزَّة عَمْرو بن عبدالله بن عُمَيْر، أمر رسول الله ﷺ بضَرْب عُنُقِه صبْراً، وذلك أنّه أُسِر يوم بدر، وأطلقة النّبيُّ ﷺ بلا فداء لفَقْره، وأخذ عليه أنْ لا يُعين عليه، فنقض العهدَ وأُسِر يوم أُحُدٍ، فقال رسول الله ﷺ: والله لا تمسح عارضَيْك

---

(١) غلام حبشي قتله قزمان.
(٢) انظر ابن هشام٢/١٢٨.

بمكة تقول خدعتُ محمداً مرّتين. وأمر به فضُرِبت عُنُقُه. وقيل لم يؤسر سِواه.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: عُبَيْد بن جابر، وشَيْبَة بن مالك.

وقال سُليمان بن بلال، عن عبدالأعلى بن عبدالله بن أبي فَرْوة، عن قَطَن بن وَهْب، عن عُبَيْد بن عُمَيْر، عن أبي هريرة، ورواه حاتم بن إسماعيل، عن عبدالأعلى ـ فأرسله مرَّةً وأسنده مرَّة ـ عن أبي ذَرٍّ عِوَض أبي هريرة، أن النّبيّ ﷺ حين انصرف من أُحُدٍ مرّ على مُصْعَب بن عُمَيْر وهو مقتول ـ على طريقه ـ فوقف عليه ودعا له، ثم قرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. ثم قال: «أشْهد أنّ هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأْتُوهم وَزُورُوهم، والذي نفسي بيدِه لا يُسلِّمُ عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلاّ ردُّوا عليه السَّلاَمَ».

وقال ابن إسحاق[1]: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَير، وحدّثنيه بُرَيْدَة بن سفيان، عن محمد بن كعب، قال: لما رأى رسول الله ﷺ ما بحمزةَ من المَثْلِ ـ جدع أنفه ولُعِب به ـ قال: «لولا أنْ تجزع صفيّةُ وتكونَ سُنَّةً من بعدي ما غُيِّبَ حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطَّير».

وحدّثني بُرَيْدة، عن محمد بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: لئن ظفِرْتُ بقُرَيْشٍ لأُمثِّلَنَّ بثلاثين منهم. فلما رأى أصحابُ رسول الله ﷺ ما به من الجَزَع قالوا: لئنْ ظفِرْنا بهم لنمثّلنَّ بهم مُثْلَةً لم يمثلها أحدٌ من العرب بأحدٍ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]، إلى آخر السّورة. فعفا رسول الله ﷺ.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٩٥.

وروى ابن إسحاق[1]، عن شيوخه الذين روى عنهم قصَّةَ أُحُد، أنّ صَفيَّة أقبلت لتنظر إلى حمزة ـ وهو أخوها لأبَوَيْها ـ فقال رسول الله ﷺ لابنها الزُّبَيْر: إلْقَها فأرْجِعْها، لا ترى ما بأخيها. فلَقِيَها فقال: أي أمَّهْ، إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أنْ ترجعي. قالت: ولِمَ؟ فقد بلغني أنّه مُثِّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، فلأحتسبنّ وَلأَصْبِرَنَّ إنْ شاء الله. فجاء الزُّبَيْرُ فأخبره قولَها، قال: فخلِّ سبيلَها. فأتته، فنظرت إليه واسترجعتْ واستغفرتْ له ثم أمر به فدُفِن.

وقال أبو بكر بن عيّاش، عن يزيد بن أبي زياد، عن مِقْسَم، عن ابن عبّاس، قال: لما قُتِل حمزة أقبلت صفيَّة، فلقيتْ عليّاً والزُّبَير، فأرياها أنّهما لا يدريان. فجاءت النَّبيَّ ﷺ فقال: فإنّي أخافُ على عقلها. فوضع يده على صدرها ودَعَا لها، فاسترجعتْ وبكتْ. ثم جاء فقامَ عليه وقد مُثِّلَ به فقال: «لولا جَزَعُ النّساء لَتَرَكْتُه حتى يُحشرَ من حواصلِ الطيّر وبطونِ السباع». ثم أمر بالقتلى فجعل يصلّي عليهم سبعَ تكبيرات، ويُرفَعون ويُتْرَكُ حمزة، ثم يجاء بسبعةٍ فيكبّر عليهم سَبْعاً، حتى فرغَ منهم.

وحديث جابر أنّ النّبيَّ ﷺ لم يصلِّ عليهم أصحُّ.

وفي الصحيحين[2] من حديث عُقْبة بن عامر أنّ النّبيّ ﷺ صلّى على قتلى أُحُد صلاتَه على الميت. فالله أعلم.

عثمان بن عمر، ورَوْح بن عُبادة، بإسناد الحاكم في «المستدرَك»[3] إليهما: حدثنا أسامة بن زيد، عن الزُّهْري، عن أنَس،

---

(١) ابن هشام ٢/ ٩٧.

(٢) البخاري ٢/ ١١٤ و ٤/ ٢٤٠ و ٥/ ١٢٠ و ١٣٢ و ٨/ ١١٢ و ١٥١، ومسلم ٧/ ٦٧، وانظر المسند الجامع حديث (٩٩١٩).

(٣) المستدرك للحاكم ١/ ٣٦٥و٣/ ١٩٦.

قال: لما كان يوم أُحُد، مرّ رسولُ الله ﷺ بحمزة وقد جُدِع ومُثِّل به، فقال: لولا أن تجد صفيّةُ تركته حتى يحشره الله من بطون الطيّر والسّباع. فكفَّنَه في نَمِرَةٍ، ولم يصلّ على أحدٍ من الشهداء غيره... الحديثَ.

وقال يحيى الحِماني: حدثنا قيس ـ هو ابن الربيع ـ عن ابن أبي ليلى، عن الحَكَم، عن مِقْسَم، عن ابن عبّاس، قال رسول الله ﷺ يوم قُتِل حمزة ومُثِّل به: «لئن ظفرتُ بقُريشٍ لأمثّلنّ بسبعين منهم» فنزلت: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل] الآية. فقال رسول الله ﷺ: بل نصبر يا ربّ. إسناده ضعيف من قِبَل قَيْس.

وقد روَى نحوه حجّاج بن مِنْهال، وغيره، عن صالح المُرِّي ـ وهو ضعيف ـ عن سُليمان التَّيْمي، عن أبي عثمان النَّهْدي، عن أبي هريرة، وزاد: فنظر إلى منظرٍ لم ينظر إلى شيءٍ قطّ أَوْجَعَ لقلبه منه.

أخبرنا محمد بن محمد بن صاعد القاضي، قال: حدثنا الحسن بن أحمد الزّاهد ببيت المقدس سنة تسع وعشرين وست مئة، قال: أخبرنا أحمد بن محمد السِّلَفي، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الفارسي، قال: حدثنا يعقوب الفَسَوِي، قال: حدثنا عبدالله بن عثمان، قال: حدثنا عيسى بن عُبَيْد الكِنْدي، قال: حدّثني ربيع بن أنس، قال: حدّثني أبو العالية، عن أُبَيّ بن كعب أنّه أُصيب من الأنصار يوم أُحُد أربعةٌ وستّون، وأُصيب من المهاجرين ستّة، منهم حمزة، فمثَّلوا بقَتلاهم، فقالت الأنصار: لئنْ أصبْنا منهم يوماً من الدهر لَنُرْبِيَنَّ عليهم[1].

---

(١) المستدرك للحاكم ٢/ ٣٥٩.

فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل لا يُعرف: لا قريش بعد اليوم، مرّتين، فأنزل الله على نبيّه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل] الآية. فقال النّبيّ ﷺ: كُفُّوا عن القوم.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، قال: جاءت صفيّة يوم أُحُد ومعها ثوبان لحمزة، فلما رآها رسول الله ﷺ كره أن ترى حمزةَ على حاله، فبعث إليها الزُّبَير يحبسها وأخذ الثوبين. وكان إلى جنب حمزة قتيل من الأنصار، فكرهوا أن يتخيّروا لحمزة، فقال: أسهموا بينهما، فأيّهما طار له أجودُ الثوبين فهو له. فأسهموا بينهما، فكُفِّن حمزة في ثوبٍ والأنصاريُّ في ثوب.

وقال يونس، عن ابن إسحاق(١): حدّثني الزُّهْري، عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعَيْر، قال: لما أشرف رسول الله ﷺ على قتلى أُحُد، قال: أنا الشهيد على هؤلاء، ما من جريح يُجرح في الله إلاّ بُعث يوم القيامة وجرحه يَثْعَب دماً، اللّونُ لونُ الدمِ والريحُ رِيح المسك، انظرو أكثرهم جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام صاحبه في القبر. فكانوا يدفنون الإثنين والثلاثةَ في القبر.

قال ابن إسحاق(٢): وحدّثني والدي، عن رجالٍ من بني سَلِمَة، أنّ رسول الله ﷺ قال حين أصيب عَمْرو بن الجَمُوح، وعبدالله بن عَمْرو بن حرام: اجمعوا بينهما، فإنّهما كانا متصافيَيْن في الدنيا. قال أبي: فحدّثني أشياخ من الأنصار قالوا: لما ضرب معاوية عينه التي مرّت على قبور الشهداء، استُصْرِخنا عليهم وقد انفجرت عليهما في قبرهما، فأخرجناهما وعليهما بُرْدَتان قد غُطِّي بهما وجوههما، وعلى أقدامهما

---

(١) ابن هشام ٢/ ٩٨.

(٢) ابن هشام ٢/ ٩٨.

شيءٌ من نبات الأرض، فأخرجناهما كأنّهما يتثنّيان تثنّياً كأنّما دُفِنا بالأمس.

وهذا هو عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غُنْم الأنصاري السَّلَمي، سيّد بني سَلِمَة. قال ابن سعد[1] وغيره: شهد بدراً. وابنه مُعَاذ بن عَمْرو بن الجَمُوح هو الذي قطع رِجْلَ أبي جهل، وقضى النّبيُّ ﷺ بسَلَبه لمُعَاذ. وكان عَمْرو بن الجَمُوح زوج أخت عبدالله بن عَمْرو بن حرام.

ثابت البناني، عن عِكْرِمة، قال: كان مَناف[2] في بيت عَمْرو بن الجَمُوح، فلما قدِم مُصْعَب بنُ عُمَيْر المدينةَ، بعث إليهم عَمْرو: ما هذا الذي جئتمونا به؟ قالوا: إنْ شئتَ جئنا وأسمعناك، فواعدَهم فجاؤوا، فقرأ عليه: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف]، فقرأ ما شاء الله أن يقرأ، فقال: إنّ لنا مؤامرة في قومنا ـ وكان سيّدَ بني سَلِمَة ـ فخرجوا، فدخل على مَناف، فقال: يا مَناف، تعلم والله ما يريدُ القومُ غيرَك، فهل عندك من نكير؟ قال: فقلّده سيفاً، وخرجَ فقام أهلُه فأخذوا السّيف، فجاء فوجدهم أخذوا السيف، فقال: يا مَناف أين السيفُ وَيْحكَ، إنّ العَنْزَ لتمنعُ اسْتَها، والله ما أرى في أبي جعار غداً من خير. ثم قال لهم: إنّي ذاهبٌ إلى مالي فاستوصوا بمَنَاف خَيْراً. فذهب فكسروا مَناف وربطوه مع كلب ميت. فلما جاء رأى مَناف، فبعث إلى قومه فجاؤوه، فقال: ألستم على ما أنا عليه؟ قالوا: بلى، أنت سيّدنا، قال: فإنّي أُشْهِدُكم أنّي قد آمنتُ بمحمد. فلما كان يوم أُحُد قال النّبيُّ ﷺ: «قوموا إلى جنّةٍ عرضها السّموات والأرض» فقام وهو أعرج، فقاتل حتى قُتِل.

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٤٣.
(٢) كتب على هامش الأصل: «اسم صنم».

أبو صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: نِعْم الرجل عَمْرو بن الجَمُوح.

وروى محمد بن مسلم، عن عَمْرو بن دينار، وروى فِطْرُ بن خليفة، عن حبيب بن أبي ثابت وغيرهما، أنّ النّبيّ ﷺ قال: يا بني سَلِمَة مَن سيّدكم؟ قالوا: الجدّ بن قيس، وإنّا لَنُبَخِّلُهُ، قال: وأيّ داءٍ أدوى من البُخْل؟ بل سيّدكم الجَعْد الأبيض عَمْرو بن الجَمُوح.

وقد قال الواقديّ[1] : لم يشهد بدراً، ولما أراد الخروج إلى أُحُد منعه بنوه وقالوا: قد عذرك الله وبك عَرَج، فأتى النّبيَّ ﷺ فأخبره فقال: أما أنت فقد عَذَرَك الله. وقال لبنيه: لا تمنعوه لعلّ الله يرزُقُه الشهادة. فخرج فاسْتُشهِدَ هو وابنه خلّاد.

إسرائيل، عن سعيد بن مسروق، عن أبي الضُّحَى، أنّ عَمْرو بن الجَمُوح قال لبنيه: منعتموني الجنَّةَ يوم بدر، والله لئن بقيتُ لأدخلنَّ الجنّة. فكان يوم أُحُد في الرعيل الأول.

وقال حمّاد بن زيد، عن أيّوب، عن أبي الزُّبَيْر، عن جابر، قال: استُصْرِخْنا إلى قتلانا يوم أُحُد، وذلك حين أجرى معاوية العَين، فأتيناهم فأخرجناهم تتثنى أطرافُهم رِطَاباً، على رأس أربعين سنة. قال حمّاد: وزادني صاحبٌ لي في الحديث: فأصاب قَدَمَ حمزة فانْثَعَب دماً.

وقال ابن عُيَيْنَة، عن الأسود، عن نُبَيْح العَنَزِي، عن جابر، أنّ رسول الله ﷺ أمر بقتلى أُحُد أن يُرَدُّوا إلى مصارعهم.

وقال أبو عَوَانة: حدثنا الأسود بن قيس، عن نُبَيْح العَنَزِي، عن جابر، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المشركين لقتالهم، فقال لي أبي:

(١) المغازي ١/ ٢٦٤-٢٦٥.

ما عليك أن تكون في النَّظَّارة حتى تعلم إلى ما يصيرُ أمرنُا، فَوَالله لولا أنّي أترك بناتٍ لي بعدي لأحببتُ أن تُقتَل بين يديَّ. فبينما أنا في النَّظَّارين إذ جاءت عمّتي بأبي وخالي عَادِلَتَهُما على ناضح، فدخلت بهما المدينة، لتدفنهما في مقابرنا، فجاء رجل ينادي: ألا إنّ رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقَتْلَى فتدفنوها في مصارعها. فبينما أنا في خلافة معاوية، إذْ جاءني رجلٌ فقال: يا جابر، قد والله أثار أباكَ عُمّالُ معاوية فبدت طائفة منه. قال: فأتيته فوجدته على النَّحْو الذي تركته، لم يتغيّر منه شيء إلاّ ما لم يَدَع القتيل، فواريته.

وقال حسين المعلّم، عن عطاء، عن جابر، قال: لما حضر أُحُد قال أبي: ما أُراني إلاّ مقتولاً، وإنّي لا أتركُ بعدي أعزَّ عليَّ منك غير نفسِ رسولِ الله ﷺ، وإنّ عليَّ دَيْناً فاقضِ واستَوْصِ بأخواتك خيراً. فأصبحنا فكان أول قتيل، فدفنتُ معه آخَرَ في قبرٍ، ثم لم تَطبْ نفسي أنْ أتركه مع آخرَ، فاستخرجته بعد ستّة أشهر، فإذا هو كيوم وضعْتُه هُنَيَّةً غيرَ أُذنه. أخرجه البخاري[1] .

وقال الزُّهْري، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن جابر، أنّ رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب، ثم يقول: أيُّهما أكثرُ أخْذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللَّحْد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة. وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلِّ عليهم، ولَم يُغَسَّلُوا. أخرجه البخاري[2] عن قُتَيْبَة، عن اللَّيْث، عنه.

وقال أيّوب، عن حُمَيْد بن هلال، عن هشام بن عامر، قال: قالوا يوم أُحُد: يا رسول الله قد أصابنا قَرْحٌ وجَهْدٌ فكيف تأمر؟ قال: احفروا

---

(١) البخاري ٢/١١٦.

(٢) البخاري ٢/١١٤و٥/١٣١.

وأوسِعوا وأعمِقوا وَاجعلوا الاثنين والثلاثةَ في القبر، وقدِّمُوا أكثرَهم قرآناً.

ومنهم من يقول: حُمَيْد بن هلال، عن سعيد بن هشام بن عامر، عن أبيه.

وقال شُعبة، عن ابن المُنْكَدِر: سمعت جابراً يقول: لما قُتل أبي جعلتُ أبكي وأكشفُ الثوبَ عنه، وجعل أصحاب النّبيّ ﷺ ينهوني، ورسولُ الله ﷺ لا ينهاني، وقال: لا تبكيه، أو ما تبكيه، فما زالت الملائكة تُظِلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه. أخرجاه[1].

وأخرج البخاري من حديث جابر أنّ رسول الله ﷺ أمر بدفن قتلى أُحُد في دمائهم ولم يُغَسَّلوا ولم يصلِّ عليهم. وكان يجمع بين الرجلين في الثوب الواحد، ثم يقول: أيُّهم أكثرُ أخْذاً للقرآن؟ فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحْد[2].

وقال عليُّ بن المَدِيني: حدثنا موسى بن إبراهيم الأنصاري، سمع طلحة بن خراش، قال: سمعت جابرَ بنَ عبدالله، قال: نظر إليّ رسولُ الله ﷺ، فقال: ما لي أراك مهتمًّا؟ قلت: يا رسول الله قُتِل أبي وترك دَيْناً وعيالاً، فقال: ألا أُخْبِرُك؟ ما كلّم الله أحداً إلّا من وراء حجاب، وإنّه كلّم أباكَ كِفَاحاً، فقال له: يا عبدي سَلْني أُعطِك، فقال: أسألك أن تردَّني إلى الدنيا فأُقتلَ فيك ثانياً، فقال: إنّه قد سبق منّي أنّهم إليها لا يرجعون، قال: يا ربِّ فأبلِّغْ مَن ورائي، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران] الآية.

ويُرْوَى نحوه عن عُرْوة، عن عائشة.

---

(١) البخاري ٥/ ١٣١، ومسلم ٧/ ١٥٢.

(٢) البخاري ٥/ ١٣١.

وكان أبو جابر من سادة الأنصار شهِد بدراً، وهو أحد النُّقباء ليلة العَقَبَة، وَهو عبدالله بن عَمْرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة. وأُمُّه الرِّباب بنت قيس من بني سَلِمَة. شهد معه العَقَبَةَ ولدُه جابر.

وقال إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جدّه، قال: أُتي ابنُ عَوفٍ بطعامٍ فقال: قُتِل مُصْعَب بن عُمَيْر ـ وكان خيراً منّي ـ فلم يوجد له إلاّ بُرْدة يكفَّن فيها، ما أَظُننا إلاّ قد عُجِّلَتْ لنا طيّباتُنا في حياتنا الدنيا. أخرجه البخاري[1].

وقال الأعمش، عن أبي وائل، عن خَبّاب، قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجهَ الله، فوجبَ أجرُنا على الله، فمنّا مَن ذهب لم يأكل من أجره، وكان منهم مُصْعَب بن عُمَيْر، قُتِل يوم أُحُد، ولم يكن له إلاّ نَمِرَةٌ، كنّا إذا غطّينا رأسَه خرجت رِجْلاه، وإذا غطّينا رِجْلَيْه خرج رأسُه، فقال رسول الله ﷺ: غطّوا بها رأسه واجعلوا على رِجْليه من الإذْخِر. ومنّا من أينعتْ له ثمرتُهُ فهو يَهْدِبُها[2]. مُتَّفقٌ عليه[3].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[4]: حدّثني عبدالواحد بن أبي عَوْن، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص، قال: كانت امرأة من الأنصار من بني دينار قد أُصيب زوجُها وأخوها يوم أُحُد. فلما نُعُوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً، يا أمَّ فُلان. فقالت: أرُونيه حتى أنظر إليه. فأشاروا لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كلّ مُصيبةٍ بعدك

---

(١) البخاري ٢/٩٨ و ٥/١٢١ و ١٣١.
(٢) أي: يجنيها ويقطفها.
(٣) البخاري ٢/٩٨ و ٥/٧١ و ٨١ و ١٢١ و ١٣١ و ٨/١١٤ و ١١٩، ومسلم ٣/٤٨ و٤٩، وانظر المسند الجامع حديث (٣٦٠٠).
(٤) ابن هشام ٢/٩٩.

جَلَل؛ أي: هيِّنٌ. ويكون في غير ذا بمعنى عظيم.

وعن أبي بَرْزَة أنّ جُلَيْبِيباً كان من الأنصار، فقال النّبيُّ ﷺ ذات يوم لرجلٍ: «زوِّجني ابنتك». قال: نعم ونِعمةَ عينٍ. قال: «لست أُريده لنفسي». قال: فلِمَنْ؟ قال: «لجُلَيْبيب». قال: حتى أستأمرَ أُمّها. فأتاها فأجابت: لرسول الله ﷺ؟ قال: إنّما يريد ابنتك لجُلَيْبيب. قالت: ألجُلَيْبيب؟ لا لَعَمْرِ الله لا أُزَوِّجُه. فلما قام أبوها ليأتي النّبيَّ ﷺ. قالت الفتاة من خدرها لأبويها: مَنْ خطبني؟ قالا: رسولُ الله. قالت: أفتَرُدُّونَ عليه أمرهُ؟ ادفعوني إلى رسول الله ﷺ فإنّه لن يُضيّعَني. فذهب أبوها إلى النّبيّ ﷺ فقال: شأنك بهَا. فزَوَّجَها جُلَيْبيباً، ودعا لهما. فبينما رسولُ الله ﷺ في مغزى له قال: هل تفقدونَ من أحدٍ؟ قالوا: نفقدُ فلاناً ونفقد فلاناً. قال: لكني أفقد جُلَيْبِيباً، فاطلبوه. فنظروا فوجدوه إلى جنبِ سبعةٍ قد قتلهم، ثم قتلوه. فقال رسولُ الله ﷺ: هذا مِنّي وأنا منه قتل سبعة ثم قتلوه. فوضعوه على ساعديه ثم حفروا له، مالَهُ سريرٌ إلاّ ساعدا رسولِ الله ﷺ حتى وضعه في قبره[1]. قال ثابت البناني: فما في الأنصار أنفق منها.

أخرجه مسلم من حديث حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت، عن كِنانة بن نُعَيْم، عن أبي بَرْزَة[2].

وقال الأعمش، عن عبدالله بن مُرَّة، عن مسروق: سألنا عبدَالله بنَ مسعودٍ عن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران]، قال: أمَا إنَّا قد سألْنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوفِ طيرٍ خُضْرٍ تسرحُ في الجنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلَّقة بالعرش.

(١) مسند أحمد ٤/ ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٥، ومسلم ٧/ ١٥٢، والنسائي في فضائل الصحابة (١٤٢).

(٢) مسلم ٧/ ١٥٢(٢٤٧٢).

قال: فبينما هم كذلك إذ اطَّلَعَ عليهم ربك اطِّلَاعةً فقال: سَلُوني ما شئتم. فقالوا: يا ربَّنا وما نسألك، ونحن نسرحُ في الجنّة في أيِّها شئنا؟ فلما رأوا أنْ لايُتْركوا من أنْ يُسألوا قالوا: نسألك أنْ تَرُدَّ أرواحَنا إلى أجسادنا في الدنيا فنُقْتَل في سبيلك. فلما رأى أنّهم لا يسألون إلاّ هذا، تُرِكوا. أخرجه مسلم[1].

وقال عبدالله بن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أُميَّة، عن أبي الزُّبَيْر، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبّاس، قال النّبيّ ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحَهم في أجواف طيرٍ خُضْرٍ ترِدُ أنهارَ الجنّة وتأكل من ثِمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ معلَّقة في ظلّ العرش. فلما وجدوا طِيب مأكلِهم ومَشْرَبهم ومَقِيلهم، قالوا: من يبلِّغْ إخوانَنا عنّا أنّا أحياء في الجنّة نُرْزَق، لئلاّ يَنْكُلوا عند الحرب ولا يزهدوا في الجهاد. قال الله تعالى: «أنا أبلِّغُهُم عنكم»، فأُنزِلت: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال يونس عن ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة، عن عبدالرحمن بن جابر بن عبدالله، عن أبيه: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: إذا ذُكر أصحابُ أُحُد: أما والله لَوَدِدْتُ أنّي غُودِرْت مع أصحاب نُحْصِ الجَبَل[2] يقول: قُتِلت معهم[3].

وقال اللّيث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عُقْبة بن عامر، أنّ رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أُحُد صلاتَه على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إنّي فَرَطُكم[4] وأنا شهيد عليكم.

---

(١) مسلم ٦/ ٣٨، وانظر المسند الجامع حديث (٩٣٢٠).
(٢) أي: أصل الجبل وسفحه، أو أسفله.
(٣) أحمد ٣/ ٣٧٥، وانظر المسند الجامع حديث (٢٩٠٢).
(٤) في البخاري: «فَرَط لكم».

الحديث أخرجه البخاري[1] .

وَروى العَطَّاف بن خالد: حدّثني عبدالأعلى بن عبدالله بن أبي فَرْوة، عن أبيه؛ أنّ النّبيّ ﷺ زار قبورَ الشهداء بأُحُد.

وروى عبدالعزيز بن عمران بن موسى: عن عبّاد بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يأتي قبورَ الشهداء، فإذا أتى فُرْضَةَ الشِّعْب يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنِعْم عُقْبَى الدّار. وكان يفعله أبو بكر ثم عمر بعده ثم عثمان.

وذكر نحو هذا الحديث الواقدي في «مغازيه»[2] بلا سَنَد.

وقال أبو حسّان الزّيادي: ومات في شوّال يوم جمعة عَمْرو بن مالك الأنصاريّ أحد بني النّجّار، فخرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد فصلّى عليه في موضع الجَبّان. وكان أوّل من فُعِل به ذلك.

غزوَة حمرَاء الأسَد

قال ابن إسحاق[3] : فلمّا كان الغدُ من يوم الأحد يعني صبيحة وقعة أُحد؛ أذّن مؤذّنُ رسولِ الله ﷺ في النّاس لطلب العدوّ، وأذّن مؤذّنه: لا يخرج معنا أحدٌ إلاّ أحَدٌ حضر يومَنا بالأمس. وإنّما خرج رسول الله ﷺ مُرْهِباً للعدوّ ليُبَلغهم أنّه قد خرج في أثرهم وليظنّوا به قوّة.

وقال ابن لَهيعة: حدثنا أبو الأسود، عن عُرْوَة، قال: قدِم رجلٌ فاستخبره النّبيّ ﷺ عن أبي سُفيان، فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون،

(١) البخاري٥/ ١٣٢، ومسلم ٧/ ٦٧، وانظر المسند الجامع حديث (٩٩١٩).
(٢) مغازي الواقدي ١/ ٣١٢-٣١٣.
(٣) ابن هشام ٢/ ١٠١.

يقول بعضُهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكة القوم وحدهم، ثم تركتموهم ولم تُبيدوهم، وقد بقي منهم رؤوسٌ يجمعون لكم. فأمر رسول الله ﷺ أصحابه ـ وبهم أشدّ القَرْح ـ بطلب العدوّ، ليسمعوا بذلك. وقال: لا ينطلقنَّ معي إلاّ مَنْ شهدَ القتالَ. فقال عبدالله بن أُبَيّ: أركب معك؟ قال: لا. فاستجابوا لله والرسول على ما بهم من البلاء. فانطقلوا، فطلبهم النّبيّ ﷺ حتى بلغ حمراءَ الأسَد.

وقال ابن إسحاق[(١)] : حدّثني عبدالله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السّائب مولى عائشة بنت عثمان؛ أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبدالأشهل قال: شهدتُ أُحُداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخٌ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذَّن مؤذّنُ رسولِ الله ﷺ بالخروج في طَلَبِ العدوِّ، قلت لأخي، فقال لي: تفوتنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ؟ وَوَالله ما لنا من دابّة نركبها وما منّا إلاّ جريح. فخرجنا مع رسولِ الله ﷺ، وكنتُ أيسر جراحةً منه، فكان إذا غُلِب حملته عُقْبَةً[(٢)] ومشى عُقْبَة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسَد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثاً ثم رجع.

وقال هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: يا ابن أختي كان أبواك تعني ـ الزُّبَيْر وأبا بكر ـ من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القَرْح. قال: لما انصرف المشركون من أُحُد وأصاب النّبيَّ ﷺ وأصحابَه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم حتى يعلموا أنّ بنا قوّة؟ قال: فانتدب أبو بكر والزُّبَيْر في سبعين خرجوا في آثار القوم، فسمعوا بهم. وانقلبوا بنعمةٍ من الله

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٠١.
(٢) أي كانا يتناوبان على الدابة.

وفضْلٍ لم يَمْسَسْهم سوء. قال: لم يلقوا عدوّاً. أخرجاه[1].

وقال ابن إسحاق[2]: حدّثني عبدالله بن أبي بكر بن حزم أنّ مَعْبَداً الخُزاعيّ مرّ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسَد. وكانت خُزَاعة مُسْلِمُهُم ومُشْرِكُهُم عَيْبَة نُصْحٍ لرسولِ الله ﷺ، صَفْوُهُم معه لا يُخْفُون عليه شيئاً كان بها، ومَعْبَد يومئذٍ مُشْرِك، فقال: يا محمد، والله لقد عزّ علينا ما أصابَك في أصحابك ولَوَدِدْنا أنّ الله عافاك فيهم. ثم خرج حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالرَّوحاء، وقد أجمعوا الرَّجْعَةَ وقالوا: أصَبْنا حدَّ أصحاب محمد وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لَنَكوَنَّ على بقيّتهم فلنفرغنّ منهم. فلما رأى أبو سفيان مَعْبَداً قال: ما وراءَكَ؟ قال: محمدٌ قد خرج في طلبكم في جمْعٍ لم أرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتحرَّقُون عليكم تحرُّقاً، قد اجتمع معه مَنْ كان تخلَّفَ عنه في يومكم، ونَدِموا على ما صنعوا، فيهم من الحَنِقِ عليكم شيءٌ لم أرَ مثله قطّ. قال: ويلكَ ما تقولُ؟ قال: والله ما أرى أنْ ترتحلَ حتى ترى نواصيَ الخيل. قال: فَوَالله لقد أجمعنا الكَرَّةَ عليهم لنستأصلهم[3]. قال: فإنّي أنهاكَ ذاكَ، والله لقد حملني ما رأيتُ على أنْ قلتُ فيهم أبياتاً. قال: وما قلتَ؟ قال:

كادَتْ تُهَدُّ من الأصواتِ رَاحلتي ... إذ سالَتِ الأرضُ بالجُرْد[4] الأبابيل
تَرْدِي بأُسْدٍ كِرام لا تَنابِلَةٍ ... عند اللقاء، ولا مِيلٍ مَعازيلِ[5]

---

(١) البخاري ٥/ ١٣٠، ومسلم ٧/ ١٢٩، وانظر المسند الجامع حديث (١٧١٧٨).

(٢) ابن هشام ٢/ ١٠٢-١٠٣.

(٣) في نسخة (ع): «لنستأصل بقيتهم».

(٤) الجُرد: الفرس القصير الشعر، والأبابيل: الجماعات.

(٥) تردي: تُسرع. الميل: الذي لا رمح أو لا تُرس معه، وقيل: هو الذي لا يثبتُ على السرج. والمعازيل: الذين لا سلاح معهم.

فَظَلْتُ عَدْواً أظنُّ الأرضَ مائلةً لمّا سَمَوْا برئيسٍ غيرِ مخذولِ
فقلتُ: ويلَ ابنِ حربٍ من لِقائِكُمُ إذا تَغَطْمَطَتِ البَطْحاءُ بالجِيلِ[(١)]
إنّي نذرتُ لأهلِ البَسْلِ ضاحِيةً لكلِّ ذي إرْبةٍ منهم ومَعْقُولِ[(٢)]
من جَيْشِ أحمَدَ، لا وَخْشٍ تَنَابلةٍ وليسَ يُوصَفُ ما أنْذَرْتُ بالقِيلِ[(٣)]

قال: فثنى ذلك أبا سُفيانَ ومَنْ معه. ومَرَّ ركْبٌ من عبدالقَيْس، فقال أبو سُفيان: أين تريدون؟ قالوا: المدينة، لنمْتارَ، فقال: أما أنتم مبلغون عنّي محمداً رسالةً، وأُحَمِّل لكم على إبلكم هذه زبيباً بعُكَاظ غداً إذا وافيتموه؟ قالوا: نعم. قال: إذا جئتم محمداً فأخبروه أنّا قد أجمعنا الرجْعةَ إلى أصحابه لنستأصلهم. فلما مرّ الركْب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسَد أخبروه. فقال هو والمسلمون: حسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل. فأُنزِلت: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران] الآيات.

وقال البكّائيّ: قال ابن إسحاق[(٤)] : وكان عبدالله بن أُبَيّ بن سَلُول، كما حدّثني الزُّهْري، له مقام يقومه كلّ جمعة لا يتركه شَرَفاً له في نفسه وفي قومه. فكان إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب قام فقال: أيّها النّاس هذا رسول الله ﷺ بين أظْهُرِكم أكرمكم الله به وأعزّكم به، فَعَزِّرُوه وانصُرُوه واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحُد ما صنع ورجع الناس، قام يفعل كفعله، فأخذ المسلمون ثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس أيْ عدوَّ الله، لستَ لذلك بأهلٍ، وقد صنعتَ ما

---

(١) تعطعطت: اضطربت. والجيل: الصنف من الناس.
(٢) أهل البسل: قريش لأنهم أهل مكة، ومكة حرام. والضاحية: البارزة للشمس. والإربة: العقل.
(٣) الوخش: رذالة الناس وأخساؤهم، والتنابلة: القِصار.
(٤) ابن هشام ٢/ ١٠٥.

صنعتَ، فخرج يتخطّى رقابَ النّاس ويقول: والله لكأنّي قلتُ هُجْراً أنْ قمتُ أَشُدُّ أمرَه: فلقيه رجالٌ من الأنصار بباب المسجد فقالوا: مالك؟ وَيلك! قال: قمت أشدُّ أمرَه فوثب عليّ رجالٌ من أصحابه يجبذونني ويُعَنِّفونني، لكأنّما قلت هُجْراً. قال: وَيْلَكَ ارجعْ يستغفر لك رسولُ الله ﷺ. قال: والله ما أبغي أنْ يستغفرَ لي.

فائدة: قال الواقدي: حدثنا إبراهيم بن جعفر، عن أبيه. وحدثنا سعيد بن محمد بن أبي زيد، قال: حدثنا يحيى بن عبدالعزيز بن سعيد، قالوا: كان سويد بن الصامت قد قتل ذياداً، فقتله به المجذَّر بن ذياد، فهيج بقتله وقعة بُعاث. فلما قدِم النّبيُّ ﷺ المدينة أسلم المجذّر، والحارث بن سُوَيْد بن الصّامت، فشهدا بدراً. فجعل الحارث يطلب مجذَّراً ليقتله بأبيه. فلما كان يوم أُحُد أتاه من خلْفه فقتله[1] .

فلما رجع النّبيُّ ﷺ من حمراء الأسَد أتاه جبريل فأخبره بأنّه قتل مجذَّراً. فركب رسول الله ﷺ إلى قباء، فأتاه الحارث بن سُوَيْد في مِلْحَفةٍ مُوَرَّسة. فلما رآه دعا عُوَيْم بن ساعدة وقال: اضرب عُنُق الحارثِ بمجذَّر بن ذياد. فقال: والله ما قتلته رجوعاً عن الإسلام ولكن حَمِيّة، وإنّي أتوب إلى الله وأُخْرج دِيَتَه وأصوم وأعتِق. وجعل يتمسّك بركاب النّبيّ ﷺ إلى أن فرغ من كلامه. فقال النّبيّ ﷺ: قدِّمْه يا عُوَيْم فاضرب عُنُقَه. فضرب عُنُقَه على باب المسجد، والله أعلم.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٨٩.

السَّنة الرابعَة

«سريّة أبي سَلمَة إلى قطن في أوّلها»

قال الواقدي(١) : حدّثنا عُمر بن عثمان بن عبدالرحمن بن سعيد اليربوعيّ، عن سَلَمَة بن عبدالله بن عمر بن أبي سَلَمَة بن عبدالأسد، وغيره، قالوا: شهد أبو سَلَمَة أُحُداً، وكان نازلاً في بني أُميّة بن زيد بالعالية، حين تحوّل من قباء فجُرح بأُحُد، وأقام شهراً يداوي جُرْحَه. فلما كان هلال المحرَّم دعاه رسولُ الله ﷺ وقال: اخرج في هذه السَّرِيَّة فقد استعملتُك عليها، وعقد له لواءً وَقال: سِرْ حتى تأتيَ أرضَ بني أسد فأغِرْ عليهم. وكان معه خمسون ومئة، فساروا حتى انتهوا إلى أدنى قَطَن ـ ماء من مياههم ـ، فيجدون سَرْحاً لبني أسد، فأغاروا عليه وأخذوا مماليكَ ثلاثة، وأفلت سائرُهم. ثم رجع إلى المدينة فغاب بضْعَ عشرةَ ليلة.

قال عُمر بن عثمان: فحدّثني عبدالملك بن عبيد(٢) ، قال: لما

---

(١) المغازي ١/ ٣٤٠.

(٢) هكذا في النسخ، وأظنه عبدالملك بن عبيد بن سعيد بن يربوع اليربوعي (ثقات ابن حبان ٧/ ١٠٥) فإنه يروي عن جماعة من التابعين وروى عنه أهل المدينة. وفي مغازي الواقدي: «عبدالملك بن عمير»، فلا نشك أن الذهبي كتبه كما أثبتاه، فقد قال ابن سعد تلميذ الواقدي في ترجمة أبي سلمة من «الطبقات» ٣/ ٢٤٠: «أخبرنا محمد بن عمر (يعني الواقدي)، قال: أخبرنا عمر بن عثمان، قال: حدثني عبدالملك بن عُبيد، عن عبدالرحمن بن سعيد ابن يربوع. . . إلخ» فتبين من هذا أن المطبوع من مغازي الواقدي قد وقع فيه =

دخل أبو سَلَمَة المدينةَ انتقض جُرْحُه، فمات لثلاثٍ بقين من جُمادَى الآخرة.

غزوة الرَّجيع

وهي في صفر من السّنة الرابعة، فيما ورَّخه الواقدي[1]، وقال: هي على سبعة أميال من عُسْفان. فحدّثني موسى بن يعقوب، عن أبي الأسود، قال[2]: بعث رسول الله ﷺ أصحابَ الرَّجيع عيوناً إلى مكة ليُخْبِروه.

قال إبراهيم بن سعد[3]، عن ابن شهاب: أخبرني عمر[4] بن أَسِيد ابن جارية الثَّقَفي، أنّ أبا هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رَهط عَيْناً، وأمَّر عليهم عاصمَ بنَ ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهَدْأة؛ بين عُسْفان ومكة ذُكروا لحيٍّ من هُذَيْل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريبٍ من مئة رجلٍ رامٍ. فاقتصُّوا آثارهم، حتى وجدوا مأكلهم التّمر، فقالوا: نَوَى يَثْرِب، فاتَّبعوا آثارَهم. فلما أحسّ بهم عاصم وأصحابُه لجأوا إلى قَرْدَد، أي: فدْفدٍ من الأرض فأحاط بهم

= تحريف، بعد الذي ثبت من نقل عالمين متقنين هما: ابن سعد تلميذه، والذهبي.

(١) المغازي ١/ ٣٥٤.

(٢) هكذا في النسخ، وفي مغازي الواقدي: «عن أبي الأسود، عن عروة، قال:» وهو خطأ، وإن كان الأسود هو راوي مغازي عروة، فقد نقل البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٢٣) نص الواقدي وليس فيه «عن عروة» فتبين صحة ما نقله الذهبي، والله أعلم.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٢٤.

(٤) يقال فيه «عمرو» أيضاً، لكن «عمر» أصح، كما في «الجرح والتعديل» ٦/ الترجمة ٥٠٥.

القومَ، فقالوا لهم: انزلوا ـ فأعْطُوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتلَ منكم أحداً. فقال عاصم: أما أنا فَوَالله لا أنزل في ذمّة مُشْرِك، اللَّهُمَّ أخبر عنّا نبيَّك. فرموهم بالنَّبْلِ، فقتلوا عاصماً في سبعةٍ من أصحابه، ونزل إليهم ثلاثةٌ على العهد والميثاق: خُبَيْب، وزيد بن الدَّثِنَةَ، وآخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسِيِّهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث: هذا أوّل الغدر، والله لا أصْحَبُكُم إنّ لي بهؤلاء أُسْوةً. يريد القتلى. فجرُّوه وعالجوه، فأبى أن يصحَبَهم، فقتلوه، وانطلقوا بخُبَيْب، وزيد، حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر. فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نَوفل خُبَيْباً. وكان خُبَيْب هو قتل الحارث يوم بدر.

فائدة: قال الدمياطي[1]: هذا وهم، ما شهد خبيب بن عدي الأوسي بدراً ولا قتل الحارث بن عامر، إنما الذي شهدها وقتله هو خبيب بن أساف الخزرجي.

رَجْعٌ، قال[2]: فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله، فأستعار من بعض بنات الحارث موسىً يستحدّ بها للقتل فأعَارته. فدرج بُنَيٌّ لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدتهُ مُجْلِسَه على فَخِذِه والمُوسَى بيده، ففزعت فزعةً عرفها خُبَيْب فقال: أتَخْشَيْن أن أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك، فقالت: والله ما رأيت أسيراً قطّ خيراً من خُبَيْب، والله لقد رأيته، أو وجدتُه، يأكل قِطْفاً من عنب وإنّه لَمُوثَقٌ بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنّه لَرِزْقٌ رزقه الله خُبَيْباً. فلما خرجوا به من الحَرَم ليقتلوه في الحِلّ قال لهم: دَعُوني أركع رَكْعَتَين. فتركوه فركع ركعتين، ثم قال: والله لولا أن تحسبوا أنّ ما بي جزعٌ من القتْل لزِدْتُ، اللَّهُمَّ أحصِهِمْ عدداً، واقتُلْهم بَدَداً، ولا تُبْقِ منهم أحداً، وقال:

---

(١) كتب على هامش الأصل: «الذي قاله الدمياطي هو الصحيح».

(٢) أي: رجع إلى سياق حديث الزهري.

فلستُ أُبالي حين أُقْتل مُسْلِماً على أيِّ جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ، وإنْ يشأ يبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[١]

ثم قام إليه أبو سِرْوَعَة عُقْبةُ بن الحارث فقتله.

وكان خُبَيْب هو سَنَّ لكلّ مسلم، قُتِل صبراً، الصَّلاةَ.

واستجاب الله لعاصم يوم أُصيبَ، فأخبر رسولُ الله ﷺ أصحابَه يوم أُصِيبوا خَبَرَهم. وبعثَ ناسٌ من قريش إلى عاصم بن ثابت لِيُؤْتَوْا منه بشيءٍ يُعرف، وكان قتلَ رجلاً من عظمائهم يوم بدرٍ، فبعثَ اللهُ على عاصم مِثْلَ الظُّلَّةِ من الدَّبْر[٢]، فَحَمَتْه من رُسُلهم فلم يقدروا على أنْ يقطعوا منه شيئاً. أخرجه البخاري[٣].

وقال موسى بن عُقْبة، وغير واحد: بعث رسول الله ﷺ عاصمَ بنَ ثابت وأصحابَه عَيْناً له، فسلكوا النَّجْدِيّة، حتى إذا كانوا بالرَّجيع. فذكروا القصَّة.

قال موسى: ويقال: كان أصحاب الرَّجيع ستّةً منهم: عاصم، وخُبَيْب، وزيد بن الدَّثِنَة، وعبدالله بن طارق ـ حليف لبني ظَفَر ـ وخالد ابن البُكَيْر اللَّيْثي، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوي؛ حليف حمزة. وساق حديثَهم[٤].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[٥]: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنَّ نَفَراً من عضَل والقارَة قدِموا على رسول الله ﷺ المدينة بعد أُحُد، فقالوا: إنّ فينا إسلاماً، فابعث معنا نَفَراً من أصحابك ليفقّهونا في الدّين

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٦٩-١٧٧.
(٢) أي: النحل أو الزنابير، وأهل الشام يستعملون لفظ «الدَّبُّور والدبابير».
(٣) البخاري ٥/ ١٣٢-١٣٣.
(٤) وانظر ابن هشام ٢/ ١٧١.
(٥) ابن هشام ٢/ ١٦٩.

ويُقْرئونا القرآن، فبعث رسول الله ﷺ معهم خُبَيْب بن عَدِيّ.

قال ابن إسحاق: بعث معهم ستَّةً، أمَّر عليهم مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوي. وسمّاهم كما قال موسى.

قال ابن إسحاق: فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرَّجيع ـ ماء لِهُذَيْل بناحيةِ الحجاز على صدور الهَدْء[1] ـ، غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلاً، فلم يَرُع القومَ وهم في رحالهم إلاّ الرجالُ بأيديهم السيوف، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم: والله ما نريدُ قتلَكم ولكنّا نريد أنْ نُصيبَ بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهدُ الله وميثاقُه أنْ لا نقتلكم. فأمّا مَرْثَد، وعاصم، وابن البُكَيْر فقالوا: والله لا نقبلُ من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً. وأرادتْ هُذَيْل أخْذَ رأس عاصم ليبيعوه من سُلافة بنت سعد، وكانت قد نذرت حين أصابَ ابنَيْها يومَ أُحُد، لئِنْ قدِرَتْ على عاصم لَتَشْرَبَنَّ في قِحْفِه الخمرَ، فمنعته الدَّبْرُ، فانتظروا ذَهابها عنه، فأرسل اللهُ الوادي فحملَ عاصماً فذهب به.

وقد كان عاصم أعطى الله عهداً أنْ لا يمسَّه مُشْرِكٌ ولا يمسَّ مشركاً أبداً تنجُّساً. وأسروا خُبَيْباً، وابنَ الدَّثِنَة، وعبدَالله بنَ طارق، ثم مضوا بهم إلى مكّة ليبيعوهم، حتى إذا كانوا بالظَّهْران انتزع عبدُالله يده من القِرَانِ ثم أخذَ سيفَهُ واستأخرَ عن القومِ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقَبْرُهُ بالظَّهْران[2].

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[3]: حدّثني يحيى، عن أبيه عبّاد بن عبدالله بن الزُّبَيْر، عن عُقْبة بن الحارث، سمعته يقول: ما أنا والله قتلتُ

---

(١) كتب في حاشية النسخ: «الهدأة والهدء» وكلها بمعنى، وهي موضع بين عُسفان ومكة.

(٢) ابن هشام ٢/ ١٦٩-١٧١.

(٣) ابن هشام ٢/ ١٧٣.

خُبَيْباً، لأنا كنتُ أصغرَ من ذلك، ولكنَّ أبا مَيْسرة أخا بني عبدالدّار أخذ الحرْبَةَ فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله.

ثم ذكر ابن إسحاق أنّ خُبَيْباً قال:

لقد جَمَّعَ الأحزابُ حولي وألّبُوا ... قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمَعِ
وكُلُّهم مُبْدِي العداوةِ جاهدٌ ... عليَّ لأنّي في وِثاق مُضَيَّعِ
وقد جَمَّعوا أبناءَهم ونساءَهم ... وقُرِّبْتُ من جِذعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ
إلى الله أشكو غُرْبَتي ثم كُرْبَتي ... وما أرصدَ الأحزابُ لي عند مصرعي
فذا العرشِ صبّرني على ما يُراد بي ... فقد بضَّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يشأْ ... يُبارِكْ على أوْصالِ شِلوٍ مُمَزَّعِ
وقد خيَّروني الكفرَ والموتُ دُونه ... وقد هَمَلتْ عَيْناي من غير مَجْزَعِ
وما بي حِذارُ الموتِ، إنّي لميّتٌ ... ولكنْ حِذاري جَحْمُ نارٍ ببَلْقَعِ
ووالله لم أَحْفَلْ إذا متُّ مسلِماً ... على أيِّ جنبٍ كان في الله مَصْرَعي
فلستُ بمُبدٍ للعدوّ تَخَشُّعاً ... ولا جَزَعاً إنّي إلى الله مَرْجِعي

وقال يونس بن بُكَيْر، وجعفر بن عَوْن، عن إبراهيم بن إسماعيل: حدّثني جعفر بن عَمْرو بن أُميّة أنّ أباه حدّثه عن جدّه، وكان النّبيّ ﷺ بعثه عَيْناً؛ قال: فجئتُ إلى خشبة خُبَيْب فَرَقيتُ فيها وأنا أتخوَّف العيونَ، فأطلقْتُهُ فوقع بالأرض، ثم اقتحمتُ فانتبذتُ قليلاً، ثم التفتُّ فلم أر خُبَيْباً، فكَأَنَّما ابتلعتْهُ الأرض.

زاد جعفر بن عَوْن: فلم تُذْكَر لخُبَيْب رِمَّةٌ حتى السّاعة.

غزوة بئر مَعُونَة

قال ابن إسحاق(١) : بعث رسول الله ﷺ أصحابَ بئر مَعُونَة في صفر، على رأس أربعةِ أشهرٍ من أُحُد.

وقال موسى بن عُقْبة: قال الزُّهْري: حدّثني عبدالرحمن بن عبدالله ابن كعب بن مالك، ورجالٌ من أهل العلم، أنّ عامر بن مالك الذي يُدْعَى مُلاعِب الأسِنَّة، قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ وهو مُشْرِكٌ، فعرض عليه رسولُ الله ﷺ الإسلام، فأبى أنْ يُسْلم، وأهدى لرسولِ الله ﷺ هديَّةً. فقال: إنّي لا أقبلُ هديّةَ مُشْرِكٍ. فقال: ابعث معي مَنْ شئتَ من رُسُلِك، فأنا لهم جارٌ، فبعث رَهْطاً، فيهم المنذر بن عَمْرو السّاعدي؛ وهو الذي يقال له: أعْنَقَ ليموتَ، بعثه عَيْناً له في أهلِ نجد، فسمع بهم عامر بن الطُّفَيل، فاستنفر بني عامر، فأبَوْا أنْ يُطيعوه، فاستنفر بني سُلَيْم فنفروا معه، فقتلوهم ببئر مَعُونة، غير عَمْرو بن أُميّةَ الضَّمري، فإنّه أطلقه عامر ابن الطُّفَيْل، فقدِم على رسول الله ﷺ.

وقال ابن إسحاق(٢) : حدّثني والدي، عن المُغِيرة بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام، وعبدالله بن أبي بكر بن حزم، وغيرهما، قالوا: قدِم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر، مُلاعِب الأسِنَّة على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يُسْلِمْ ولم يَبْعُدْ من الإسلام، وقال: يا محمد لو بعثت معي رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْدٍ يدعونهم إلى أمْرِك رجَوْتُ أن يستجيبوا لك. قال: اخشى عليهم أهلَ نجد. قال أبو البَرَاء: أنا لهم

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٨٣.

(٢) ابن هشام ٢/ ١٨٤-١٨٦.

جار. فبعث المنذِرَ بنَ عَمْرو في أربعين رجلاً، فيهم الحارث بن الصِّمَّة، وحرام بن مِلْحان؛ أخو بني عَدِيّ بن النّجّار، وعُرْوَة بن أسماء ابن الصَّلْت السُّلَمي، ورافع بن وَرْقاء الخُزاعي، وعامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر، في رجال من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا بئرَ مَعُونَة، بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيْم. ثم بعثوا حرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطُّفَيْل، فلم ينظر في الكتاب حتى قَتَل الرجلَ. ثم استصرخ بني سُلَيْم فأجابوه وأحاطوا بالقوم، فقاتلوهم حتى استشهدوا كلّهم إلاّ كعب بن زيد، من بني النّجّار، تركوه وبه رمق فارتُثَّ(١) من بين القتلى، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق.

وكان في سَرْح القوم عَمْرو بن أُميّة ورجل من الأنصار، فلم يخبرهما بمصاب القوم إلاّ الطَّيرُ تحوم على العسكر، فقالا: والله إنّ لهذه الطير لَشَأناً، فأقبلا فنظرا، فإذا القومُ في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاريّ لعَمْرو: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصاريّ: لكنّي لم أكن لأرغب بنفسي عن موطنٍ قُتِل فيه المنذر بن عَمْرو، وما كنتُ لأخبرَ عنه الرجال. وقاتل حتى قُتِل وأسروا عَمْراً. فلما أخبرهم أنّه من مُضَر أطلقه عامر بن الطُّفَيْل وجزَّ ناصيتَه وأعتقه. فلما كان بالقَرْقَرَة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظلٍّ هو فيه، وكان معهما عهدٌ من رسول الله ﷺ وجِوارٌ لم يعلم به عَمْرو. حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما. فلما قدِم على رسول الله ﷺ أخبره، فقال: قد قتلتَ قتيلين، لأدِيَنَّهُما. ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء، قد كنتُ لهذا كارِهاً متخوِّفاً. فبلغ ذلك أبا براء فَشقَّ عليه إخفار عامرٍ أبا براء، فحمل ربيعة ولد أبي براء على عامر بن الطُّفَيْل فطعنه في فخِذِه فأشواه، فوقع من فرسه، وقال:

(١) أي: حُمِلَ من المعركة جريحاً وبه رمق.

هذا عمل أبي براء؛ إنْ متُّ فدمي لعمِّي فلا يُتْبَعَنَّ به، وإنْ أعِشْ فسأرى رأيي[1].

وقال موسى بن عُقْبة: ارتُثَّ في القتلى كعب بن زيد، فقُتِل يوم الخَنْدَق.

وقال حمّاد بن سَلَمَة: أخبرنا ثابت، عن أَنَس أنّ ناساً جاؤوا إلى النّبيّ ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلّموننا القرآن، والسُّنَّة. فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القرّاء، وفيهم خالي حرام بن مِلْحان، يقرؤون القرآن ويتدارسون باللّيل ويتعلّمون، وكانوا بالنّهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعون ويشترون به الطّعام لأهل الصُّفَّة، فبعثهم رسول الله ﷺ إليهم، فتعرّضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان. قالوا: اللَّهُمَّ بلِّغْ عنّا نبيَّك أنْ قد لقِيناكَ فرضِيتَ عنّا ورضينا عنك. قال: وأتى رجل خالي من خلفه فطعنه بالرمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزتُ وربِ الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إنّ إخوانكم قد قُتلوا وقالوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عنّا نَبِيَّنَا أنْ قد لقِيناكَ فرضينا عنكَ ورضيتَ عنّا. رواه مسلم[2].

وقال همّام وغيره، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة: حدّثني أنس أنّ رسول الله ﷺ بعث خاله حراماً في سبعين رجلاً فقُتِلوا يوم بئر مَعونة. وكان رئيس المشركين عامر بن الطُّفَيْل، وكان أتى النّبيّ ﷺ فقال: أُخَيِّرُك بين ثلاث خِصال: أن يكون لك أهلُ السَّهْلِ ولي أهلُ المَدَر، أو أكون خليفتَكَ من بعدك، أو أغزُوَكَ بِغَطَفان بألف أشقر وألفِ شقراء، قال: فطُعِن[3] في بيت امرأةٍ من بني فلان، فقال: غُدَّةٌ كغُدَّة

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٨٥-١٨٦.

(٢) مسلم ٦/ ٤٥، وانظر المسند الجامع حديث (١٢٥٥).

(٣) أي: أصابه الطاعون.

البَكْر[1] في بيت امرأةٍ من بني فلان ائتوني بفَرَسي، فركبه فمات على ظهر فَرَسه. وانطلق حرام ورجلان معه أحدُهما أعرج فقال: كونا قريباً منّي حتى آتيَهُم فإنْ آمنوني كنت كُفْواً، وإنْ قتلوني أتيتم أصحابَكم. فأتاهم حرام فقال: أَتُؤْمِنُوني أبلِّغْكم رسالَة رسولِ الله ﷺ؟ فجعل يحدّثهم، وأومأوا إلى رجلٍ فأتاه من خلفه فطعنه. قال همّام، وأحسبهُ قالَ: فُزْتُ وَربِّ الكعبة. قال: وقُتِل كلُّهم إلاّ الأعرج، كان في رأس الجبل.

قال أنَس: أُنزِل علينا، ثم كان من المنسوخ، «إنّا قد لَقِينا ربَّنا فَرَضِيَ عنّا وأرضَيْناه». فدعا رسولُ الله ﷺ ثلاثينَ[2] صباحاً على رِعْلٍ وذَكْوانَ وبني لِحْيان وعُصَيَّةَ عَصَتِ الله ورسولَه.

أخرجه البخاري، وقال: ثلاثين صباحاً، وهو الصحيح[3].

وروى نحوه قَتَادَة، وثابت، وغيرهما، عن أنَس. وبعضهم يختصر الحديث، وفي بعض طرقه: سبعين صباحاً.

قال سليمان بن المُغيرة، عن ثابت، قال: كتب أنَس في أهله كتاباً فقال: اشهدوا معاشرَ القرّاء. فكأنّي كرهت ذلك، فقلت: لو سمّيتهم بأسمائهم وأسماء آبائهم؛ فقال: وما بأس أن أقول لكم معاشرَ القُرّاء، أفلا أحدّثكم عن إخوانكم الذين كنّا ندعوهم على عهد رسول الله ﷺ القرّاء؟ قال: فذكر أنس سبعين من الأنصار كانوا إذا جنَّهُمُ اللَّيْلُ أوَوْا إلى مُعَلِّمٍ بالمدينة فيبيتون يدرسون، فإذا أصبحوا فمَنْ كانت عنده قوّةٌ أصاب من الحَطَب واستعذب من الماء، ومَنْ كانت عنده سَعَةٌ أصابوا

---

(١) الفتيُّ من الإبل إذا أصابه الطاعون.

(٢) في نسخة (ع): «سبعين» وكتب فوقها: «ثلاثين».

(٣) البخاري ٤/ ٢٢ و ٨٨ و ٥/ ١٣٤-١٣٥، وانظر المسند الجامع حديث (١٢٥٦) و(١٢٥٧).

الشَّاة فأَصْلَحوها، فكان معلَّقاً بِحُجَرِ رسولِ الله ﷺ. فلما أصيب خُبَيْب، بعثهم رسولُ الله ﷺ فكان فيهم خالي حرام. فأتوا على حيٍّ من بني سُلَيْم، فقال حرام لأميرهم: دعني، فلأُخْبِر هؤلاء أنّا ليس إيّاهم نريد فيخلُّون وجوهَنَا. فأتاهم فقال ذلك، فاستقبله رجلٌ منهم برُمْح فأنفذَهُ به. قال: فلما وجد حرام مَسَّ الرمح قال: الله أكبر فزتُ وربِّ الكعبة. قال: فانطووا عليهم فما بقيَ منهم مُخَبِّرٌ. قال: فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ وَجَدَ على شيءٍ وَجْدَه عليهم. فقال أنَس: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ كلّما صلَّى الغداةَ رفع يديه يدعو عليهم: فلما كان بعد ذلك، إذا أبو طلحةَ يقول: هل لك في قاتلِ حرام؟ قلتُ: ما له، فعلَ اللهُ به وفعلَ. فقال: لا تفعلْ، فقد أسلمَ.

وقال أبو أسامة: حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان عامر بن فُهَيْرة غلاماً لعبدالله بن الطُّفَيْل بن سَخْبَرَة، أخي عائشة لأمّها؛ وكانت لأبي بكر مِنْحَةٌ[1]، فكان يَروحُ بها ويغدو، ويصبح فَيَدَّلِجُ إليهما ثم يَسْرَحُ فلا يَفْطُنُ به أحدٌ من الرِّعاء، ثم خرج بهما يُعْقِبانه حتى قدِم المدينة معهما. فقُتِل عامر بن فهيرة يوم بئر مَعُونة، وأُسِر عَمْرو بن أُميَّة. فقال له عامر بن الطُّفَيْل: مَن هذا؟ وأشار إلى قتيل. قال: هذا عامر بن فُهَيْرة. فقَال: لقد رأيتُهُ بعدما قُتِل رُفِع إلى السماء حتى إنّي لأنظُرُ إلى السماء بينه وبين الأرض. وذكر الحديث. أخرجه البخاري[2].

قال ابن إسحاق[3]: فقال حسّان بن ثَابت يحرّض بني أبي البَراء على عامر بن الطُّفَيْل:

(١) هي الناقة التي يدر منها اللبن.
(٢) البخاري ٥/ ١٣٦.
(٣) ابن هشام ٢/ ١٨٧-١٨٨.

بَنـي أمّ البَنِيـنَ أَلَـمْ يَـرُعْكُـمْ وأنتُـمْ مـن ذَوَائـبِ أهـلِ نَجْـدِ
تَهَكُّـمُ عـامـرٍ بـأبـي بَـرَاءٍ لِيُخْفِـرَهُ، ومـا خَطَـأٌ كَعَمْـدِ
ألاَ أبْلِـغْ ربيعَـةَ ذا المَسَـاعـي فما أحدثْتَ في الحَدَثَانِ بعدي
أبـوك أبـو الحُـرُوب أبـو بَـرَاءٍ وخالُك ماجِدٌ حَكَمُ بن سَعْدِ

ذكْر الخِلاَف في غزوَة بَني النّضير

وقد تقدّمت في سنة ثلاث

ذهب الزُّهْري إلى أنّها كانت قبل أُحُد. وقال غيرُ واحدٍ: كانت بعد أُحُد، وبعد بئر مَعُونة.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالرحمن، قال: أخبرنا الحسن بن عليّ بن الحسين بن البُنّ، قال: أخبرنا جدّي، قال: أخبرنا أبو القاسم المِصِّيصِيُّ، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن أبي نصر، قال: أخبرنا عليّ بن أبي العَقب، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن عائذ، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبدالله بن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، قال: خرج رسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه إلى بني النَّضِير يستعينهم في عَقْل[1] الكِلابيّين. وكانوا، زعموا، قد دَسُّوا إلى قريش حين نزلوا بأُحُد لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه يحضُّونهم على القتال ودلُّوهم على العورة فلما كلمهم رسول الله ﷺ في عقل الكلابيين، قالوا: اجلس أبا القاسم، حتى تطعَم وترجِع بحاجتك. ثم ساق الحديث كلّه، وتقدّم ذِكْرُه.

وقال الواقدي: حدّثني إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، قال: لما

---

(١) أي: الدية.

خرجَتْ بنو النَّضِير أقبل عَمْرو بن سُعْدَى فأطاف بمنازلهم، فرأى خرابَها وفكّر ثم رجع إلى بني قُرَيْظَة فيجدهم في الكنيسة فينفخ في بُوقهم، فاجتمعوا. فقال الزَّبِير[1] بن باطا: يا أبا سعيد أين كنتَ منذ اليوم ـ وكان لا يفارقُ الكنيسةَ وكان يتألَّهُ في اليهودية ـ قال: رأيت اليوم عبراً قد عُبِّرنا بها، رأيت منازلَ إخوانِنا خاليةً بعد ذلك العزّ والجَلَد والشَّرَف الفاضل والعقل البارع، قد تركوا أموالهم ومَلَكَها غيرُهم، وخرجوا خروجَ ذُلٍّ. ولا والتَّوراةِ ما سُلِّط هذا على قومٍ قطّ لله بهم حاجة. فقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزّهم، بيَّتَهُ في بيته آمناً، وأوقع بابن سُنَيْنَة سيّدهم، وأوقع ببني قَيْنُقَاع فأجلاهم وهم جَدُّ يهود، وكانوا أهل عدّة وسلاح ونَجْدة، فحصرهم فلم يُخْرِجْ منهم إنسانٌ رأسَه حتى سباهم، وكُلِّمَ فيهم فتركهم على أنْ أجلاهم من يَثْرِب، يا قوم قد رأيتم ما رأيتُ فأطيعوني وتعالوا نتَّبع محمداً، فَوَالله إنّكم لتَعْلَمون أنّه نبيّ، وقد بَشَّرنا به وبأمْرِه ابن الهيبان وابن جواس، وهما أعلمُ يهود، جاءانا من بيتِ المقدس يَتَوَكَّفَان[2] قدومَه، أمَرَا باتِّبَاعِه، وأمَرَانا أنْ نُقْرِئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما، فأُسْكِتَ القومُ، فأعاد هذا القولَ ونحوَه، وتَخَوَّفَهم بالحربِ والسِّباء والجلاء. فقال ابن باطا: قد والتوراةِ قرأت صفتَه التي أُنزلت على موسى، ليس في المَثَاني التي أحدثْنا. فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبدالرحمن من اتّباعه؟ قال: أنت. قال كعب: ولِمْ ـ والتَّوْراةِ ـ ماحُلتُ بينكَ وبينه قطّ، قال الزَّبيرُ: أنت صاحب عهدنا وعقدِنا فإنِ اتّبعْتَهُ اتّبعناه وإنْ أبيتَ أبَيْنا. فأقبل عَمْرو بن سُعْدَى على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك، إلى أنْ قال كعب: ما عندي في أمره إلاّ ما قلت، ما تطيبُ نفسي أنْ أصيرَ تَابعاً.

---

(١) بفتح الزاي، قيّده السُّهيلي.

(٢) أي: ينتظران ويتوقعان.

وقال ابن إسحاق: كانت غَزوة بني النّضير في ربيع الأول سنة أربع وحاصرهم النّبيُّ ﷺ ستّ ليالٍ، ونزل تحريم الخمر[1] ، والله أعلم.

غزوة بني لِحْيان

قال ابن إسحاق[2] : خرج رسول الله ﷺ في جُمادَى الأولى، على رأس ستّة أشهرٍ من صُلح بني قُرَيظة إلى بني لِحْيَان يَطْلب بأصحاب الرَّجيع: خُبَيْب وأصحابه، وأظهر أنّه يريد الشامَ ليصيب من القوم غِرَّة.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[3] ، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد ابن حَزْم، وغيره، قالوا: لما أُصيب خُبَيْب وأصحابُه خرج رسول الله ﷺ طالباً لدمائهم ليصيب من بني لِحْيان غِرَّةً، فسلك طريقَ الشّام وورَّى على النّاس أنّه لا يريد بني لِحْيان، حتى نزل أرضَهم ـ وهم من هُذَيْل ـ فوجدهم قد حذروا فتمنَّعوا في رؤوس الجبال. فقال رسول الله ﷺ: لو أنّا هبطنا عُسْفان لرأتْ قُرَيْش أنّا قد جئنا مكةَ. فخرج رسول الله ﷺ في مئتي راكب حتى نزل عُسْفان، ثم بعث فارسين حتى جاءا كُراع الغَمِيم ثم انصرفا إليه. فذكر أبو عيّاش الزُّرقي أنّ رسول الله ﷺ صلّى بعُسْفان صلاةَ الخوف.

وقال بعضُ أهلِ المغازي: إنّ غزوة بني لِحْيان كانت بعد قُرَيْظَة، فالله أعلم.

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٩١.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٧٩.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٧٩.

غزوة ذاتِ الرِّقاع[1]

قال ابن إسحاق[2] : إنّها في جُمادَى الأولى سنة أربع، وهي غزوة خصَفة من بني ثَعْلَبَة من غَطَفَان.

وقال محمد بن إسماعيل[3] رحِمَه الله: كانت بعد خَيْبَر، لأنّ أبا موسى جاء بعد خَيْبر، يعني وشهِدَها. قال: وإنّما جاء أبو هريرة فأسلم أيامَ خَيْبر.

وقال ابن إسحاق[4] : في هذه الغزوة سار رسول الله ﷺ حتى نزل نَخْلاً، فلقي بها جمعاً من غَطَفان، فتقارب النّاس ولم يكن بينهم حرب. وقد خاف النّاس بعضَهم بعضاً، حتى صلّى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاةَ الخوف. ثم انصرف بالنّاس.

وقال الواقدي[5] : إنّما سُمِّيت ذات الرّقاع لأنه جبلٌ كان فيه بقع حمرة وسواد وبياض، فسُمِّي ذات الرّقاع. قال: وخرج رسول الله ﷺ لعشرٍ خَلَوْن من المحرَّم، على رأس سبعةٍ وأربعين شهراً، قدِم صِراراً[6] لخمسٍ بقين من المحرَّم.

---

(١) في سبب تسميتها في ذلك أقوال منها: أن أقدامهم نقبت فكانوا يلفُّون عليها الخرق، وقيل لأنهم رقعوا راياتهم فيها، وقيل: ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع وقيل: جبل، وانظر ابن هشام ٢/ ٢٠٤.

(٢) ابن هشام ٢/ ٢٠٣.

(٣) البخاري ٥/ ١٤٤.

(٤) ابن هشام ٢/ ٢٠٤.

(٥) المغازي ١/ ٣٩٥.

(٦) بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة تلقاء حرة واقم.

وذاتُ الرِّقاع قريبة من النُّخَيْل بين السَّعد والشُّقْرَة[١] .

قال الواقدي[٢] : فحدّثني الضَّحّاك بن عثمان، عن عُبَيْدالله بن مِقْسَم، عن جابر، وحدّثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن جابر، قال: وعن مالك، وغيره، عن وهب بن كَيْسان، عن جابر، قال: قدِم قادمٌ بجلبٍ له، فاشترى بسوق النَّبْط[٣] ، وقالوا: من أين جَلَبُك؟ قال: جئتُ به من نجد، وقد رأيت أنماراً وثعلبة قد جمعوا لكم جُمُوعاً، وأراكم هادين عنهم. فبلغ رسولَ الله ﷺ قولُه، فخرج في أربع مئة من أصحابه ـ وقيل سبع مئة ـ وسلك على المضيق، ثم أفضى إلى وادي الشُّقْرَة، فأقام بها يوماً، وبثّ السَّرايا، فرجعوا إليه مع اللّيل وأخبروه أنّهم لم يروا أحداً، وقد وطئوا آثاراً حديثة. ثم سار النّبيُّ ﷺ في أصحابه، حتى أتى محالَّهم، فإذا ليس فيها أحدٌ، وهربوا إلى الجبالِ، فهم مُطِلُّون على النّبيِّ ﷺ. وَخاف النّاس بعضهم بعضاً. وفيها صلّى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاةَ الخَوْف.

وقال عبدالملك بن هشام[٤] : وإنّما قيل لها ذات الرّقاع لأنّهم رقَّعوا فيها راياتهم. قال: ويقال ذات الرّقاع شجرة هناك. والظاهر أنّهما غزوتان[٥] .

وقَال شُعيب، عن الزُّهْري: حدّثني سِنان بن أبي سنان الدُّؤلي، وأبو سَلَمَة، عن جابر أنّه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد، فلما قفل قفل

---

(١) مواضع بالقرب من المدينة.
(٢) المغازي ١/ ٣٩٥.
(٣) ذكر الفيروزآبادي في «القاموس المحيط» أنه واد بناحية المدينة.
(٤) ابن هشام ٢/ ٢٠٤.
(٥) كتب على هامش نسخة البشتكي تعليق لعله بخط السخاوي نصه: «هذه الأولى، والثانية في سنة خمسٍ لعشرٍ خَلَوْنَ من المحرم كما سيأتي في كلامه».

معه، فأدركته القائلة في وادٍ كثير العِضَاه، فنزل وتفرَّقَ النَّاسُ في العِضَاهِ يستظلُّون بالشجر، وقَالَ هو تحت شجرةٍ فَعَلَّقَ بها سيفه، فنمنَا نومةً، فإذا رسولُ الله ﷺ يدْعونا فأجَبْناه، فإذا عنده أعرابيٌّ جالس، فقال رسولُ الله ﷺ: إنّ هذا اخترطَ سيفي وأنا نائمٌ، فاستيقظتُ وهو في يده صَلْتاً، فقال: مَنْ يمنعك منّي؟ قلت: الله. فشَام السيفَ وَجلس. فلم يُعاقبْهُ رسولُ الله ﷺ، وقد فعل ذلك. مُتَّفقٌ عليه(١) . وشام: أغمدَ.

قال أبو عَوَانة، عن أبي بِشْر: اسم الأعرابي «غورث بن الحارث».

ثم روى أبو بِشْر، عن سليمان بن قيس، عن جابر، قال: قاتل رسولُ الله ﷺ محارب(٢) بن خصفة بنَخل، فرأوا من المسلمين غِرَّةً، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث، حتىقام على رأسِ رسولِ الله ﷺ بالسيفِ، فقال: مَنْ يمنعك منّي؟ قال: الله. قال: فسقطَ السيف من يده، فأخذه رسولُ الله ﷺ فقال: من يمنعك منّي؟ قال: كنْ خيرَ آخِذٍ. قال: تشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّي رسولُ الله؟ قال: لا، ولكن أعاهدُكَ على أنْ لا أقاتلكَ، ولا أكونَ مع قومٍ يقاتلونك. فخلَّى سبيلَه. فأتى أصحابَه وقال: جئتكم من عند خيرِ النَّاس. ثم ذكر صلاةَ الخوف، وأنّه صلّى بكلّ طائفةٍ ركعتين. وهذا حديث صحيح إن شاء الله(٣) .

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق(٤) : حدّثني وَهْب بن كَيْسان، عن جابر بن عبدالله، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرّقاع من نخلٍ على جملٍ لي ضعيف، فلما قَفَلَ رسولُ الله ﷺ جعلت الرفاق

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣٦٤، والبخاري ٤/ ٤٧ و ٤٨ و ٥/ ١٤٦ و ١٤٨، ومسلم ٢/ ٢١٤ و٢١٥ و٧/ ٦٢، وانظر المسند الجامع حديث (٢٩٥٨) و (٢٩٥٩).
(٢) أي: بني محارب.
(٣) مسند أحمد ٣/ ٣٩٠.
(٤) ابن هشام ٢/ ٢٠٦.

تمضي، وجعلت أتخلّف، حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: مالك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا. قال: أنِخْه. وساق قصّةَ الجمل.

غزوة بدر المَوْعِد

قال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب، ورُوِيَ عن عُرْوَة[1] : أنّ رسول الله ﷺ استنفر المسلمين لموعد أبي سفيان بدْراً. وكان أهلاً للصِّدْق والوفاء ﷺ، فاحتمل الشيطان أولياءه من النّاس، فمشوا في النّاس يخوِّفونهم، وقالوا: قد أُخْبِرنا أن قد جمعوا لكم مثل الليل من النّاس، يرجون أنْ يوافقوكم فَيَـتَـنَهَّبُوكُم، فالحَذَرَ الحذر لا تغدوا. فعصم الله المسلمين من تخويف الشيطان فاستجابوا لله ولرسوله وخرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إنْ لقينا أبا سفيان فهو الذي خرجنا له، وإنْ لم نلْقه ابتعنا ببضائعنا. وكان بدر متَّجراً يُوافَى في كل عام. فانطلقوا حتى أتوا موسَم بدر، فقضوا منه حاجتهم، وأخلف أبو سُفيان الموعدَ، فلم يخرج هو ولا أصحابه.

وأقبل رجل من بني ضَمْرَة، بينه وبين المسلمين حِلْفٌ، فقال: والله إنْ كنّا لقد أُخبِرنا أنّه لم يبقَ منكم أحدٌ، فما أعملكم إلى أهلِ هذا الموسم؟ فقال رسول الله ﷺ، وهو يريدُ أنْ يبلغَ ذلك عدوَّه من قريش: أعملنا[2] إليه موعد أبي سفيان وأصحابه وقتالهم، وإنْ شئتَ مع ذلك نبذْنا إليك وإلى قومك حِلْفَهم ثم جالَدْناكم. فقال الضّمري: مَعَاذَ الله.

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٣٨٤-٣٨٦.

(٢) أعملنا إليه: عَنّانا إليه.

قال: وذكروا أنّ ابنَ الحُمَام قدِم على قُرَيْش، فقال: هذا محمد وأصحابه ينتظرونكم لموعدكم. فقال أبو سُفيان: قد والله صدق. فنفروا وجمعوا الأموال، فمن نشط منهم قوُّوه، ولم يقبل من أحدٍ منهم دون أوْقِيّة. ثم سار حتى أقام بمَجَنَّة من عُسْفان ما شاء الله أنْ يقيمَ، ثم ائتمر هو وأصحابه، فقال أبو سفيان: ما يُصْلِحُكُمُ إلاّ عامٌ خصْبٌ تَرْعونَ فيه السَّمُرَ وتشربون من اللّبن، ثم رجع إلى مكة، وانصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة بنعمةٍ من الله وفضْل، وكانت تلك الغزوة تُدْعَى غزوة جيش السَّويق. وكانت في شعبان سنة أربع[١].

وقال الواقديّ[٢]: كانت بدر الموعد، وتسمَّى بدر الصُّغْرَى، لهلال ذي القعدة على رأس خمسةٍ وأربعين شهراً من مُهَاجَره عليه الصّلاة والسّلام، وأنّه خرج في ألفٍ وخمس مئة من أصحابه، واستخلف على المدينة عبدالله بنَ رَوَاحة[٣]، وكان موسم بدر يجتمع فيه العرب لهلال ذي القعدة إلى ثامنه. فأقام بها المسلمون ثمانية أيّام وباعوا بضائع[٤]، فربح الدرهم درهماً، فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفَضْلٍ.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٠٩.
(٢) المغازي ١/ ٣٨٤.
(٣) كتب على هامش نسخة البشتكي، وبخط البشتكي، فكأنه نقله عن المؤلف: «المحفوظ أنه عليه السلام إنما استخلف على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبيّ بن سلول الرجل الصالح ابن المنافق».
(٤) في نسخة (ع): «بضائعهم» وكلتاهما بمعنى.

غزوة الخندق

قال موسى بن عُقْبة: كانت في شوّال سنة أربع. وقال ابن إسحاق: كانت في شوّال سنة خمس[1]. فالله أعلم.

ويقوّي الأوّلَ قولُ ابن عمر إنّه عُرِض يوم أُحُد وهو ابن أربع عشرة، فلم يُجِزْه النّبيّ ﷺ، وعُرِض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه. لكنّ هذه التقوية مردودة بما سنذكره في سنة خمسٍ، إن شاء اللهتعالى[2].

وفيها تُوُفّي عبدالله ابن رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ، وأبوه عثمان رضي الله عنه عن ستّ سنين. ونزل أبوه في حُفْرَته.

وفيها في شعبان وُلد الحسين بن عليّ رضَي الله عنهما.

وفيها قُتِل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وأصحابه. وقد ذُكِرُوا. وكنية عاصم: أبو سليمان، واسم جدّه أبي الأقلح: قيس بن عصمة من بني عَمْرو بن عَوْف، ومن ذُرِيّته الأحوص الشاعر ابن عبدالله بن محمد ابن عاصم بن ثابت.

وكان عاصم من الرُّماة المذكورين، ثبت يوم أُحُد وَقَتَلَ غيرَ واحد، وشهد بدْراً.

وقُتل يوم بئر مَعُونة من الصَّحابة:

عامر بن فُهَيْرَة مولى الصِّدّيق رضي الله عنه، وكان من سادة المهاجرين.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢١٤.

(٢) سيأتي ذكر غزوة الخندق مفصلاً في سنة خمس، وإنما ذكرها هنا استطراداً.

ومن قُرَيش: الحَكَم بن كَيْسان المخزومي، ونافع بن بُدَيْل بن ورقاء السهمي.

وقُتِلَ يومئذٍ من الأنصار: الحارث بن الصِّمّة بن عَمْرو بن عتيك بن عَمْرو بن مبذول أبو سعد. فعن محمد بن إبراهيم التَّيْمي، أنّ النّبيّ ﷺ آخى بين الحارث بن الصّمَّة وصُهَيْب. وقال الواقدي[١] : شهد الحارثُ أُحُداً، وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت، وقَتَلَ عثمان بنَ عبدالله بن المُغيرة. وعن المِسْوَر بن رفاعة أنّ الحارث خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فكُسر بالرَّوْحاء، فردّه رسول الله ﷺ إلى المدينة وضرب له بسهمه وأجْرِه. قال ابن سعد[٢] : وله ذُرّيّة بالمدينة وبغداد.

حرام بن مِلْحان، واسم مِلْحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جُنْدُب بن عامر بن غنم بن عَدِيّ بن النّجّار، شهد بدراً، وهو أخو أمّ سُلَيْم، قال لما طُعِنَ يوم بئر مَعُونة: فُزْتُ وربِّ الكعبة، رحمه الله ورضي عنه.

عطيّة بن عَمْرو، من بني دينار. وهذا لم أره في الصّحابة لابن الأثير.

المنذر بن عَمْرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ السّاعديّ، أحد النُّقباء ليلة العَقَبَة. شهد بدْراً وأُحُداً. وخُنَيْس هو المعروفُ بالمُعْنِقِ ليموتَ.

أنس بن معاوية بن أنس، أحد بني النّجّار.

أبو شيخ بن ثابت بن المنذر، [و][٣] سهل بن سعد، من بني

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٣/ ٥٠٨.

(٣) إضافة مني للتوضيح حسب.

النّجّار كلاهما.

مُعاذ بن ناعض[1] الزُّرْقي، بَدْرِي.

عُرْوة بن الصَّلْت السُّلَمي حليف الأنصار.

مالك بن ثابت، وأخوه: سفيان، كلاهما من بني النبيت.

فهؤلاء الذين حُفِظَت أسماؤهم من الشُّهداء السبعين الذين صحّ أنّه نزل فيهم «بلِّغوا عنّا قومَنا أنّا لقينا ربَّنا فرضي عنّا وأرضانا» ثم نُسِخَتْ.

وقيل: بل كانوا اثنين وعشرين راكباً. ولعلّ الراوي عَدّ الركابَ دون الرَّجَّالة.

أخبرنا إسماعيل بن أبي عَمْرو، أخبرنا ابن البنّ، قال: أخبرنا جدّي، قال: أخبرنا ابن أبي العلاء، قال: أخبرنا ابن أبي نصر، قال: أخبرنا ابن أبي العقب، قال: أخبرنا أحمد ابن البُسْري، قال: حدثنا محمد بن عائذ، قال: أخبرني حَجْوَة بن مُدْرَك الغسّاني، عن الحسن بن عمارة، عن الحَكَم، عن مِقْسَم، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: بعث عامر بن مالك مُلاعب الأسِنّة إلى رسول الله ﷺ ابعثْ إليَّ رهَطاً ممّن معك يبلّغوني عنك وهم في جِواري. فأرسل إليه المنذرَ بنَ عَمْرو رضي الله عنه في اثنين وعشرين راكباً، فلما أتوا أداني أرض بني عامر بعث أربعةً ممّن معه إلى بعضِ مياههم، أو قال إلى بعضهم. قال: وسمع عامر بن الطُّفَيْل فأتاهم فقاتلَهم فقتلَهم. قال: ورجع الأربعة رَهَطٍ الذين كان وجَّه بهم المنذر، فلما دنوا إذا هم بنُسُورٍ تحومُ، قالوا: إنّا لنرى نُسُوراً تحومُ، وإنَّا نُرَى أصحابنَا قد قُتِلوا. فلما أتوهم قال رجلان منهم: لانطلبُ الشهادة بعد اليوم، فقاتلا حتى قُتِلا. ورجع

(١) كُتب على هامش الأصل: «ماعض» في نسخة أخرى.

الرَّجلانِ إلى رسولِ الله ﷺ، فلقيا رجلين من بني عامر فسألاهما مِمَّنْ هما فأخبراهما فقتلاهما وأخَذَا ما معهما. وأتيا رسولَ الله ﷺ فأخبراه خبرَ أصحابهم وخبرَ الرجلين العامريين، وأتياه بما أصابا لهما. فعرف رسولُ الله ﷺ حلَّتين كان كساهما، فقال: قد كانا مِنَّا في عهدٍ. فَوَدَاهُما إلى قومهما دِيَةَ الحُرَّيْن المُسْلِمَيْن.

وقال حسّان بعد موت عامر بن مالك يُحَرِّضُ ابنه ربيعة:

بَني أمِّ البنين الَمْ يَرُعْكم فذكر الأبيات

فقال ربيعة: هل يرضى منّي حسّان طعنةً أطعنها عامراً؟ قيل: نعم، فشدّ عليه فطعنه فعاش منها.

وفيها تُوُفِّيَتْ أمُّ المؤمنين زينب بنت خُزَيْمَة بن الحارث بن عبدالله ابن عَمْرو بن عبد مَنَاف بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة القَيْسيّة الهَوَازِنيّة العامرية الهِلالية رضي الله عنها، وكانت تُسمَّى أمَّ المساكين لإحسانها إليهم، تزوّجت أوّلاً بالطُّفَيْل بن الحارث بن المطّلب بن عبد مَنَاف رضي الله عنه، ثم طلّقها فتزوّجها أخوه عُبَيْدة بن الحارث رضي الله عنه، فاستُشْهِدَ يوم بدر، ثم تزوّجها رسولُ الله ﷺ في رمضان سنة ثلاثٍ، ومكثت عنده على الصّحيح ثمانيةَ أشهر، وقيل: كانت وفاتها في آخر ربيع الآخر، وصلّى عليها النّبيّ ﷺ ودفنها بالبَقِيع، ولها نحو ثلاثين سنة.

وفيها تزوَّجَ النّبيُّ ﷺ أمَّ سَلَمَة أمّ المؤمنين هندَ بنتَ أبي أُميّة واسمه حُذَيفة، وقيل: سُهَيْل، ويُدْعَى زاد الراكب؛ ابن المُغِيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القُرَشيّة المخزومية، وكانت قبله عند ابن عمة النّبيِّ ﷺ أبي سَلَمَة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأمّه بَرَّة بنت عبدالمطّلب، وهاجر بها إلى الحبشةِ فولدت له هناك

زينب، وولدت له سَلَمَة وعمر ودرَّة، وكان أخا النّبيِّ ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما وحمزة ثُوَيْبَةُ مولاةُ أبي لَهَب، ويقال إنّه كان أسلمَ بعد عشرة أنفُس، وكان أوّل مَنْ هاجر إلى الحبشة، ثم كان أوَّل من هاجر إلى المدينة، ولما عبر إلى الله كان الذي أغمضه رسولُ الله ﷺ، ثم دعا له، وكان قد جُرِح بأُحُد جرحاً، ثم انتقضَ عليه، فمات منه في جُمادَى الآخرة سنة أربع. فلما تُوُفِّي تزوّجها النّبيُّ ﷺ، حين حلّت في شوّال، وكانت من أجملِ النّساء؛ وهي آخر نسائه وفاةً.

ثم تزوّج بعدها بأيام يسيرة، بنت عمّته أمّ الحَكَم؛ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدي، وكان اسمها بَرَّة فسمّاها زينب. وكانت هي وإخوتها من المهاجرين، وأمّهم أُمَيْمَة بنت عبدالمطّلب، وهي التي نزلت هذه الآية فيها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب]. وكانت تفخرُ على نساءِ النّبيِّ ﷺ وتقول: زوَّجَكُنّ أهاليكُنّ وزوَّجني اللهُ من السّماء. وفيها نزلت آية الحجاب[1]، وتزوّجها وهي بنت خمسٍ وثلاثين سنة.

وفي هذه السنة رجم النّبيُّ ﷺ اليهوديَّ واليهوديَّةَ اللّذَيْن زَنَيَا.

وفيها تُوُفِّيَتْ أمّ سعد بن عُبَادة، ورسول الله ﷺ غائب في بعض مغازية، ومعه ابنها سعد، قال قَتَادَة، عن سعيد بن المسيّب: أنّ النّبيّ ﷺ صلّى على قبر أمّ سعد بعد أشهرٍ، والله أعلم.

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

السَّنَة الخَامِسَة

«غزوة ذات الرقاع»

خرج لها رسول الله ﷺ لعشرٍ خَلَون من المحرَّم. قاله الواقدي[١] كما تقدّم. وقال ابن إسحاق[٢] : إنّها في جُمَادَى الأولى سنة أربع.

غزوة دُومَة الجَنْدَل

وهي بضمّ الدَّال

قيل سُمِّيَتْ بدُومي بن إسماعيل عليه السلام، لكَوْنها كانت مَنْزِلَه. ودَوْمَة بالفتح موضعٌ آخر. وهذه الغزوة كانت في ربيع الأوّل. ورجع النّبيُّ ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كَيْداً[٣] .

وقال المدائنيّ: خرج ﷺ في المحرَّم، يريد أُكَيْدِرَ دُومة، فهرب أُكَيْدِر، وانصرف النّبيّ ﷺ.

وقال الواقديّ[٤] : حدّثني ابن أبي سبرة، عن عبدالله بن أبي لَبِيد، عن أبي سَلَمَة بن عبدالرحمن. وحدثّني عبدالرحمن بن عبدالعزيز، عن عبدالله بن أبي بكر وغيرُهما، قالوا: أراد رسول الله ﷺ أنْ يقْربَ إلى

---

(١) المغازي ١/ ٣٩٥.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٠٣.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢١٣.
(٤) المغازي ١/ ٤٠٣.

أدنى الشام ليرْهِب قيصر، وذُكِرَ له أن بدُومَة الجَنْدَل جَمْعَاً عظيماً يَظْلِمون من مرَّ بهم. وكان بها سوق وتجّار، فخرج رسول الله ﷺ في ألف يسيرُ اللَّيلَ ويكمُن النّهار، ودليلُه مذكور العُذْرِيّ، فَنَكَّبَ عن طريقهم، فلما كان بينه وبين دُومة يوم قوي، قال له: يا رسول الله إنَّ سوائمهم ترعى عندَك، فأقِمْ حتى أنظر. وسار مذكور حتّى وجدَ آثارَ النَّعَمِ، فرجع وقد عرف مواضعَهم، فهجم بالنبيِّ ﷺ على ماشيتهم ورعائهم فأصابَ مَنْ أصاب، وجاء الخبرُ إلى دُومَة فتفرّقوا، ورجع النّبيُّ ﷺ.

وهي عن المدينة ستّة عشر يوماً، وبينها وبين دمشق خمس ليالٍ للمُجِدّ، وبينها وبين الكوفة سبْعُ ليالٍ، وهي أرض ذات نخلٍ، يزرعون الشَّعير وغيرَه، ويَسْقون على النَّواضِح، وبها عين ماء.

غزوة المُرَيْسِيع

وتُسَمّى غزوة بني المُصْطَلِق، كانت في شعبان سنة خمسٍ على الصحيح، بل المجزوم به.

قال الواقدي[1]: استخلف النّبيّ ﷺ فيها على المدينة زيدَ بنَ حارثة. فحدّثني شُعَيْب بن عَبّاد عن المِسْوَر بن رِفاعة، قال: خرج رسول الله ﷺ في سبع مئة.

وقال يونس بن بُكَيْر: قال ابن إسحاق[2]: حدّثني محمد بن يحيى ابن حَبّان، وعاصم بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر، قالوا: خرج رسول الله ﷺ، وبلغه أنّ بني المُصْطَلِق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي

(١) المغازي ١/ ٤٠٤.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٩٠.

ضرار أبو جُوَيْرية أمّ المؤمنين، فسار النّبيُّ ﷺ حتى نزل بالمُرَيْسِيع، ماء من مياههم؛ فَأَعَدُّوا لرسولِ الله ﷺ فتزاحفَ النّاسُ فاقتتلوا، فهزم رسولُ الله ﷺ بني المُصْطَلِق وقتلَ مَنْ قتلَ منهم ونفَّل نساءَهم وأبناءهم وأموالهم، وأقام عليهم من ناحية قُدَيْد والسّاحل.

وقال الواقدي[١] ، عن معمر وغيره: أنّ بني المُصْطَلِق من خُزاعة كانوا ينزلون ناحية الفُرْع، وهم حُلفاء بني مُدْلج، وكان رأسَهم الحارث ابنُ أبي ضِرار، وكان قد سار في قومه ومَن قدِر عليه، وابتاعوا خيلاً وسلاحاً، وتهيؤوا للمسير إلى رسول الله ﷺ.

قال الواقديّ[٢] : وحدّثني سعيد بن عبدالله بن أبي الأبيض، عن أبيه، عن جدّته، وهي مولاة جُوَيْرية، سمعت جُوَيْرِية تقول: أتانا رسولُ الله ﷺ ونحن على المُرَيْسِيع، فأسمع أبي يقول: أتانا ما لا قِبَلَ لنا به، قالت: وكنت أرى من النّاس والخيل والعدة ما لا أصِف من الكَثْرَة، فلما أنْ أسلمتُ وتزوَّجني رسولُ الله ﷺ ورجعنا جعلتُ أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنتُ أرى، فعرفت أنّه رُعْبٌ من الله. وكان رجل منهم قد أسلم يقول: لقد كنّا نرى رجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلقٍ، ما كنّا نراهم قَبْلُ ولا بعدُ.

قال الواقديّ[٣] : ونزل رسول الله ﷺ الماءَ، وضُرِبتْ له قُبَّةٌ من أدَم، ومعه عائشة وأمّ سَلَمَة، وصفَّ رسولُ الله ﷺ أصحابَهُ، ثمّ أمر عمر فنادى فيهم، قولوا: لا إله إلاّ الله، تمنعوا بها أنفسَكم وأموالَكم، ففعل عمر، فأبَوْا. فكان أوّل مَنْ رمى رجلٌ منهم بسهم، فرمى المسلمون ساعةً بالنَّبل، ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ أمر أصحابه أنْ يحملوا،

(١) المغازي ١/٤٠٨.
(٢) المغازي ١/٤٠٨.
(٣) المغازي ١/٤٠٧.

فحملوا، فما أفلتَ منهم إنسانٌ، فَقُتِلَ منهم عشرةٌ وأُسِرَ سائرُهم، وقُتِلَ من المسلمين رجل واحد.

وقال ابن عَوْن: كتبتُ إلى نافع أسأله عن الدُّعاء قبلَ القتالِ، فكتب: إنّما كان ذلك في أوَّلِ الإسلام، قد أغار[1] رسول الله ﷺ على بني المُصْطَلِق وهم غارُّون، وأنعامُهم تُسْقَى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسَبَى سَبْيَهم، فأصاب يومئذٍ ـ أحْسبُهُ قال: جُوَيْرِية ـ، وحدّثني ابنُ عمر بذلك، وكان في ذلك الجيش. مُتَّفقٌ عليه[2].

وقال إسماعيل بن جعفَر، عن ربيعة الرأي، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان، عن ابنِ مُحَيْرِيز، سمع أبا سعيد يقول: غزوْنا مع رسول الله ﷺ بني المُصْطَلِقْ فسَبَينا كرائم العرب، وطالت علينا العُزْبَة، ورغِبْنا في الفِداء فأردْنا أنْ نستمتع ونَعْزِل، فسألنا رسول الله ﷺ فقال: لا عليكم أنْ لا تفعلوا، ما كتب الله خلْقَ نسمةٍ هي كائنة إلى يوم القيامة إلاّ ستكون. مُتَّفقٌ عليه، عن قُتَيبة عن إسماعيل[3].

تَزويج رَسُولِ الله ﷺ بجُوَيْرية

وقال يونس، عن ابن إسحاق[4]: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر، عن عُرْوَة، عن عائشة، قالت: لمّا قَسَمَ رسولُ الله ﷺ سبايا بني المُصْطَلِق وقعت جُوَيْرِية في السهمِ لثابتِ بن قيس بن شماس، أو لابنِ عمٍّ له فكاتَبَتْه على نفسها، وكانت امرأةً حُلْوَةً مُلاّحة، لا يراها أحدٌ إلاّ أخذتْ بنفسه فأتتْ رسولَ الله ﷺ تَستعينُه في كتابتها، فَوَاللهِ ما هو إلاّ أنْ

(١) في نسخة البشتكي: «أشار» وما هنا من النسخ ومصادر الحديث.
(٢) البخاري ٣/ ١٩٤، ومسلم ٥/ ١٣٩.
(٣) البخاري ٥/ ١٤٧-١٤٨، ومسلم ٤/ ١٥٧.
(٤) ابن هشام ٢/ ٢٩٤-٢٩٦.

رأيتُهَا فكرهتها، وقلتُ: سيرى منها مِثْلَ ما رأيتُ. فلما دخلتْ على رسولِ الله ﷺ قالت: أنا جُوَيْرِية بنتُ الحارث سيّد قومه، وقد أصابني من البلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، وقد كاتبتُ فأعنِّي. فقال: أو خيرٌ من ذلك، أؤدِّي عنكِ كتابتَكِ وأتزوَّجُكِ. فقالت: نعم، ففعل رسولُ الله ﷺ فبلغ الناسَ أنّه قد تزوّجها، فقالوا: أصهار رسولِ الله ﷺ. فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المُصْطَلِق فلقد أُعْتِقَ بها مئة أهلِ بيتٍ من بني المُصْطَلِق، فما أعلمُ امرأةً كانت أعظم بركةً على قومها منها. وكان اسمها بَرَّة فسمَّاها رسولُ الله ﷺ جوَيْرِية.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[١]: حدّثني محمد بن يحيى بن حَبّان، وعبدالله ابن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قَتَادة، في قصّة بني المُصْطَلِق: فبينا النّبيّ ﷺ مقيم هناك، إذ اقتتل على الماء جَهْجَاه بن سعيد الغِفَاريّ أجير عمر، وسِنان بن زيد[٢]. قال: فحدّثني محمد بن يحيى أنّهما ازدحما على الماءِ فاقتتلا، فقال سِنان: يا مَعْشَرَ الأنصار. وقال جهجاه: يا مَعْشَرَ المهاجرين. وكان زيد بن أرقم ونفرٌ من الأنصار عند عبدالله بن أُبَيّ، يعني: ابن سَلُول، فلما سمعها قال: قد ثَاوَرُونا في بلادنا. واللهِ ما أعُدّنا وجَلابيبَ قُريشٍ هذه إلاّ كما قال القائل: سَمِّنْ كَلْبَكَ يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. ثم أقبل على مَنْ عنده من قومه، فقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أَحْلَلْتُموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أمَا والله لو كففتم عنهم لتحوَّلوا عنكم من بلادكم. فسمعها زيد، فذهَب بها إلى رسولِ الله ﷺ وهو غُلَيِّمٌ، وعنده عمر فأخبره الخبر. فقال عمر: يا رسولَ الله مُرْ عَبّادَ

(١) ابن هشام ٢/ ٢٩٠-٢٩٣.

(٢) هكذا في النسخ، والمحفوظ أنه سنان بن وبر، كما في ابن هشام، والواقدي، وغيرهما.

ابن بِشْرٍ فلْيَضْرِبْ عُنُقه. فقال: كيف إذا تحدّث النّاس أنّ محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكنْ ناد يا عمر في الرحيل. فلما بلغ ذلك ابنَ أُبَيّ أتى النّبيَّ ﷺ يعتذر، وحلفَ له باللهِ ما قالَ ذلك، وكان عند قومِه بمكانٍ. فقالوا: يا رسولَ الله عسى أنْ يكون هذا الغلامُ أوهم. وراح رسولُ الله ﷺ مهجراً في ساعةٍ كان لا يروحُ فيها. فَلَقِيَه أُسَيْد بن حُضَيْر فسلَّمَ عليه بتحية النُّبُوة ثم قال: والله لقد رُحْتَ في ساعةٍ مُنْكرة. فقال: أمَا بَلَغكَ ما قال صاحبُك ابنُ أبيٍّ؟ فقال: يا رسولَ الله فأنتَ واللهِ العزيزُ وهو الذّليلُ. ثم قال: يا رسولَ الله ارفُق به، فَوَالله لقد جاء اللهُ بكَ وإنَّا لَنَنْظِمُ له الخَرَز لنُتَوِّجَه فإنّه لَيَرَى أنْ قد استلبتَهُ مُلْكاً. فسار رسولُ الله ﷺ بالنّاسِ بقيَّةَ يومِهِ وليلته، حتى أصبحوا وحتّى اشتدّ الضُّحى. ثم نزل بالنّاس ليشغلهم عمّا كانَ من الحديثِ، فلم يأمن النّاسُ أنْ وجدوا مَسَّ الأرضِ فناموا. ونزلت سورة المنافقين.

وقال ابن عُيَيْنَة: حدثنا عَمْرو بن دينار، قال: سمعت جابراً يقول: كنّا مع النّبيِّ ﷺ في غَزَاةٍ، فكَسَعَ[1] رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجريّ: يا للمهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنّها مُنْتِنَة. فقال عبدالله بن أُبَيّ بن سَلُول: أوَ قد فعلوها؟ واللهِ لئِن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلّ. قال: وكانت الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدِم النّبيّ ﷺ ثم كثُر المهاجرون بعد ذلك. فقال عمر: دعني أضرب عُنُقَ هذا المنافق. فقال النّبيُّ ﷺ: دعه لا يتحدّث النّاسُ أنّ محمداً يقتل أصحابه. مُتّفقٌ عليه[2].

---

(١) أي: ضربه بيده أو برجله على دُبُرِه.

(٢) البخاري ٦/١٩١-١٩٢، ومسلم ٨/١٩، وانظر المسند الجامع حديث (٢٧٦٩).

وقال عُبَيْدالله بن موسى: أخبرنا إسرائيل، عن السُّدّي، عن أبي سعيد الأزدي، قال: حدثنا زيد بن أرقم، قال: غَزَونا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا ناسٌ من الأعراب. فكنّا نبتدر الماءَ، وكانت الأعراب يسبقوننا، فيسبق الأعرابيُّ أصحابه، فيملأ الحوضَ ويجعل حوله حجارة، ويجعل النِّطْعَ عليه حتى يجيء أصحابُه، فأتى أنصاريٌّ فأرخى زمامَ ناقته لتشرب فمنعه، فانتزع حجراً فغاضَ الماء، فرفع الأعرابيُّ خشبةً فضرب بها رأسَ الأنصاريّ فَشَجَّه، فأتى عبدالله بن أُبَيّ فأخبره فغضب وقال: لا تُنْفِقوا على مَنْ عندَ رسولِ الله ﷺ حتى يَنْفَضُّوا من حوله؛ يعني الأعراب. وقال: لئِنْ رجعنا إلى المدينةِ ليُخْرِجَنَّ الأعَزّ منها الأذلّ. قال زيد: فسمِعْتُه فأخبرتُ عمّي، فانطلق فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فحلفَ وجَحَدَ، فصدَّقَهُ رسولُ الله ﷺ وكذَّبني. فجاء إليَّ عمّي فقال: ما أردَت أنْ مَقَتَكَ رسولُ الله ﷺ وكذَّبك المسلمون. فوقع عليَّ من الغَمّ ما لم يقع على أحدٍ قَطّ. فبينا أنا أسيرُ مع رسولِ الله ﷺ وقد خفقتُ برأسي من الهمِّ، إذ أتاني رسولُ الله ﷺ فَعَرَكَ أُذُني وضحكَ في وجهي، فما كانَ يَسُرُّني أنَّ لي بها الخُلْدَ أو الدنيا. ثم إنّ أبا بكر لحِقني فقال: ما قالَ لك رسولُ الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً. فقال أبْشِرْ. فلمّا أصبحنا قرأ رسولُ الله ﷺ سورةَ المنافقين حتى بلغ منها: ﴿الأذَلَّ﴾[1].

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرْقَم، قال: سمعت عبدَالله بن أُبَيّ يقول لأصحابه: لا تُنْفِقوا على مَن عند رسول الله حتى ينفضُّوا من حوله. وقال: لئِن رجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ. فذكرتُ ذلك لعمّي فذكره لرسول الله ﷺ، فحلفوا ما قالوا، فصدّقهم وكذّبني، فأصابني هَمٌّ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ

(١) أخرجه الترمذي (٣٣١٣).

ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴿١﴾ [المنافقون]، فأرسل إليَّ رسولُ الله ﷺ فقرأها عليَّ، وقال: إنّ الله صدّقك يا زيد. أخرجه البخاري(١).

وقال أنس بن مالك: زيد بن أرقم هو الذي يقول له رسولُ الله ﷺ: «هذا الذي أوفى الله له بأُذنه». أخرجه البخاري، من حديث عبدالله بن الفضل، عن أنس(٢).

وقال الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، أنَّ النّبيَّ ﷺ قدِم من سَفَرٍ، فلما كان قُرْبَ المدينة هاجتْ ريحٌ تكاد أنْ تدفنَ الرَّاكبَ، فزعم أنّ رسول الله ﷺ قال: بُعثت هذه الريح لموتِ مُنافق. قال: فقدِم المدينةَ فإذا منافقٌ عظيم قد مات. أخرجه مسلم(٣).

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، قال: فلما نزل رسولُ الله ﷺ من طريق عُمان سَرَّحوا ظَهْرَهم، وأخذتهم ريحٌ شديدة، حتى أشفق النّاس منها، وقيل: يا رسول الله ما شأن هذه الريح؟ فقال: مات اليوم منافقٌ عظيمُ النِّفاق، ولذلك عصفت الريحُ وليس عليكم منها بأس إنْ شاء الله، وذلك في قصّة بني المُصْطَلِق.

وقال يونس، عن ابن إسحاق(٤)، عن شيوخه الذين روى عنهم قصَّة بني المُصْطَلِق، قالوا: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان ببقعاء من أرض الحجاز دون البقيع هبّت ريحٌ شديدة فخافها النّاس. فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوا فإنّها هبَّتْ لموت عظيمٍ من عُظماء الكُفْر. فوجدوا رِفاعةَ بنَ زيد بن التّابوت قد ماتَ يومئذٍ، وكان من بني قَيْنُقَاع، وكان قد أظهر الإسلامَ وكان كهفاً للمنافقين.

---

(١) البخاري ٦/ ١٨٩.

(٢) البخاري ٢/ ١٩٢.

(٣) مسلم ٨/ ١٢٤، وانظر المسند الجامع (٢٨١٨) و(٢٩٤٦).

(٤) ابن هشام ٢/ ٢٩٢.

وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة، قال: لما قدِم النّبيّ ﷺ المدينة من بني المُصْطَلِق، أتاه عبدُالله بن عبدالله بن أُبَيّ، فقال: يا رسول الله بلغني أنّك تريد قتْلَ أبي، فإنْ كنتَ فاعلاً فمرني به فأنا أحمِل إليك رأسَه فَوَالله لقد علمتْ الخزرجُ ما كان بها رجلٌ أبرَّ بوالده منّي، ولكنّي أخشى أن تأمر به رجلاً مسلماً فيقتله، فلا تَدَعُني نفسي أنْ أنظر إلى قاتل عبدالله يمشي في الأرض حيّاً حتى أقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النّار. فقال النّبيّ ﷺ: بل نُحْسِنُ صُحْبَتَه ونترفّق به ما صَحِبَنا[1] ، والله أعلم.

حديث[2] الإفك

«وكان في هذه الغزوة»

قال سليمان بن حرب: حدثنا حمّاد بن زيد، عن مَعْمَر، والنُّعمان بن راشد، عن الزُّهْري، عن عُرْوة، عن عائشة، أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه. قالت: فأقْرَعَ بيننا في غَزَاة المُرَيْسِيع، فخرج سَهْمي، فَهَلَكَ فِيَّ مَنْ هَلَك.

وكذلك قال ابن إسحاق[3] ، والواقديّ[4] وغيرهما: أنَّ حديثَ الإفْكِ في غزوة المُرَيْسِيع.

ورُوي عن عبّاد بن عبدالله، قال: قلت يا أمّاه حَدِّثيني حديثَك في غزوة المُرَيْسِيع.

قرأتُ على أبي محمد عبدالخالق بن عبدالسلام، ببَعْلَبَكّ، قال:

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٩٢-٢٩٣.
(٢) في نسخة (ع): «قصة».
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٩٧.
(٤) المغازي ١/ ٤٠٤.

أخبرنا عبدالرحمن بن إبراهيم، قال: أخبرنا أبو الحسين عبدالحقّ اليُوسفي، قال: أخبرنا أبو سعد بن خُشَيْش، قال: أخبرنا أبو عليّ الحسن بن أحمد، قال: أخبرنا ميمون بن إسحاق، قال: حدثنا أحمد ابن عبدالجبّار، قال: حدثنا يونس بن بُكَيْر، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: لقد تُحُدِّثَ بأمري في الإفْكِ واستُفيضَ فيه وما أشعر. وجاء رسولُ الله ﷺ ومعه أُناسٌ من أصحابه، فسألوا جاريةً لي سوداء كانت تخدمني، فقالوا: أخبرينا ما عِلْمُك بعائشة؟ فقالت: والله ما أعلمُ منها شيئاً أعْيَب من أنّها ترقدُ ضَحىً حتى إنَّ الدّاجنَ[1] داجنَ أهلِ البيت تأكل خميرَها. فأداروها وسألوها حتى فطِنَتْ، فقالت: سبحان الله، والذي نفسي بيده ما أعلمُ على عائشةَ إلاّ ما يعلم الصّائغ على تِبْر الذّهَبِ الأحمر. قالت: فكان هذا وما شَعَرْت.

ثم قام رسولُ الله ﷺ خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهْلُهُ، ثم قال: أمّا بعدُ، فأشِيروا عليَّ في أُناسٍ أبَنُوا[2] أهلي، وايْمُ الله إنْ علمت على أهلي من سوءٍ قطّ، وأبَنُوهم بِمَنْ واللهِ إنْ علمتُ عليه سوء قطّ، ولا دَخَلَ على أهلي إلاّ وأنا شاهدٌ، ولا غبتُ في سَفَرٍ إلاّ غابَ معي. فقال سعد بن مُعاذ: أرى يا رسولَ الله أنْ تضرِبَ أعناقهم. فقال رجلٌ من الخَزْرَج ـ وكانت أمُّ حسّان من رَهْطِه، وكان حسّان من رَهطه ـ: واللهِ ما صَدَقْتَ، ولو كان من الأوس ما أشَرْتَ بهذا. فكاد يكونُ بين الأوسِ والخَزْرَج شَرٌّ في المسجد، ولا علِمْتُ بشيءٍ منه، ولا ذكره لي ذاكر، حتى أمسيتُ من ذلك اليوم فخرجت في نِسْوةٍ لحاجتنا، وخَرَجَتْ معنا أمّ مِسْطَح ـ بنت خالة أبي بكر ـ فإنّا لَنَمْشي ونحن عامدون لحاجتنا، عَثَرَتْ أمُّ مِسْطَح فقالت: تَعِسَ مِسْطَح. فقلت: أيْ أُمْ،

(١) أي: الشاة التي تألف البيوت ولا تخرج إلى المرعى.
(٢) أي: اتَّهموا.

أتَسُبِّينَ ابنَكِ؟ فلم تُراجِعْني. فعادت ثم عثرت، فقالت: تَعِسَ مِسْطَح. فقلت: أيْ أُمْ أتَسُبّين ابنَك صاحبَ رسول الله ﷺ؟ فلم تراجعني. ثم عَثَرَتْ الثالثَة، فقالت: تعِسَ مِسْطَح. فقلت: أيْ أُمْ، أتَسُبّين ابنك صاحبَ رسولِ الله ﷺ؟ فقالت: والله ما أسبُّه إلاّ من أجلك وفيك. فقلت: وفي أيّ شأني؟ قالت: وما علمتِ بما كان؟ فقلت: لا، ومَا الذي كان؟ قالت: أشهد أنّكِ مبرَّأةٌ ممّا قيلَ فيكِ. ثم بَقَرَتْ ليَ الحديثَ، فلأكرُّ راجعةً إلى البيت ما أجد ممّا خرجت له قليلاً ولا كثيراً. وركبتني الحُمَّى فَحُمِمْتُ. فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فسألني عن شأني، فقلت: أجدُني موعوكة، إئذن لي أذهب إلى أبوَيّ. فأذِن لي، وأرسل معي الغلام، فقال: امشِ معها. فجئت فوجدتُ أمّي في البيت الأسفل، ووجدت أبي يصلّي في العُلُوّ، فقلت لها: أي أمَه، ما الذي سمعتِ؟ فإذا هي لم ينزل بها من حيث نزل منّي، فقالت: أيْ بُنَيّة وما عليك، فما من امرأةٍ لها ضرائرُ تكون جميلةً يحبّها زوجُها إلاّ وهي يقال لها بعضُ ذلك. فقلت: وقد سمعه أبي؟ فقالت: نعم، فقلت: وسمعه رسولُ الله ﷺ؟ فقالت: ورسولُ الله ﷺ. فبكيت، فسمع أبي البكاءَ، فقال: ما شأنُها؟ فقالت: سمعت الذي تُحُدِّثَ به. ففاضت عيناهُ يبكي، فقال: أيْ بُنَيّة، ارجعي إلى بيتك، فرجعتُ وأصبح أبواي عندي، حتى إذا صُلِّيْتِ العصر دخل رسولُ الله ﷺ وأنا بين أبوَيَّ، أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي، فحمدَ الله وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أما بعد يا عائشة إنْ كنتِ ظلمتِ أو أخطاتِ أو أسأتِ فتوبي وراجعي أمرَ الله واستغفري، فوعظني، وبالبابِ امرأةٌ من الأنصار قد سلّمت، فهي جالسةٌ ببابِ البيت في الحجْرة، وأنا أقول: ألا تَسْتَحيي أنْ تذكرَ هذا، والمرأةُ تسمع، حتى إذا قضى كلامَه قلتُ لأبي وغَمَزْتُه: ألا تكلّمه؟ فقال: وما أقولُ له؟ والتفتُّ إلى أمي فقلتُ: ألا تُكلِّمينه؟ فقالت: وماذا

أقولُ له؟ فحمدتُ الله وأثنيتُ عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد فَوَالله لئنْ قلتُ لكم أنْ قد فعلتُ والله يشهدُ أنّي لَبَرِيئةٌ ما فعلت لتقولُنَّ قد باءت به على نفسها واعترفتْ به، ولئِنْ قلتُ لم أفعلْ والله يعلمُ أنّي لَصَادقةٌ ما أنتم بمُصدِّقيَّ. لقد دخل هذا في أنفسكم واستفاض فيكم، وما أجدُ لي ولكم مثلاً إلاّ قولَ أبي يوسف العبد الصالح؛ وما أعرف يومئذٍ اسمَه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف].

ونزل الوحيُ ساعةَ قضيتُ كلامي، فَعَرَفْتُ والله البِشْرَ في وجهِ رسولِ الله ﷺ قبل أنْ يتكلَّمَ. فمسح جبهته وجبينه ثم قال: أبشِرِي يا عائشة، فقد أنزل الله عُذْرَكِ. وتلا القرآن. فكنت أشدّ ما كنت غضباً، فقال لي أبواي: قومي إلى رسولِ الله ﷺ. فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه ولا أحمده ولا إيّاكما ولكنّي أحمدُ اللهَ الذي بَرَّأني. لقد سمعتم فما أنكرتم ولا جادلتم ولا خاصمتم.

فقال الرجل الذي قيل له ما قيل، حين بلغه نزولُ العُذْر: سبحانَ الله، فَوَالذي نفسي بيده ما كشفتُ قطّ كنف أنثى. وكان مِسْطَح يتيماً في حِجْر أبي بكر ينفق عليه، فحلفَ لا ينفع مِسْطَحاً بنافعةٍ أبداً. فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [النور]. فقال أبو بكر: بلى والله يا ربّ، إنّي أحبّ أن تغفر لي وفاضت عيناه فبكى، رضي الله عنه.

وهذا عالٍ حَسَن الإسناد، أخرجه البخاري تعليقاً؛ فقال: وقال أبو أسامة، عن هشام بن عُرْوة. فذكره[1].

وقال اللَّيْث ـ واللفظ له ـ وابن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب: أخبرني عُرْوة، وابن المسيّب، وعلقمة بن وقّاص،

---

(١) البخاري ٦/ ١٣٤-١٣٦.

وعُبَيْدالله بن عبدالله، عن حديث عائشة، حين قال لها أهلُ الإفْك ما قالوا، فبرّأها الله؛ وكلٌّ حدّثني بطائفةٍ من الحديث، وبعضُ حديثِهم يصدِّق بعضاً، وإنْ كان بعضُهم أوعى له من بعض. قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقْرَع بين نسائه، فأيَّتُهُنَّ خرج سهمُها خرج بها معه. فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرج سهمي، فخرجتُ معه بعدما نزل الحجاب، وأنا أُحْمَل في هَوْدَجي وأُنْزَلُ فيه. فسِرْنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودَنَوْها من المدينة، آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيتُ شأني أقبلت إلى رَحْلي، فإذا عِقْدٌ لي من جَزْع ظَفار قد انقطع، فالتمستُه، وحبسني ابتغاؤُه، وأقبلَ الرَّهْط الذين كانوا يَرْحلونَ بي واحتملوا هودجي، فَرَحَلُوه على بعيري الذي كنتُ ركِبتُ. وهم يحسبون أنّي فيه. وكان النّساءُ إذْ ذاك خِفافاً لم يُثقلهنَّ اللَّحْمُ، إنّما يأكلن العُلْقَةَ[1] من الطعام، فلم يستنكروا خِفَّةَ الهَوْدَج حين رفعوه، وكنتُ جارية حديثة السِّنّ، فبعثوا الجملَ وساروا. فوجدتُ عِقْدي بعدما استمرَّ الجيش، فجئتُ منازلهم وليس بها داعٍ ولا مُجيب. فأمَمْتُ منزلي الذي كنتُ فيه، وظننت أنّهم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسةٌ غَلَبَتْني عيني فنمت. وكان صَفْوان بن المُعَطَّل السُّلَميّ ثم الذّكْواني من وراء الجيش. فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفت، فخمَّرت وجهي بجلبابي، والله ما كلّمني كلمةً ولا سمعت منه كلمةً غيرَ استرجاعه. فأناخ راحلته فوطِيء على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيشَ بعدما نزلوا مُوغِرين في نحر الظَّهيرة، فَهَلَكَ من هَلَك. وكان الذي تولّى الإفْك عبدُالله بن أُبَيّ بن

(١) أي: ما يُتَبَلَّغ به من الطعام.

سَلُول. فقدِمْنا المدينةَ، فاشتكيتُ حين قدِمتُ شهراً، والنّاس يُفِيضون في قولِ أهلِ الإفْك، ولا أشعر بشيءٍ من ذلك. وهو يَريبني في وَجَعي أنّي لا أعرف من رسول الله ﷺ اللُّطْف الذي كنت أرى منه حين أشتكي. إنّما يدخل عليَّ فيُسَلِّم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف. فذلك الذي يَريبني ولا أشعر بالشّرّ، حتى خرجت يوماً بعدما نَقَهْتُ. فخرجتُ مع أمّ مِسْطَح قِبَل المَنَاصِع؛ وهو مُتَبرَّزُنا؛ وكنّا لا نخرج إلاّ ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتّخذ الكُنُفَ قريباً من بيوتنا، وأمْرُنا أمرُ العرب الأُوَل في التبرُّزِ قِبَل الغائط، وكنّا نتأذّى بالكُنُف نتَّخِذُها عند بيوتنا. فانطلقتُ أنا وأمُّ مِسْطَح وهي ابنة أبي رُهْم بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قِبَل بيتي، قد فَرَغْنا من شأننا، فعَثَرَت أمّ مِسْطَح في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مِسْطَح. فقلتُ لها: بئس ما قلتِ، أتسُبّين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أيْ هَنْتَاهْ[1] ، أوَ لم تسمعي ما قال؟ قلتُ: وماذا؟ فأخبرتني بقولِ أهلِ الإفْك. فازددْتُ مَرَضاً على مرضي. فلما رجعتُ إلى بيتي ودخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فسلّم ثم قال: كيف تِيْكُم؟ فقلت: أتأذن لي أنْ آتي أبَوَيَّ؟ وأنا أريدُ أنْ أستيقنَ الخبرَ من قِبَلِهما، فأذِن لي، فجئت أبَوَيَّ فقلت لأمّي: يا أمَّتَاه ما يتحدّث النّاس؟ قالت: يا بُنَيّة هوِّني عليكِ، فَوَالله لَقَلَّما كانت امرأة قطّ وضيئةً عند رجلٍ يحبّها لها ضَرائر، إلاّ كَثَّرْن عليها. فقلت: سبحانَ الله، ولقد تحدّث النّاس بهذا؟ فبكيت الليلة حتى لا يرقأ لي دمْعٌ ولا أكْتَحِل بنَوْم. ثم أصبحتُ أبكي.

فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأُسامة بنَ زيد ـ حين اسْتَلْبَثَ الوحيُ ـ يستأمرُهُما في فراقِ أهله. فأمّا أسامةُ فأشار على رسولِ

---

(١) كلمة تقال بمعنى: يا هذه.

الله ﷺ بالذي يعلمُ من براءةِ أهله، وبالذي يعلمُ لهم في نفسه من الوُدِّ، فقال أُسامة: يا رسولَ الله أهْلك وَلا نعلمُ إلاّ خيراً. وأمّا عليٌّ فقال: يا رسول الله لم يُضَيِّقِ اللهُ عليك، والنّساءُ سِواها كثيرٌ، واسألِ الجاريةَ تَصْدُقْك، قالت: فدعا رسولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ فقال: أي بَرِيرةُ هل رأيت من شيءٍ يَريبُكِ؟ قالت: لا والذي بَعَثَكَ بالحقِّ إنْ رأيتُ عليها أمراً أغْمِصُهُ[1] عليها أكثر من أنّها جارية حديثة السّنّ تنام عن عجين أهلِها فتأتي الدّاجنُ فتأكُلُه. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبدالله بن أُبَيّ بن سَلُول، فقال وهو على المنبر: يا معشرَ المسلمين مَنْ يَعْذُرني من رجلٍ قد بلغنا أذاه في أهل بيتي، فَوَالله ما علمتُ في أهلي إلاّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علِمْتُ عليه إلاّ خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي. فقام سعد بن مُعاذ، فقال: يا رسولَ الله أنا أعذرك منه، إنْ كان من الأوسِ ضربتُ عنقه، وإنْ كان من إخواننا الخَزْرج أمرتَنا ففعلنا أمرَك. فقام سعد بن عُبَادة وهو سيّد الخزرج ـ وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ـ ولكن احتملته الحَمِيَّةُ، فقال: كذَبْتَ لَعَمْرُ الله لا تقتُلُه ولا تَقدِرُ على قتله. فقام أُسَيْد بن حُضَيْر، وهو ابنُ عمِّ سعدِ بن مُعاذ، فقال: كذبتَ لَعَمْرُ الله لنقتُلَنَّه، فإنّك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين، فتثاور الحيّان: الأوس والخَزْرَج، حتى هَمُّوا أنْ يقتتلوا، ورسولُ الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل يُخَفِّضُهُم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيتُ يومي ذلك وليلتي لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكْتَحِلُ بنوم. فأصبح أبواي عندي، وقد بكيتُ ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمعٌ، حتى يظنان أنّ البكاء فالِقٌ كَبِدي. فبينما هما جالسانِ عندي وأنا أبكي، استأذنت عليَّ امرأةٌ من الأنصار فجلستْ تبكي معي. فبينا نحنُ على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلّم ثم جلس، ولم يجلس عندي

(١) أي: أعيبُه.

منذ قيل لي ما قيلَ وقد لبِث شهراً لا يُوحَى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهّد حين جلس ثم قال: أمّا بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنكِ كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئةً فسيبرّئُكِ الله، وإنْ كنتِ أَلْمَمْتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه فإنَّ العبدَ إذا اعترف بذنبه ثم تابَ تابَ اللهُ عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالَتَه، قَلَصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً. فقلتُ لأبي: أَجِبْ رسولَ الله فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمّي: أجيبي رسولَ الله. قالت: ماأدري ما أقولُ له. فقلتُ وأنا يومئذٍ حديثة السّنّ لا أقرأُ كثيراً من القرآن: إنّي والله لقد علمتُ لقد سمعتُ هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفسكم وصدَّقتم به، فلئن قلتُ لكم إنّي بريئةٌ، والله يعلمُ أنّي بريئة، لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمرٍ والله يعلم أنّي بريئة لتصدّقُنّي، والله ما أجدُ لكم مثلاً إلاّ قولَ أبي يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف] ثم تحوَّلْتُ فاضطّجعتُ على فراشي، وَأنا أعلم أنّي بريئة وأنّ الله يبرّئني ببراءتي. ولكنْ والله ما كنت أظنُّ أنّ الله مُنزلٌ في شأني وحْياً يُتْلَى، ولَشَأني كان في نفسي أحقر من أنْ يتكلَّمَ الله فيَّ بأمرٍ يُتْلَى، ولكنْ كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النّوم رؤيا يبرِّئُني اللهُ بها. قالت: فَوَالله ما قام رسولُ الله ﷺ ولا خرج أحدٌ من أهلِ البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنّه لَيَتَحَدَّر منه مثلُ الجُمان من العَرَق، وهو في يومٍ شاتٍ من ثِقَلِ القولِ الذي ينزل عليه. فلما سُرِّيَ عنه وهو يضحكُ كان أول كلمةٍ تكلّم بها: يا عائشة أمَا واللهِ لقد بَرَّأكِ اللهُ. فقالت أمّي: قومي إليه. فقلت: والله لأ أقومُ إليه، ولا أحمدُ إلا الله. وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴿١١﴾﴾ [النور] العَشْر الآيات كلّها.

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر، وكان ينفق على مِسْطَح

لقرابته وفَقْره: والله لا أنفق على مِسْطَح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة. فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور] قال أبو بكر: بلى والله إنّي لأُحِبُّ أنْ يغفرَ اللهُ لي. فَرَجَعَ إلى مِسْطَح النَّفقةَ التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينبَ بنتَ جحشٍ عن أمري، فقالت: أحْمي سمعي وبَصَري ما علمتُ إلاّ خيراً، وهي التي كانت تُساميني[(١)] من أزواج النّبيِّ ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفِقَتْ أختُها حَمْنَةُ تحارب لها فَهَلَكَتْ فيمن هَلَكَ من أصحاب الإفْك. مُتَّفقٌ عليه من حديث يونس الأيْلي[(٢)].

وقال أبو مَعْشَر: حدّثني أفلح بن عبدالله بن المغيرة، عن الزُّهْري، قال: كنت عند الوليد بن عبدالملك فذكر الحديث بطوله عن الأربعة عن عائشة، فقال الوليد: وما ذاك؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ غزا غزوة بني المُصْطَلِق فَسَاهَمَ بين نسائه، فخرج سهمي وسهمُ أمّ سَلَمَة.

وقال عبدالرّزّاق: أخبرنا مَعْمَر، عن الزُّهْري، قال: كنتُ عند الوليد بن عبدالملك فقال: الذي تولّى كِبْرَه منهم عليٌّ. فقلتُ: لا. حدّثني سعيد، وعُرْوَة، وعَلْقمة، وعُبَيْدُالله كلّهم سمع عائشة تقول: الذي تولّى كِبْرَه عبدالله بن أُبَيّ. فقال لي: فما كان جُرْمُه؟ قلت: سبحان الله، [أخبرني رجلان][(٣)] من قومك: أبو سَلَمَةَ بنُ عبدالرحمن، وأبو

---

(١) أي: تضاهيني.

(٢) البخاري ٣/ ٢١٩ و٢٢٧ و٤/ ٤٠ و٥/ ١١٠ و١٤٨ و٦/ ٩٥ و٩٦ و١٢٧ و١٧٢ و٨/ ١١٦٨ و١٧٢ و٩/ ١٣٩ و١٧٦ و١٩٣، ومسلم ٨/ ١١٢و١١٨، وانظر المسند الجامع حديث (١٧٢٥٦).

(٣) ما بين المعقوفتين إضافة من البخاري.

بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أنّهما سمعا عائشة تقول: كان مسيئاً[1] في أمري. أخرجهالبخاري[2].

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[3]: حدّثني عبدالله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، قالت: لما تلا رسول الله ﷺ القصَّةَ التي نزل بها عُذْرِي على النّاس، نزل فأمر برجُلَين وامراةٍ ممّن كان تكلّم بالفاحشة في عائشة فجُلدوا الحدّ. قال: وكان رماها ابنُ أُبَيّ، ومِسْطَح، وحسّان، وحَمْنَة بنت جحش.

وقال شُعبة، عن سليمان، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، قال: دخل حسّان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فشبَّب بأبيات له:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ ... وتُصبحُ غَرْثَى من لحُومِ الغوافِلِ

قالت: لستَ كَذَاك. قلت: تَدَعِين مثلَ هذا يدخل عليكِ وقد أنزل الله عَزَّ وجلَّ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور]، قالت: وأيُّ عذابٍ اشدُّ من العَمَى؟ وقالت: كان يردّ عن النّبيّ ﷺ. مُتَّفقٌ عليه[4].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[5]: حدّثني محمد بن إبراهيم التَّيْمي، قال: وكان صَفْوان بن المُعَطَّل قد كثَّر عليه حسّان في شأن عائشة، وقال يعرِّض به:

أمْسَى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كثُروا ... وابنُ الفُرَيْعةِ أمسى بيضة البلدِ

فاعترضه صَفْوان ليلةً وهو آتٍ من عند أخوالِه بني ساعدة، فضربه

(١) كتب على هامش النسخة: «خ: مسلماً» أي في نسخة أخرى.
(٢) البخاري ٥/ ١٥٤.
(٣) ابن هشام ٢/ ٣٠٢.
(٤) البخاري ٥/ ١٥٥، ومسلم ٧/ ١٦٣و١٦٤.
(٥) ابن هشام ٢/ ٣٠٤.

بالسيفِ على رأسه، فيعدو عليه ثابتُ بنُ قيس، فجمع يديه إلى عنقه بحَبْلٍ أسود وقاده إلى دارِ بني حارثة، فلقِيَه عبدُالله بنُ رَوَاحة، فقال: ما هذا؟ فقال: ما اعجَبَكَ! عدا على حسّان بالسَّيْف، فوالله ما أراه إلاّ قد قتله. فقال: هل علم رسولُ الله ﷺ بما صنعتَ به؟ فقال: لا. فقال: والله لقد اجترأت، خَلِّ سبيلَه فسنغدو على رسول الله ﷺ فنعلمه أمره فخلِّ سبيله. فلمّا أصبحوا غَدَوْا على النّبيِّ ﷺ فذكروا له ذلك فقال: أين ابن المُعَطَّل؟ فقام إليه، فقال: ها أنذا يا رسولَ الله، فقال: ما دعاكَ إلى ما صنعتَ؟ قال: آذاني وكثَّر عليَّ ولم يرض حتى عَرَّضَ بي في الهجاء، فاحتملني الغضبُ، وها أنذا، فما كان عليَّ من حقٍّ فخُذْني به. فقال رسولُ الله ﷺ: ادعوا لي حسّان، فأُتي به؛ فقال: يا حسّان: أتشوَّهت[1] على قومي أنْ هداهم اللهُ للإسلام، يقول: تنفّستَ عليهم يا حسّان، أحسِن فيما أصابك. فقال: هي لكَ يا رسولَ الله. فأعطاه رسولُ الله ﷺ سِيرين القِبْطِيَّة. فولدت له عبدالرحمن، وأعطاه أرضاً كانت لأبي طَلْحة[2] تصدّق بها على رسول الله ﷺ[3].

وحدّثني يعقوب بن عُتبةَ، أنّ صَفْوان بن المُعَطَّل قال حين ضرب حسان:

تَلَقَّ ذُبابَ السّيفِ عنك فإنني غلامٌ إذا هُوجِيتُ لَستُ بشاعر

وقال حسّان لعائشة رضي الله عنها[4]:

---

(١) أي: استكبرت أو استعظمت.

(٢) كتب على هامش نسخة البشتكي بخطه ـ فكأنه نقلها عن المؤلف ـ: «أبو طلحة جعل أرضه على مصالح المسلمين وفَوَّض أمرها إلى رسول الله، وإلا فالصدقة محرمة عليه».

(٣) ابن هشام ٢/ ٣٠٤-٣٠٥.

(٤) ابن هشام ٢/ ٣٠٦.

رأيتُـكِ ولْيَغْفِـرْ لـكِ الله، حُـرَّةً ... من المُحْصَناتِ غيرِ ذاتِ غَوَائِلِ
حَصَـانٌ رَزَانٌ مـا تُـزَنُّ بـرِيبـةٍ ... وتُصْبحُ غَرْثَى من لُحُوم الغَوافِلِ
وإنّ الذي قد قِيل ليس بلائقٍ ... بك الدّهرَ بل قِيلُ امرىء مُتَماحِلِ
فإنْ كنتُ أهْجُوكم كما بلَّغُوكم ... فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ أناملي
فكيف ووُدّي ما حَيِيتُ ونُصْرَتي ... لآلِ رسـولِ الله زَيـنِ المَحـافِـلِ
وإنّ لهم عزّاً يُرَى النّاسُ دونَه ... قِصاراً، وطال العزّ كلّ التَّطاوُلِ

منها:

عقيلةُ حَيٍّ من لُؤَيّ بنِ غالبِ ... كِرَام المساعي مَجْدُهُم غير زائِلِ
مهـذَّبَـةٌ قـد طيَّـبَ الله خِيمَهـا ... وطَهَّرها من كلّ سوءٍ وباطِلِ

استُشهد صَفْوان في وقعة أرْمِينية سنة تسع عشرة. قاله ابن إسحاق.

وعن عائشة قالت: لقد سألوا عن ابن المُعَطَّل فوجدوه حَصُوراً ما يأتي النِّساء. ثم قُتِل بعد ذلك شهيداً.

غزوَةُ الخَنْدَق

قال الواقديّ(١) : وَهي غزوة الأحزاب، وكانت في ذي القِعْدَة.

قالوا: لمّا أجلى رسولُ الله ﷺ بني النَّضير ساروا إلى خَيْبَر، وخرج نفرٌ من وجوههم إلى مكة فألَّبُوا قُرَيْشاً ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وعاهدوهم على قتاله، وواعدوهم لذلك وقْتاً. ثم أتوا غَطفانَ وسُلَيْما فدعوهم إلى ذلك، فوافقوهم.

وتجهَّزَتْ قُرَيْش وجمعوا عبيدهم وأتباعهم، فكانوا في أربعة آلاف، وقادوا معهم نحو ثلاث مئة فَرَسٍ من سوى الإبل. وخرجوا وعليهم أبو

---

(١) المغازي ٢/ ٤٤٠.

سُفيان بن حرب، فوافتهم بنو سُلَيْم بمَرّ الظَّهْران، وهم سبع مئة. وتلقَّتْهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خُوَيْلد الأسَدي، وخرجت فَزَارة وهم في ألف بعيرٍ يقودهم عُيَيْنَة بن حصْن، وخرجتْ أشْجَعُ وهم أربع مئة يقودهم مسعود بن زُحيلة[1]. وخرجت بنو مُرَّة وهم أربع مئة يقودهم الحارث بن عَوْف. وقيل: إنّه رجع ببني مُرّة، والأوّل أثبت، فكان جميع الأحزاب عشرة آلاف، وأمْرُ الكّل إلى أبي سُفيان. وكان المسلمون في ثلاثة آلاف. هذا كلام الواقدي[2].

وأمّا ابن إسحاق فقال: كانت غزوة الخندق في شوّال[3].

قال: وكان من حديثها أنّ سَلاّم بن أبي الحُقَيْق، وحُيَيَّ بنَ أخْطَب، وكِنَانة بنَ الرَّبيع، وهَوْذَة، في نفرٍ من بني النّضير ونفر من بني وائل، وهم الذين حزَّبوا الأحزابَ على رسول الله ﷺ قدِموا مكّةَ فدعوا قريشاً إلى القتال، وقالوا: إنّا نكون معكم حتى نستأصل محمداً. فقالت قريش: يا معشر يهود، إنّكم أهلُ كتابٍ وعِلْمٍ بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد. أفَدِينُنا خيرٌ أم دينُه؟ قالوا: بل دينكم خيرٌ من دينه وأنتم أولى بالحقّ وفيهم نزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء] الآيات. فلما قالوا ذلك لقريش سَرَّهم ونشطوا إلى الحرب واتَّعدوا لهم. ثم خرج أولئك النّفر اليهود حتى جاؤوا غَطفان، فدعوهم فوافقوهم.

فخرجت قريش، وخرجت غَطفان وقائدهم عُيَيْنَة في بني فَزَارة،

---

(١) جَوّد البشتكي ضبطها عن المؤلف، فأثبت نقطة الزاي ووضع حاءً مهملة تحت الحاء المهملة علامة لإهمالها.

(٢) المغازي ٢/ ٤٤٠-٤٤٤.

(٣) ابن هشام ٢/ ٢١٤.

والحارث بن عَوْف المُرِّي في قومه، ومسعود بن رُخَيلة[1] فيمن تابعه من قومه أشْجَع. فلما سمع بهم النّبيّ ﷺ حفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده، وأبطأ عن المسلمين في عمله رجالٌ منافقون، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه[2]. وكان في حَفْرِه أحاديث بلغتني، منها: بلغني أنّ جابراً كان يحدّث أنّهم اشتدّت عليهم كُدْية فشكوها إلى رسولِ الله ﷺ، فدعا بإناءٍ من ماءٍ فتَفَلَ فيه، ثم دعا بما شاء الله، ثم نضح الماءَ على الكُدْية حتى عادت كثيباً[3].

وحدّثني سعيد بن ميناء، عن جابر بن عبدالله، قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شُوَيْهة، فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ، فأمرتُ امرأتي فطحنتْ لنا شيئاً من شعير، فصنعتْ لنا منه خُبزاً، وذبحتُ تلك الشاة فشَوَيْناها، فلما أمسينا وأراد رسولُ الله ﷺ الانصراف، وكنّا نعمل في الخندق نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا، فقلت: يا رسولَ الله إنّي قد صنعتُ كذا وكذا، وأحبُّ أنْ تنصرفَ معي، وإنّما أريد أن ينصرف معي وحده. فلما قلت له ذلك، قال: نعم. ثم أمر صارخاً فصرخ أنِ انصرفوا مع رسولِ الله ﷺ إلى بيتِ جابر. فقلتُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فأقبل وأقبل النّاسُ معه، فجلس وأخرجناها إليه، فَبَرَّكَ وسمَّى، ثم أكل، وتواردها النّاسُ، كلّما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناسٌ، حتى صدر أهلُ الخندق عنها[4].

وحدّثني سعيد بن ميناء أنّه حُدِّث أنّ ابنةً لبشير بن سعد قالت: دَعَتْني أمّي عَمْرَةُ بنتُ رَوَاحة فأعطتني حفنةً من تمر في ثوبي، ثم قالت:

---

(١) كُتب على هامش نسخة البشتكي: «في السيرة مسعر بن رخيلة».
(٢) ابن هشام ٢/ ٢١٦.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢١٧.
(٤) ابن هشام ٢/ ٢١٨.

أي بُنَيَّة اذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بغدائهما. فانطلقتُ بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال: ما هذا معك؟ قلت: تمر بَعَثَتْ به أمي إلى أبي وخالي، قال: هاتيه. فَصَبَبْتُهُ في كَفَّيْ رسولِ الله ﷺ فملأتهما[1]، ثم أمر بثوبٍ فبُسِط، ثم دحا بالتمر عليه فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسانٍ عنده: اصرخ في أهل الخندق أنْ هَلُمُّوا إلى الغداء. فاجتمعوا فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد، حتى صَدَرَ أهلُ الخندق عنه وإنه لَيَسْقُط من أطراف الثوب[2].

وحدّثني مَنْ لا أتَّهِمُ، عن أبي هُريرة، أنّه كان يقول حين فُتِحَت هذه الأمصار في زمان عمر وعثمان وما بعده: افتحوا ما بدا لكم، والذي نفسي بيده، أو نفس أبي هُريرة بيده، ما افتتحتم من مدينةٍ ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك[3].

قال: وحُدِّثتُ عن سَلْمان الفارسيّ، قال: ضربت في ناحيةٍ من الخندق فغلُظَتْ عليّ، ورسولُ الله ﷺ قريبٌ منّي، فلما رآني أضرب نزل وأخذ المِعْوَلَ فضرب به ضربةً فلمعتْ تحت المِعْوَلِ بَرْقَةٌ، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته أخرى، ثم ضرب الثالثة فلمعت أخرى. قلت: بأبي أنتَ وأمّي يا رسول الله ما هذا؟ قال: أوَ قد رأيتَ؟ قلت: نعم. قال: أمّا الأولى، فإنّ الله فتح عليَّ بها اليمن، وأمّا الثانية، فإنّ الله فتح عليّ بها الشامَ والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله فتح عليَّ بها المشرق[4].

---

(١) هكذا في النسخ، وفي سيرة ابن هشام: فما ملأتهما.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢١٨.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢١٩.
(٤) ابن هشام ٢/ ٢١٩.

قال ابن إسحاق[١] : ولما فرغ النبيّ ﷺ من الخندق أقبلت قُرَيش حتى نزلت بمجتمع السُّيول من دومة[٢] بين الجُرُف وزُغَابَة[٣] في عشرة آلاف من أحابيشهم ومَن تبِعهم من بني كِنانة وأهل تِهامة وغَطفان، فنزلت غطفان ومَن تبعَهم من أهل نجد بذَنَب تَعْمر[٤] إلى جانب أُحُد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف، فعسكروا هنالك، والخندق بينه وبين القوم. فذهب حُيَيُّ بنُ أخطب إلى كعب بن أسد القُرظي صاحب عقد بني قُرَيْظة وعهدهم، وقد كان وادَعَ رسولَ الله ﷺ على قومه، فلما سمع كعبُ بحُيَيّ أغلق دونه الحصْنَ فأبى أن يفتح له، فناداه: يا كعب افتحْ لي. قال: إنّك امرؤٌ مشؤوم، وإنّي قد عاهدت محمداً فلست بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أر منه إلاّ وفاءً وصِدْقاً. قال: ويَحْك افتحْ لي أكلّمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إنْ أغلقتَ دوني إلاّ عن جَشِيشَتِكَ[٥] أنْ آكُلَ معكَ منها. فأحْفَظَه، ففتحَ له فقال: ويحكَ يا كعب، جئتك بعزِّ الدّهر وببحرٍ طامٍ، جئتك بقريش على قادتها وسَادتها حتى أنزلتُهم بمجتمع الأسيال من دُومة، وبغطَفان على قادتها وسَادَتها فأنزلتهم بذَنَب تعمر إلى جانب أُحُد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومَن معه. قال له كعب: جئتني والله بذُلّ الدَّهْرِ

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢١٩.

(٢) في نسخة البشتكي: «دومة» وكتب على الهامش «بخطه رومة».

(٣) كتب على هامش الأصل: «زغابة بالزاي والغين المعجمتين مضموم، موضع قرب المدينة، وصححه بخطه فكتب رعايّة وهو خطأ».

(٤) كتب على هامش الأصل: «كتب المصنف بخطه نعمى في أصله، وكتب بإزائه نقمى وصحح عليه». ونَقَمى من أعراض المدينة (انظر معجم البلدان ١/ ٢٩٩).

(٥) طعام من حنطة تُطبخ مع لحم أو تمر.

وبجَهَام[١] قد هَراق ماءَهُ برعدٍ وبَرْقٍ ليس فيه شيء، يا حُيَيُّ فَدَعْنِي وما أنا عليه فإنّي لم أر من محمدٍ إلا صدْقاً ووفاءً. فلم يزل حُيَيّ بكعبٍ حتى سمح له بأنْ أعطاه عهداً لئن رجعتْ قُريش وغَطفان ولم يصيبوا محمداً أنْ أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب عهده وبَرِىء ممّا كان بينه وبين النّبيِّ ﷺ[٢].

ولما انتهى الخبر إلى النّبيّ ﷺ بعث سعدَ بن مُعاذ، وسعدَ بنَ عُبادَة، سَيِّدا الأنصار، ومعهما عبدالله بن رَوَاحة وخَوّات بن جُبَيْر، فقال: انطلِقُوا حتى تنظروا أَحَقٌّ ما بَلَغَنا عن هؤلاء؟ فإنْ كان حقاً فالْحَنُوا لي لحناً أعرفه، ولا تَفُتُّوا في أعضاد النّاس، وإنْ كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للنّاس. فخرجوا حتى أتَوْهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم، فشاتمهم سعد بن مُعاذ وشاتموه، وكان فيه حِدّةٌ، فقال له ابن عُبَادة: دع عنك مُشَاتَمَتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المُشاتمة. ثم رجعوا إلى النّبيّ ﷺ فسلّموا عليه، وقالوا: عَضل والقارة، أي كَغَدْر عضل والقارة بأصحاب الرّجيع خُبَيْب وأصحابه. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر! أبْشروا يا معشر المسلمين. فعظُم عند ذلك الخوف[٣].

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب] الآيات.

وتكلّم المنافقون حتى قال مُعَتّب بن قُشَيْر أحدُ بني عَمْرو بن عَوْف: كان محمد يعِدُنا أن نأكل كنوزَ كِسْرى وقَيْصر وأحَدُنا اليومَ لا يأمن على

(١) الجهام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٢٠-٢٢١.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٢١-٢٢٢.

نفسه أن يذهب إلى الغائط. فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بِضْعاً وعشرين ليلةً لم يكن بينهم حرب إلاّ الرَّمْيُ بالنَّبل والحصار[١].

ثم إنّ النّبيّ ﷺ بعث إلى عُيَيْنَة بن حِصْن وإلى الحارث بن عَوْف، فأعطاهما ثُلُثَ ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما، فجرى بينه وبينهما صلحٌ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصّلح، إلاّ المراوضة في ذلك.

فلما أراد رسولُ الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى السَّعْدين فاستشارهما، فقالا: يارسول الله أمراً تحبّه فنصنعه، أم شيئاً أمركَ اللهُ به لا بُدَّ لنا منه، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلاّ لأنّي رأيت العربَ قد رمتكم عن قَوْس واحدة، فأردتُ أنْ أكسرَ عنكم من شوكتهم. فقال سعد بن مُعاذ: يا رسول الله، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشّرك ولا يطمعون أن يأكلوا منّا تمرةً إلاّ قِرَىً أو بيعاً، أفَحِين أكْرَمنا اللهُ بالإسلام وأعَزَّنَا بك نُعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نُعطيهم إلاّ السَّيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال: فأنتَ وذاك. فأخذ سعد الصحيفة فمحاها، ثم قال: ليجهدوا علينا[٢].

وأقام رسولُ الله ﷺ والأحزاب، فلم يكن بينهم قتالٌ إلاّ فوارس من قُريش، منهم عَمْرو بن عبد وُدّ، وعِكْرِمة بن أبي جهل، وهُبَيْرَة بن أبي وهب، وضِرار بن الخطّاب، تلَّبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم، حتى مرُّوا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيَّؤوا للقتال يا بني كِنانة فستعلمون مَن الفُرسان اليوم، ثم أقبلوا تُعْنِقُ بهم خَيْلُهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إنّ هذه لمكِيدةٌ ما كانت العربُ تكِيدها، قال: فتيمَّموا مكاناً من الخندق ضَيِّقاً فضربوا خَيْلَهم، فاقتحمت منه بهم في

(١) ابن هشام ٢/ ٢٢٢.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٢٣.

السَّبخَة بين الخندق وسَلْع.

وخرج عليٌّ رضي الله عنه في نفرٍ من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثُّغرة، فأقبلت الفرسان تُعْنِق نحوهم، وكان عَمْرو بن عبد وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَماً ليُرى مكانه، فلما وقف هو وخيلُه، قال: مَنْ يبارزني؟ فبرز له عليّ رضي الله عنه، فقال: يا عَمْرو إنّك كنتَ عاهدتَ الله لا يدعوكَ رجلٌ من قريشٍ إلى إحدى خَلّتَين إلاّ أخذتهما منه. قال: له أجل. قال: فإنّي أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإنّي أدعوك إلى النّزال. قال له: لِمَ يا ابنَ أخي، فَوالله ما أحبّ أن أقتلك. قال عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهه: لكنّي والله أحبّ أن أقتلك. فحَمِي عَمْرو واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على عليٍّ فتنازلا وتجاولا، فقتله عليّ رضي الله عنه. وخرجتْ خيلُهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق. وألقى عِكْرِمة يومئذٍ رُمْحَه وانهزم. وقال عليّ رضي الله عنه في ذلك:

نصَرَ الحجارةَ من سفاهةِ رأيِه ونَصَرتُ دينَ محمّدٍ بضرابِ
نــازلتُــهُ فتــركتُــهُ مُتَجــدّلاً كالجذْع بين دَكَادِكٍ وروابي
لا تَحْسِبُــنَّ الله خــاذلَ دينِــه ونبيــهِ يــا معشــرَ الأحــزاب

وحدثني أبو ليلى عبدُالله بنُ سَهْل، أنّ عائشة رضي الله عنها كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكانت أمّ سعد بن مُعاذ معها في الحصن، فمرّ سعد وعليه دِرْعٌ مُقَلَّصَة قد خرجت منها ذراعهُ كلّها، وفي يده حربة يرفل بها ويقول:

لَبِّثْ قليلاً يَشْهَدِ الهَيْجا حَمَلْ لا بأسَ بالموتِ إذا حانَ الأجَلْ[1]

---

(١) كتب على هامش الأصل: «يعني: حَمَل بن بدر».

فقالت له أُمّهُ: الحق أي بُنَيَّ فقد أُخِّرتَ. قالت عائشة: فقلت لها يا أمّ سعد لَوَدِدْتُ أنّ دِرْع سعدٍ كانت أسْبغ مما هي. فَرُمي سعد بسهمٍ قطع منه الأكحلَ، ورماه ابنُ العَرِقة فلما أصابه، قال: خذها مني وأنا ابنُ العَرِقة. فقال له سعد: عَرَّقَ اللهُ وجهكَ في النّار، اللّهُمَّ إنْ كنتَ أبقيت من حرب قريشٍ شيئاً فأبقِني لها فإنّه لا قومٌ أحبّ إليّ من أنْ أُجاهدهم فيك من قومٍ آذوا رسولَك وكذَّبُوه وأخرجوه، اللَّهُمَّ إنْ كنتَ وضعتَ الحربَ بينهم وبيننا فاجعله لي شهادةً ولا تُمِتْني حتى تُقِرَّ عيني من بني قُرَيْظة.

وكانت صفّية بنتُ عبدالمطّلب في فارع ـ حصن حسّان بن ثابت ـ وكان معها فيه مع النّساء والولْدان، قالت: فمرَّ بنا يهوديٌّ فجعل يُطيفُ بالحصْن، وقد حاربت بنو قُرَيظة ونقضت وليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا، والنّبيُّ ﷺ والمسلمون في نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا. فقالت: يا حسّان إنّ هذا اليهوديّ كما تَرى يُطيفُ بالحصن، وإنّي والله ما آمَنُه أن يَدُلَّ على عورتنا مَنْ وَراءنا من يهود، وقد شُغِل عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فانزِلْ إليه فاقْتُلْه. قال: فغفر اللهُ لكِ يا ابنةَ عبد المطّلبِ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحبِ هذا. فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً، احتجزتُ[1] ثم اخذتُ عموداً ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فرغتُ رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسّان إنزل إليه فاسلبه، فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجل. قال: ما لي بسَلَبه من حاجة[2].

---

(١) أي: شَددتُ وسطي.

(٢) ابن هشام ٢/٢٢٨. وقال السهيلي: «ويُحمل هذا الحديث عند الناس على أنَّ حساناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، وقال: لو صَحَّ هذا لهُجِيَ به حسان، فإنه كان يُهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردون عليه فما =

وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابُه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدّة لتظاهر عدوّهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم.

وروى نحوه يونس بن بُكَيْر، عن هشام بن عُرْوَة، عن أبيه.

ثم إنَّ نُعَيْم بن مسعود الغَطفاني أتى رسولَ الله ﷺ فأسلم، وقال: إنّ قومي لم يعلموا بإسلامي فَمُرْنِي بما شئتَ يا رسول الله. قال: إنّما أنتَ فينا رجلٌ واحد فَخَذِّلْ عنّا ما استطعتَ فإنَّ الحربَ خُدْعة.

فأتى قُرَيْظَة ـ وكان نديماً لهم في الجاهلية ـ فقال لهم: قد عرفتم وُدّي إيّاكم. قالوا: صدقتَ. قال: إنّ قُريشاً وغَطفان ليسوا كأنتم، البلدُ بلدكُم وبه أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدروا أنْ تتحوّلوا عنه إلى غيره، وإنّ قُريشاً وغَطفان جاؤوا لحرب محمدٍ وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغَيْره، فليسوا كأنتم، فإنْ رأوا نُهْزَةً[1] أصابوها، وإنْ كان غير ذلك لحِقُوا ببلادهم وخَلَّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إنْ خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تناجزوه. فقالوا: لقد أشَرْتَ بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قُريشاً فقال لأبي سُفيان ومَن معه: قد عرفتم وُدّي لكم وفراقي محمداً، وإنّه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليَّ حقاً أن أُبلِّغكموه نُصْحاً لكم فاكتموه عليّ. قالوا: نفعل. قال: تَعَلَّموا أنّ معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أنّا قد ندِمْنا على ما فعلنا، فهل يرضيكَ أنْ نأخذ لك من القبيلتين، قُريش وغَطفان، رجالاً من أشرافهم، فنعطيكَهُم فتضربَ أعناقَهم، ثم نكون

= عَيَّره أحد منهم بجبنٍ، ولا وسمه به، فدلَّ هذا على ضعف حديث ابن إسحاق...».

(١) كتب على هامش الأصل: «أي: فُرْصةً».

معك على مَنْ بقيَ منهم حتى نَسْتأصلَهُم. فأرسل إليهم: نعم. فإنْ بعثتْ إليكم يهود يلتمسون رُهُناً منكم من رجالكم فلا تفعلوا.

ثم خرج فأتى غَطفان، فقال: يا معشر غَطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحبّ النّاس إليَّ، ولا أراكم تتّهموني. قالوا: صدقتَ، ما أنت عندنا بمُتَّهم. قال: فاكتموا عنّي. قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذّرهم ما حذّرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوّال، وكان من صُنْع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سُفيان ورؤوس غَطفان، إلى بني قُرَيظة، عِكْرِمة بنَ أبي جهل في نفرٍ من قُريش وغَطفان، فقالوا: إنّا لسنا بدارِ مقام، قد هلك الخُفُّ والحافر، فاغْدُوا للقتالِ حتى نناجزَ محمداً. فأرسلوا إليهم الجوابَ أنّ اليومَ يومُ السبت وهو يومٌ لا نعملُ فيه شيئاً، وقد كان بعضُنا أحدث فيه حَدَثاً فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتلُ معكم محمداً حتىتعطونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثِقَةً لنا حتى نُناجز محمداً، فإنّا نخشى إنْ ضرَّستكم الحربُ أنْ تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك.

فلما رجعت إليهم الرُسلُ بما قالت بنو قُرَيْظة، قالت قريش وغَطفان: والله لقد حدّثكم نُعَيْم بن مسعود بحقّ. فأرسلوا إلى بني قُرَيظة: إنّا والله ما ندفع إليكم رجلاً من رجالنا، فإنْ كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قُرَيْظة حين انتهت إليهم الرُسلُ بهذا: إنّ الذي ذكر لكم نُعَيْم لَحَقٌّ، ما يريد القوم إلاّ أن يقاتلوا، فإنْ رأوا فرصةً انتهزوها، وإنْ كان غير ذلك انشَمَرُوا إلى بلادهم. فأرسلوا إلى قريش وغَطفان: إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تعطُونا رُهُناً. فأبَوا عليهم. وخَذَّلَ الله بينهم.

فلما أُنهيَ ذلك إلى رسول الله ﷺ، دعا حُذَيْفة بنَ اليَمان فبعثه ليلاً لينظر ما فعل القوم[1] .

قال: فحدّثني يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحُذَيْفَة: يا أبا عبدالله، رأيتم رسولَ الله ﷺ وصحِبْتُموه؟ قال: نعم يا ابن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد. فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولَحَمَلناه على أعناقنا. فقال: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلّى هَوِيّاً[2] من الليل، ثم التفت إلينا فقال: مَنْ رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ يشرُطُ له رسول الله ﷺ الرَّجْعة ـ أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنّة. فما قام أحدٌ من شدّة الخوف وشدّة الجوع والبرد. فلما لم يقم أحدٌ دعاني فلم يكن لي من القيام بُدٌّ حين دعاني، فقال: يا حُذَيْفَة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى تأتينا. فذهبتُ فدخلتُ في القومِ، والرّيح وجنودُ الله تَفعلُ بهم ما تفعل، لا يقرُّ لهم قرار ولا نارٌ ولا بناء. فقام أبو سُفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤٌ مَنْ جليسه. قال حذيفة رضي الله عنه: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلتُ: مَنْ أنتَ، فقال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنّكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكُراع والخُفّ، وأخلفتنا بنو قُريظة وَبَلَغَنَا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون، ما تطمئنّ لنا قِدْر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناءٌ، فارتحلوا فإنّي مُرْتحل. ثم قام إلى جَمَله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاثٍ، فَوَالله ما أطلق عقاله إلاّ وهو قائم. ولولا

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٢٩-٢٣١.

(٢) أي: قطعة من الليل.

عهدُ رسول الله ﷺ أنْ لا تُحدِث شيئاً حتى تأتيني، ثم شئتُ لقتلتُه بسهم.

قال: فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو قائم يُصلّي في مرْطٍ لبعض نسائه مُرَاحَلٍ ـ وهو ضَرْبٌ من وَشْيِ اليمن فَسَّرَهُ ابنُ هشام ـ فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح عليَّ طَرَفَ المِرْط، ثم ركع وسجد وإنّي لَفِيه، فلما سلّم أخبرتُه الخبر.

وسَمِعَتْ غَطفان بما فعلت قُريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم[1].

قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

وهذا كلُّه من رواية البكّائيّ عن محمد بن إسحاق.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، أنّ رجلاً قال لحُذَيْفَة: صَحِبْتُم رسولَ الله ﷺ وأدركتموه، فذكر الحديث نحو حديث محمد بن كعب، وفي آخره: فجعلت أُخبرُ رسولَ الله ﷺ عن أبي سُفيان، فجعل يضحك حتى جعلتُ أنظر إلى أنيابه.

وقال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب، أنّ رسول الله ﷺ قاتلَ يوم بدرٍ في رمضان سنة اثنين، ثم قاتل يوم أُحُد في شوّال سنة ثلاثٍ، ثم قاتل يوم الخندق، وهو يوم الأحزاب وبني قُرَيْظة، في شوّال سنة أربع. وكذا قال عُرْوة في حديث ابن لَهِيعة عن أبي الأسود عنه. كذا قالا: سنة أربع، وقالا: في قصّة الخندق إنّها كانت بعد أُحُد بسنتين.

وقال قَتَادَة من رواية شَيْبان عنه: كان يومُ الأحزاب بعد أُحُد بسنتين، فهذا هو المقطوع به. وقول موسى وعُرْوة إنّها في سنة أربعٍ وَهْمٌ بيِّن، ويُشْبِهُهُ قول عُبَيْدالله، عن نافع، عن ابن عمر: «عرضني

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٣١-٢٣٣.

رسول الله ﷺ يوم أُحُد، وأنا ابنُ أربع عشرة، فلم يُجِزْني. فلما كان يوم الخندق عُرِضتُ عليه وأنا ابن خمس عشرة فأجازني»، فيُحْمَل قولُه على أنّه كان قد شرع في أربع عشرة سنة، وأنه يوم الخندق كان قد استكمل خمس عشرة سنة، وزاد عليها فلم يَعُدَّ تلك الزيادة. والعرب تفعل هذا في عددها وتواريخها وأعمارها كثيراً، فتارةً يعتدّون بالكسر ويعدُّونه سنة، وتارة يُسقِطونه. وذهب بعضُ العلماء إلى ظاهر هذا الحديث وعضدوه بقول موسى بن عُقْبة وعروة أنَّ الأحزاب في شوّال سنة أربع، وذلك مخالفٌ لقول الجماعة، ولِمَا اعترف به موسى وعُرْوة من أنّ بين أُحُد والخندق سنتين، والله أعلم.

وقال أبو إسحاق الفَزَارِيُّ، عن حُمَيْد، عن أنس، قال: خرج رسول الله ﷺ في غَداةٍ باردةٍ إلى الخندق، والمهاجرون والأنصار يحفرون الخندق بأيديهم، ولم يكن لهم عبيد: فلما رأى ما بهم من الجوع والنَّصَب قال:

اللَّهُمَّ إنّ العيش عيشُ الآخره ... فاغفِرْ للأنصار والمهاجِرَه

فقالوا مجيبين له:

نحن الّذين بايعوا محمَّداً ... على الجهاد ما بقينا أبدا

أخرجه البخاري[1]. ولمسلم نحوه من حديث حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت[2].

وقال عبدالوارث: حدثنا عبدالعزيز بن صُهَيْب، عن أنس نحوه، وزاد، قال: ويُؤتون بمثل[3] حفنتين شعيراً يُصْنَعُ لهم بإهالةٍ سَنِخَةٍ وهي

(١) البخاري ٤/ ٣٠ و ٥/ ٤٢ و ١٣٧ و ٩/ ٩٦.
(٢) مسلم ٥/ ١٨٩.
(٣) هكذا في النسخ، وفي صحيح البخاري: بملءِ.

بَشِعَةٌ في الحَلْقِ، ولها ريحٌ منكرة فتوضع بين يَدَي القوم. أخرجه البخاري[1].

وقال شُعبة وغيره: حدثنا أبو إسحاق، سمع البراء يقول: كان رسول الله ﷺ ينقل معنا الترابَ يوم الأحزابِ، وقد وارى التُرابُ بياضَ إبطه وهو يقول:

اللَّهُمَّ لولا أنتَ ما اهْتدَيْنا ... ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا

فأنْزِلَنْ سَكينةً علينا ... وثَبِّتِ الأقدامَ إنْ لاَقَيْنا

إنَّ الأُلَى قد بَغَوْا علينا ... وإنْ أرادوا فتنةً أبَيْنَا

رفع بها صوته. أخرجه البخاري[2].

وعنده أيضاً من وجه آخر: ويمدُّ بها صوته.

وقال عبدالواحد بن أيمن المخزومي، عن أبيه، سمع جابراً يقول: كنّا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كَدَّانة ـ وهي الجبل ـ فقلنا: يا رسول الله: إنّ كدانةً قد عَرَضَتْ فقال: رُشُّوا عليها. ثم قام فأتاها وبطنُهُ معصوبُ بحجرٍ من الجوع، فأخذ المِعْوَل أو المِسْحاةَ فسمَّى ثلاثاً ثم ضرب، فعادت كثيباً أهْيَلَ، فقلت له: ائذنْ لي يا رسول الله إلى المنزل، ففعل، فقلت للمرأة: هل عندكِ من شيء؟ وذكر نحو ما تقدم وما سُقناه من مغازي ابن إسحاق. أخرجه البخاري[3].

وقال هَوْذة بن خليفة[4]: حدثنا عَوْف الأعرابيّ، عن ميمون بن

---

(١) البخاري ٥/ ١٣٨.

(٢) البخاري ٤/ ٣١ و٧٨ و٥/ ١٣٩ و١٤٠ و٨/ ١٥٨ و٩/ ١٠٤. وهو عند مسلم ٥/ ١٨٧ و١٨٨، وأحمد ٤/ ٢٨٥ و٢٩١ و٣٠٠ و٣٠٢،والدارمي (٢٤٥٩)، وغيرهم.

(٣) البخاري ٥/ ١٣٨.

(٤) أحمد ٤/ ٣٠٣.

أَستاذ الزَّهْراني، قال: حدّثني البراء بن عازب، قال: لما كان حين أمَرَنا رسولُ الله ﷺ بحفر الخندق، عرض لنا في بعض الخندق صخرةٌ عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول، فَشَكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها أخذ المِعْوَل وقال: بسم الله، وضرب ضربةً فكسر ثلثها. فقال: الله أكبر أُعْطِيتُ مفاتيح الشّام، والله إنّي لأُبْصِرُ قصورها الحُمْر إنْ شاء الله. ثم ضرب الثانية وقطع ثُلُثاً آخر فقال: الله أكبر أُعْطيتُ مفاتيحَ فارس، والله إنّي لأُبصِر قصرَ المدائن الأبيض. ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله، فقطع بقيّة الحجر فقال: الله أكبر أُعطيت مفاتيحَ اليمن، والله إنّي لأُبْصر أبوابَ صنعاء من مكاني السّاعة.

وقال الثَّوري: حدثنا ابن المُنْكَدِر، سمعت جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: مَنْ يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزُّبَير: أنا. فقال: مَنْ يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزُّبير: أنا. فقال: «إنّ لكلّ نبيٍّ حَوَارِيّاً وحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ». أخرجه البخاري[1] .

وقال الحسن بن الحسن بن عطيّة العَوْفي: حدّثني أبي، عن أبيه[2] ، عن ابن عبّاس:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب] قال: كان ذلك يوم أبي سفيان؛ يوم الأحزاب.

﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، قال: هم بنو حارثة، قالوا: بيوتنا مخلّية نَخْشى عليها السَّرق.

قوله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب] الآية، قال: لأنّ

---

(١) البخاري ٥/ ١٤١-١٤٢.
(٢) عطية وابنه ضعيفان.

الله قال لهم في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]، فلمّا مَسَّهم البلاء حيث رابطوا الأحزابَ في الخندق، تأوَّل المؤمنون ذلك، ولم يزِدْهم إلاّ إيماناً وتسليماً.

وقال حمّاد بن سَلَمَة: أخبرنا حَجَّاج، عن الحَكَم، عن مِقْسَم، عن ابن عبّاس: أنّ رجلاً من المشركين قُتِل يوم الأحزاب، فبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ أن ابعثْ إلينا بجسده ونُعطيهم اثنيْ عَشَرَ ألفاً، فقال: لا خير في جسده ولا في ثمنه.

وقال الأصمعيّ: حدثنا عبدالرحمن بن أبي الزّناد، قَال: ضرب الزُّبَيْر بن العوّام يومَ الخندق عثمانَ بنَ عبدالله بن المغيرة بالسيف على مِغْفَرِه فَقَدَّه إلى القَرَبُوس[1]، فقَالوا: ما أجودَ سيفكَ، فغضبَ، يريد أنّ العملَ ليدِهِ لا لسيفه.

قال شُعبة، عن الحَكَم، عن يحيى بن الجزّار، عن عليّ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يوم الأحزاب قاعداً على فُرْضة من فُرَض الخندق، فقال ﷺ: شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غربت الشمس، ملأ الله قبورَهم وبيوتَهم ناراً، أو بطونَهم. أخرجه مسلم[2].

وقال يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمَة، عن جابر، أنّ عمر يوم الخندق بعدما غربت الشمس جعل يسبُّ كفَّارَ قُريش، وقال: يا رسول الله ما كِدْتُ أنْ أصلّي حتى كادت الشمس أن تغرُب. فقال رسول الله ﷺ: وأنا والله ما صلَّيْتُها بعدُ. فنزلتُ مع رسول الله، أحسَبُهُ قال إلى بُطْحان[3]، فتوضّأ للصّلاة وتوضّأنا، فصلّى العصرَ بعدما غربت

(١) مُقَدَّمُ السَّرْج أو مؤخره.
(٢) مسلم ٢/ ١١١و١١٢.
(٣) وادٍ بالمدينة.

الشمس، ثم صلّى المغرب. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم التَّيْمي، عن أبيه، قال: كنّا عند حُذَيْفة بن اليمان، فقال رجل: لو أدركتُ رسولَ الله ﷺ لقَاتلتُ معه وأبْلَيت. فقال: أنتَ كنت تفعلُ ذاك؟ لقد رأيتنا مع رسولِ الله ﷺ ليلةَ الأحزاب في ليلةٍ ذاتِ ريحٍ شديدةٍ وقَرٍّ، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتي بخبر القوم يكون معي يوم القيامة؟ فلم يُجْبه منّا أحدٌ، ثم الثانية، ثم الثالثة مثله. ثم قال: يا حُذَيْفة قم فأْتنا بخبر القوم. فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أنْ أقوم. فقال ائتني بخبر القوم ولا تَذْعَرْهم عليَّ. قال: فمضيت كأنّما أمشي في حمَّام حتى أتيتهم، فإذا أبو سُفيان يَصْلي ظهرَه بالنّار. فوضعت سهمي في كبِد قوسي وأردتُ أن أرميه، ثم ذكرت قولَ رسول الله ﷺ: لا تَذْعَرْهُم عليّ، ولو رميته لأصبتُه. قَال: فرجعتُ كانّما أمشي في حَمَّام فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، ثم أصابني البرد حين فرغت وقُرِرْتُ، فأخبرتُ رسولَ الله ﷺ، فألبسني من فضل عباءةٍ كانت عليه يصلّي فيها، فلم أزل نائماً حتى الصُّبح، فلما أنْ أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قم يا نَوْمَان». أخرجه مسلم[2].

وقال أبو نُعَيْم: حدثنا يوسف بن عبدالله بن أبي بُرْدَة، عن موسى بن أبي المختار، عن بلال العَبْسيّ، عن حُذَيْفَة: أنّ النّاس تفرّقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، فلم يبق معه إلاّ اثنا عشر رجلاً، فأتاني رسولُ الله ﷺ وأنا جاثٍ من البرد، فقال: انطلق إلى عسكر الأحزاب. فقلت: والذي بعثك بالحقِّ ما قمتُ إليك من البرد إلاّ حياءً منك. قال: فانطلق يا ابنَ اليَمان فلا بأسَ عليك من حَرٍّ ولا بردٍ حتى ترجع إليَّ. فانطلقتُ إلى عسكرهم، فوجدت أبا سُفيان يُوقِدُ النَّار في عُصْبةٍ حولَه، قد تفرَّق

---

(١) البخاري ١/ ١٥٤ و ١٥٥ و ١٦٤ و ٢/ ١٨ و ٥/ ١٤١، ومسلم ٢/ ١١٣.
(٢) مسلم ٥/ ١٧٧.

الأحزاب عنه، حتى إذا جلستُ فيهم، حَسَّ أبو سُفيان أنّه دخلَ فيهم مِنْ غيرهم، فقال: يأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيد جليسِه. قال: فضربتُ بيدي على الذي عن يميني فأخذت بيده، ثم ضربت بيدي إلى الذي عن يساري فأخذتُ بيده. فكنتُ فيهم هُنيةً. ثم قمتُ فأتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو قائم يصلّي، فأومأ إليَّ بيده أن: ادْنُ، فَدَنَوْتُ. ثم أومأ إليَّ فدنوتُ. حتى أسبلَ عليَّ من الثَّوْبِ الذي عليه وهو يصلِّي. فلما فرغ قال: ما الخبر؟ قلت: تفرّق النّاسُ عن أبي سُفيان، فلم يبقَ إلاّ في عُصْبةٍ يوقد النّار، قد صبّ الله عليه من البرد مثلَ الذي صبَّ علينا، ولكنّا نرجوا من الله ما لا يرجو.

وقال عِكْرمة بن عمّار، عن محمد بن عُبَيْد الحنفي، عن عبدالعزيز ابن أخي حُذَيْفة، قال: ذكر حُذَيْفَة مشاهدَهم، فقال جلساؤه: أما والله لو كنّا شهدنا ذلك لفعلنا وفعلنا. فقال حُذَيْفة: لا تَمَنَّوْا ذلك، فلقد رأيتُنا ليلةَ الأحزاب. وساق الحديث مطوَّلاً.

وقال إسماعيل بن أبي خالد: حدثنا ابن أبي أوفى، قال: دعا رسولُ الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللَّهُمَّ مُنزِلَ الكتابِ سريعَ الحساب اهزِمِ الأحزابَ، اللَّهُمَّ اهزمهم وزلزلهم». مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال اللَّيْث: حدّثني المَقْبُرِيّ، عن أبيه، عن أبي هريرة أنّ رسولَ الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلاّ الله وحده، أَعَزَّ جُنْدَه، ونصر عبده، وغلبَ الأحزابَ وحده فلا شيء بعده». مُتَّفقٌ عليه[2].

وقال إسرائيل وغيره، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صُرَد، قال: قال رسولُ الله ﷺ حين أجلى عنه الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا

---

(١) البخاري ٤/ ٥٣ و ٥/ ١٤٢ و ٨/ ١٠٤ و ٩/ ١٧٤، ومسلم ٥/ ١٤٣ و ١٤٤.

(٢) البخاري ٥/ ١٤٢، ومسلم ٨/ ٨٣.

يغزونا؛ نسيرُ إليهم». أخرجه البخاري[1] .

وقال خارجة بن مُصْعَب، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس: ﴿ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ ﴿٧﴾ ﴾ [الممتحنة]، قال: تزويج النّبيّ ﷺ أمّ حبيبة بنت أبي سُفيان، فصارت أمّ المؤمنين، وصار معاوية خال المؤمنين. كذا روى الكلبيّ وهو متروك.

وذهب العلماء في أُمّهات المؤمنين أنّ هذا حكم مختصٌّ بهنّ ولا يتعدّى التحريمُ إلى بناتهنَّ ولا إلى إخوتهنَّ ولا أخَواتهنّ.

واستُشْهد يوم الأحزاب:

عبدالله بن سهل بن رافع الأشهلي، تَفَرَّدَ ابنُ هشام[2] بأنّه شهد بدراً.

وأنَس بن أوْس بن عتيك الأشهلي، والطُّفَيْل بن النُّعمان بن خنساء، وثعلبة بن عَنَمة؛ كلاهما من بني جُشَم بن الخزرج.

وكعب بن زيد أحد بني النَّجّار، أصابه سهمٌ غَرْبٌ، وقد شهد هؤلاء الثلاثة بدراً.

ذكر ابن إسحاق[3] أنّ هؤلاء الخمسة قُتِلوا يوم الأحزاب.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوة، قال: قُتِل من المشركين يوم الخندق: نوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي؛ أقبل على فَرَسٍ له لِيُوثِبَهُ الخندقَ، فوقعَ في الخندق فقتله اللهُ، وكَبُر ذلك على المشركين وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنّا نعطيكم الدِّية على أنْ تدفعوه إلينا فندفنه. فَردَّ إليهم رسولُ الله ﷺ: إنّه خبيثُ الدِّيةِ لعنه الله

---

(١) البخاري ٥/ ١٤١.

(٢) السيرة النبوة ٢/ ٢٥٢.

(٣) ابن هشام ٢/ ٢٥٢.

ولعن دِيَتَه ولا نمنعكم أنْ تدفنوه، ولا أرَب لنَا في دِيَتِهِ.

غزوَة بَنيْ قُرَيْظَة

وكانوا قد ظاهروا قريشاً وأعانوهم على حرب رسول الله ﷺ. وفيهم نزلت ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحزاب] الآيتين.

قال هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السّلاح واغتسل أتاه جبريل وقال: وضعتَ السّلاح؟ والله ما وضعناه، اخرج إليهم. قال: فأين؟ قال: هاهنا. وأشار إلى بني قُرَيْظة. فخرج النّبيُّ ﷺ. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال حُمَيْد بن هلال، عن أنس: كأنّي أنظر إلى الغُبار ساطعاً من سكّة بني غَنْم، موكِبَ جبريل حين سار إلى بني قُرَيْظة. البخاري[2].

وقال جُوَيْرِية، عن نافع، عن ابن عمر، قال: نادى فينا رسولُ الله ﷺ يوم انصرف من الأحزاب أن لا يُصَلّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلاّ في بني قُرَيْظة. فتخوّف ناس فَوْت الوقت فصلَّوا دون قُرَيْظة. وقال آخرون: لا نصلّي إلا حيث أمرَنَا رسولُ الله ﷺ وإنْ فاتنا الوقت. فما عنَّف واحداً من الفريقين. مُتَّفقٌ عليه[3].

وعند مسلم في بعض طُرُقه: الظُّهر بدلَ العصر. وكأنّه وَهْم.

وقال بِشْر بن شُعَيْب، عن أبيه، قال: حدثنا الزُّهْري، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك، أنّ عمّه عُبَيْدالله بن كعب

---

(١) البخاري ٥/ ١٤٢، ومسلم ٥/ ١٦٠.

(٢) البخاري ٥/ ١٤٢-١٤٣.

(٣) البخاري ٢/ ١٩و٥/ ١٤٣، ومسلم ٥/ ١٦٢.

أخبره أنّ رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستجمر، فتبدَّى له جبريل عليه السلام، فقال: عَذيرَكَ من محاربٍ، ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعدُ. فوثب رسول الله ﷺ فزِعاً فعزم على النّاس أنْ لا يصلُّوا العصرَ حتى يأتوا بني قُرَيْظة. فلبسوا السلاح، فلم يأتوا بني قُرَيْظة حتى غربت الشمس، فاختصم النّاس عند غروبها، فقال بعضهم: إنّ رسول الله ﷺ عزم علينا أنْ لا نصلّي حتى نأتي بني قُرَيْظة، وإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ، فليس علينا إثم. وصلّى طائفة من النّاس احتساباً، وتركت طائفة حتى غربت الشمس فصلَّوا حين جاؤوا بني قُرَيْظة. فلم يُعَنِّفْ رسولُ الله ﷺ واحداً من الفريقين[1].

وروى نحوَه عبدُالله بنُ عمر، عن أخيه عُبَيْدالله، عن القاسم، عن عائشة، وفيه أنّ رجلاًسلّم علينا ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فَزِعاً، فقمت في إثره، فإذا بدحية الكلبي، فقال رسول الله ﷺ: هذا جبريلُ يأمرني أنْ أذهبَ إلى بني قُرَيْظة، وقال: وضعتم السلاح، لكنّا لم نضعِ السلاح، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراءَ الأسَد. وفيه: فمرّ رسول الله ﷺ بمجالس بينه وبين بني قُرَيْظة، فقال: هل مَرَّ بكم من أحدٍ؟ قالوا: مرّ علينا دِحْية الكلْبيّ على بغلةٍ شَهباء تحته قطيفة ديباج. قال: ليس ذاك بدِحْية الكلبي ولكنّه جبريل أُرسِل إلى بني قُرَيْظة ليُزَلْزلهم ويقذف في قلوبهم الرُّعب. فحاصرهم النّبيّ ﷺ، وأمر أصحابه أن يستروه بالحَجَفِ حتى يسمعَهم كلامَهُ. فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير، فقالوا: يا أبا القاسم لم تك فحَّاشاً. فحاصرهم حتىنزلوا على حُكم سعد بن مُعَاذ، وكانوا حلفاءه، فحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبَى ذراريهم ونساؤهم.

---

(١) وانظر المغازي للواقدي ٢/ ٤٩٧، وابن هشام ٢/ ٢٣٣-٢٣٤.

وقال محمد بن عَمْرو، عن أبيه، عن جدّه علقمة، عن عائشة، قالت: جاء جبريل وعلى ثناياه النَّقْع، فقال: أوَضَعْتَ السّلاح؟ واللهِ ما وَضَعَتْهُ الملائكةُ، اخْرُجْ إلى بني قُرَيْظة. فلبس رسول الله ﷺ لأمَتَه، وأَذّن بالرحيل، ثم مرّ على بني عمرو[1] فقال: مَنْ مرّ بكم؟ قالوا: دِحْية. وكان دِحْية يشبه لحيتُه ووجهُه جبريل. فأتاهم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حُكْم سعد، وذكر الحديث بطوله في مُسْنَد أحمد[2].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[3]: قَدَّمَ رسولُ الله علياً معه رايته وابتَدَرَ النّاسُ.

وقال موسى بن عُقْبة[4]: وخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل، فمرّ على مجلس بني غَنْم وهم ينتظرون رسول الله ﷺ، فسألهم: مَرَّ عليكم فارس آنفاً؟ فقالوا: مرّ علينا دِحْية على فرس أبيض تحته نمطٌ أو قطيفةٌ من ديباج عليه اللأمة. قال: ذاك جبريل. وكان رسول الله ﷺ يُشَبِّه دِحية بجبريل. قال: ولما رأى عليّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقّاه. وقال: ارجع يارسولَ الله، فإنَّ الله كافيكَ اليهودَ. وكان عليٌّ سمع منهم قولاً سَيِّئاً لرسول الله ﷺ وأزواجِه. فكره عليٌّ أنْ يسمع ذلك، فقال: لِمَ تأمرني بالرجوع؟ فكتمَهُ ما سمعَ منهم. فقال: أظنّك سمعت لي منهم أذىً؟ فامضِ فإنَّ أعداءَ الله لو قد رأوني لم يقولوا شيئاً ممّا سمعت.

فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم، وكانوا في أعلاه، نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافها حتى أسمعهم فقال: أجيبونا يا معشر يهود يا

---

(١) هكذا في النسخ وفي مسند أحمد: غَنْم.
(٢) أحمد ٦/ ١٤١-١٤٢.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٣٤.
(٤) نص موسى نقله البيهقي في الدلائل ٤/ ١٢-١٤.

إخوة القِرَدَة، لقد نزل بكم خِزْي الله. فحاصرهم ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة، وردّ الله حُيَيَّ بنَ أخطب حتى دخل حصنَهُم، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، واشتدّ عليهم الحصار، فصرخوا بأبي لُبابة بن عبدالمنذر وكانوا حلفاء الأنصار. فقال: لا آتيهم حتى يأذنَ لي رسولُ الله ﷺ. فقال: قد أذِنْتُ لك. فأتاهم، فبكوا إليه وقالوا: يا أبا لُبابة، ماذا ترى، فأشار بيده إلى حَلْقه، يُريهم أنَّ ما يُراد بكم القتل. فلما انصرف سُقِط في يده ورأى أنّه قد أصابته فتنةٌ عظيمة، فقال: والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أُحدِثَ لله توبةً نَصُوحاً يعلمها اللهُ من نفسي. فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد. فزعموا أنّه ارتبط قريباً من عشرين ليلة.

فقال رسول الله ﷺ، كما ذُكِرَ، حين راث عليه[1] أبو لُبابة: أما فَرَغَ أبو لُبابة من حلفائه؟ قالوا: يا رسول الله، قد والله انصرف من عند الحصنِ وما ندري أينَ سلكَ. فقال: قد حدث له أمرٌ. فأقبل رجلٌ فقال: يا رسول الله، رأيت أبا لُبابة ارتبط بحبلٍ إلى جِذْعٍ من جذوع المسجد. فقال رسول الله ﷺ: لقد أصابته بعدي فتنةٌ، ولو جاءني لاستغفرتُ له. فإذْ فعلَ هذا فلن أحرِّكه من مكانِه حتى يقضي اللهُ فيه ما شاء.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، فذكر نحو ما قصَّ موسى بن عقبة، وعنده: فلبس رسول الله ﷺ لأمَتَه وأذَّن بالخروج، وأمرهم أن يأخذوا السّلاح. ففزع النَّاسُ للحرب، وبعث عليّاً على المقدّمة ودفع إليه اللواء. ثم خرج رسول الله ﷺ على آثارهم. ولم يقل بضع عشرة ليلة.

---

(١) أي: أبطأ عليه.

وقال يونس بن بُكَيْر، والبكائي ـ واللَّفظ له ـ عن ابن إسحاق[1] ، قال: حاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلةً، حتى جَهَدَهُم الحصارُ، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب. وكان حُيَيُّ بنُ أخطب دخل مع بني قُرَيْظة في حِصْنهم حين رجعت عنهم قُريش وغَطفان، وفاءً لكعب ابن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا بأنّ رسول الله ﷺ غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزلَ بكم من الأمرِ ما ترون، وإنّي عارضٌ عليكم خِلالاً ثلاثاً، فخُذوا أيَّها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال: نُبايع هذا الرجل ونُصَدِّقُه، فوَاللهِ لقد تَبَيَّنَ لكم أنه لَنَبِيّ مُرْسَل، وأنّه للَّذي تَجدونه في كتابكم، فتأْمَنون على دمائكم وأموالكم. قالوا: لا نفارق حُكمَ التَّوراة أبداً ولا نستبدل به غيرَه. قال: فإذْ أبيتم عليَّ هذه، فهلُمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمدٍ وأصحابه مُصْلِتين السُّيوف لم نترك وراءنا ثَقَلاً، حتى يحكم اللهُ بيننا وبين محمد، فإنْ نَهْلِكْ نهلك ولم نترك وراءنا نَسْلاً نخشى عليه، وإنْ نظهر فَلَعَمْري لَنَتّخِذَنَّ النّساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإنْ أبيتم هذه فإنّ الليلة ليلة السبت وإنّه عسى أنْ يكون محمدٌ وأصحابه قد أَمِنُوا فيها فانزلوا لعلَّنا نُصيب من محمدٍ وأصحابه غِرَّة. قالوا: نُفسد سبْتَنَا ونُحدِث فيه ما لم يُحْدِثْ مَن كان قَبلَنا، إلا مَن قد علِمْتَ فأصابَهُ ما لم يَخْفَ عليك من المَسْخ؟ قال: ما باتَ رجلٌ منكم منذ ولدته أمُّهُ ليلةً واحدة من الدَّهر حازماً.

رواه يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق، لكنّه قال عن أبيه، عن مَعْبَد ابن كعب بن مالك، فذكره وزاد فيه: ثم بعثوا يطلبون أبا لُبابة، وذَكَرَ رَبْطَه نفسه.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٣٥.

وزعم سعيد بن المسيّب: أنَّ ارتباطه بساريةِ التَّوبة كان بعد تخلُّفه عن غزوة تَبُوك حين أعرضَ عنه رسولُ الله ﷺ وهو عليه عاتبٌ، بما فعل يوم قُرَيْظة، ثم تخلّف عن غزوة تَبُوك فيمن تخلّف. والله أعلم.

وفي رواية عليّ بن أبي طلحة، وعطيّة العَوْفي، عن ابن عبّاس في ارتباطه حين تخلّف عن تَبُوك ما يؤكِّدُ قولَ ابن المسيّب. وقيل: نزلت هذه الآية في أبي لُبابة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال].

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[1]: حدّثني يزيد بن عبدالله بن قُسَيْط، أنّ تَوْبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أمّ سَلَمَة، قالت أم سلمة: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك، فقلتُ: مِمّ تضحك؟ قال: تِيبَ على أبي لُبابة. قلتُ: أفلا أُبشِّرُه؟ قال: إنْ شئتِ. قال: فقامت على باب حُجْرَتِها، وذلك قبل أن يُضْرَب عليهنّ الحجاب، فقالت: يا أبا لُبابة، أبْشِر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار إليه النّاس ليُطْلِقُوه. فقال: لا والله حتى يكون رسولُ الله ﷺ هو الذي يُطْلِقني بيده. فلما مرّ عليه خارجاً إلى صلاة الصُّبح أطلقه.

قال عبد الملك بن هشام[2]: أقام أبو لُبابة مرتبطاً بالجذْع ستَّ ليالٍ: تأتيه امرأتُهُ في وقتِ كلِّ صلاةٍ تحلُّه للصلاةِ، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدّثني بعضُ أهل العلم. والآية التي نزلت في توبته: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة] الآية.

قال ابن إسحاق[3]: ثم إنّ ثعلبة بن سَعْيَة، وأسيد بن سعية، وأسد ابن عُبَيْد، وهم نفر من هَدْل، أسلموا تلك الليلة التي نزل فيها بنو قُرَيْظة

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٣٧.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٣٨.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٣٨.

على حُكْم رسول الله ﷺ.

شُعْبة: أخبرني سعد بن إبراهيم، قال: سمعتُ أبا أُمَامَة بن سهل يحدّثُ عن أبي سعيد قال: نزل أهل قُرَيْظة على حكُم سعد بن مُعَاذ، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ، فأتاه على حمار. فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سَيِّدكم، أو إلى خَيْرِكم فقال: إنّ هؤلاء قد نزلوا على حُكمك، فقال: تقتل مُقَاتلتهم وتُسبى ذريتهم. فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمتَ عليهم بحكم الله. وربّما قال: بحكم المَلِك. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[2] قال: قاموا إليه فقالوا: يا أبا عَمْرو، قد ولّاك رسولُ الله ﷺ أمرَ مواليكَ لتحكم فيهم. فقال سعد: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه؟ قالوا: نعم. قال: وعلى مَنْ ها هنا من النّاحية التي فيها النّبيّ ﷺ ومَن معه، وهو مُعرضٌ عن رسولِ الله ﷺ إجلالاً له؛ فقال رسول الله ﷺ: نعم. فقال سعد: أحكمُ أنْ تُقتلَ الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذّراري.

شُعْبة وغيره: عن عبدالملك بن عُمَيْر، عن عطيّة القرظِيّ، قال: كنت في سَبْي قُرَيْظة، فأمر رسول الله ﷺ بمن أنبت[3] أنْ يُقْتَل، فكنتُ فيمن لم يُنْبِت.

موسى بن عُقْبة: قال رسول الله ﷺ حين سألوه أن يُحَكِّم فيهم رجلاً: اختاروا مَنْ شئتم من أصحابي؟ فاختارو سعدَ بن مُعاذ، فرضيَ بذلك رسولُ الله ﷺ، فنزلوا على حُكْمه. فأمر عليه السلام بسلاحهم فجُعِل في قُبّته، وأمر بهم فكُتِّفوا وأُوثقوا وجُعِلوا في دارِ أُسامة. وبعث

---

(١) البخاري ٤/ ٨١ و ٥/ ٤٤ و ١٤٣ و ٨/ ٧٢، ومسلم ٥/ ١٦٠.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٣٩-٢٤٠.
(٣) أي: بَلَغ الحلم.

رسول الله ﷺ إلى سعدٍ، فأقبل على حمارٍ أعرابيّ يزعمون أنّ وطاءَهُ بَرْذَعةٌ من ليف، واتّبعه رجلٌ من بني عبدالأشهل، فجعل يمشي معه ويعظّم حقَّ بني قُرَيْظة ويذكر حِلْفَهم والذي أبْلوه يومَ بُعاث، ويقول: اختاروك على مَنْ سواك رجاءَ رحمتِكَ وتحنُّنكَ عليهم، فاسْتَبْقِهم فإنَّهم لك جمالٌ وعُدَد. فأكثرَ ذلك الرجلُ، وسعدُ لا يَرْجع إليه شيئاً، حتى دَنَوا، فقال الرجل: ألا تَرجعُ إليَّ فيما أُكلِّمُكَ فيه؟ فقال سعد: قد آنَ لي أنْ لا تأخذني في اللهِ لومةُ لائم. ففارقه الرجلُ، فأتى قومَهُ فقالوا: ما وراءكَ؟ فأخبرهم أنّه غير مُسْتَبْقيهم، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قتل مُقاتلتهُم، وكانوا فيما زعموا ست مئة مُقاتل قُتِلوا عند دار أبي جَهْم بالبلاط، فزعموا أنَّ دماءهم بلغتْ أحجار الزَّيت التي كانت بالسّوق، وسبى نساءهم وذراريهم، وقسم أموالهم بين مَنْ حضر من المسلمين. وكانت خيلُ المسلمين ستة وثلاثين فرساً. وأُخْرِجَ حُيَيُّ بنُ أخطب فقال له رسولُ الله ﷺ: هل أخزاكَ الله؟ قال له: لقد ظهرتَ عليَّ وما ألومُ إلاّ نفسي في جهادكَ والشّدّة عليك. فأمر به فضُرِبَتْ عُنُقُه. كلُّ ذلك بعين سعد.

وكان عَمْرو بن سُعْدى اليهودي في الأسرى، فلما قدَّموه ليقتلوه فقدوه فقيل: أين عَمْرو؟ قالوا: واللهِ ما نراهُ، وإنّ هذه لَرُمَّتُه[1] التي كان فيها، فما ندري كيف انفلتَ؟ فقال رسول الله ﷺ: أفلتَنا بما علمَ الله في نفسه. وأقبل ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله ﷺ فقال: هب لي الزَّبير؛ يعني ابن باطا وامرأته. فوهبهما له، فرجع ثابت إلى الزَّبير، فقال: يا أبا عبدالرحمن هل تعرفني ـ وكان الزبير يومئذٍ أعمى كبيراً ـ قال: هل ينكر الرجلُ أخاه؟ قال ثابت: أردتُ أن أجزيك اليوم بيدك، قال: افعل، فإنَّ الكريمَ يَجْزي الكريمَ، فأطلقه. فقال: ليس لي

(١) أي: قطعة الحبل التي كان مربوطاً فيها.

قائد، وقد أخذتم امرأتي وبَنيَّ، فرجع ثابت إلى رسولِ الله ﷺ فسأله ذرّيَة الزَّبير وامرأته، فوهبهم له، فرجع إليه فقال: قد ردَّ إليكَ رسولُ الله ﷺ امرأتكَ وبنيك. قال الزَّبير: فحائطٌ لي فيه أعذق ليس لي ولأهلي عيشٌ إلاّ به. فوهبه له رسولُ الله ﷺ. فقال له ثابت: أسلم، قال: ما فعلَ المجلسان؟ فذكر رجالاً من قومه بأسمائهم. فقال ثابت: قد قُتِلوا وفُرِغَ منهم، ولعلّ الله أنْ يَهديك. فقال الزَّبير: أسألك بالله وبيدي عندك إلاّ ما ألحقتني بهم، فما في العيشِ خيرٌ بعدهم. فذكر ذلك ثابت لرسول الله ﷺ، فأمر بالزَّبير فقُتِل.

قال الله تعالى في بني قُرَيْظة في سياق أمر الأحزاب: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ يعني: الذين ظاهروا قُريشاً: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الأحزاب].

وقال عُرْوَة في قوله: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب]. هي خَيْبَر.

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[1]: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبدالرحمن بن عَمْرو بن سعد بن مُعَاذ، عن علقمة بن وقّاص اللّيْثي، قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوقِ سبعة أرقعة[2].

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[3]: فحبسهم رسولُ الله ﷺ في دار بنت الحارث النَّجّارية، وخرج إلى سوق المدينة، فخندق بها خنادقَ، ثم بعثَ إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق. وفيهم حُيَيّ بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم. وهم ست مئة أو سبع مئة،

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٤٠.
(٢) هي السماوات.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٤٠-٢٤١.

والمُكَثِّرُ يقول: كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة. وقد قالوا لكعب وهو يذهب بهم إلى رسولِ الله ﷺ أرسالاً: يا كعبُ ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كلِّ موطنٍ لا تعقلون. أما ترون الدَّاعي لا ينزع، وأنّه مَنْ ذهبَ منكم لا يرجع؟ هو والله القتْل. وأُتِيَ بحُيَيّ بن أخطب وعليه حلّة فُقَّاحية[1] قد شقّها من كل ناحية قدر أُنمُلَة لئلاّ يُسْلَبها، مجموعةً يَدَاهُ إلى عُنُقه بحبل، فلما نظر إلى رسولِ الله ﷺ قال: أَمَا والله ما لُمْتُ نفسي في عداوتك، ولكنّه من يَخْذل الله يُخْذَل. ثم أقبل على النّاس فقال: أيّها النّاس إنّه لا بأس بأمرِ الله. كتابٌ وقَدَرٌ ومَلْحمة كُتبت على بني إسرائيل. ثم جلس فضُربت عُنُقُه.

وقال ابن إسحاق[2]، عن محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر، عن عمّه عُرْوة، عن عائشة، قالت: لم يُقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة، قالت: إنّها والله لعندي تَحَدَّثُ معي وتَضحكُ ظهراً وبَطْناً، ورسولُ الله ﷺ يقتل رجالَهم بالسُّوق إذ هتف هاتفٌ: يابنتَ فُلانة. قالت: أنا والله. قلتُ: ويْلكِ، ما لكِ؟ قالت: أُقتَل. قلتُ: ولِمَ؟ قالت: حَدَثٌ أحدثته. فانْطُلِقَ بها فضُربت عُنُقها.

قال عِكْرِمة وغيره: صياصيهم: حصونهم.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[3]: ثم بعث النّبيُّ ﷺ سعدَ بنَ زيد، أخا بني عبدالأشهل بسبايا بني قُرَيْظة إلى نَجْدٍ، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً. وكان ﷺ قد اصطفى لنفسه رَيْحانة بنت عَمْرو بن خُنَافة، وكانت عنده حتى تُوُفّي وهي في مِلْكه، وعرض عليها أن يتزوَّجها، ويضرب عليها الحجابَ، فقالت: يا رسولَ الله بل تتركني في مالك فهو

---

(١) أي: تضرب إلى الحمرة، أي على لون الورد حين هَمَّ يتفتح.

(٢) ابن هشام ٢/ ٢٤٢.

(٣) ابن هشام ٢/ ٢٤٥.

أخفُّ عليكَ وعليَّ. فتركها. وقد كانت أوّلاً توقّفتْ عن الإسلام ثم أسلمت، فَسُرَّ النّبيُّ ﷺ بذلك، والله أعلم.

وفي ذي الحجة:

وفاة سعد بن مُعَاذ من سنة خمس

هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: أُصيب سعد يوم الخندق، رماه رجلٌ من قُرَيش يقال له حِبّان بن العَرِقَة، رماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمةً في المسجد ليعوده من قريبٍ. فلما رجع من الخندق؛ وذكر الحديث، وفيه قالت عائشة: ثم إنّ كَلْمَهُ تحجَّر للبُرْء فقال: اللَّهُمَّ إنّك تعلم انّه ليس أحدٌ أحبَّ إليّ أن أُجاهد فيك من قومٍ كذَّبوا رسولَك وأخرجوه، اللَّهُمَّ فإنّي أظنُّ أنّك وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم، فإنْ كان بقي من حرب قريش شيء فَأَبْقِني لهم حتّى أُجاهدهم فيك، وإنْ كنتَ وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم فافجرْها واجعل موتي فيها. قال: فانفجر من لَبَّتِه، فلم يَرُعْهُم - ومعهم في المسجد أهل خيمةٍ من بني غفار - إلاّ والدَّم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قِبَلكم؟ فإذا سعدٌ جُرْحُهُ يَغْذُو فمات منها. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال اللَّيث: حدّثني أبو الزُّبَيْر، عن جابر، قال: رُمي سعدٌ يوم الأحزاب فقطعوا أكْحَلَه، فحسمه رسولُ الله ﷺ بالنّار، فانتفخت يده، فتركه، فنزفه الدَّمُ فحسمه أخرى. فانتفخت يده، فلما رأى ذلك قال: اللَّهُمَّ لا تُخْرِجْ نفسي حتى تُقِرّ عيني من بني قُرَيْظة. فاستمسك عِرْقُه فما

---

(١) البخاري ٥/ ١٤٤، ومسلم ٥/ ١٦٠.

قطرت منه قطرة، حتى نزلوا على حُكم سعد، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ، فحكم أن تُقتلَ رجالُهم وتُسْبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربع مئة. فلما فرغ من قتلهم، انفتق عِرْقُه فمات. حديث صحيح[1] .[2]

وقال ابن راهويْه: حدثنا عَمْرو بن محمد القُرَشي، قال: حدثنا عبدالله بن إدريس، عن عُبَيْدالله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ هذا الذي تحرّك له العرشُ ـ يعني سعد بن مُعاذ ـ وشيَّع جنازَته سبعون ألف مَلَك، لقد ضُمَّ ضَمَّةً ثم فُرِّجَ عنه[3] .

وقال سليمان التَّيْمي، عن الحسن: اهتزّ عرشُ الرحمن فرحاً بروحه[4] .[5]

وقال يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن مُعاذ بن رفاعة، عن جابر، قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: مَنْ هذا العبد الصالح الذي مات؛ فُتحت له أبوابُ السماء وتحرّك له العرش؟ قال: فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بنُ مُعَاذ، فجلس رسولُ الله ﷺ على قبره وهو يُدْفَن، فبينما هو جالس قال: سبحان الله ـ مرّتين ـ فسبّح القوم. ثم قال: الله أكبر الله أكبر، فكبَّرَ القومُ. فقال: عجِبْتُ لهذا العبد الصالح شُدِّدَ عليه في قبره حتى كان هذا حين فُرِّج له[6] .

روى بعضَه محمدُ بنُ إسحاق، عن مُعاذ بن رِفاعة، قال: أخبرني

---

(١) أحمد ٣/ ٣٥٠، والدارمي(٢٥١٢)، والترمذي (١٥٨٢) وصححه، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٢٧-٢٨.
(٢) كتب على هامش الأصل: «هذا السند على شرط مسلم».
(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٨.
(٤) انظر وفاة سعد بن معاذ في الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٢٤-٤٣٤.
(٥) كتب على هامش الأصل: «على شرط البخاري».
(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٢، وانظر مسند أحمد ٣/ ٣٢٧و٣٦٠و٣٧٧.

محمود بن عبدالرحمن بن عَمْرو بن الجَمُوح، عن جابر.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[1]: حدّثني مُعَاذ بن رِفاعة الزُّرْقي، قال: أخبرني من شئت من رجال قومي أنّ جبريل أتى النّبيّ ﷺ في جوف اللّيل مُعْتَجِراً بعمامة من إسْتَبْرَقَ، فقال: يا محمد مَنْ هذا الميت الذي فُتِحَت له أبوابُ السماء واهتزّ له العرش؟ فقام رسول الله ﷺ يجرّ ثوبه مُبادراً إلى سعد بن معاذ فوجده قد قُبِض.

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[2]: حدّثني من لا أتّهم، عن الحَسَن البصْرِي، قال: كان سعد رجلاً بادناً، فلما حمله النّاس وجدوا له خفّة. فقال رجال من المنافقين: والله إنْ كان لَبَادِناً وما حملنا من جنازةٍ أخفّ منه. فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: إنّ له حَمَلَةً غيركم، والذي نفسي بيده لقد استبشَرَت الملائكة بروح سعدٍ واهتزّ له العرش.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[3]: حدّثني أميّة بن عبدالله أنّه سأل بعضَ أهلِ سعد: ما بَلَغَكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا: ذُكِر لنا أنّ رسول الله ﷺ سُئل عن ذلك فقال: كان يقصّر في بعض الطُّهور من البَوْل[4].

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عَمْرو بن علقمة، عن أبيه، عن جدّه، عن عائشة، قالت: خرجتُ يوم الخندق أقفو آثار النّاس، فسمعت وئيد الأرض، تعني حسّ الأرض، ورائي، فالتفتُّ فإذا أنا بسعد بن مُعاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجَنَّه. فجلستُ،

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٥٠-٢٥١.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٥١.
(٣) ابن هشام ١/ ٤٣٠.
(٤) كتب على هامش الأصل: «من هنا إلى آخر الترجمة أُخذ من الطبقات لابن سعد».

فمرّ سعدُ وهو يقول:

لبِّثْ قليلاً يُدْرِكِ الهَيْجا حَمَلْ ما أحْسَنَ المَوْتَ إذا حانَ الأجَلْ

قالت: وعليه درع قد خرجتْ منها أطرافه، فتخوَّفْت على أطرافه، وكان من أطول النّاس وأعظمهم. قالت: فاقتحمتُ حديقةً، فإذا فيها نفرٌ فيهم عمر، وفيهم رجل عليه مغْفَر. فقال لي عمر: ما جاء بكِ؟ والله إنّكِ لجريئة، وما يؤمنكِ أن يكون تَحَوُّزاً وبَلاءً. فما زال يلومني حتى تمنّيت أنْ الأرض انْشَقَّت ساعتئذٍ فدخلتُ فيها. قالت: فرفع الرجل المِغْفَر عن وجهه، فإذا طلحة بن عُبَيْدالله، فقال: وَيْحَكَ، قد أكثرت وأين التحوّز والفِرار إلاّ إلى الله؟ قالت: ويرمي سعداً رجلٌ من قُرَيْش، يقال له ابن العَرِقَة، بسهم، فقال: خُذْها، وأنا ابن العَرِقَة. فأصاب أكْحَلَه. فدعا الله سعدٌ فقال: اللَّهُمَّ لا تُمِتْني حتى تشفيني من قُرَيْظَة. وكانوا مواليه وحُلفَاءه في الجاهلية. فرقأ كَلْمُه وبعث اللهُ الريحَ على المشركين. وساق الحديث بطوله. وفيه قالت: فانفجر كَلْمُه وقد كان بَرِىء حتى ما يُرَى منه إلاّ مثل الخُرْص[1]. ورجع إلى قُبّته. قالت: وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. فإنّي لأعرف بكاءَ أبي بكر من بكاء عمر، وأنا في حُجْرتي، وكانوا كما قال الله تعالى ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۝٢٩﴾ [الفتح]. قال: فقلت: ما كان رسولُ الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عيناه لا تدمع على أحد ولكنّه إذا وَجَدَ فإنّما هو آخذٌ بلحيته[2].

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن محمد بن زياد، عن عبدالرحمن بن عَمْرو بن سعد بن مُعَاذ، أنّ بني قُرَيْظة نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ، فأرسل إلى سعد بن مُعاذ فأُتي به محمولاً على حمار وهو مُضْنى من جرحه، فقال له: أشِرْ عليّ في هؤلاء. فقال: إنّي أعلم أنّ الله قد أمرك

(١) الخاتم أو حلقة القرط.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٣، وأحمد في المسند ٦/ ١٤١-١٤٢.

فيهم بأمرٍ أنت فاعلُه. قال: أجل، ولكنْ أشِرْ عليّ فيهم. فقال: لو وُلِّيتُ أمرَهم قتلتُ مُقاتلَتهم وسبيتُ ذَراريهم وقسمتُ أموالَهم. فقال: والذي نفسي بيده لقد أشرتَ عليَّ فيهم بالذي أمَرني الله به[1].

وقال محمد بن سعد: أخبرنا خالد بن مَخْلَد، قال: حدّثني محمد ابن صالح التمّار، عن سعد بن إبراهيم، سمع عامر بن سعد، عن أبيه، قال: لما حكم سعد بنُ مُعاذ في قُرَيْظة أن يُقتل مَنْ جرت عليه الموسى، قال رسول الله ﷺ: لقد حكم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سماوات[2].

وقال ابن سعد: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن رجل من الأنصار، قال: لما قضى سعد في قُرَيْظة ثمّ رجع انفجر جرحه، فبلغ ذلك النّبيّ ﷺ، فأتاه فأخذ رأسه فوضعه في حِجْره، وسُجِّي بثوبٍ أبيض إذا مُدّ على وجهه بَدَتْ رِجْلاهُ، وكان رجلاً أبيضَ جسيماً، فقال رسول الله ﷺ: اللّهُمَّ إنّ سعداً قد جاهد في سبيلك وصدَّق رسولك وقضى الذي عليه، فتقبَّلْ روحَه بخير ما تقبَّلتَ روح رجل. فلما سمع سعد كلامَ رسولِ الله ﷺ فتح عينيه، فقال: السّلام عليك يا رسول الله، أشهد أنّك رسول الله. قال: وأمّه تبكي وتقول:

وَيْلُ أمّ سعدٍ سعدا   حَزَامَةً وَجِدّا

فقيل لها: أتقولين الشِّعْرَ على سعد؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوها فغيرها من الشعراء أكذب.

وقال عبدالرحمن بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قَتَادَة، عن محمود بن لبيد، قال: لما أُصيب أَكْحَلُ سعدٍ حَوَّلوه عند امرأةٍ يقال لها

(١) البخاري ٤/ ٨١ و ٥/ ٤٤ و ١٤٣ و ٨/ ٧٢، ومسلم ٥/ ١٦٠، وأحمد ٣/ ٢٢ و٧١، والطبقات الكبرى ٣/ ٤٢٥.
(٢) الطبقات ٣/ ٤٢٦، والفتح ٧/ ٤١٢ ونسبه إلى النسائي.

رُفَيْدة، وكانت تداوي الجَرْحَى، قال: وكان النّبيّ ﷺ إذا مرّ به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح قال: كيف أصبحت؟ فيخبره، فذكر القصّة. وقال: فأسرع النّبيّ ﷺ المشي إلى سعد، فشكا ذلك إليه أصحَابه، فقال: إنّي أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسَّلتْ حنظلة. فانتهى رسول الله ﷺ إلى البيت وهو يُغَسّل، وأمّه تبكيه وتقول:

وَيْلُ اُمّ سعدٍ سعدا حَزَامَةً وجِدّا

فقال رسول الله ﷺ: كلّ نائحة تكذبُ إلاّ أمّ سعد. ثم خُرِجَ به فقالوا: ما حَمَلْنا ميتاً أخفَّ منه. فقال النّبيُّ ﷺ: ما يمنعكم أن يَخِفّ عليكم وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطّ، قد حملوه معكم.

وقال شُعْبة: أخبرني سِماك بن حرب، قال: سمعت عبدالله بنَ شدّاد يقول: دخل رسول الله ﷺ على سعد بن مُعاذ وَهوَ يكيد[1] بنفسه فقال: جزاك الله خيراً من سيّد قومٍ، فقد أنجزت الله ما وعدْتَه وليُنْجزنَّك الله ما وَعَدَكَ.

وقال ابن نُمَيْر: حدّثنا عُبَيْدالله بن عمر، عن نافع، قال: بلغني أنّه شهد سعداً سبعون ألف مَلَكٍ لم ينزلوا إلى الأرض.

رواه غيره: عن عُبَيْدالله، عن نافع، فقال: عن ابن عمر.

وقال شَبابة: أخبرنا أبو معشر، عن المَقْبُري، قال: لما دفن رسولُ الله ﷺ سعداً قال: لو نجا أحدٌ من ضغطة القبر لنجا سعد ولقد ضُمَّ ضمَّةً اختلفتْ منها أضلاعه من أثر البول[2].

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عَمْرو، عن [محمد بن

---

(١) أي: يجودُ بها.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٠.

المنكدر، عن][1] محمد بن شُرَحبيل، أن رجلاً أخذ قبضةً من تراب قبر سعد يوم دُفِن، ففتحها بعد فإذا هي مِسْك.

وقال محمد بن موسى الفِطْري: أخبرنا مُعاذ بن رِفاعة الزُّرقي، قال: دُفِن سعد بن مُعاذ إلى أُسّ دار عقيل بن أبي طالب.

قال محمد بن عَمْرو بن علقمة: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة أنّ رسول الله ﷺ استيقظ فجاءه جبريل، أو قال: مَلَكٌ فقال: مَن رجلٌ من أُمّتك مات الليلة استبشر بموته أهلُ السماء؟ قال: لا أعلمه، إلاّ أنّ سعد ابن مُعاذ أمسى قريباً[2]، ما فعل سعد؟ قالوا: يا رسول الله قُبِض وجاء قومُه فاحتملوه إلى دارهم. فصلّى رسول الله ﷺ بالنّاس الصُّبح، ثم خرج وخرج النّاس مَشْياً حتى إنَّ شسوع نِعالهم تقطع من أرجلهم وإنّ أرْدِيتهم لتسقُط من عواتقهم، فقال قائل: يا رسول الله قد بَتَّتَّ[3] النّاسَ مَشْياً، قال: أخشى أن تسبقنا إليه الملائكة كما سَبَقَتْنا إلى حنظلة[4].

شُعبة: حدثنا سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن عائشة، عن النّبيّ ﷺ، قال: «إنّ للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن مُعاذ».

شُعبة: حدّثني أبو إسحاق، عن عَمْرو بن شُرَحْبيل، قال: لما انفجر جرح سعد بن مُعَاذ التزمه رسول الله ﷺ، جعلتِ الدماءُ تَسيلُ على النّبيّ ﷺ، فجاء أبو بكر فقال: واكَسْرَ ظهرناه، فقال: مَه يا أبا بكر. ثم جاء

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن سعد (٣/ ٤٣١) كأن المؤلف ذهل عنها، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠٧.

(٢) هكذا في نسخة البشتكي، وفي نسخة (ع): «دَنِيّاً» وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٣: «دنفاً» وكلها بمعنى.

(٣) أي: أتعبتَ الناسَ مشياً.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٣-٤٢٤.

عمر فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

روى عُقْبة بن مُكْرَم: حدثنا ابن أبي عَدِيّ، عن شُعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن صفيّة بنت أبي عُبَيْد، عن عائشة، مرفوعاً: لو نجا أحدٌ من ضمّة القبر لنجا منها سعد. وقد تقدّم هذا، وما فيه صفيّة.

وليس هذا الضّغط من عذاب القبر في شيء، بل هو من رَوْعات المؤمن كنزْع روحه، وكألمِه من بكاء حميمه عليه، وكَرَوْعته من هجوم مَلَكَيْ الامتحانِ عليه، وكَرَوْعتِهِ يومَ الموقفِ وساعةَ وُرُودِ جهنّم، ونحو ذلك. نسأل الله أن يُؤَمِّنَ روعاتنا.

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عَمْرو، عن أبيه، عن جدّه، عن عائشة، قالت: ما كان أحد أشدّ فقْداً على المسلمين بعد رسول الله ﷺ وصاحبيه أو أحدهما من سعد بن مُعاذ[1].

وقال الواقديّ[2]: أخبرنا عتبة بن جَبيرة، عن الحُصَيْن بن عبدالرحمن بن عَمْرو بن سعد بن مُعاذ، قال: كان سعد بن مُعاذ أبيض طوالاً، جميلاً، حَسَن الوجه، أعْيَن، حَسَن اللّحْية. فرُمي يوم الخندق سنة خمسٍ فمات منها، وهو ابن سبعٍ وثلاثين سنة. ودُفن بالبقيع.

وقال أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سُفْيان، عن جابر، قال رسول الله ﷺ: «اهتزَّ عرشُ الله لموت سعد بن مُعاذ».

وقال عَوْف، عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيد، قال رسول الله ﷺ: «اهتز العرش لموت سعد بن مُعاذ».

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن إسحاق ابن راشد، عن امرأة من الأنصار يقال لها أسماء بنت يزيد بن السَّكَن،

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٣.

(٢) المغازي ٢/ ٥٢٥.

أنّ رسول الله ﷺ قال لأمّ سعد بن مُعَاذ: «ألا يَرْقأُ دَمْعُكِ ويذهب حزنُك بأن ابنَك أوّل من ضحك الله له واهتزّ له العرش؟».

وقال يوسف بن الماجشون، عن أبيه، عن عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن جدّته رُمَيْثَة أنّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ ـ ولو أشاء أن أقبّل الخاتم الذي بين كتفيه من قُربي منه لَفَعَلْتُ ـ يقول لسعد بن مُعاذ يوم مات: «اهتزّ له عرش الرحمن»[1].

وقال محمد بن فُضَيْل، عن عطاء بن السّائب، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: اهتزّ العرش لحبّ لقاء الله سعداً. قال: إنّما يعني السّرير. قال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف] قال: تفسّختْ أعوادُه. قال: ودخل رسول الله ﷺ قبرَه فاحتُبِس، فلما خرج قيل له: يا رسول الله: ما حبسكَ؟ قال: ضُمَّ سعدٌ في القبر ضمَّة فدعوْت الله يكشف عنه[2].

وقال الثَّوْرِي وغيره، عن أبي إسحاق، عن البَرَاء أنَّ النّبيَّ ﷺ أُتيَ بثوب حرير، فجعل أصحابُه يتعجّبون من لِينه فقال: «إنّ مناديل سعد بن مُعاذ في الجنّة ألْين من هذا». مُتَّفقٌ على صحّته[3].

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عَمْرو، عن واقد بن عَمْرو ابن سعد بن مُعاذ، قال: دخلت على أنَس بن مالك؛ وكان واقدٌ من أعظم النّاس وأطولهم؛ فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا واقد بن عَمْرو بن سعد بن مُعاذ. فقال: إنّك بسعد لشبيه، ثم بكى فأكثَرَ البكاء. ثم قال: يرحم الله سعداً، كان من أعظم النّاس وأطولهم. ثم قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أُكَيْدر دُومة، فبعث إلى رسول الله بجُبّةٍ من دِيباج

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٥.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٣.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٥.

منسوج فيها الذَّهَب، فلبسها رسول الله ﷺ، فجعل النّاس يمسحونها وينظرون إليها، فقال: أتعجبون من هذه الجُبَّة؟ قالوا: يا رسول الله ما رأينا ثوباً قطّ أحسن منه، قال: فَوَالله لَمَناديل سعد بن مُعاذ في الجنّة أحسن ممّا تَرون[1].

قلت: هو سعد بن مُعاذ بن النُّعمان بن أمرىء القَيْس بن زيد بن عبدالأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عَمْرو، ولقبه النَّبيْت، ابن مالك بن الأوس؛ أخي الخَزْرج؛ وهما ابنا حارثة بن عَمْرو؛ ويُدعى حارثة العنقاء؛ وإليه جماع الأوس والخزرج أنصار رسول الله ﷺ. ويُكنى سعد أبا عَمْرو، وأمّه كَبْشة بنت رافع الأنصاريّ، من المُبايعات. أسلم هو وأُسَيْد بن الحُضَير على يد مُصْعب بن عُمَيْر، وكان مُصْعب قَدِم المدينةَ قبل العقبة الآخرة يدعو إلى الإسلام ويُقْرىء القرآن. فلما أسلم سعد لم يبق من بني عبدالأشهل ـ عشيرة سعد ـ أحدٌ إلاّ أسلم يومئذٍ. ثم كان مُصْعَب في دار سعد هو وأسعد بن زرارة، يدعوان إلى الله. وكان سعد وأسعد ابنَيْ خالة. وآخى النّبيُّ ﷺ بين سعد بن مُعاذ وأبي عُبَيْدة بن الجرّاح. قاله ابن إسحاق[2].

وقال الواقديّ، عن عبدالله بن جعفر، عن سعد بن إبراهيم، وغيره: آخى النّبيّ ﷺ بينه وبين سعد بن أبي وقّاص[3].

شهد سعد بدْراً، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد حين ولّى النّاس.

وقال أبو نُعَيْم: حدثنا إسماعيل بن مُسلم العبدي: حدثنا أبو المتوكّل، أنّ النّبيّ ﷺ ذكر الحُمَّى، فقال: مَنْ كانت به فهي حظُّه من النَّار. فسألها سعد بن مُعاذ ربَّه، فلزِمَتْه فلم تفارقْه حتى فارق الدنيا.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٥-٤٣٦.
(٢) وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٠-٤٢١.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢١.

وكان لسعد من الولد: عَمْرو، وعبدالله، وأمُّهما: عمّة أُسَيْد بن الحُضَير هند بنت سِماك من بني عبدالأشهل، صحابيّة. وكان تزوّجها أوس بن مُعاذ أخو سعد ـ وقُتلَ عبدالله بن عَمْرو بن سعد ـ يوم الحَرَّة[1].

وكان لعمرو من الولد: واقد بن عَمْرو، وجماعة قيل إنّهم تسعة.

وقُتِلَ عَمْرو أخو سعد بن مُعاذ يوم أُحُد، وقُتِلَ ابن أخيهما الحارث ابن أوس يومئذٍ شاباً، وقد شهدوا بدْراً، والحارث أصَابه السَّيفُ ليلة قَتَلوا كعب بن الاشرف، واحتمله أصحابُه. وشهد بعد ذلك أُحُداً.

روى عن سعد بن مُعاذ: عبدالله بن مسعود قصّتة بمكة مع أُميَّة بن خَلَف، وذلك في صحيح البخاري[2]

وحصن بني قُرَيْظة على أميالٍ من المدينة، حاصرهم النّبيّ ﷺ خمساً وعشرين ليلة.

واستشهد من المسلمين: خلّاد بن سُوَيد الأنصاري الخزرجي، طُرِحت عليه رَحَى، فَشَدَخَتْه[3].

ومات في مدّة الحصار أبو سِنان بن مِحْصَن، بدريّ مهاجري، وهو أخو عكّاشة بن مِحْصَن الأسدي. شهد هو وابنه سِنان بدْراً. ودُفن بمقبرة بني قُرَيْظة التي يتدافن بها من نزل دُورهم من المسلمين، وعاش أربعين سنة، ومنهم من قال: بقي إلى أن بايع تحت الشَّجرة.

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٠.
(٢) البخاري ٤/ ٢٤٩.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٤٢.

إسلام ابني سَعْيَة

وأسد بن عُبَيْد

قال يونس بن بُكَيْر، وجرير بن حازم، عن ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة، عن شيخ من بني قُرَيْظة، أنه قال: هل تدري عَمَّ كان إسلامُ ثَعْلَبَة وأسد ابني سَعْيَة، وأسد بن عُبَيْد، نفر من هَدْل، لم يكونوا من بني قُرَيْظة ولا نَضِير، كانوا فوق ذلك؟ قلت: لا. قال: إنّه قدِم علينا رجل من الشام يهوديّ، يقال له ابن الهَيْبَان، ما رأينا خيراً منه. فكنّا نقول إذا احتبس المطر: استسْقِ لنا. فيقول: لا والله، حتى تُخْرِجوا صدقةً صاعاً من تمر أو مدّاً من شعير. فنفعل، فيخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا. فَوَالله ما يبرح مجلسه حتى تمرَّ بنا الشِّعابُ تَسِيلُ. قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرّتين. فلما حَضَرَتْه الوفاة، قال: يا معشر يهود؛ ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: أخرجني نبيٌّ أتوقّعه يُبعث الآن فهذه البلدة مُهَاجره، وإنّه يُبعث بسفك الدماء وسبي الذّريّة، فلا يمنعنّكم ذلك منه ولا تُسبقنَّ إليه. ثم مات.

زاد يونس بن بُكَيْر في حديثه: فلما كانت الليلة التي افتُتِحت فيها قُرَيْظة قال أولئك الثلاثة، وكانوا شُبَّاناً أحداثاً: يا معشر يهود، هذا الذي كان ذكر لكم ابن الهَيبان. قالوا: ما هو؟ فقالوا: بلى والله إنّه لَهُوَ بصفتِه. ثم نزلوا فأسلموا وخلَّوا أموالَهم وأهلَهم، وكانت في الحِصْنِ، فلما فتح رُدَّ ذلك عليهم.

المحتويات